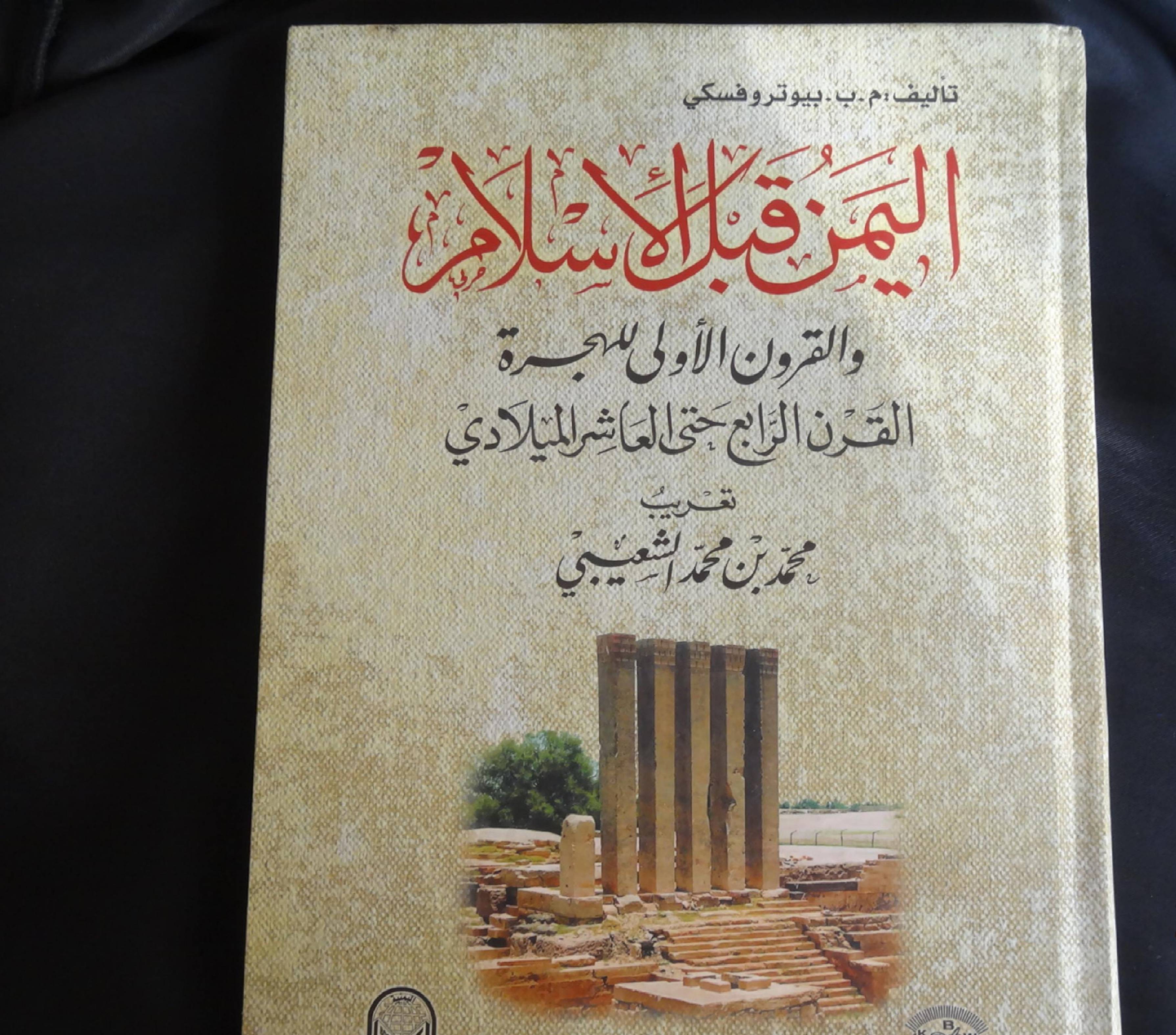
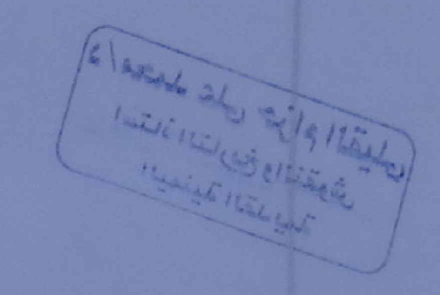
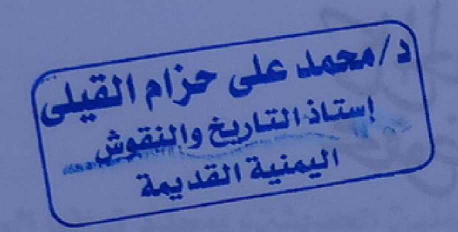

تأليف: م. ب. بيوتروفسكي
اليمن قبل الإسلام
والقرون الأولى للهجرة
القرن الرابع حتى العاشر الميلادي
تعريب
محمد بن محمد الشعيبي
26 10 20





26 10 20



اليمن قبل الإسلام

والقرون الأولى للهجرة

القرن الرابع حتى العاشر الميلادي

تأليف : م. ب. بيوتروفسكي

تعريب

محمد بن محمد الشعيبي

الطبعة الثانية

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

أسسها عبد الرحمن لطف الحزمي

سنة ١٩٨٦م





الجمهورية اليمنية
صنعاء - الدائري الغربي -
جولة القادسية- أمام سيتي مارت
تليفون : ٢١٥٢٤٣ فاكس : ٢١٥٣٢٣

الجمهورية اليمنية
صنعاء - جوار وأمام وزارة العدل
تليفاكس: ٢٢٤٦٩٤ ص.ب : ٢٣٧٠
القرطاسية : ٢٧٠٩٦١

فرع عدن : كريتر - الميدان - فرزة التواهي ت : ٢٦٥٧٠٦

الإخراج الفني والطباعة : الثريا للطباعة والإعلام والنشر
ج.م.ع. ت: ٠٠٢٠١٠٧٦٨٧ - ٠٠٢٠١٠٥٣٤٣٥٣٤
E-mail :ethuraya1@yahoo.com

الإهداء

إلى قائد النهضة اليمنية الحديثة، ومجدد تراثها الروحي والمادي، من يقوم لأول مرة في التاريخ الحديث، بإعادة بناء سدّ مأرب الشهير، ويدعم، ويشجع بعث وإحياء الأصالة لفكر الأمة اليمنية وتراثها العلمي الحضاري.

رئيس الجمهورية : المشير علي عبد الله صالح الأحمر، أهدي هذا الكتاب التاريخي المترجم، عرفانًا بالجميل، والوفاء لكل من يحب اليمن، ويعشق أرضه، وترابه وجباله، وسماءه، ويحافظ على مصيره وتطوره، ويصون حريته وكرامته واستقلاله.

أخوكم

محمد بن محمد الشعيبي

الأسم: الدكتور ميخائيل بيوتروفسكي

تاريخ الميلاد: في عام ١٩٤٤.

عضو باحث في معهد الدراسات الشرقية في أكاديمية العلوم السوفياتية ((فرع لينينغراد)).

متخصص في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام وفي صدر الإسلام.

خريج قسم اللغة العربية والأدب العربي لجامعة لينينغراد عام ١٩٦٧.

درس في كلية الآداب لجامعة القاهرة في عام ١٩٦٥-١٩٦٦ عند الأساتذة خليل يحيى نامي، شوقي ضيف، سعاد ماهر.

حصل على لقب دكتور في الفلسفة ((التاريخ)) من جامعة لينينغراد عام ١٩٧٣ ((Phb)).

حصل على لقب دكتور في علم التأريخ من معهد الدراسات الشرقية عام ١٩٨٥.

من مؤلفاته الأساسية:

- سيرة الملك الحميري تُبّع أسعد الكامل، وحصل هذا الكتاب على دبلومة تعريفية من أكاديمية العلوم ووزارة التعليم العالي في الاتحاد السوفياتي.
- تاريخ اليمن المختصر ((بالاشتراك مع آخرين)).
- الجنوب العربي في بداية القرون الوسطى، طرق تكوين المجتمع الجديد ((١٩٨٥)).
- مقالات عديدة حول تاريخ العرب نشرت في المجلات السوفياتية والعربية، آخرها مقال ((الأقيال والأبناء والقبائل في اليمن)) في مجلة الثقافة الجديدة في عدن.
- وقد اشترك في عدة ندوات علمية ودولية، من بينها ندوة دراسات الحضارة اليمنية في عدن عام ١٩٧٥.
- ومؤتمر المؤرخين العالمي في بوخارست عام ١٩٨٠، وندوة عن الهمداني في صنعاء عام ١٩٨١.
- والآن يشرف على مشروع الدراسة المسمى بطرق تطور المجتمع في الجزيرة العربية في العصور القديمة وفي بداية العصور الوسطى.
- ويشترك في أعمال البعثة السوفياتية اليمنية لدراسة الحضارة اليمنية.

ب. أ. غريازنيفيتش

يعرض مؤلف هذا البحث العلمي الرّاهن، ويحلل تاريخ جنوب جزيرة العرب ((اليمن)) خلال الفترة ما بين القرنين الخامس والعاشر بعد الميلاد، ويتتبع طابع التغيرات الجارية في المجتمع اليمني قبل حلول الإسلام وبعده، ويجري في الكتاب وصف تطور العلاقات المتبادلة بين الرحّل والحضَر، والصراع داخل الفئة الحاكمة، وتكوُّن الوعي الذاتي اليمني في المجالين البشري والثقافي، وكذلك الصراع بين شتى الأديان ((اليهودية، المسيحية، الإسلام)) والمذاهب الإسلامية ((الإسماعيلية، الزيدية، السنية)) إلخ...

من المترجم إلي القارئ

إذا كان لا بد من أن أقول شيئًا في بداية هذا الكتاب فإني آمُل إيضاح فكرة ما قبل التعريف والملاحظة عليه، وبالتالي قبل التحدث عما واجهته خلال عملية الترجمة التي اضطلعت بمهمة المشاركة فيها كأول تجربة في هذا الميدان بانتظار حكم التاريخ الكريم على تلك المحاولة: إن سلبًا أو إيجابًا، وسأكون سعيدًا في كلا الحالين؛ لأني اجتهدت في تقديم بعض مما عليَّ لهذا الوطن؛ فإن أصبت فهذا مبتغاي، وإن أخطأت فسأكتفي بالنزر اليسير من الأجر عملاً بقول الرسول الكريم ﷺ: ((من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحدٌ)).

أما ما أود قوله فليس أكثر من بضعة سطور موجَّهة إلى الباحث اليمني المستقبلي وهو: إن العلم بحرٌ واسع وعميق، وكلما اعتقد الإنسان أنه قد قطع شوطًا لا بأس به وسط هذا المحيط، وجد نفسه فجأة وإذا به لا يزال يسبح على شواطئه.

هذا هو حال وشأن الإنسان –أي إنسان - مع العلم، فمهما توسعت معارفه، وتمت مداركه فإنه سيظل يعيش على حافة المعرفة الإنسانية.

فقط بامتلاك ناصية المنهج العلمي الصحيح للبحث -وحده وليس سواه - يمكن سَبر غَوْر هذا المحيط نسبيًّا، والذي لا يمكن بدونه للإنسان الذي ينتسب للعلم أن يحقق القدر الكافي والمناسب من المعارف العلمية الصحيحة والهادفة إلى خدمة وتطور البشرية.

إن هذا ما خطر بفكري وما يزال، خلال عملية المشاركة في الترجمة الصعبة لهذا الكتاب الشيق الذي أنفق صاحبُه العالِم المستشرق، الأستاذ الجامعي الكبير البروفسور –ميخائيل بيوتروفسكي - قرابة عشر سنوات على إنجازه بعد اطلاع وقراءة المئات من المراجع والمصادر عن أوضاع اليمن بعصرَيْه القديم والوسيط، بما في ذلك القرآن الكريم، والسيرة النبوية -على صاحبها أفضل الصلاة - وكذا ما جاء به وأورده معظم الأخباريين المسلمين العرب منهم وغير العرب، كذلك بعض المؤرخين الأجانب، الكلاسيكيين منهم والمعاصرين، وعلى اختلاف مذاهبهم، واتجاهاتهم،

فضلاً عن النقوش اليمنية القديمة التي اكتُشفت حتى اليوم والبالغ عددها حوالي ٥٠٠٠ نقش، بالإضافة إلى الأعمال والأبحاث الميدانية التي قام بها المؤلف ضمن فريق علمي في أكثر من منطقةٍ وموقعٍ أثري تأريخي باليمن بشطريه.

إن ذلك الإنجاز الهائل قد تطلب من صاحبه قبل القيام بهذا العمل الواسع –وهذا هو الأهم – التضلع في أصول وفروع العلوم الدينية والدنيوية، المتعلقة بجميع الأمم – في الشرق أو الغرب – بكل تفاصيلها وتفرعاتها، وجوهرها وأبعادها.

وإنه مهما بدا أن هذا المُؤلَف قد وصل إلى درجة الكمال بالقياس إلى غيره من الكتب التي ظهرت عن اليمن حتى اليوم، فإنه لا يزال يشكل قطرةً من مطرةٍ – كما يقولون – رغم ما كَشَفَ وحشد من معلومات جديدة، وآراء جريئة وشبه حاسمة.

ومع أننا قد نختلف معه بعض الشيء في ما اعتمد عليه من معلومات، أو توصل إليه من استنتاجات[1] إلا أن هذا لا يغير من الأمر شيئًا في الوقت الحاضر؛ نظرًا لأنه لا يزال هناك مما هو مطمور تحت الثرى، وفي خزائن الكتب المهملة ما ينوء بحمله الزمن، ينتظر منا –وليس سوانا – القيام بالدور الرئيسي والحاسم في الوصول إلى معرفة الحقيقة المطلقة –لا النسبية – عن واقع تاريخنا، وتراثنا، بعد أن نكون قد تسلحنا بالعلم والمنهج السليم، كوسيلة إلى تحقيق ذلك.

ولا ضير في أن هناك من يكد ويكدح في سبيل استكشاف ودراسة التراث الإنساني، في أي بقعة من العالم؛ لأن الإرث الثقافي البشري مِلك للإنسانية جمعاء، وليس حكرًا على بلد أو عالم معين، إنما الغريب والعيب كل العيب في أن نكون – نحن أبناء اليمن، من ننتمي بكل فخر إلى هذه التربة – عالة على جهود الآخرين، وعلى كدِّهم وكدحهم، تمامًا كما هو الحال في الاعتماد على الغير فيما نأكل، ونلبس، ونترفه، وأنه بدون الاعتماد على النفس –في الميدان العلمي والثقافي – وهذا الكلام موجه إلى المؤسسات الثقافية والعلمية بالدرجة الأولى من بلادنا، وإلى العلماء والمثقفين والباحثين بالدرجة الثانية – مسترشدين بالمنهج العلمي القائم على الصدق،

---

(1) حاولت الإشارة إليها والتعليق بقدر الإمكان في موضعها (المترجم).

والمعاناة والدأب، والمثابرة في اكتشاف منابع الحقيقة في تاريخنا وتراثنا، فسيظل سد هذا الفراغ والخواء الفكري والروحي رهنًا بأعمال وجهود العلماء والباحثين الأجانب، ووفقا لمناهجهم الضالة منها والصائبة، وحينئذ يقع ويكون الويل كل الويل لأمة لا تأكل مما تزرع، ولا تلبس مما تصنع، ولا تتعلم أو تنتفع مما تقرأ، فكم هي عدد الكتب والأبحاث التي نشرت حتى اليوم لبعض كتابنا ومؤرخينا، ولم نقدرها ونستفد منها، بسبب أنها لم تدخل بعد حيز العمل العلمي الصحيح بمقياس العصر.

انطلاقًا من هذا فإن هناك طريقًا آخر يختلف عما تعودنا عليه، ولا نزال نسير في ركابه ونقلده عند تناول التراث، إذا أردنا الاستفادة منه وسد النقص المريع الذي تعانيه مناهجنا التربوية، والتي لم تستطع أن تلبيها آلاف الكتب والمجلدات والأبحاث التي تتحدث وتعالج قضية التاريخ اليمني قديمه وحديثه، سواء منها ما هو لكُتاب محليين أو أجانب، وهي من الكثرة بحيث لو جمع عدد طبعاتها ونسخها باستثناء عدد قليل جدًا لشكلت ترسانة ضخمة لبناءٍ كبير الحجم زاهي الشكل، لكنه بناء قائم في نهاية المطاف على غيرِ أساس، يصبح الاطمئنان للدخول إليه عرضة غير محمودة العواقب لكل من يلوذ به، ويعتمد على العيش في كنفه كمصدر للانتفاع والهدوء والراحة، وإشباع غريزة المعرفة، لا لأن هذه الكتب خالية من الزخرفة اللفظية، وجمال الرونق والبهرج، وجودة العبارة، وحسن الأداء، فهذه الأمور الشكلية قد تكون في معظم الأحوال موجودة ومتوفرة، بل لأنها لا تملك المنهج العلمي الصحيح، ولا تقوم على الترابط الموضوعي المُنَسَّق، وتفتقر كليًّا إلى رؤية القوانين الاجتماعية والاقتصادية العامة، ويغلب عليها طابع التهويش، والمبالغة الناجمَين عن النزعة العِرقية الشوفينية والانتماءات السياسية الضيقة، والتعصب المذهبي، كما وأنها إضافة -إلى ذلك - لا تُعير أي اهتمام بالمصادر، وإن هي وجدت بصورة عفوية دون بذل أي جهد في الحصول عليها، فإن هناك قصورًا في عدم القدرة على تقييمها واستقرائها، وبالتالي التعامل معها بروح علمية فاحصة، وناقدة؛ ولهذا فإن هذا الحشد الهائل لمثل هذه الكتب - والذي يكاد يغرق السوق - قد أخفق في أن يلبي حاجة المواطن، فضلاً عن طلاب المعاهد والمدارس والجامعة والمتعطشين جميعًا للمعرفة، والذين يدرسون ويقرأ ون

ويعرفون عن أحوال وتاريخ الأمم والشعوب الأخرى أكثر مما يعرفون عن بلدهم وتاريخهم وتراثهم الوطني.

وإنه لمن المزري حقًا الاستمرار في هذا الطريق، وكذا مواصلة النظر إلى تأريخنا عبر السلالات المالكة الكبيرة، والأسر الحاكمة، وحصره في نشاطهم السياسي الحربي، لا عبر تاريخ الأفراد والشعوب صناع التأريخ والحضارة الحقيقيين، والذين يكدون ويكدحون في صمت رهيب حينًا ومتفجر حينًا آخر، في سبيل أن يمدوا السعادة والهناء لتلك السلالات المتعالية، والملوك الجبابرة، والذين لا تتورع المؤلفات التاريخية بنعتهم ووصفهم بصانعي الحضارة، وتلصق بهم حياة أمم وشعوب بكاملها، تاركة إياها خارج التاريخ، في حين تتكشف الحقائق للعالم والباحث المتتبع أن ما كان يجري هو على العكس من ذلك تمامًا، في أنهم سبب انهيار حضارة الأمم والشعوب.

﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾

صدق الله العظيم.

والأعزة من الأهل والأحبة، الذين عناهم الوصف القرآني الكريم، هم خيرة أبناء الأمة من القوى العاملة المنتجة، والمفكرة، والمدافعة... لأن إخضاع هؤلاء بالقوة والتسلط عليهم معناه افتقاد الوطن لدورهم الفاعل والإيجابي، في صنع وتطور الحياة، والإنتاج، وعندها تنهار وتسقط دول وممالك، ويأفل نجم حضارة بكاملها؛ إذ هؤلاء ...ن يجب أن تتجه الدراسة التاريخية نحوهم، وعن طريق معرفة أحوالهم وظروفهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية نستطيع التوصل إلى معرفة الجانب الإنساني المشرق ...تاريخنا، وبالتالي إلى معرفة كيفية نشوء وتطور المستوى الحضاري للإنسان ...مني، والعوامل التي أدت إلى الإحباط والتوقف النسبيين في مسيرة التطور الحضاري ...صاعد.

إن مثل هذه الطريق نحو دراسة تأريخنا لم يتم البدء بها حتى الآن إلا بشكل ...ئي كما هو الحال مع هذا الكتاب، وقد يكون المعوّل والأمل في إبراز وإظهار ...أمتنا وبلادنا على الوجه الصحيح مرهونًا بمثقفي وعلماء جيل الثورة الصاعد،

الذين يمكن أن يكونوا قد تربوا على طبيعة العمل الأكاديمي العلمي، وشقوا طريقهم بالكد والمثابرة، العاملين المميزين لأي عمل علمي جاد وصحيح.

وإن من أبرز الدوافع لي في المشاركة لترجمة هذا الكتاب وإعداده للنشر، هو طرح بعضٍ من صور هذه المهام الملحّة التي تنتظر الباحث اليمني الجديد، وتجربة تضاف إلى الخبرات العلمية الأخرى والتي يجب أن تتوفر قبل أن يتم التفكير في إنجاز أي عمل علمي خالد ومتميز.

كما لا أخفي أن هناك هدفًا آخر من ترجمة هذا الكتاب هو طرح ملاحظة أو بالأصح علامة استفهام أمام بعض الباحثين اليمنيين الذين سبق أن قدموا أطروحات أو نزلوا بدراسات شبه مماثلة للموضوع، خاصة عند تناول البنَى والعلاقات الاجتماعية، والقبلية في المجتمع اليمني القديم والحديث، انطلاقًا من منظور المناهج الكلاسيكية، والمعاصرة الجزئية والوحيدة الجانب كالمنهج البنيوي، والجغرافي، والشخصوي إلخ.. تلك المناهج التي تُضيق من عمل البحث وتقيده بالاقتصار على دراسة الجزئيات والخصوصيات الثانوية واعتبارها عاملاً رئيسًا عند تحليل مواضيع هامة ومعقدة من هذا النوع، إن الابتعاد عن النظرة الشاملة عند دراسة أي موضوع وعدم الأخذ بعين الاعتبار القوانين الأساسية التي تحكم سير وتطور حركة المجتمعات البشرية قبل غيرها يُفقد تلك الدراسات طابعها الشمولي وتصبح في أحسن الأحوال تكريسًا للجهل والتعتيم، وبعيدة عن أن تحقق الهدف النبيل والسامي لأصحابها الذين بذلوا جهودًا لا يستهان بها عند جمع المادة وصياغتها.

فإليهم إلى الباحثين اليمنيين من الجيلين أقدم هذه الترجمة.

والله الموفق

صنعاء ١٩٨٧

محمد بن محمد الشعيبي

قبل أن تقرأ الكتاب

أولاً: قد يواجه القارئ الكريم تكرارًا لمعظم الحوادث والوقائع، وربما لمعظم الشخصيات الأساسية محور هذا الكتاب.

لكن لا ضيرَ ولا قلق، خاصة عندما يعرف القارئ أن المؤلف يدرس ويُحلل فترةً زمنيةً محدَّدة تمتد خمسة قرون (نهاية العصر السبئي الحميري وحتى القرن العاشر الميلادي) كل ذلك في حلقاتٍ مترابطة بعضها ببعضٍ، وموزعة على عدد من الأبواب والفصول، وفقًا للمنهج الأكاديمي العلمي الشامل.

وقد تناول المؤلف ودرس كل جانبٍ من الجوانب على حدة: السياسي ثم الاقتصادي والبناء الاجتماعي، وأخيرًا العقائدي، وعليه فإن الشخوص أبطال هذه الفترة الزمنية هم نفس أبطال هذا الجانب أو ذاك من الجوانب الأربعة المذكورة، ورغم ذلك فقد تم إزالة بعض القضايا والآراء المتكررة غير الضرورية.

ثانيًا: لا داعي للانزعاج أو العجلة في إصدار حكم فوري ونهائي ضد أي رأي أو استنتاج تعتقد مسبقًا بأن المؤلف قد توصل إليه جازمًا، ((ففي التأني السلامة، وفي العجلة الندامة)) وما عليك إلا التريث قليلاً حتى نهاية الكتاب، طبعًا بما في ذلك أسماء مراجعه ومصادره بالاسم والعنوان والصفحة، وقد يستحسن بعد هذا كله وقبل التسرع في الحكم العودة إلى المرجع نفسه إن كنت فعلاً باحثًا وطالب علم، وصاحب رأي.

ثالثًا: نظرًا لصعوبة الحفاظ على أفكار المؤلف في حال غياب الترجمة الحرفية إلى العربية، فإني أُلفت النظرَ إلى أني قد تمسكت بهذا المبدأ حرصًا على الأمانة العلمية، لكن هذا الحرص جاء على حساب عدم إمكانية إعادة الصياغة التي تنسجم مع طبيعة اللغة العربية السلسة المعبرة بوضوح عن الفكرة المعينة، ونتيجة لذلك فإني أعتذر في حالة ما إذا وجد القارئ جفافًا في الأسلوب وعدم الترابط أحيانًا في التركيب اللغوي للجمل التي تحمل معنى أو فكرة محددة، الأمر الذي كثيرًا ما يصاحب عادة كتب الدراسات العلمية الوثائقية، والتعميمية منها خاصة، كما هو الحال مع هذا الكتاب،

ورغمًا عن ذلك، حينما كنت أرى أنه لا مناص من إبراز أفكار المؤلف التي يكتنف بعضها الغموض نتيجة كثافة العموميات فإني كنت أتصرف خارجًا عن النص بعباراتٍ وأفكار تفصيلية إضافية توضح الغموض، كما كنت ألجأ أحيانًا إلى حذف جُملٍ بكاملها عندما أرى أنها غير قادرة على توصيل هذه الفكرة أو تلك، أو سبق أن استخدمت لنفس المعنى أو الهدف وبهذا الخصوص أستسمح المؤلفَ -دون غيره- الصفح عن هذا التصرف[1].

رابعًا: هناك تقليد علمي يتبعه الباحثون عند الإشارة إلى المراجع والمصادر، قد يستخدمون رموزًا معينة إذا كثرت وتعددت هذه المراجع، وقد يستخدمون أرقامًا متسلسلة بدلاً من حشر أسماء هذه الكتب والمراجع وأصحابها في حاشية الكتاب، ويلحقونها في نهاية الكتاب تسهيلاً للقارئ والباحث المتطلع، وهذا ما عمله المؤلف؛ حيث تم الاكتفاء بوضع أرقام متسلسلة في الحاشية وأحيانا بالمتن تتطابق مع اسم المصدر وعنوانه وكاتبه.

خامسًا: لا شك في أننا نختلف مع المؤلف في بعض النقاط، لكن الاختلاف يصبح يسيرًا وهينا إذا ما قيس أو قورن بغيره -ككاتب أجنبي- من المستشرقين الآخرين الذين يُعرضون عن الحقيقة، ويزيفون الوقائع والمصادر عند دراستهم لتاريخ بعض الشعوب والبلدان العربية والإسلامية، أو عن تأريخ الإسلام نفسه؛ حيث يصورون الفتوحات الإسلامية الهادفة إلى نشر الإسلام وتحقيق العدالة بأنها لا تقل عن تلك الإمبراطوريات الكلاسيكية القديمة التي ظهرت مرة واحدة في التاريخ ثم انهارت إلى الأبد نتيجة لوجودها القائم على أساس استعباد الشعوب ونهب خيراتها لكن بدون غلاف ديني كما هو الحال مع الإسلام، ودليلهم على ذلك الاعتقاد المزيف هو أن الصراعات والحروب التي سادت في التاريخ الإسلامي كانت نتيجة للخلافات المذهبية

---

[1]) كما أعتذر للمؤلف أيضًا عن حذف بعض العبارات والفقرات، التي لو أصررت على بقائها لتعرض الكتاب لعدم الظهور بدعوى أن بعض تلك العبارات تتجافى مع الصواب، وتنطوي على عدم فهم للخصوصية التي تتعلق بالعادات والتقاليد.

الدينية المتعددة وليس كما يعتقد المؤرخون العرب والمسلمون من المستشرقين من أنها راجعة إلى الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية البالغة القسوة التي عانتها الدعوة الجديدة في مواجهة مصالح بعض الفئات الاجتماعية المتضررة، والتي تحالفت مصالحها مع القوى الأجنبية المناهضة للإسلام وسياسته الديمقراطية. فلم تكد تستقر عمليات الفتح ونشر الإسلام، والعمل على رفع الجور من على كاهل هذه الشعوب، حتى تعرضت الشعوب الإسلامية المستعبدة وتحالفت مع قوى الغزو. هكذا تبدل الحال الأسود الدامي، ثم الترك ومن بعدهم جحافل الحروب الصليبية، ويطردهم البرتغاليون، والغربيون الأوربيون والأمريكيون والإسرائيليون. كما يعمد البعض الآخر من المستشرقين في العصر الحاضر إلى اللعب على أوتار الخلافات في الرأي بين الشعوب الإسلامية والتي تنحصر أساساً في الفروع لا في الأصول، وإثارتها على المستوى الاجتماعي والسياسي بهدف تقويتها وتغذية الصراع بين المجتمعات المسلمة الواحدة؛ لتظل تعيش مشاكلها في الصراع الداخلي، وبعيداً عن أن ترى عدوها الاجتماعي المشترك في الداخل أو في الخارج.

أما مؤلف هذا الكتاب فإنه ينظر إلى المسألة على العكس من ذلك تماماً، فإنه رغم ما أبداه من التحفظات في بعض القضايا الاجتماعية التي عالجها بعض الولاة والحكام عند التطبيق والممارسة، فإنه لم يستهدف في دراسته هذه تشويه الجوهر الحقيقي للإسلام أو الإساءة إلى دعاته وأصحابه، والذين يمثلون في نظره رمزاً لحركة التطور التاريخي الصاعد، وهو لا ينطلق من هذا فإنه يرى بأن حدة الصراعات السياسية، والتنافس على السلطة، ومحاولة المزيد من التملك الواسع غير المشروع سبب البناء الاجتماعي للأمة العربية والإسلامية في القرون الوسطى المبكرة والمتأخرة على مجيء الغزو الاستعماري عند مشارف القرن العاشر الميلادي، وبالتالي سبب تقهقر الدولة الإسلامية لأنه لا يمكن ولا تستطيع أن تعيش الدعوة جنباً إلى جنب مع القهر والاستعباد والوجود الاستعماري، كما ينظر المؤلف إلى أبعد من ذلك بكثير من خلال دراسته وفهمه مستوى واقع التطور التاريخي للمجتمع العربي الإسلامي عشية فجر الدعوة الجديدة التي تحتم عليها مواجهته، ومن ثم منازلته عند الضرورة، من ذلك فإنه

يرى بأن تلك الخصومات والصراعات داخل الفئات الاجتماعية المتناقضة والمسيطرة، سواء عند فجر الدعوة الإسلامية أو بعدها لم تكن نابعة كما يُعتقد من قبل المستشرقين الأوربيين من الخلافات الدينية: مسلم وغير مسلم، حنفي أو حنبلي، شافعي أو مالكي، شيعي أو سني، بل يراها استمراراً للإرث التاريخي لما قبل الإسلام في العصرين الجاهلي والحميري السبئي ودرجة توظيفهما وتحجرهما عند نقطة معينة من سلم التطور الاجتماعي، الذي كان نظامه قائماً على العلاقات الربوية، والاستغلال، والغزو القبلي المتبادل كمصدر للعيش والأرزاق وتملك العبيد والثروة على حساب القوى المنتجة الفلاحية الثرية والضعيفة، جنباً إلى جنب مع سيادة وهيمنة ما تبقى من أيديولوجية وعقيدة النظام العشائري القبلي الأبوي: كالثأر والقرم والسُّخرة، ووأد البنات، واحتقار الزراعة، وأعمال الحرف وزراعات الفنون.

في حين تُسد هذه العلاقات الاجتماعية الظالمة، وتعدُّ في أجلها سلطة قمعية قاهرة ومتفردة لا يوقف جموحها أيُّ تنظيم جماهيري رادع أو عقيدة تلتف حولها الجماهير لتحمي نفسها من الجور والاضطهاد.

وقد جاء الإسلام في تلك اللحظة من توقُ الفئات الاجتماعية المحرومة من الحرية والانعتاق، وتغيير تلك العلاقات الظالمة إلى الأحسن إن لم يكن إلى الأفضل، وإنه كما هو الحال مع اليمن موضوع دراسة هذا الكتاب فإن المؤلف يرى بأن الإسلام قد عمل على توحيد اليمن، وحافظ على استقلاله السياسي من النفوذ الخارجي بيزنطة وفارس والحبشة، والذي كانت تراهن عليه القوى المتصارعة المحلية، وتستخدمه لمصالحها في الصراع ضد بعضها البعض.

كما يرى المؤلف أنه على المستوى الاجتماعي والسياسي فإن الإسلام قد عمل -وقبل أن يستقر نهائياً في اليمن- على رفع الجور والظلم الاجتماعي المتمثل في تسلط الحكم الفارسي، ونفوذ الأقيال والأذواء المحليين، وكذا على العلاقات الربوية، فمنع التعامل بالربا، وشجع تحرير العبيد بالعتق في حال الإسلام بالفدية، كما وأن الإسلام في اليمن قد أدى على المستوى السياسي إلى تغيير قوام الفئة الحاكمة المحلية وظهور فئات اجتماعية جديدة: إن عربية أو إسلامية أو وطنية محلية، انصهرت فيها

مجموعًا ودع الطبيعة العامة التي تعطي للأفضل - بصرف النظر عن مركزه الاجتماعي القبلي، أو الاقتصادي أو الإقليمي - الحق في ممارسة السلطة، والرقابة وفرض الضرائب، والتصرف بها لصالح المجتمع الإسلامي ككل، ومن ناحية فإن المؤلف يبدو أن الإسلام بعالمية الرسول ﷺ يتميز عن الطبيعة الاستعمارية للإمبراطوريات القديمة والحديثة ٤١٠ صارت للقارئة - وموقفها من الأقليات القومية المتسم بالظلم والعبودية، والفطرية السياسية، فقد اتخذت أمثلة عند البحث المعاهدة التي أبرمها الرسول محمد ﷺ مع نصارى نجران اليمنيين، والملحقة في نهاية الكتاب ضمن الوثائق الأخرى الهامة.

ويعلق على ذلك بقوله: إنها عقدت معاهدة بين طرفين متكافئين، وأن هذه المعاهدة أصبحت نموذجًا للمعاهدات الإسلامية بعد ذلك، لما فيها من اعتراف واضح وصريح بحقوق الطرفين دون إجحاف بحق الطرف الأضعف وهم نصارى نجران.

ويشير إلى أن هذه المعاهدة النموذجية قد دونها الإمام علي بن أبي طالب ؓ ووقعها من جانب المسلمين الرسول محمد ﷺ نفسه، وعليها شهادة كبار الصحابة وبعض الزعماء، والمؤلف في رأيي يعي ما يقول، عندما يصف المعاهدة بأنها بين متكافئين ومتوازنين، لأنه كعالم ومؤرخ يعرف بأن معظم المعاهدات في التاريخ إن وجدت أصلاً في ظروف مكافئة بين دولة إمبراطورية قوية ومذهب جديد على شكل اكتساح ما قبله، وبين أمة ضعيفة تريد أن تعيش بكرامة وحرية، فإنها - أي المعاهدة - غالبًا ما تُفرض على الآخرين، وتعبر عن مصالح الطرف الأقوى، ومن هنا تنتفي منها صفة التكافؤ الذي يعبر عنه المؤلف في وصفه لمعاهدة الرسول ﷺ.

وإني أعتقد أن هذا الطرح الذي توصل إليه المؤلف يدحض الآراء الاستشراقية الاستعمارية المغرضة التي تحاول أن تضع مبادئ الإسلام وممارسة دعاته في علاقاتهم مع الشعوب الأخرى في نفس المستوى مع الإمبراطوريات التي سبقت الإسلام أو التي تخلته كالمغول والتتار والتي فسروها بأنها تابعة له.

إن مثل هذه الاستنتاجات وغيرها كثير في ما يتعلق بالناحية الإسلامية: كالقرآن الكريم مثلاً كمصدر هام وصحيح عن أخبار الأول، فإنه - أي المؤلف - يقول بأنه

فقط في القرآن الكريم قد وجد تسجيل انهيار سد مأرب نهائيًا - ولم يحصل على خبر هذا الانهيار في أي مصدر آخر في النقوش أو في المصادر الكلاسيكية، كما يقول حول موضوع انهيار السد ومعالجة القرآن الكريم للعلن، وهذا ما لم يكتشفه أو يعرفه أي مؤرخ بل ولم يطلع على علم به أصحاب سبأ ومأرب أنفسهم، يقول: إن المسح الجوي لموقع السد، والدراسات الجيومورفولوجية لحوضه والواحة المحيطة به قد كشفت عن مكمن العنصر الرئيسي الذي تسبب - ولم يلحظه أحد يومها - في الانهيار الكامل للسد بعد وقت غير قصير، ولم يكن إلا في القرآن الكريم دقة الوصف والإشارة إلى أن هذا العنصر الخفي يتطابق مع الدراسات العلمية الحديثة.

نعم أقول، ويسمح لي القارئ بأن مثل هذه الاستنتاجات التي توصل إليها المؤلف من خلال بحثه ودراسته لم يسجلها تصورًا مباشرًا، كما قد يتبادر إلى ذهن القارئ، بل جاءت حصيلة موضوعية سوف يُعَكز عليها فقط بالقراءة التأنية الواعية، بل والمتكررة الفاحصة والناقدة.

وإنه إذا كان هناك أي اختلاف معه كما سبق القول فإنه لا يعدو عن صحة بعض المصادر التي اعتمد عليها المؤلف كقضية مسلَّم بها في إصدار الحكم، أو عن بعض الوقائع وتواريخها أو أسماء بعض البلدان والوقائع باعتباره أجنبيًا، وكذا القصور نسبيًا في فهم بعض الممارسات عند تطبيق الشريعة الإسلامية، فكل ذلك قابل للمراجعة والنقد والتصحيح ولا يقلل من أهمية الكتاب.

وخير تعليق على خطورة الشك والحساسية تجاه العلماء والمستشرقين الأجانب أكتفي بما أورده الشيخ العالم السعودي الكبير الأستاذ حمد الجاسر في معرض حديثه لترجمة كتاب -اكتشاف جزيرة العرب - لجاكلين بيرين، والذي أصدرته إحدى دور النشر السعودية مؤخرًا رغم ما فيه من تصور غير صحيح عن طبيعة الفتوحات الإسلامية، وعن علاقة الشرق الإسلامي بالغرب المسيحي المتسمة بالعداء لأوروبا بعد ظهور الإسلام فقط وبسببه؛ ورغم مثل هذه المغالطات والتصورات غير الصحيحة فإن الشيخ العالم حمد الجاسر قد غضَّ الطرف عن ذلك وكتب يقول:

إلى التاريخ العربي وكثيراً ما تحتويه [illegible] من الريبة والشك حول كتابة الغربيين من الغرب، وهي حالة مع منطلقها للحكمة العربية القديمة "الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها" لا تتفق مع المنطق القويم في شيء، فالحق يجب قبوله أيّاً كان مصدره، والباطل لا يؤخذ ويتبنى على مصراً مصدره، وأولئك – بحكم بعضهم عناً، وبعضهم لأحوالنا في الماضي – تشوب كتاباتهم عنا شوائب من الخطأ، لا ينبغي أن تكون حائلاً بيننا وبين المعرفة، بل الأجدر بنا أن تكون من الحوافز التي تدفعنا إلى معرفة ما يكتب عن بلادنا، وتاريخنا لنقبل الحق ونتمتع به، ونلقي الزيف ونأبى ثم التضليل – من قبل ومن بعد – لمن له التضليل.

هذا وأضيف إلى قول الشيخ العلامة حمد الجاسر أن ذلك لا يعني أن نتقاعس عن أداء واجبنا في القيام بأعمال البحث والتحقيق والتحليل قانعين في انتظار ما يجود به علينا العلماء الأوربيون.

ومن ناحية أخرى أشير هنا إلى أن للمركزية الأوربية في النشاط الاستشراقي لتاريخ بلدان الشرق قد ظل حكراً لها، وتمحور حولها على مدى قرون وحتى اليوم، وبالأخص تاريخ اليمن القديم، وقد آن الأوان لأن نسمع ونتعرف على وجهات النظر الأخرى حول بلادنا، ومن علماء أجانب آخرين قد يختلفون في دراساتهم وآرائهم عن وجهات نظر نظرائهم من علماء الغرب، وقد يتفقون مع بعضهم ويختلفون مع البعض الآخر، فكلٌ بحسب علمه ودرجة اجتهاده، ووفقاً لمنهجه، هؤلاء هم العلماء السوفييت الذين لم تظهر وتترجم أعمالهم التاريخية عن الشرق عموماً واليمن خاصة إلا بشكل يسير ونادر جداً.

وفي الأخير سواء مع هؤلاء وأولئك سوف نردد ما قاله العالم الشيخ أطال الله عمره، ونفع الأجيال بعلمه / حمد الجاسر

"الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها" – ولن نتنكر لهذه الحكمة العربية الخالدة، والتي يجب أن تكون رائدنا في كل عمل علمي ومعرفة نتوق ونسعى إليه /

والله ولي التوفيق

صنعاء / محمد بن محمد الشعيبي

لقد ظل ما يسمى "بالمركزية الأوروبية" الغربية، أو "الأمريكية" المسيطر والمهيمن على معظم الدراسات الشرقية – بما فيها بلدان العالم العربي والإسلامي – وظل المستشرقون الغربيون يمتلكون – بسبب الوجود الاستعماري لدولهم في مناطق الشرق منذ وقت مبكر – أفضل المصادر، والوثائق والمراجع العلمية التي تهيئه من الشرق، والتي ساعدتهم على التفرد، واحتكار الدراسات، والأبحاث، على مدى قرون عديدة، مكنهم لمعتقدوا من خلال هذه الوثائق – بما فيها النقوش، والمخطوطات، والأبحاث الميدانية – من أن يستولوا لتاريخ الشرق، والعالم العربي الإسلامي، ويحظوه كما يحلو لهم، في حين يعترف بعض العلماء، والباحثين العرب بأن الشرق مدين للمستشرقين وخاصة الأوروبيين، بما أجادوا وقدموا – ليس لشعوبهم فحسب، بل وللعالم أجمع، قيماً من الدراسات والمعارف عن تاريخ، وحضارة، وأحوال أمم، وشعوب الشرق، بل لقد ذهب البعض في مدح هؤلاء المستشرقين إلى حدٍّ بعيد؛ لأنه بفضلهم – حقاً بزعمه – ونتيجة لجهود رحلاتهم، وطرقهم العلمية، التي كلفتها [illegible] حكوماتهم، ومؤسساتهم الخيرية، والشركات الصناعية التجارية منذ القرن السادس عشر، تم اكتشاف مجاهل الشرق، وأنقذت آثاره من الضياع والاندثار، وحفظت في الخزائن الأوروبية، بعد أن يتمكن بعض هؤلاء العلماء والرحالة – الذين لم يتمكن معظمهم – قد قضى نحبه قبل أن يعودوا إلى أوطانهم حاملين معهم مشعل الحقيقة والمعرفة عن شعوب وبلدان الشرق، فشرحوا بها مجد وعظمة أممهم وبلادهم، ومفاخرين بها العالم كمقياس لرفعة ومكانة درجتهم الحضارية.

نعم، إن هذا فيه جانب من الصحة، لكن المبالغة فيه من شأنها أن تحجب عنا الصورة المأساوية لواقع نهب وثائق وآثار ومصادر كنوز ثقافة أمم الشرق، وحرمان أصحابها الأصليين من الانتفاع بها، واحتكار الغرب لها، ومن ثم التصرف بها، عند دراسة، وإعادة صياغة تاريخ وأحوال، وأوضاع – أمم الشرق، بما يتفق، ومصالحهم، وهيمنتهم، وسياساتهم العالمية، جنباً إلى جنب مع نفوذ وسيادة ثقافتهم وتجاراتهم، وتفوقهم العلمي، والتكنولوجي المادي

إنما علينا أن يكون معظم المعلومات والدراسات عن الشرق بما فيه العالم العربي والإسلامي صادرة عن الغرب، في حين أن جل العلماء والباحثين من البلدان الأخرى [illegible] وغيرهم [illegible].

على ضوء ذلك يحق لنا أن نتساءل: ما هو دور العلماء السوفييت المستشرقين في المسألة الاستشراقية خاصة إذا علمنا أن الاستشراق السوفييتي ظهر متأخراً جداً، على الأقل، وتحديداً الإمبراطورية الروسية وبعدها الدولة السوفييتية التي لم تظهر إلا في وقت متأخر من القرن العشرين، بعد أن استكشفت الدول الغربية، وأمريكا مهمة [illegible]، ومشكلات شعوب الشرق الثقافية، وبعد أن عددت خزائنها، ومكتباتها بالعلوم وبما أخذته من أمم وشعوب الشرق، وسخرت أيديها بالتقليل سهلاً متناقضاً من المعلومات والدراسات المفيد منها وغير المفيد، والهادف معظمه إلى خدمة مصالح أمم وشعوب الشرق المختلفة، حسب أهوائهم، وإشاعة الروح الاستسلامية والانهزامية والوصولية، وحب الأنانية، والمصلحة الفردية، والانغماس في الخلاعة الجنسية والإزراء بالقيم الخلقية الإنسانية، والعمل أخيراً على تقبّل كل ما هو وارد من الغرب على المستوى الثقافي، وكأنه الشيء الصحيح، والمسلّم به دون نقاش.

لقد فسروا على هذا الأساس حضارة شعوب الشرق: مصر، بابل، إيران، الصين الخ، بأنها حضارات متخلفة، وافتقار شعوبها إلى إمكانية التطور الحضاري العالمي، [illegible].

ونسبوا إلى الحضارة العربية الإسلامية في معظم دراساتهم عدم وجود حريات سياسية، ومؤسسات ديمقراطية، وقانونية دستورية نتيجة الجهل والتخلف، الناجمين عن العقلية [illegible]، والتي [illegible] من تعاليم المعتقدات الإسلامية، إشباع نزواتها الجنسية، من وراء [illegible] والسلب والنهب.

إن هذا بعض مما طرحوه، مما حال دون الاطمئنان لهذه الدراسات، وساروا على بعض [illegible].

كما قلنا: فإن علم الاستشراق السوفييتي، لم يظهر إلا متأخراً بعد أن ولى عصر السيطرة الاستعمارية المباشرة، وأصبح واقع حصول العلماء والباحثين السوفييت على

وثائق، ومصادر تاريخ حياة الأمم السالفة والحاضرة يجب أن يتم عن طريق التعاون، وتبادل المعلومات والخبرات، وبجهود العلماء والباحثين المشتركة.

إن هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو جزء من حصيلة ذلك التعاون، والنشاط المشترك بين المؤسسات العلمية، كما أنه نتيجة لذلك، ومن خلال الحصيلة العلمية لهذه الدراسة كواحدة من أولى الدراسات الاستشراقية السوفييتية عن العالم العربي والإسلامي سوف تضع علامة استفهام واسعة أمام الاستشراق الغربي، إن لم تكسر عمله، كما وأنها سوف تساعدنا على وضع المقارنة، من حيث اختلاف الأسلوب، والهوية في مجال البحث، والحصول على المصادر، ومستوى الأمانة العلمية عند وضع الدراسة، والتجرد عند محاولة التوصل إلى بعض الحقائق، العلمية الهادفة إلى خدمة حاضر ومستقبل البشرية، كهدف عام وأساسي لمسيرة العلم والثقافة.

وأخيراً سوف تتيح لنا المقارنة إمكانية دحض ادعاءات المركزية الأوربية، بعدم قدرة باحثي وعلماء الشرق على منافسة أوربا، مهما توفّرت لديهم إمكانية الحصول على المصادر، أو تتاح لهم حرية البحث والدراسة، وأنهم أعجز من أن يتمكنوا من صنع قرار إعادة صياغة تاريخهم ومستقبلهم الثقافي الحضاري.

لقد بدأ المستشرقون الروس أول اهتماماتهم بشبه جزيرة العرب واليمن خاصة، عن طريق دراسة اللغة العربية والترجمة من اللغات الأوربية، والرحلات إلى شبه الجزيرة العربية وكان ج. ز. بايير ١٦٩٤ – ١٧٣٨ من أوائل المستشرقين الذين جمعوا أخبار الشرق وآدابه(1).

وفي أواخر القرن الثامن عشر أصدرت الملكة كاترينا الثانية ١٧٦٢ – ١٧٩٦ مرسوماً يقضي بتدريس اللغة العربية في الأقاليم الإسلامية للإمبراطورية الروسية، وفي ٥ / ١١ / ١٨٠٤ صدر مرسوم آخر يقضي بتدريس اللغات الشرقية ومنها العربية في الجامعات الروسية، بهدف إعداد العلماء المتخصصين بدراسات الشرق، وكان الشيخ محمد عياد المصري الطنطاوي أحد المدرسين العرب في الجامعات الروسية.

(1) بعض المعلومات الواردة مستقاة من بحث لم ينشر للمحاضر فايد [illegible] (المترجم).

[illegible] اللغة العربية والتاريخ الأدب العربي بعد ذلك مخطوطة [illegible] الذي [illegible] [illegible] موسكو

والمخطوطات [illegible] العالم [illegible] [illegible] عاصمة [illegible]

بعد منتصف القرن التاسع عشر قام بعض علماء الروس برحلات إلى شبه جزيرة العرب [illegible] ما بين عامي ١٨٦٩ – ١٨٩١ الذي أصدر مخطوطاً عن الوضع السياسي والتجاري لشبه [illegible] بعد زيارته لموانئ البحر الأحمر وجزيرة [illegible] [illegible]

وفي عام ١٨٨٧ سافر الأمير [illegible] و[illegible] إلى شبه الجزيرة العربية بهدف الحصول على خيول عربية أصيلة، وقد أصدرا بعد عودتهما إلى روسيا كتاباً عن [illegible] شبه الجزيرة العربية

[illegible] القنصلية الروسية بجدة برحلة إلى مكة المكرمة ١٨٩٨، وكتب بعد ذلك وصفاً [illegible] للشرق

ويعتبر العالم [illegible] والذي يسمى بأستاذ الاستشراق السوفيتي أول مستشرق يولي أهمية لدراسة واكتشاف النقوش اليمنية القديمة، بالإضافة إلى اهتمامه بأعلام الفكر اليمني في القرون الوسطى، فقد كتب مقالة عن الشيخ صالح بن مهدي [illegible] [illegible] العلمي الكبير على مدى ثلاثة قرون في بلاد [illegible][1]

كما كتب بحثاً عن التاريخ اليمني [illegible]

أما ما كتبه في التاريخ اليمني القديم، فهو خمسة أبحاث ومقالات هي:

١ – [illegible] العربية الجنوبية

٢ – لوحات برونزية من بلاد [illegible]

٣ – نقوش من العربية الجنوبية، وغيرها.

[illegible] المستشرقين السوفييت في شئون اليمن

وقد [illegible] اليمن في الأربعينيات في بعض مناهج الجامعات والمعاهد السوفيتية في قسمي التاريخ والجغرافيا

---

(١) [illegible] المترجم.

في عام ١٩٦٣م كتب العالم [illegible] بحثاً عن المخطوطات اليمنية الموجودة في مكتبة [illegible] عاصمة أوزبكستان السوفيتية، كما كتب بحثاً عن علاقة الفكر الإسلامي باليمن وتأثيره على الفكر الصوفية في آسيا الوسطى السوفيتية، وفي عام ١٩٦٩ [illegible] [illegible] عن الفن المعماري اليمني القديم، ومقارنته بالفنون المعمارية القديمة لمصر والحبشة وبابل وفارس والهند

أما العلماء الذين تخصصوا في الحضارة اليمنية القديمة فقد كان أبرزهم العالم [illegible] الذي كرّس حياته لهذه التخصصات لدراسة الحضارة اليمنية، وقد صدرت له عدة أبحاث وكتب حول ذلك، ترجم منها للعربية – حسبما أعلم – كتاب ملخص لتاريخ اليمن القديم، ومجموعة نقوش من جنوب الجزيرة العربية قام بترجمتها الدكتور [illegible] لصالح مركز الدراسات

إلى جانب [illegible] [illegible] الثالثة السوفيتية بحوثاً [illegible] باليمن خاصة في الفترة الجاهلية والعلاقة مع أثيوبيا والوضع الاجتماعي في مدينة نجران خلال تلك الفترة

من بداية الستينات وحتى الآن فإن الاستشراق السوفيتي عن اليمن قد توسع كثيراً وأصبح يشمل كل الدراسات الإنسانية والعلمية والاقتصادية، كما صارت اليمن تشكل واحداً من أهم مصادر العلم والمعرفة عن دراسة الشرق [illegible] بعد أن [illegible] الدراسات عنها تتمُّ عن طريق البلدان الأوربية

المترجم

محمد بن محمد الشعيبي

ويتميز هذا الكتاب عن غيره من المؤلفات التاريخية التي سبقته، بخاصيتين أساسيتين:

أولاهما: أنه خلاصة لعمل علمي أكاديمي جامعي، يقوم على التحليل والنقد المستقل، والتمسك بالقواعد العلمية المرعية في الكتابات، في النواحي السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية (التعليمية) علماً أنه ينطلق من المعطيات، والتواريخ، والمصادر التي استطاع أن يطرحها من بطون الكتب والنقوش، وهي بالمئات، وأن يقف منها موقف العالم الناقد البصير، يفحصها، ويمحصها، قبل أن يستخدمها في بناء مواقفه الشاملة، وتصحيح حقائق مختلفة، ويركن إليها في إصدار استنتاجات، وأحكام تاريخية، (ذات قيمة)، وأهمية لصالح العلم، وغير قابلة للخلل، والتناقض.

ثانيهما: أن مؤلفه، أو صاحب الكتاب قد استطاع أن يقدّم للقارئ لوحة (بانورامية) من البنية الاجتماعية، اليمنية، على مدى قرون عدة، وفي فترات غاية في الغموض، وشبيهة بالتعقيد، كل ذلك بشكل مترابط، وعميق، وبصورة أكثر دقة وشمولية، لا تصل إليها الدراسات المماثلة الأخرى من حيث الجوهر، والبعد، وبالتالي تغطية فترة زمنية طويلة بهذا الشكل.

إن هذه اللوحة أو الخارطة تضع التاريخ اليمني –أو بالأصح جزءاً هاماً منه– أمام الباحث بكل أبعاده وتفاصيله وأحداثه من خلال عرض وتحليل بنية القوى الاجتماعية السائدة التي تتحرك داخله، وتؤثر على مجرى وسير الأحداث فيه، ليس ذلك فحسب، بل إنه ولكي تكون اللوحة أكثر وضوحاً فقد أبدع في إبراز التفاعل والصيرورة داخل هذه القوى والتناقضات الناتجة عن هذه الحركة، مما ساعد على إمكانية التمييز بين جميع الأدوار لهذه القوة أو تلك، ومن يلعب فيها الدور الرئيسي، وكيف أن هذه الأمور مقاعد تنتقل من وقت لآخر أو يختفي بعضها نهائياً مفسحاً المجال لغيره وفقاً لعملية التطور والصراع الاجتماعي والسياسي.

والقاسية لدى المؤلف تجسده محاولة طرح معادلات نظرية (برناطية) عن البنية الاجتماعية اليمنية التي يحلو للبعض الانغماس في هذه المعادلات بدلاً من التعمق في كشف وفهم الخارطة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية؛ لأن الوقت سابق لأوانه لمثل هذا العمل بسبب أن الخارطة العامة للمجتمع اليمني القديم لم تنجز بعد.

إن هذه الدراسة التي رسمها المؤلف بريشة الباحث الناقد، وغير المتحيز، تتفوق من حيث الشكل والمضمون، تلك الخارطة الجغرافية التي تعبر عن معالم البلد، وحدوده السياسية، وثروته الاقتصادية والتوزيع السكاني.

إنها أشبه ما تكون (بكتالوج) متحركة ترصد، وتعبر عن الفعل الاجتماعي غير الساكن من الحركات، والأحداث، والتحولات الداخلية والتيارات الخارجية، في محيط المجتمع اليمني الكبير، وهي لا تقف عند حدّ تصوير المجتمع اليمني القديم، ووضعه على الخارطة في حالة جمود، بل تبحث وتتحدث عن العلم العام لحظة أو صيرورة (المجتمع) نفسها، من هو هذا المجتمع، وممن يتكون، وفي أي مرحلة من التطور المحلي، والعالمي، ومن هي القوى الفاعلة والمتحكمة فيه؟ فإذا ما ركزنا على هذه اللوحة –مثلاً– فئة الأقيال، أو الملوك، أو الأذواء، أم الأمراء، أو زعماء القبائل، عند التحدث عن قوام الفئة الحاكمة، في الفصل الخاص بالبنية الاجتماعية فإنها تتيح ونكتشف مصدر ونشوء هذه الفئة، أو تلك، ودورها على مسرح الحياة، وموقفها من المجتمع، ومن الشعب ككل، وما واجهته، وما عانته جيلاً بعد جيل في صراعها من أجل البقاء، والاستمرار، ضد كل التيارات والتحولات، بالعمل على احتوائها، أو التكيف معها والاستجابة لمطلب التطور التاريخي العام لحركة المجتمع اليمني.

وتجسد اللوحة طبيعة هذه الحركة عملياً وليس نظرياً؛ حيث إن دراسة البنية الاجتماعية وحدها لا تتيح المجال للإجابة على المسألة الاجتماعية إلا عبر دراسة الواقع الاقتصادي والاجتماعي، الذي تشغله بعض هذه القوى في قوام الفئة الحاكمة؛ من خلال مرتكزها الاقتصادي، وملكيتها للأرض، وطبيعة وكيفية حصولها على الريع، وعدد الجنود والعبيد التابعين لها، في مختلف المراحل، سواء في العهد السبئي الحميري المتأخر أم في العهد الإسلامي الجديد، وهما موضوع الدراسة.

ومن المفارقة العجيبة التي نكتشف عنها هذه اللوحة دور زعماء قبائل البدو الرُحل الذين سبق أن استوطنوا في بعض الأراضي اليمنية الخصبة قبل الإسلام بقليل خاصة في حضرموت، وبعقدة، ومراد، وغيرها من المناطق اليمنية الأخرى، التي أطلق عليها اسم مذحج – امتداداً لاسم قبيلة مذحج البدوية المجاورة لشبكة متقدمة في أقصى شمال اليمن، فقد ظل هؤلاء يخوضون صراعاً عنيفاً فيما بينهم من أجل توسيع نفوذهم، وسلطاتهم والزعم على اليمن متمثلاً في محاولة لاكتساح الأقيال والأذواء اليمنيين من المسرح السياسي، وكيف أنهم في بداية الأمر كانوا على عكس السكان الأصليين الذين قبلوا الإسلام طواعية (الكهدان!) الذين كان يطلق عليهم اسم شعب، وليس قبيلة – قد تنافسوا على حكم اليمن، ونازعوا الوالي الفارسي السلطة، ودخلوا في حرب ضروس مع شعب همدان الذي كان يدخل في قوامه معظم سكان اليمن – يومها – كان من نتائجه ظهور حركة الردة، التي أثارها زعماء القبائل المذحجية بقيادة عبهلة والأشعث بن قيس وادعاء النبوة زيفاً بعد ذلك.

ثم في قصة الذي الطقاب عبهلة، وإعلان نفسه ملكاً بعد اقتحامه للعاصمة صنعاء بالقوة، وزواجه قسراً من امرأة الوالي، ممكن رؤية نوع خاص من الأعيان القبليين الذين لم تمكن طبائعهم ومصالحهم على استعداد لتقبل الأوضاع الجديدة.

ولقد كان للموقف السلبي من قبل اليمنيين المتحضرين أمام هذه الحركة وعدم مساندتهم لهؤلاء الزعماء المشاركين لهم السريع في إخمادها، وانتصار المسلمين. إن اللوحة التي رسمها المؤلف في هذا الكتاب تتابع مصير هذا النوع من أعيان القبائل البدوية المشاركة، ودورهم في الساحة اليمنية في القرون اللاحقة، وكيف تم تكيفهم تدريجياً مع النظام السائد في اليمن، وأصبحوا من أشد أنصاره، وكيف بدأت تتعقد روابطهم بالقبائل، وأصبحوا أعياناً إقطاعيين، ذوي حصون، وأملاك من الأرض والعبيد.

إن هذا جانب للوحة من اللوحة العامة، التي يرسمها المؤلف الخارطة التاريخية الاجتماعية، السياسية، فهناك لا تزال جوانب هامة ورئيسة أخرى في الإطار العام

لليمن، أهمها الجانب الاقتصادي، وكذا التركيب الاجتماعي للأمة اليمنية، وما طرأ عليهما من تبدل وتغير خلال العهدين الجاهلي والإسلامي.

وفي هذين القسمين بالذات تكون الدراسة أكثر عمقاً واللوحة أكثر إشراقاً، وعلى المستوى الاقتصادي نجد اللوحة لا تعير اهتماماً مبالغاً فيه ومسطحاً عند التحدث عن مصادر قوى الإنتاج المادية والروحية للشعب اليمني، والإبداعات الفنية والهندسية التي تتجلى في العديد من المعابد، والقصور والتماثيل، والسدود، وكذا تطور الصناعة الحرفية وتصديرها إلى الخارج، ولا إلى الحركة والتجارة التي كانت لدى اليمنيين في استغلال واستخدام موقع البلد الاستراتيجي، والاحتفاظ به كوسيط تجاري بين الشرق والغرب. إن تلك وغيرها من الأوصاف الجامدة للاقتصاد اليمني القديم، قد استهلكها العديد من الكُتّاب والباحثين، وأضاف البعض وأطنب في الوصف اعتماداً على المخيلة، أكثر من الاعتماد على المصادر، وكان القضية تنتهي عند هذا الحدّ إرضاءً لطموحات اليمنيين وشعورهم بالنقص حالياً في تجاوز التخلف، غافلين أو غير مدركين لأهمية تناول الجانب الأساسي عند دراسة الأوضاع الاقتصادية للمجتمع اليمني في عصريه القديم والوسيط، ذلك هو تحليل طبيعة البنية الاقتصادية، ودرجة مستوى تطورها من خلال علاقات الإنتاج الاجتماعية في سبيل تراكم الثروة العام، ومصير فائض الإنتاج وكيف يتم تقاسمه، وانعكاس ذلك على مستوى معيشة ومصلحة أفراد الشعب عموماً.

إن هذه القضية الأساسية المتعلقة بالملكية العامة والخاصة في العهدين الجاهلي والإسلامي من تاريخ اليمن، هي ما تحاول إبرازه هذه اللوحة أو الدراسة، فضلاً عن ذلك محاولة الكشف عن طبيعة وهوية هذا النظام الاقتصادي، الاجتماعي، ودرجة تماثله ومقارنته بالنظم الاجتماعية والاقتصادية العالمية المعاصرة له، وما هي أوجه الشبه والمماثلة في هذه المقارنة، وهل هذه الهوية للنظام تنبع أساساً من التطور الداخلي، أم بتأثير من العوامل الخارجية المكتسبة؟ كل هذه القضايا الأساسية، والأسئلة الهامة – التي تغيب عن معظم الدراسات – تجيب عليها هذه اللوحة التي رسمها المؤلف في هذا الكتاب، وهو إذ يعلن بدون تحفظ – أن طبيعة وهوية النظام الاجتماعي

[illegible] المصادر الداخلية من إمكانية الشعب والاقتصادي للفترة المدروسة [illegible] العوامل والتيارات الخارجية المختلفة: كالغزو الفارسي، الحبشي، وإنه لا يغفل أثر العوامل والاحتلال الحبشي، واكتساح البدو الرحل لأراضي الحضر الزراعية، أو أثر التيارات المذهبية الرئيسية - الزيدي أو الإسماعيلي، الفاطمي أو القرمطي - فإنه رغم ثقلها وما تركته من تأثير كبير في مجرى الأحداث، إلا أن هذه العوامل الخارجية جميعها قد طُوِّعت على مجرى الزمن لصالح هذا النظام، وتم احتواؤها تدريجياً في إطار النظام الإقطاعي الشامل، الذي وصل إلى أعلى درجة نموه وتطوره كما يعتقد المؤلف في العهدين الصليحي والرسولي.

أما عن دراسة التركيب الاجتماعي، والأنثروبولوجي - البشري - فإن اللوحة لا تخضع للمصطلحات المتعارف عليها، والتي تقسم الشعب إلى فئات، وعناصر عرقية، وطائفية، ومذهبية، أو إلى تصنيف قبيلي أكثر غموضاً من سابقيه وغير واقعي، كما هو وارد عند بعض المستشرقين والكتاب العرب، واليمنيين عموماً: فئة أو طبقة الحكام والولاة من جانب، والسكان عموماً وعلى اختلافهم من جانب آخر.

إن المؤلف هنا في هذه اللوحة يبحث من خلال النقوش والمصادر، والمراجع الأخرى عن عوامل ظهور وتكوّن المجتمع اليمني خلال فترة الدراسة، وعلاقة الدولة به، ثم يسير مع تطور المجتمع وانقسامه إلى فئات وطبقات اجتماعية في سياق عملية الإنتاج، منتجة وغير منتجة، متحضرة وغير متحضرة، شعوب وقبائل، بدو وحضر، لكل منهما له منظومته الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وبناء الدولة فيه، وطريقة الحكم، وأسلوب المعيشة والتفكير.

وإلى جانب هذين الشقين الأساسيين في المجتمع اليمني في العهدين السبئي الحميري المتأخر، وحتى نهاية فترة الدراسة وهم الحضريون المتطورون، المرتبطون بالأرض، وأصحاب الحرف والتجار، والسادة الأرستقراطيون، والجنود النظاميون المحاربون والمدافعون عن حدود البلد، يدخل ضمن هؤلاء فئة العبيد والأخدام والفئات الدنيا؛ حيث يشكلون جميعاً مع فئة البدو الرحل، وشبه الرحل المعتمدين على الرعي وتربية الماشية فئة اجتماعية واقتصادية، رغم الفوارق الشكلية في درجة تطور بعضها

وغلبة الطابع القبلي على البعض الآخر، وبالمقابل توجد على الجانب الآخر فئات اجتماعية أخرى، في المدن والقرى على حدٍّ سواء، ورغم تفاوتها في الحيازة على المال، والثروة، والجاه، والحكم فإنه يجمعها قاسم واحد مشترك في مكونها فئة أو طبقة اجتماعية واحدة غير منتجة.

أما كيف حصل هذا التقسيم الاجتماعي، والتفاوت والاختلاف في الأسماء والمسميات، والألقاب عبر التاريخ: شعوب وقبائل، ملوك وأقيال، وأذواء، وزعماء عشائر، وأعيان وسادة القبائل، وأشراف، وسلاطين.. إلخ

فهو ما تتولى هذه اللوحة عرضه ودراسته، ومن ثم إعطاء التصور له في هذا الكتاب.

ومع هذا كله تبقى هناك قضية أساسية أخرى لم توضح بعدُ بما فيه الكفاية، وهي من الأهمية بحيث قد تثير تساؤل القارئ أو الباحث المطّلع، وهي مسألة ما إذا كان يدرج هذا النظام الموصوف خلال فترة الدراسة بمرحلة الإقطاع المبكر، أم المتطور على مشارف العهدين الصليحي والرسولي، بعد خروجه مباشرة من صلب النظام العشائري القبلي الذي يعتقد المؤلف بأنه يعتبر كذلك متخطياً بذلك الخروج على ما يعرف باللوحة الخماسية التي كانت تخضع لها بقية الحضارات الكلاسيكية الأخرى، حسب اعتقاد بعض العلماء.

إن المؤلف يقف عند هذه النقطة بتحفظ وحذر شديدين إزاء البعض من أمثاله العلماء والمفكرين السوفييت، وغيرهم من الأوربيين والباحثين العرب الذين يختلفون حول هذه القضية، ويدرجون في خط ما يسمى (بأسلوب الإنتاج الآسيوي الخاص) والذي يتميز - حسب رأيهم - عن النظامين العبودي والإقطاعي الأوربيين، وفي هذا يكمن النقص في رأيي لدى المؤلف؛ حيث كان ينبغي له وهو المتصدي، والمعني بدراسة فترة التحول هذه، ويملك بعض مصادرها أن يُفصح عن سبب تحفظه، ويعطي المبررات التي تثبت عكس ذلك.

غير أنه - كما يبدو لي - قد ترك هذه المسألة معلقة؛ نظراً للجدل الحاد الذي لا يزال قائماً بين العلماء والمستشرقين، حتى تستكمل على الأقل الدراسة الشاملة

واستوفاها عن اليمن القديم وغيرها، علماً بأنه قد حسم هذا الموضوع أخيراً بعد دراسة مستفيضة لعدد من حضارات بلدان الشرق القديمة: كالهند، ومصر، والصين، وبابل وغيرها، وتخص فقط ما يسمى بنظرية (أسلوب الإنتاج الآسيوي الخاص) وأن جميع البلدان قد مرت بمراحل متشابهة، بصرف النظر عن اختلاف الزمان والمكان والخصائص الجغرافية، والنفسية، وبعض مظاهر العوامل الخارجية الأخرى.

غير أن كل البحث أو الدراسة التي بين أيدينا من مناقشة تلك المسألة الهامة خاصة بالنسبة لمعرفة تاريخ اليمن، والتي لا تزال غامضة لدى الكثيرين، ويدور حولها الجدل في أوساط العلماء والباحثين العرب وغير العرب قد سحب نفسه على بقية المسائل المهمة الأخرى في سياق الدراسة نفسها، كما أسهم بالوصول حتى النهاية إلى معرفة طبيعة التغيير النوعي الذي طرأ ليس على بنية النظام الاقتصادي والاجتماعي لليمن، في العهدين الجاهلي والإسلامي فحسب وهو ما حددته وأكدت عليه الدراسة، بل على معرفة هوية النظام الاجتماعي اليمني القديم، كما سوف نرى خلال المناقشة لبعض آراء المؤلف بهذا الصدد. كما أن من شأن تجاهل ذلك أن يصبح من المتعذر إضفاء صفة مميزة لهذا النظام أو ذاك، فالقول بأن النظام الإقطاعي في اليمن قد انبثق من النظام العشائري فيه ضرب من المجازفة، وبمجرد عرض بعض الفرضيات العمومية، والظواهر الجزئية، فإنه مهما كان تواجدها ودرجة مصداقيتها فهي قاصرة، وغير مؤهلة لإعطاء نتائج منطقية، وخاصة عند التعرض لدراسة بعض القضايا الجوهرية المتعلقة، التي يتحدد بموجبها إضفاء طابع وصفة النظام الاجتماعي والاقتصادي على أساس علمي. من ذلك مثلاً أن تلك الفرضيات العمومية والظواهر الفردية الجزئية قد تكشفت عن إعطاء أي شكل واضح ومحدد لطريقة الحصول على الريع في العهد القديم - الذي يصفه المؤلف بالنظام العشائري أو في العصر الوسيط - الذي يقول عنه إنه إقطاعي مكتفياً بالقول التعميمي المبهم: هو استئثار القلة السائدة لفائض الإنتاج علماً بأن هذا يحدث في جميع الأنظمة، دون أي تخصيص أو إشارة من المؤلف إلى من يقوم أساساً بعملية الإنتاج - طبقة الزراعي - ومن يلعب فيه الدور الرئيسي، هل هم المزارعون الأحرار، أو الفلاحون، أم الجنود، أو العبيد، ليس هذا فحسب -

عند دراسة وتتبع عناصر مكونات هذا النظام أو ذاك - بأي صورة كان يتم الحصول على هذا الفائض، هل في شكل ضرائب تجبى لصالح الدولة؟ أم بالقبالة والسخرة، أو كان يتم الحصول عليها - في حال غياب سلطة الدولة للأرض، والملكية العامة - عن طريق المحاصصة - الشراكة؟ وعلى من تقع مسئولية ضرائب الدولة في هذه الحالة، وفي حوزة من تقع ملكية وسائل الإنتاج الأخرى التابعة للأرض كالري الصناعي، وأدوات الحراثة، والبذور الأساسية؟

من هنا فإن العيب في اللوحة التي رسمها المؤلف حول هذه النقطة تكمن في أنها لا تعطي تفصيلاً بينات من المجتمع اليمني في العهدين القديم والوسيط، ولا إلى الحدود التي تحكم علاقات الإنتاج بين هذه الفئات في كلا المرحلتين، وكيف كانت تتم عملية انتزاع الفائض الاجتماعي، هل على أساس الإكراه غير الاقتصادي، والقهر المباشر، الذي تميزت به مجتمعات العصور القديمة عن مجتمع العصور الوسطى، إن إيراد ذلك من شأنه يعطي الحجة في القول عما إذا كانت ترجمة التطور في التاريخ اليمني قيد الدراسة تتميز عن النزعتين العبودية أو الإقطاعية، وهذا ما كنا نتوق إلى معرفة رأي المؤلف فيه.

صحيح أن المؤلف قد اعتبر فترة أبكرب أسعد في نهاية القرن الرابع الميلادي حداً فاصلاً بين ما يسميه النظام العشائري، والنظام الإقطاعي مما ساعد نسبياً على تحديد الفواصل في بنية التركيب الاجتماعي، لكن هذا الإطلاق غير كافٍ - في نظر العلم - بأن النظام الإقطاعي الجديد قد انبثق من النظام العشائري القبلي الصرف، إذا لم تدعم هذا الرأي، أو الاستنتاج الذي توصل إليه المؤلف، الأدلة، والمصادر، التي تؤكد فعلاً على أن المجتمع اليمني كان لا يزال يعيش في عصر المشاعة العشائرية القبلية، حتى فترة عهد الملك - أبكرب أسعد - غير أنه كما سوف يتضح بعد طرح بعض التساؤلات عن الوقائع التاريخية قد جعل من المتعذر التسليم بهذا الافتراض، والتحديد غير الدقيق علمياً، ليس ذلك فحسب بل إن هذا الافتراض المسبق قد أدى إلى الوقوع في سلسلة من الالتباسات الناجمة عن تجاهل ظهور

الدولة الأولى، وتشكل التركيبة الاجتماعية عند مشارف النصف الأخير من الألف الثانية قبل الميلاد حسب رأي بعض العلماء، ومنهم العالم السوفيتي (لوندين).

وحتى لو سلمنا جدلاً أمام بعض المعطيات التي تدعم قول المؤلف بأن عهد أبكرب أسعد يمثل حداً فاصلاً بين عصرين، أو تشكيلتين اجتماعيتين، إلا أنه لا تلزمنا بالموافقة على أن فترة أو عهد ما قبل ذلك أبكرب أسعد كان نظاماً عشائرياً قبلياً مطلقاً لسبب واحد بسيط هو كيف يمكن أن نفسر وجود دول وحضارات اقتصادية وتكنولوجية وثقافية مزدهرة قبل ذلك العهد، هذه الدول التي لا يمكن أن تظهر، بل ويتناقض وجودها أصلاً مع أسلوب النظام العشائري القبلي؛ حيث لم يكن هناك حاجة لمثل هذه الدولة، لأن وجودها مرتبط بعملية التطور الاجتماعي ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا بعد تفسخ وهلاك النظام المشاعي العشائري القبلي، وظهور الملكية الخاصة للأرض، وتتطلب الحاجة إلى استخدام أكبر عدد من العاملين بالأرض لعجز أعداد أفراد العشيرة القيام به في مواجهة عملية الإنتاج الموسع في سبيل تراكم الثروة الفائضة القادرة على سد متطلبات حاجة الدولة، والإنفاق الحكومي، والعسكري، والصرف على المنشآت الاجتماعية العامة، وما كان أكثرها: كالسدود، والمعابد، والقصور، والقلاع... إلخ، فضلاً عن تلبية حاجة الزعماء والأعيان وكبار الملاك المتزايدة كشرط لإضفاء طابع الهيبة والمكانة المتميزة.

إن عدم أخذ بالتقييم الاعتبار من شأنه أن يُدحض مثل هذا الافتراض الذي ترتب عليه إلغاء مسيرة اجتماعية طويلة عاشتها اليمن وشهدت على مراحل نموها وازدهارها بعضاً من الحضارات القديمة الكلاسيكية المجاورة؛ كالبابلية، والفرعونية، وقبل ظهور الحضارة اليونانية، والرومانية.

فالمؤلف لم يخبرنا متى ظهرت الدولة في اليمن؟ لأن الاعتراف بذلك يترتب عليه معنى ومغزى، وبعد اجتماعي مهم.

علماً بأنها كانت موجودة منذ الألف الثانية قبل الميلاد، عندما بدأت تبرز وتتحرك التناقضات في المجتمع اليمني، وأصبح وجود الدولة ضرورياً لتنظيم هذا المجتمع وتخفيف حدة الصراع والتمزق، ولمواجهة العدوان الخارجي، وتنظيم أمور وعمليات

الغزو الخارجي، ومع هذا فقد حصر المؤلف نقطة البداية في التحول التاريخي الحضاري اليمني نحو عصر الإقطاع، بعهد أبكرب أسعد، رغم أن ذلك لا يزال مثار جدل بين العلماء، خاصة فيما يتعلق بهوية وطابع النظام الذي سبقه، وهنا يتحتم علينا طرح السؤال الآتي: ما هي طبيعة التشكيلة الاجتماعية في دول الحضارة السبئية؟

إن اللوحة التي رسمها المؤلف لا تجيب إلا لماماً، وبصورة عابرة على لسان بعض المختصين في التاريخ اليمني القديم والتي تدل قبل غيرها من الوقائع والمعطيات كما سوف نلاحظ، على أنه لم يكن نظاماً مشاعياً عشائرياً قبلياً صرفاً خرجت منه اليمن لتوّ إلى عصر الحضارة الإقطاعية على عهد –أبكرب أسعد– كما يرى المؤلف– بل إنه أشبه بالنظام الاجتماعي المتطور منه إلى عهد النظام العشائري القبلي.

فقد شهدت دولة سبأ الموحدة وحكام مدن التجارة بدولة معين وحضرموت، قبل ذلك بكثير، تطوراً في الملكية الخاصة للأرض، وامتلاك العبيد، وسيادة نظام أو أسلوب القبالة، وازدهار الحرف، والتجارة وهيمنة التبادل النقدي بدلاً عن المقايضة العينية، التي تميز بها النظام العشائري –المغلق– القائم على أساس الاقتصاد الطبيعي، وغياب الملكية الخاصة، بما في ذلك غياب الطبقات والدولة في نفس الوقت.

من هنا تختفي التشكيلة أو النظام المفترض لدى المؤلف الذي يجمع بين الملكية العشائرية والدولة.

إذاً فالقول –بأن عهد أبكرب أسعد– بداية التحول من النظام العشائري رأساً إلى عصر الإقطاع فيه نوع من التسرع، ولا يصمد أمام الحقائق والمعطيات العلمية التي تقدمها الدراسات الجديدة عن التركيب الاجتماعي وبناء الدولة فيه.

يبدو لي أن عدم إعارة الاهتمام بدراسة الماضي البعيد قبل فترة النهوض الجديد بقيادة –أبكرب أسعد– التي جاءت على أنقاض فترة الركود النسبي، هو الذي جعل المؤلف –بسبب تحديد فترة الدراسة بالعصر السبئي الحميري المتأخر– جعله ينظر إلى هيمنة زعماء العشائر، والأقيال، والأذواء، عند نهاية فترة التمزق السياسي، والاجتماعي، وتنقل قبائل البدو الرحل في أراضي الحضر الزراعية، مقابل أداء دور الخدمة العسكرية للزعماء المتناحرين، على أن اليمن كانت تعيش مرحلة النظام

الخاص، مما يوهم بأنه إذا لم يخص كذلك فهو طراز خاص من النوع الآسيوي - المعروف - لا هو بالعبودي ولا الإقطاعي، إن هذا الوهم لا تعززه وصف مرحلة الشيوعي البدائي المشاعي الأخير بالقبائل [illegible] المكارب لسبعد - الذي بدأ بنشوء عصر مرحلة جديدة - إذا هو على حق في القول بأنه لم يوجد في الخارطة القديمة التي تسبق أو وضعها بعض العلماء والمؤرخين الأول أمثال (سترابون) ومن بعده (الوثنيين) وغيرهم لم يوجد تلك التشكيلات أو الفئات الاجتماعية المذكورة لديهم في المجتمع اليمني القديم بعد فترة المرئية على عهد المكارب لسبعد؛ حيث بدأت الظهور على الساحة اليمنية تركيبة اجتماعية جديدة لم يعد فيها عمل العبيد يشكل مظهراً بارزاً، فظهر العشائر فيه ملكية الأرض مظهراً آخر على شكل إقطاعات، وحصون وقلاع، بل نقلة مداخل ملكيتها لصالح كبار الزعماء، والأذواء، وتسميتها بأسمائهم مثل (ذو رعين، ذو الكلاع، ذو حزفر ... إلخ) كما تميزت عملية الحصول على الريع بواسطة الشرك - أو المحاصصة - وحقاً باختفاء أملاك المعابد، والدولة وظهور ديانة جديدة ميزتها على معالها التوحيد الخالص محل تعدد المعبودات الوثنية، وتغير المفاهيم والعادات وتشكل المجتمع القائم بالطابع الفردي المطلق، بما يتطابق وهذه التغيرات في البنية الاقتصادية والاجتماعية.

ورغم أن هذه الاستنتاجات منطقية وتستند إلى حقائق ووقائع عيانية بذل المؤلف جهداً جباراً في الحصول عليها من بطون المراجع، وتولى صياغتها وعرضها بطريقة علمية نادرة، إلا أن ذلك لا يؤكد ولا يعني مطلقاً بأن هذه التحولات قد جاءت وليدة من أحشاء العصر المشاعي المشتركي إلا إذا كان المؤلف ينظر إلى أنظمة عهود الحضارة السابقة بأنها كانت تخضع لصيرورة ما يسمى بأسلوب الإنتاج الأسيوي الخاص الذي حسب بلاد الشرق، ومنها اليمن مرحلة النظام العبودي، بسبب غياب الملكية الفردية، وهيمنة الدولة على مصادر قوى ووسائل الإنتاج كما يزعمون[1].

---

[1] كما يدعي بعض أنصار هذه النظرية بأن المجتمع الشرقي راكد وغير قابل للتطور بسبب ما اتجهت شعوبه من (الميثولوجيا) حسب وجهة نظر (البلخانوف) أحد العلماء الروس والذي

أو أن المؤلف يأخذ بوجهة النظر الأخرى القائلة بأن عدداً من الشعوب قد سلك نفس الطريق نحو عصر الإقطاع دون المرور بالعصر العبودي، مثل الجرمان، والسلاف، واليابان، وكوريا، والشعوب الرعوية بآسيا الوسطى، وأن اليمن ربما من عدادها أو قريبة الشبه من بعضها.

وكم كان مفيداً لو أن المؤلف أشار إلى ذلك؛ حيث إن أحداً من العلماء والباحثين لم ينفِ أن مسيرة شعوب كثيرة لم تمر بمراحل كاملة من التطور الاجتماعي لأنها اختلفت أو استعانت بالحضارة المادية والروحية لبلدان مجاورة لها ومتطورة أكثر منها، ومستفيدة من تجاربها، كما كان الحال مع الجرمان - البرابرة - الذين استفادوا من الحضارة الرومانية وتكيفوا مع المجتمع الجديد المبكر نحو عصر الإقطاع بعد تفسخ وسقوط الحضارة العبودية الرومانية، في الوقت الذي كانوا فيه متأخرين جداً، ويعيشون في المرحلة البدائية للتكوين الاجتماعي، أو كما كان الحال مع البدو الرحل، وشبه الرحل، في المناطق الشمالية لليمن، ووسط وشرق الجزيرة عندما

الذي لاقى دعماً من بعض العلماء الغربيين وخاصة الإنجليز أمثال جيمس ميل وهنري جين، حيث يطلقون خرافة عدم وجود أي ملكية خاصة للأرض سواء في العهد القديم أو العهد الوسيط، وبأن الأرض كلها ملك السلطان أو الخليفة في العصر الإسلامي وهم حين يدعمون وجهة النظر هذه حول أسلوب إنتاج آسيوي خاص كانوا يبررون أعمال الاستعمار الإنكليزي وتصرفاته في الهند عندما استولى على جميع الأراضي الزراعية [illegible] وولاته تحت شعار العلم واستناداً إلى الحجة العلمية بأنه يجب فهم أن الأرض في الهند كانت تخص الحاكم ولا يوجد مالك غيره. يقول العالم الاقتصادي الإنكليزي هنري جين في هذا الصدد: إن الإنكليز ورثوا من أسلافهم المسلمين أطماعهم الأولى في امتلاك كافة الأراضي في الهند، وبأنها تخص الحاكم السياسي، وعلى العكس من ذلك يرى العلماء المعارضون لنظرية الإنتاج الآسيوي الخاص ومنهم [illegible] - والذي يرد بقوة على العلماء الإنكليز بقوله: إن ما يسمى بالنظرية والمدرسة الإسلاميتين ليستا سوى خرافة وافتراء على المسلمين نسجها الإنكليز تبريراً لأعمالهم للسلب وانتزاع الأرض من أصحابها، وحتى ماركس نفسه كان قد وقع تحت تأثير هذا الاتجاه مؤيداً وجهة نظرهم حول أسلوب ما يسمى بالإنتاج الآسيوي الخاص حتى ظهر كتاب مورجان حول الهنود الحمر في أمريكا

اندمجوا مع المجتمع الحضري اليمني، واستفادوا من الوضع الاجتماعي المتطور نسبيًا، وانتقلوا مباشرة إلى العصر الإقطاعي، رغم ما حملوه معهم من عادات وتقاليد النظام العشائري والتي لا تزال قائمة بصورة واضحة وطاغية أحيانًا، نتيجة لحالة الركود والتخلف، بل والعجز الذي أصاب المجتمع الإقطاعي اليمني المتطور بسبب عوامل داخلية وخارجية كثيرة - وهذه قضية أخرى ليس موضوعها هنا - مما يجعل بعض الناس، ومنهم للأسف بعض المفكرين والباحثين ينظرون إلى تلك الظواهر المتخلفة من مخلفات البدو الرحل، على أن اليمن لا تزال حتى في القرن العشرين تعيش هذا النظام نفسه.

وبهذا الصدد لو كان رأي المؤلف في القضية المطروحة أعلاه نابعًا من وجهة النظر هذه، فما كان الموجه إلى معرفة من هي تلك الدول المجاورة للحضارة اليمنية القديمة، والأكثر منها تطورًا، وإلى أي مدى تمت عملية التأثير والتأثر.

لكن - كما يبدو - أن المؤلف لم يبت في هذه المسألة، ولم يعط التفسير الكافي تاركًا الباب مفتوحًا أمام الباحثين والمفكرين اليمنيين بالدرجة الأولى، والذين ربما يمتلكون التاريخ اليمني أكثر تجربة وفهمًا لبلادهم وتاريخهم، والكمال من قبل ومن بعد لله الكمال وحده.

وهناك نقطة أخرى تتعلق بالمنهج وتخل ببعض أسس البحث؛ حيث كانت تطغى اللوحة التي رسمها المؤلف أحيانًا ما يسمى ((بالكاتطيطيا)) تلك العيب الذي لم ينج منه بعض الدراسات الجادة فقد ظهر منه ميل إلى أن يرد أو يرجع إلى مؤشرات متكافئة ومتساوية، ظواهر أخرى متنوعة ومتباينة كالتي نشاهد عند الانتقال من مرحلة لأخرى، وذلك بالمساحة المجال والأولوية لدور الأشخاص، والتفاوت الذاتي أو الفردي في المواقف، وكأن ذلك هو الفرز الأساسي في سير الاتجاه العام للحركة، مثل وصفه لأهواز الحركة الإسماعيلية الأولى، بأنه كان من جراء اختلاف المواقف الشخصية لقيادة هذه الحركة بين منصور بن حوشب وعلي بن الفضل، وليس كما هو واضح إلى الغموض العام لتحالف كل القوى الناهضة والزعامات الجبارة المتضمنة التي كانت

مستهدفة من قبل هذه الحركة، والتي تصورها الدراسة نفسها وكأنها التكتيك تجاه القوى المتحالفة ضدها.

كذلك القول بأن الفكر الزيدي والنشأة الخاصة للإمام الهادي يحيى بن الحسين قد شكلا الأساس الجوهري السياسية لقبائل البدو في المناطق الشمالية والنظام العشائري القبلي.

إن هذا الاستنتاج الخاطئ كونه يُشكل جزءًا في إطار اللوحة العامة للمؤلِّف، يعتبر في نفس الوقت خروجًا عن الإطار العام التاريخي اليمني الذي ترى الدراسة بأنه يعيش مرحلة الإقطاع الناضجة أو المتطورة عند مشارف العهدين الصليحي والرسولي.

إن ذلك لا يمكن أن يتناسب ولا يصح أن يكون الفكر الزيدي - وهو أحد الأفكار الأكثر تطورًا في ذلك العهد بنزعته المعتزلية - أحد البنى الفوقية للنظام القبلي العشائري.

وإن ما يمكن أن يتميز به إذا كان ما يميزه عن الحركة الإسماعيلية الأولى، والثانية بالذات - الصليحية التي تقاسمت السلطة مع الطائفين وربطت مصير البلد وثرواته بالحكم المصري الفاطمي، فإنه أقرب إلى البنى الفوقية للوضع المستقل الأكثر تطورًا من المجتمع الإقطاعي، خاصة إذا نظرنا إليه من ناحية الممارسة العملية وليس النظرية، كيف لا والدراسة نفسها ترسم صورة الإمام الهادي نفسه وهو يجهز على بقية نظام الرق والعبودية، بإجباره نصارى ويهود نجران على عتق وتسريح العبيد من أراضيهم وممتلكاتهم، ومنع زعماء القبائل والعشائر الإقطاعيين من حق جباية الزكاة والضرائب والاستئثار بها لصالحهم، علاوة على ممتلكاتهم الواسعة غير المشروعة، والمعفاة من الزكاة والضرائب، والقيام بإعادة صرفها وتوزيعها على أسس جديدة لصالح الفقراء والمحتاجين فقط ولصالح مهام الدولة الأساسية: دفاع، وخدمات عامة.

كما أن الدراسة من ناحية أخرى تصف الإمام الهادي، وهو يحاول بجهد وصعوبة ومثابرة إنشاء الدولة المركزية الثانية - النقية الصافية على غرار دولة جده الرسول ﷺ الأولى - يصفه بأنه ليس رجل دين فحسب متشبعًا بالنزاهة والعفة والإخلاص، بل

ورجل فكر ودولة وحرب؛ إن وصف رجل ظهيرة يتنافى مع الطرح السابق للمؤلف، ولاسيما إذا أدخلنا بعين الاعتبار معنى وأهمية بناء دولة مركزية تستهدف أولاً تستهدف حاجة المواطنين إلى الوحدة بدلاً من الانقسام والاقتتال والتطاحن على الحقول والممتلكات الشرعية للمواطنين وحق بيت المال العام، والاحتكام إلى الدولة وأحكام الشريعة بدلاً من الحكم العشائري الذي لم يعد ينسجم مع الفصال الأخرى والرعية عن نظام القبيلة والارتباط بالأرض، في سياق علاقات الإنتاج الجديدة والمتطورة بعض من وسائل الإنتاج، هذا إذا سلمنا برأي المؤلف حول طابع وهوية النظام العام في هذه المرحلة - والتي يتحتم بموجب ذلك كله تطوير تبعية الأفراد والمواطنين عموماً بشكل يختلف عن التبعية السابقة التي كانت قائمة على أساس الأنثروبولوجي (السلالي) وعلاقة الدم والنسب والملكية العامة والولاء المطلق ((التزعيم)) والاحتكام إلى العادات والتقاليد العشائرية القبلية والتي كان يقاومها الإمام الهادي بلا هوادة (وصفاً إياها بنظام الطاغوت)؛ إلا مما قررته أحكام الشريعة الإسلامية المحمدية الظاهرة.

إن سيطرة هذه الظاهرة الأسطورية ((التخطيطية)) كما أسلفنا، والواقعة تحت التفسير التسلسلي السردي المجرد من كل علاقة تفاعلية بين الأشخاص وأفكارهم، وبين مجتمعهم وعصرهم قد حجبت الرؤية السليمة لنقبة أفكار ونشاطات الإمام الهادي وطريقته السياسية الحقوقية والاجتماعية الجريئة، والتي كانت تتزامن حتماً إلى جنب مع وجود إنجازات فكرية: أدبية، وعلمية، وسياسية عاصفة؛ ممثلاً بالمعرفة الموسوعية وبالإنتاج الغزير لعلامة اليمن ومجدد تاريخه، أبي الحسن الهمداني المعبر عن تطور العصر بطابعه الفلسفي والعلمي النيرين، والذي يستبعد أن تكون أفكاره الخلاقة تلك - "رغم اعتقادات القاضي صاعد الأندلسي" بأن الهمداني وأبا يوسف الكندي كانا استثناء من بين جميع المفكرين العرب الذين لم تتهيأ طباعهم لمعرفة الفلسفة. أقول رغم تلك الاعتقادات وغيرها فإن أفكاره تلك لم تكن استثناء أو تعبيراً عن علاقات عصر النظام العشائري القبلي المتخلف كما يبدو للبعض، إلا إذا نظرنا إلى تاريخ تطور الفكر على أساس أنه تاريخ أفكار فقط، أو نتاج فكر شخصي

لمصدر علاقته بأشخاص منتجيه، ودون النظر إلى أية علاقة له أو لهؤلاء الأشخاص بظروف العصر الذي ينتمون إليه والمجتمع الذي عاشوا وفكروا ضمن علاقاته الاجتماعية، وضمن المصادر التاريخية المميزة لهذه العلاقات، وبصلة العمل الفكري بعملية التفاعل مع العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وهذا للأسف عين الخلل الذي لم نستطع تجنبه اللوحة التي رسمها المؤلف لبعض الأشخاص القيادية والمفكرة والناشطة، بما في ذلك شخصية الهمداني نفسه.

فبالرغم من إشادة المؤلف بما يتمتع به الهمداني من فكر علمي منهجي، وبما خلفه من تراث فكري متنوع كان من المستحيل بدونه معرفة تاريخ وأحوال اليمن في العصر الوسيط، إلا أنه قد تحدث عن النابغة الثقافي: الفلسفي والعلمي والأدبي والتاريخي وكأنه خارج عن إطار البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع اليمني على عصر الهمداني، وكان المؤلف يدور في ركاب ((القاضي صاعد)) ظناً بأن الهمداني نفسه يعزو إلى مجتمعه الفضل في مده بالمعطيات والمعلومات العلمية والتقنية والتي حصل عليها من أرباب الصناعة الحرفية وعمال مناجم استخراج صناعة الذهب والفضة. إن مثل هذا الطرح يوهم أو يوحي بصورة غير مباشرة بأن تلك الأفكار العظيمة الخلاقة كانت مرهونة بعبقرية أصحابها، وعلى أكثر تقدير بعلاقة التأثير بمن سبقه من علماء وفلاسفة اليونان والفرس والهند.

((إن هذا يعني حصر العلاقات التاريخية في العلاقات الفردية، أو التأثيرات الذاتية، وكأن كل فرد يشكل عالماً وحده مستقلاً ومنعزلاً عن عالم الواقع الاجتماعي)).

إننا لو اقتصرنا على التسليم بأن فكر الهمداني انعكاس للرغبات الذاتية والمؤثرات الخارجية: يونانية وفارسية، لوصل بنا المطاف إلى ((العدمية التاريخية)) التي لا تعترف بالعلاقة بين الخاص والعام، وبين الداخل والخارج، بين الذاتي والموضوعي، والتي يتحدد بموجبها مدى طبيعة واستعداد وقابلية التلقي أو التأثر.

فبدون أي تماثل داخلي لأفكار الآخرين بالخارج، واستعداد وتهيؤ اجتماعي عام يصبح الأمر ليس أكثر من باب التقليد الفردي الفج لدى المتلقي، وتنتفي منه بالتالي

هذا العالم المبدع الذي لا يقوى على إضافة أي شيء جديد إلى العلم، بل عدم إمكانية استيعاب وهضم أفكار وعلوم الآخرين.

إنه بالإضافة إلى الاستعداد الذاتي يجب أن يكون هناك داخل الأرض اليمنية نفسها مستوى اجتماعي واقتصادي مماثل، إن لم يكن أكثر تطوراً، بحيث يربط الذاتي بالموضوعي، وتكون عندها عملية التأثير والتأثر.

من هنا فقط تأتي أهمية وعظمة ليس أفكار الإمام الهادي فحسب، بل والهمداني كذلك كعالم ومجدد ومبدع غير مقلد لعلوم وأفكار الآخرين. لقد استطاع الهمداني بحضره ومجتمعه أن يناقش أفكار معاصريه ومن سبقه من علماء الفرس واليونان، بل استطاع أن يصوغ نظريات علمية تعتبر إضافة جديدة إلى أفكارهم وعلومهم.

لقد انتقد الهمداني مثلاً أرسطوطاليس في قوله بأن المعادن تنشأ من تصاعد الأبخرة، في حين يرى الهمداني بأن ذلك غير صحيح، وأن المعادن - حسب معلوماته - تنشأ من عناصر ومواد عضوية في النباتات، مستنداً في ذلك إلى رأي خبراء وعمال المناجم في اليمن، والذين أخبروه - كما يقول - بأن البخار يتكاثف على شكل غاز أو ماء، ولكن لا يمكن أن ينقلب كالحجر أو كمعدن. ويضيف الهمداني قائلاً وعندهم - أي خبراء المناجم اليمنيون - أن المعادن تنشأ عن طريق اتحاد العناصر الأربعة، مثل أسماء الصبغ، ومثل الصبغ، بأنواع اللون والكيفية. وهكذا تواليك يكون للنباتات في الأرض خصائص مختلفة كما هي المعادن.

للمزيد من المعلومات حول هذه النقطة يمكن الرجوع إلى كتاب (الجوهرتين للهمداني) الذي سبق أن قمت بتحقيقه ونشره أخيراً.

إن هذه الإضافات إلى الفكر العالمي لم تجبر الهمداني على الادعاء بأنها من ابتكاره وإبداعاته الذاتية، بل استقاها من الداخل من الوسط الاجتماعي، وليس من بطون الكتب والمصادر الخارجية.

على هذا الأساس، ونحن نناقش بعض الآراء الواردة في هذا الكتاب لكي لا نطيل على القارئ ونقدم منه اكتشاف ذلك الملمس إلى القول إلى أن شكل العلاقة

بين المتفوق والمتفوق لا تفرزه رغبات وقدرات ذاتية، بل الذي يفرز ذلك هو الواقع الموضوعي، وهو مدى التقارب أو التباعد بين العلاقات الاجتماعية التي تنعكس في هذه الثقافة أو تلك. والعامل الحاسم في تحديد فاعليتها هو فعل القوانين الداخلية للثقافة المتلقية وليس الثقافة الملقاة من الخارج.

صحيح أن أفكار الهمداني الاجتماعية لم تكن مواكبة أحياناً لأفكاره العلمية بسبب وقوعه في أسر أو شرك الصراعات الاجتماعية التي كانت سائدة، ولا تنطلق بمنظور عرقي أو مذهبي، كما يزعم البعض.

وهذا بسبب نزوعه الميل في كنف الزعامات الإقطاعية وامتداح سلطتها وجبروتها وتسلطها، إن ذلك - كما أرى - يرجع إلى مواقف ذاتية وشخصية وليست اجتماعية أملتها عليه صراعات المصالح في أواسط القمة للشاعات السياسية والتاريخية الناتجة عنهما، والتي كانت تتضاءل وتختفي من أعمال وفكر الهمداني كلما انشغل واتجه نحو العمل العلمي الجاد.

محمد الشعيبي

صنعاء

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين (الترجم)

تم وصف انقطاع الصلات الثقافية بين جنوب جزيرة العرب ((اليمن)) في القرون القديمة وبينها في القرون الوسطى في تلك الكلمات الواردة أعلاه [1][2] بشكل مخصوص وحلي، وبالرغم من ذلك فلم يجر الإعداد التام للرواية التاريخية، وتتجلى هذه الرواية في وحدة العمليات الأساسية الجارية في المجتمع اليمني خلال عدة قرون سواء قبل الإسلام أم بعد انتصاره، أي في العهد الانتقالي للقرون الوسطى المبكرة.

الجزء الأول من الكتاب الحالي مكرس لتحليل التغيرات الجارية خلال الفترة ما بين القرنين الخامس والعاشر في جنوب جزيرة العرب، في صلاتها السياسية والعسكرية وصلاتها الاقتصادية، وفي العلاقات المتبادلة بين الرحل والحضار، وبنية المجتمع، وبيان الفئة الحاكمة من الطبقة السائدة، والإيديولوجيا، وتؤلف معطيات هذا التحليل الهيئة العامة لحركة المجتمع اليمني من التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية القديمة (اليونانية الرومانية) إلى التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية الإقطاعية.

لقد تطلب عدم كمال دراسة الجزء الأكبر من المسائل الخاصة بعلم المصادر والتاريخ للنصوص المتعلقة بتاريخ اليمن القروسطي القيام بعدد كبير من البحوث الثانوية، أما الجزء الثاني فإنه يكمل ويوضح بعض الأفكار الواردة في الجزء الأول.

---

(1) بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ صدق الله العظيم (المترجم).

(2) كتب انجلس في 6 حزيران 1853 إلى ماركس يقول: (إن مدن جنوب جزيرة العرب التي كانت في العهد الروماني موجودة في حالة الازدهار كانت في القرن السابع عبارة عن أكوام مقفرة من الأنقاض وقد ابتدع البدو المجاورون خلال الألف سنوات الخمسمائة أساطير خرافية رواية مخطط عن منشئها).

وتتضمن في أساس هذا الكتاب مواد متنوعة ومختلفة الطابع: نقوش يمنية قديمة ومخطوطات عربية قروسطية ونشرات النصوص ومسجلات ميدانية واستنساخات؛ وتم جمع الكثير منها من قبلي خلال الفترة ما بين عامي ١٩٦٥ و ١٩٨٤ في مصر وسوريا والأردن والعراق والكويت، وبالمقام الأول الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية أثناء المأموريات العلمية، بما في ذلك مجرى أعمال البعثة السوفيتية اليمنية الشاملة في حضرموت.

وبعض الفصول والاستنتاجات الواردة في هذا الكتاب قد استخدمت في سياق إعدادنا لدى إلقاء سلسلة من المحاضرات عن ((تاريخ الشعب اليمني)) في المدرسة العليا للعلوم الاجتماعية لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وإلقاء عدد من المحاضرات في جامعات عدن وصنعاء وبغداد والموصل والبصرة والكويت، واستخدمت كذلك لأجل تأليف الفصول المناسبة من الكتاب الدراسي ((موجز تاريخ اليمن)) (عدن، ١٩٧٧) الذي أعده فريق من المؤلفين، وتأليف كتاب ((تاريخ اليمن)) المتعدد المجلدات الذي لا يزال في سياق العمل.

إنني أغتنم الفرصة لكي أعبر عن امتناني لأساتذتي وزملائي، وبالمقام الأول لجميع العاملين في المكتب العربي وقسم الشرق الأدنى التابعين لفرع لينينغراد لمعهد الاستشراق لدى أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي لقاء عنايتهم ومساعداتهم الدائمتين في عملي، وأعبر عن جزيل شكري لأساتذتي المرحومين البروفيسور ف. أ. بيليايف والعضو المراسل في أكاديمية العلوم السوفيتية ن. ف. بيغوليفسكايا والبروفيسور خليل نامي ((القاهرة)) ولأساتذتي وزملائي الأكبرين أ. أ. دولينينا، و ب. أ. غريازنيفيتش، و أ. غ. لوندين، و أ. ب. خاليدوف، و أ. غ. بولشاكوف، و أ. ش. شيفمان، و أ. م. بيلينيتسكي، و غ. م باور، و أ. ف. فيخمان، و أ. غ. بيريسيبكين، م. اشتامبا؛ ولزملائي ورفاقي، فل. ف. بولوسين، و ف. ف. بولوسين، و س. م بروزوروف، ول. أ. نيقولايفا، و أ. أ. كوليسنيكوف، و م. أ. رادوبوف، و ف. ف. ناؤومكين، و أ. ب. كوريلين، و د. ف. فرولوف، ولزملائي الأجانب البروفيسور ج. ريكمانس ((لوفين)) وف. ميولر ((اليوبيغن)) و ر. سارجنت ((كمبردج)) و أ. بيستون ((أكسفورد)) وس.

نوبا ((ألمانيا)) و ت. [illegible] ((البرازيل)) و ج. ميسلر ((الأيزيبيغ)) ونزار الصعيدي ((صنعاء)) ويوسف عبد الله ((صنعاء)) ومحمود الغول ((الأردن)) وعبد العزيز المقالح ((صنعاء)) وعبد الله محيرز ((عدن)) وعمر الصاوي ((مصر)) وعبد الله الشيبة ((المكونة)) والطاريين غيرهم ممن ساعدني في استكشاف وقراءة المصادر والذين ناقشت معهم حوارات عديدة المسائل العامة والخاصة والتي يكرس لها الكتاب الراهن

الجزء الأول

اليمن في القرون الوسطى المبكرة

العمليات العامة

الباب الأول

العهد والمصادر

إن موضوع الاستقصاء الراهن وهو التاريخ القروسطي المبكر لجنوب الجزيرة العربية ((اليمن)) قد ناله العلم حتى الوقت الحاضر بقدر قليل، وذلك في حين أن اليمن تحتل مكاناً مخصوصاً في تاريخ الشرق الأدنى خلال القرون الوسطى. حيث كان يوجد فيها مراكز تجارية هامة تربط بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي، كما تطورت فيها الثقافة الحضرية القريبة من موقع نشوء الإسلام والذي مارس تأثيراً لا بأس به في عملية النشوء، واليمن هي أحد الأجزاء الأولى من الجزيرة العربية، وهي في نفس الوقت أرضها العربية الأولى (التي بداية القرن السابع كانت ولاية من ولايات فارس الساسانية)) والتي كانت تدخل في قوام دولة إسلامية، وجرى فيها المرة الأولى تجريب عدد أساليب لإدارة دولة جديدة، وكان ذا أصل يمني جزء مخصوص من السكان العرب القاطنين في الشام والعراق ومصر وإسبانيا؛ حيث كان يعم الإسلام، وأصبحت اليمن حضناً للحركات السياسية والدينية للقرون الوسطى الإسلامية: الإباضية والزيدية والإسماعيلية وغيرها.

ومن حيث الهيئة العامة فإن تاريخ اليمن شيق بوصفه مثالاً على الاقتران بين التطور الإقطاعي للمجتمع الحضري القديم ((من الموارد الداخلية)) وبين التطور الماثل من حيث الاتجاه للترحّل والشبه الرحل من النظام العشائري القبلي، ويلاحظ مثل هذا الاقتران بأشكال مختلفة في العديد من سائر أجزاء ((العالم الإسلامي)) إلا أن دراسته لم تجر بالقدر الكافي بعد.

إن هذا الكتاب يقصد إظهار طابع التغيرات الطارئة على المجتمع اليمني، ومضمونها الأساسي وملامحها الملموسة، والعلاقة المتبادلة بين العام والخاص في سياق

بتكوين المجتمع الإقطاعي، وكذلك مدى الوراثة بين المرحلتين ما قبل الإسلامية والإسلامية للقرون الوسطى في اليمن.

إن عصر القرون الوسطى المبكرة التي تتحدد بشكل اصطلاحي نسبياً بحدود ما بين القرنين الخامس والعاشر بعد الميلاد، تنقسم إلى طورين في تاريخ المجتمع اليمني، وتتيح المقارنة بين ملامحهما الأساسية ترتيب الفترة الزمنية موضوع الدراسة في قرينة تاريخية واسعة لحركتها من العهد القديم إلى عهد الإقطاع المتطور.

ويمكن أن ننعت الطور الأول بالطور (السبئي المتأخر) وللمجتمع السبئي المتأخر (حوالي القرون: الأول - الرابع بعد الميلاد) ملامح أساسية تتصف بها مجتمعات الشرق القديمة، فقد كانت سلطة الطبقة السائدة وثروتها تقومان على أساس كدح العبيد وسائر الأعيان التابعين شخصياً في استثماراتهم الخاصة وفي استثمارات الملوك والدولة، وكان يقع على عاتق الدولة إنشاء وترميم واستثمار منظومات الري الضخمة، وكذلك مراقبة تجارة المرور، أي أن أسس الرفاهية الاقتصادية لليمن القديمة كانت تحت تصرف الدولة.

وكان القطاع الشاعي[*] يضم القسم الأكبر من الأراضي والأيدي العاملة، وكان يعبر عن ذلك اجتماعياً بالدور الكبير للأعيان الشاعيين القبليين، وبالاستقلال المحسوس للعلاقات الاجتماعية. إلا أن العمق الداخلي أو الاستقلال كان يقترن بالصلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الواسعة النطاق مع الثقافات القديمة القائمة في الشرق وحوض البحر الأبيض المتوسط. وكان النظام الاجتماعي في جنوبي الجزيرة العربية يحمل في مجالات عديدة إلى حد ما في البلدان ذات العلاقات الاجتماعية الأكثر تطوراً. وكان مؤلفو العهد القديم حينما يصفون جنوب الجزيرة العربية يجدون فيه مجتمعاً يماثل مبدئياً تصوراتهم بصدد سائر مجتمعات الشرق القديم.

(*) سوف يستمر هذا المصطلح في أغلب صفحات الكتاب ويبدو أن المؤلف يعني به الملك الشعبي العام وأحياناً وحدات التملك المشاعي الخاص خارج ملكية الدولة. (المترجم)

لقد كانت اقتصاديات اليمن القديمة تتصف بالتطور المحسوس للزراعة التي تستخدم مياه الفيضانات والسيول الجبلية الموسمية، وكانت منظومات الري تتيح استثمار الأراضي على منحدرات الوديان الجبلية وعلى سهول الأنجاد وعلى التلال المنبسطة عند حافة الصحراء التي تحيط بها مفازة صيهد من الجنوب والغرب.

وفي هذه البقاع المتاخمة للبادية كانت تقوم المدن الأساسية: شبوة وتمنع ومأرب وبراقش[1] وغيرها، الواقعة على الطريق التي كانت تسير فيه إلى البحر الأبيض المتوسط وبلاد الرافدين القافلات المحملة بالبخور من حضرموت والقار والتوابل من الهند، وهذه التجارة المحتكرة من قبل اليمنيين كانت تعتبر مصدراً هاماً للمنتوج الإضافي الذي أمّن لليمن شهرة (البلاد العربية السعيدة) وهذه التجارة بالذات كانت تربط بين جنوب الجزيرة العربية ومراكز عالم الشرق القديم فكانت تجلب إليها من ما بين النهرين ومصر واليونان القديمة التأثيرات الثقافية والاتجاهات السياسية والأنماط الاجتماعية، ومنذ بداية عصر ما بعد الميلاد فقد اليمنيون الاحتكار في هذه التجارة إلا أنها ما زالت مستمرة رغم أنها أخذت تضعف بشكل محسوس من قرن إلى آخر.

كانت في جنوب الجزيرة العربية القديمة عدة دويلات: أوسان وقتبان وحضرموت ومعين وسبأ، وكانت أكبرها دولة سبأ وعاصمتها مأرب، وحتى القرون الأولى بعد الميلاد تمكن السبئيون من إخضاع جزء كبير من اليمن لأنفسهم، وكان المجتمع في هذه الدويلات ينقسم إلى طبقات: فئات المزارعين والعساكر والكهنة والتجار، وكانت متطورة مؤسسات الدولة: السلطة الملكية التي كانت تحمل في الغالب طابعاً قدسياً، النظامان الملكي والمعبدي للإدارة الاقتصادية والسياسية، وكان نفوذ مؤسسات الدولة يقتصر على استغلال قمة المشاعيات الإقليمية - النسابية ((الشعوب))، وكانت القمة تؤلف القسم الأكبر من قوام ((مجلس الشيوخ)) كما كان يجري انتخاب رؤساء المشاعيات من عدادها، وكانت المدن هي الأخرى تتمتع بذاتية معينة بفضل الحكم الذاتي الداخلي ووجود التعاونيات التجارية واتحاداتها.

[1] براقش - المترجم.

لقد كانت المشاعيات الإقليمية ((الشعوب)) الخلايا الاقتصادية والاجتماعية الأساسية للمجتمع، وكانت سلطة الدولة والمعابد وثيقة الارتباط معها كما كان أفراد ((الشعوب)) المالكون بمثابة منتجي الخيرات المادية، المستقلين الأساسيين، ويمكن لمستأجري الشعوب وأفراد جهازي الدولة والمعابد يحوزون ثمار كدحهم، كما كان يشتغل في استثمارات مثل الطبقة السفلى شتى أصناف الناس التابعين شخصياً والذين كانوا يدعون بالمصطلح الواسع آدام ((الناس)) وكان بينهم العبيد من شتى الأصناف والمسرحون الأحرار والزبائن وغيرهم.

لقد أنشأ المجتمع اليمني القديم ثقافة أصلية في القرن العاشر ق.م تقريباً نشأ نظام خاص لأحرف الكتابة، وبهذه الأحرف كانت تؤلف النقوش بشكل لهجات لغة جنوب الجزيرة العربية القديمة، ويقرأ النقوش المنقورة بدقة، وغالبيتها ذات طابع إهدائي وتتضمن الدعوات والشكر للآلهة، هي السمة المميزة للثقافة القديمة في جنوب الجزيرة العربية، ومن علائمها الأخرى المنشآت المعمارية الجبارة من الحجر والخشب والمواد الخام (السدود والقصور والمعابد) وكان الطراز الصارم والخشن بعض الشيء في الفن يشتمل بالتأثيرات الإفريقية القديمة التي كانت تتجلى بوضوح في الزخارف المعمارية والتماثيل من البرونز العائدة إلى الفترة ما بين القرن الثالث ق.م والقرن الثالث ب.م وقد يعتبر الفن الخاص بالنبطية والحضر وتدمُر ودويلات الجزيرة العربية المماثلة في الشمال والشرق من الأمثلة المحاذية والقريبة لبعضها البعض.

ويمكن تقسيم ديانة قدماء اليمنيين إلى بعض الدرجات: الخاصة بالمشاعية والدولة اليمنية العامة، وكانت آلهة المشاعيات والدول تتمثل بصفة أقانيم آلهة ((عموم الدولة)) (مثلاً: إله القمر لدى السبئيين في القتبانية) أو بصفة أقانيم الإله عشتار ((المشترك بالنسبة لجنوب الجزيرة العربية كافة والمعروف لدى جميع الساميين)).

وفترة القرنين الثالث والرابع التي تختتم العهد القديم لتاريخ جنوب الجزيرة العربية حافلة بالنزاعات السياسية والحروب الداخلية، وكانت عدة دويلات وسلالات ملكية تتناحر في سبيل السلطة والسيادة، واندلع الصراع بشكل حاد للغاية فيما بين الملوك السبئيين والملوك الناشئين من الاتحاد القبلي المتلخص في تلك الآونة الحميريين، وصار

الملوك الحميريون حكاماً كاملي السلطة في اليمن كلها في أواخر القرن الرابع، وفي تلك الفترة أيضاً لوحظ اشتداد نشاط جيران اليمن الشماليين ((البدو)) وكذلك ازدياد نفوذ جارتها الغربية ((الحبشة)).

ويمكن التحدث عن مرحلة أخرى في تاريخ جنوب الجزيرة العربية، وهي الفترة ما بين القرنين الحادي عشر والثامن عشر، بوصفها عهد الإقطاعية المتطورة، رغم أن البلاد كما كان الأمر في الأزمنة القديمة، كانت لا تزال محتفظة بالعديد من السمات العتيقة في اقتصادياتها ونظامها الاجتماعي، وكانت الزراعة والري لا يزالان باقيين على حالهما السابق بوصفهما القاعدة الاقتصادية الأساسية، إلا أن منشآت الري الضخمة قد اختفت منذ زمن بعيد وتحولت إلى صحارى المناطق المجاورة البادية، حيث ازدهرت الزراعية الإروائية في قديم الزمان.

وكانت التجارة البرية عن طريق الجزيرة العربية قد نالها الضعف، ولكنها انتعشت بفضل بعض الطرق البحرية العائدة للأزمنة القديمة مثل ميناء اليمن الرئيسي ((عدن)) الذي تحول إلى مركز هام للغاية، وأصبح يربط ما بين بلدان حوضي المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط، وكانت تصل إلى اليمن السفن من شرقي أفريقيا والهند وملايو والصين، أو تمر عن طريق الموانئ اليمنية بعد أن تدفع الرسوم الجمركية، وأصبحت مصر - كما كان الحال في القرون الأولى من عصرنا - شريكة اليمن السياسية والاقتصادية الرئيسة في البحر الأبيض المتوسط.

وانتشرت على نطاق واسع ملكيةُ الأرض الخاصة الضخمة ونظام المستوطنات العسكرية ((الإقطاعات)) وهذا الشكل المميز للشرق الإسلامي من العلاقات الإقطاعية كان في اليمن بمثابة التطور الداخلي للنظام الاجتماعي الخاص بالمجتمعين الزيدي والصليحي، كما كان بمثابة نتيجة لاقتباس الأشكال المنقولة عن مصر والشام لامتلاك الأرض المشروط ونظام الدولة والتدرج الإداري - العسكري والإقطاعي، وكان نظام المناصب الحكومية الخاضعة لبعضها البعض والمدفوع عنها بحصص مشروطة ولا مشروطة من الأرض، ذلك النظام الذي تم غرسه في عهد سيطرة

لقد كانت التشاعبات الإقليمية ((الشعوب)) الخلايا الاقتصادية والاجتماعية الأساسية للمجتمع، وكانت سلطة الدولة والمعابد وثيقة الارتباط معها كما كان الأحرار ((الشعوب)) العاديون بمثابة منتجي الخيرات المادية، المستغلين الأساسيين، وكان أرستقراطيو الشعوب والمزاود جهازي الدولة والمعابد يشترون ثمار كدحهم، كما كان يشتغل في استثمارات ممثلي الطبقة السائدة شتى أصناف الناس التابعين شخصياً والذين كانوا ينعتون بالمصطلح الواسع آدم ((الناس)) وكان بينهم العبيد من شتى الأصناف والمزارعون الأجراء والزبائن وغيرهم

لقد أنشأ المجتمع اليمني القديم ثقافة أصلية في القرن العاشر ق. م. تقريباً نشأ نظام خاص لأحرف الكتابة، وبهذه الأحرف كانت تؤلف النقوش بشتى لهجات لغة جنوب الجزيرة العربية القديمة، ووفرة النقوش المقورة بدقة، وغالبيتها ذات طابع إهدائي وتحمل الدعوات والشكر للآلهة: هي السمة المميزة للثقافة القديمة في جنوب الجزيرة العربية، ومن علاماتها الأخرى المنشآت المعمارية الجبارة من الحجر والخشب والمواد الخام ((السدود والقصور والمعابد)) وكان الطراز الصارم والخشن بعض الشيء في الفن يقترن بالتأثيرات الإفريقية القديمة التي كانت تتجلى بوضوح في الزخارف المعمارية والتماثيل من البرونز العائدة إلى الفترة ما بين القرن الثالث ق. م والقرن الثالث ب. م وقد يعتبر الفن الخاص بالنبطية والحضر وتدمر ودويلات الجزيرة العربية المماثلة في الشمال والشرق من الأمثلة المحلية والقريبة لبعضها البعض.

يمكن تقسيم ديانة قدماء اليمنيين إلى بعض الدرجات: الخاصة بالشاعبية والدولة اليمنية العامة، وكانت آلهة الشاعبات والمدن تتمثل بصفة أقانيم آلهة ((عموم الدولة)) (مثلاً: إله القمر لدى السبئيين في ألمقة) أو بصفة أقانيم الإله عشتار ((المشترك بالنسبة لجنوب الجزيرة العربية كافة والمعروف لدى جميع الساميين)).

وفترة القرنين الثالث والرابع التي تختتم العهد القديم لتاريخ جنوب الجزيرة العربية حافلة بالنزاعات السياسية والحروب الداخلية، وكانت عدة دويلات وسلالات ملكية تتناحر في سبيل السلطة والسيادة، واندلع الصراع بشكل حاد للغاية فيما بين الملوك السبئيين والملوك الناشئين من الاتحاد القبلي الناهض في تلك الآونة الحميريين، وصار

للملوك الحميريون حكاماً كاملي السلطة في اليمن كلها في أواخر القرن الرابع، وفي تلك الفترة أيضاً لوحظ اشتداد نشاط جيران اليمن الشماليين ((البدو)) وكذلك ازدياد نفوذ جارتها الغربية ((الحبشة)).

يمكن التحدث عن مرحلة أخرى في تاريخ جنوب الجزيرة العربية، وهي الفترة ما بين القرنين الحادي عشر والثامن عشر، بوصفها عهد الإقطاعية المتطورة، رغم أن البلاد كما كان الأمر في الأزمنة القديمة، كانت لا تزال محتفظة بالعديد من السمات المتميزة في اقتصادياتها ونظامها الاجتماعي، وكانت الزراعة والري لا يزالان باقيين على حالهما السابق بوصفهما القاعدة الاقتصادية الأساسية، إلا أن منشآت الري الضخمة قد اختفت منذ زمن بعيد وتحولت إلى صحارى المناطق المجاورة البادية؛ حيث ازدهرت الزراعة الإروائية في قديم الزمان.

كانت التجارة البرية عن طريق الجزيرة العربية قد نالها الضعف، ولكنها انتعشت بفضل بعض الطرق البحرية العائدة للأزمنة القديمة مثل ميناء اليمن الرئيسي ((عدن)) الذي تحول إلى مركز هام للغاية، وأصبح يربط ما بين بلدان حوضي المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط، وكانت تصل إلى اليمن السفن من شرقي أفريقيا والهند وملايو والصين، أو تمر عن طريق الموانئ اليمنية بعد أن تدفع الرسوم الجمركية، وأصبحت مصر -كما كان الحال في القرون الأولى من عصرنا- شريكة اليمن السياسية والاقتصادية الرئيسة في البحر الأبيض المتوسط.

وانتشرت على نطاق واسع ملكيةُ الأرض الخاصة الضخمة ونظام المستوطنات العسكرية ((الإقطاعات)) وهذا الشكل المميز للشرق الإسلامي من العلاقات الإقطاعية كان في اليمن بمثابة التطور الداخلي للنظام الاجتماعي الخاص بالمجتمع الزيدي والصليحي، كما كان بمثابة نتيجة لاقتباس الأشكال المنقولة عن مصر والشام لامتلاك الأرض المشروط ونظام الدولة والتدرج الإداري -العسكري والإقطاعي، وكان نظام المناصب الحكومية الخاضعة لبعضها البعض والمدفوع عنها بحصص مشروطة ولا مشروطة من الأرض، ذلك النظام الذي تم غرسه في عهد سيطرة

الأيوبيين المصريين والذي ازدهر في عهد الرسوليين، فكان يشتمل بالتدرج الطبقي والإقطاعيين الكبار، والمتوسطين وشيوخ القبائل في الإمارات الصغيرة مثل أرجاء البلاد ويمثل جزء من الفلاحين الذين افتقدوا أسماءهم مرتبطاً بسبب الولاء للمجتمعات المحلية سليلة الشعوب السابقة، ولكنها أصبحت شعث وقبائل، كما كان العمل بالنسبة للقبائل الرحل التي يمكن في عدادها كثيرون من أحلاف قدماء الرحل والذين تحضروا في الأرض، وكانت القبائل هذه تحتفظ بالعديد من المؤسسات والملامح القديمة لمجتمع الرحل، وبإرشادات الاجتماعية والقيمية، وكانت قمة القبائل تستطيع في البلاد بدور كبير محتفظاً باستقلال سياسي واقتصادي محسوس، وكان المزارعون، سواء من كانوا في قوام القبائل أم خارجها يشتغلون في استثماراتهم الخاصة أو المستأجرة، ولكن يستغلون من قبل أعيان القبائل والشافعيات والأعيان الإداريين العسكريين والتجار أسلاف الأرائس في المدن، وقد احتشد جزء كبير من العاملين على الريع العقاري في المدن نفسها، ولكن كان ثمة عدد غير قليل من الإقطاعيين الصغار والمتوسطين كانوا يسكنون في قصورهم —حصونهم بالجبال، وكانت الأشكال الأساسية للاستغلال والابتزاز الريع هي الضرائب وإيجار الخاصة السخل بمثابة مشارطة —الاستثمار المشترك للأرض.

خلال فترة القرنين الحادي عشر والثاني عشر نشأت دولة الصليحيين الإسماعيلية التي كانت في ارتباط وثيق مع الفاطميين المصريين، وفي عام ٥٦٩ هـ/ ((١١٧٤م)) أنزل توران شاه، أخو صلاح الدين الأيوبي قواته وساعد في سحق حركة علي بن مهدي التي قضت على السلالة النجاحية على الساحل الغربي، ومن ثم أخضعت جزءاً كبيراً من اليمن للسلطة المباشرة للأيوبيين المصريين، وفي عام ٦٢٦ هـ ((١٢٢٩م)) حل الرسوليون السوريون محل النواب الأيوبيين وأنشأوا سلالة ملكية سنية مستقلة حكمت اليمن خلال قرنين، وكان عهد الرسوليين عهداً أكثر تميزاً بالنسبة للقرون الوسطى المتطورة في اليمن، كما كان المجتمع والحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية والعيشة الموصوفة في المؤلفات المحلية العديدة تكاد لا تختلف عما نقرؤه بصدد القاهرة ودمشق وبغداد.

وبموازاة عهد سيطرة الرسوليين في شمال اليمن ظلت لا تزال موجودة دولة الأئمة الزيديين التي سبق أن نشأت في القرون الوسطى الباكرة، والتي تعززت —إلى حد كبير— سلطاتها في عهد القرون الوسطى المتطورة فترسخت في المناطق الشمالية والوسطى، وبسطت سيطرتها في بعض الأحيان على اليمن كافة، وبعد انهيار السلالة الملكية للرسوليين في أواسط القرن الخامس عشر صار الأئمة الزيديون يخضعون لأنفسهم بالتدريج الأقاليم الأساسية، وانخرطت اليمن في العهد الجديد كدولة زيدية من حيث السلطة السياسية والأيديولوجيا، والحكام الزيديون الذين يتحدرون من أسرة آل الرسول محمد ﷺ والذين جاؤوا إلى اليمن منذ القرن العاشر قد اندمجوا بوسوخ بتاريخها وسياساتها، وكانت بمثابة سند لهم المناطق المتاخمة للقبائل —القوية والمستقلة التي كانت تتميز بنزعة المحافظة والتقليدية، وكانت سلالات الزيديين الفكرية والسياسية الخارجية شبيهة بما أن إيديولوجياتهم الدينية والسياسية التي كانت تحتل موقعاً وسطياً ما بين السنة والشيعة كانت في ذلك الحين متمثلة في جنوب الجزيرة العربية وحدها؛ لذلك فإن المجتمع الزيدي كان يماثل خارجياً المناطق الإسلامية بقدر أقل مما كان يشابهها المجتمع الرسولي.

لقد كانت ثقافة اليمن إبان القرون الثاني عشر —الخامس عشر) ذات طابع إسلامي وعربي مشترك، وكان العلم والأدب والمؤلفات الدينية وفن العمار يقلد مختلف النماذج القائمة في العراق ومصر والشام، وأصبحت لغة الثقافة والمعيشة عربية في حين بقيت لهجات اللغة ((الحميرية)) في البقاع النائية فقط، وكان اليمنيون يعون بأنفسهم بدقة وعياً متكاملاً للثقافة الإسلامية الجامعة، وكان الإسلام متمثلاً في اليمن بكل مذاهبه الأساسية؛ السنية الشافعية والشيعة الإسماعيلية والزيدية، كذلك كانت صلات اليمن السياسية والثقافية الأساسية مرتبطة بحوض البحر الأبيض المتوسط رغم أن صلاتها الاقتصادية مع مناطق المحيط الهندي كانت لا تزال محسوسة.

لقد تكون في اليمن القروسطية ولأسباب سوف يرد ذكرها وعي ذاتي والقناعة يمني أصيل، متشرب بذكرى السلالات الملكية والأبطال من أيام اليمن الحميرية، ولكن هذا الوعي كان قائماً بشكل عرضي وكان يتجلى فقط أحياناً بشكل

بعض الأبناء، مثلاً في «القصيدة الحميرية» لنشوان
الحميري، الشخصية السياسية من القرن الثاني عشر للهجرة من الأعيان الحميريين.
إن المجتمع القروسطي اليمني الممتد للفترة ما بين القرنين الثاني عشر والسابع عشر يماثل من ناحية الإطار العام وكذلك في العديد من التفاصيل ما نجده في سائر بلدان الشرق الأدنى؛ وهو مجتمع إقطاعي متطور احتفظ بخصوصية كبيرة من الملامح المتميزة المشروطة بالدور الاقتصادي والسياسي للقبائل.

وتقع بين العهدين الموصوفين أعلاه المرحلة التاريخية موضوع البحث في هذا الكتاب، والتي يمكن تسميتها اصطلاحيا بالمرحلة الانتقالية التي دارت في مجراها عمليات سياسية واجتماعية وثقافية خطيرة وحاسمة، منحت جنوب الجزيرة العربية الحق في أن يحتل صفحات مخصوصة في سفر التاريخ العالمي.

إن الفترة الانتقالية في جنوب الجزيرة العربية من العهد القديم إلى العهد القروسطي قد جرت دراستها عموماً بقدر قليل، وفي جوهر الأمر فقد عولجت أو درست بعض جوانبها وخاصة تاريخ الحروب الحميرية – الحبشية[1] وبعض نواحي نشر الإسلام (٣٢١، المجلد ٥، ٩، ٣٦٥، ٣٦٦) وظهور الإمامة الزيدية (٣٠٠، ٥٢٣، ٥٢٦، ٤٥٦، ٣٦٠) وكذلك تاريخ الصليحيين، ولا سيما الملكة السيدة الحرة (أروى) (٢٤١، ٢٨٧، ٢٨١، ٣١٩) ولم تظهر إلا منذ زمن قريب في الأدب العلمي العربي مؤلفات شاملة تخص تاريخ اليمن القروسطي، وفي هذه المؤلفات (٢٨٨، ٢٩٢، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٦٢، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥١) وراجع كذلك الدليلين الموجزين (٣٩٨، ٤١١) يجري تناول العهد الإسلامي كعهد تاريخي لا مراء فيه وفاصل يغير كل نواحي الحياة، فالإسلام يجب ما قبله، وتعود المؤلفات العربية بصورة رئيسية لأقلام العلماء اليمنيين وكذلك العراقيين، والكثير منها تقليدي للغاية من الناحية المنهاجية وتجول بينها

[1] راجع ٣٠٦ – ٣١٠، ٣١١، ٣٢٤، ٣٣٣، ٣٦٦، ٣٧٧، ٣٨٤، ٤٩٠، ٤٩١ – الخ.

مؤلفات نزار الحديثي وسلطان عمر وجعفر الظفاري وأمين صالح[1] التي تتميز بالوقف الانتقادي من المصادر وبالاهتمام بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية.

وفي العلم الأوروبي تغيب عملياً المؤلفات الجيدة الخاصة بتاريخ جنوب الجزيرة العربية في القرون الوسطى. وتم ملء الفراغ جزئياً بمؤلف لفريق من العلماء السوفييت بعنوان «المختصر في تاريخ اليمن» صدر عام ١٩٨٢ في عدن باللغة العربية[2]. ومنه الفصل العهد القروسطي لكاتب هذه السطور بالاشتراك مع ب. أ. غريازنيفيتش).

لقد أجرى ب. أ. غريازنيفيتش في غضون السبعينات – الثمانينات في الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بحوثاً تاريخية وجغرافية ميدانية تخص العهد القروسطي المبكر (٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٣٢) وأعد كذلك مؤلفاً عاماً يخص الجغرافيا – التاريخية لعهد اليمن القروسطي ولذلك لا نتناول في هذا الكتاب المسائل الجغرافية التاريخية باستثناء أحوال نادرة، وكذلك قد بدأت عملها في عام ١٩٨٣ البعثة السوفييتية – اليمنية المشتركة التي تجري بحوثاً أثرية وتاريخية وجغرافية – تاريخية ولغوية وعمارية في وادي حضرموت، والنتائج الأولى لاستقصاءات الآثار الحضرمية التي شاركت أنا فيها قد استخدمت في الكتاب الحالي.

وبالرغم من أن معالجة التاريخ الخاص بحوادث العهد القروسطي المبكر في اليمن جرت بقدر غير كاف فإن تأليفه قد أنجز، وما يخص التاريخ المعمم التحليلي للمجتمع والأيديولوجيا فلم يتم بعد تأليف استقصاءات في هذا الموضوع[3].

إن القيام في الوقت الملائم بمحاولة البحث في المرحلة القروسطية المبكرة للتاريخ اليمني ككل يتحدد – بالإضافة للأمور الأخرى كذلك – بالتطور النوعي للقاعدة المصادرية المستخدمة، فخلال السنوات العشر الأخيرة زادت إمكانية المصادر الخاصة بتاريخ اليمن القروسطية وذلك بفضل جهود العلماء العرب والأوروبيين. وفي المقام الأول

[1] راجع ٢٤٢، ٣٣٦، ٢٩٨، ٣٦٦، ٣٣٢، ٣٠٠ الخ.
[2] راجع ٢٩٩
[3] راجع كذلك ٣١٦

جهود البحاثة الهمام والعلامة في التاريخ والثقافة اليمنيين القاضي محمد الأكوع، ومنذ زمن غير بعيد كان معظم المكتب الخاصة بالتاريخ الإسلامي لجنوب الجزيرة العربية يرجع تقريبا إلى المصادر المخطوطة، وأما الآن فقد تم إصدار قرابة جميع مؤلفات الهمداني المخطوطة و"[illegible]" و"التاريخ اليمن" لابن الديبع و"الغاية الأماني" ليحيى بن الحسين، والتاريخ [illegible] للرازي ومؤلفات بامخرمة وغيرها، والعديد من المخطوطات رغم أنه لم يتم إصداره بعد، أصبح في المتناول في الأفلام المصغرة من معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية وكذلك من الخزائن اليمنية مباشرة.

[illegible] التاريخ القروسطي ما قبل الإسلام لجنوب الجزيرة العربية بالمصادر ومحملا من النقوش الجديدة وبالرسالة الثالثة لسيمون الأشارمي والصيغة المحررة الجديدة "[illegible]".

وإن المصادر القديمة والجديدة الخاصة بتاريخ اليمن القروسطية المبكرة غنية ومتنوعة، إلا أن مختلف المراحل التاريخية موضحة بالمصادر على نحو غير متساو، فثمة معلومات كثيرة بصدد النصف الأول من القرن السادس وتكاد تنعدم كلياً بصدد نصفه الثاني، وتوجد روايات مفصلة عن فترة نشر الإسلام وكذلك بعض النشرات عن العصر الأموي الذي استغرق قرناً تقريباً – الخ.

ويستقى العصر الجاهلي –بصورة رئيسة– على أساس مواد النقوش والعصر الإسلامي على أساس أسفار الأخبار وسير الحياة، ويمكن استمداد المعلومات عن الكثير من الحوادث فقط من الأساطير والقصص، وفي بعض الأحيان جرى وصف الحوادث في المصادر على أيدي كتاب آخرين من المعارضين للطرفين الرئيسيين في هذه الحوادث، وبالنسبة للعديد من أطوار تاريخ اليمن توجد –من الناحية المبدئية– مواد المسكوكات، ولكنها غير معالجة بعد تقريباً ولم يتم إدخالها حيز العلم، وحتى الآن تنعدم الوثائق عمليا بين المصادر، وتحتوي المؤلفات الإسلامية القروسطية على نصوص الشهادات الرسمية والمعاهدات والرسائل، إلا أنه يمكن استخدامها فقط بوصفها تقليدات عن الوثائق الموجودة سابقاً وليس بوصفها استنساخات دقيقة للنصوص

الواقعية، وحتى الآن تكاد تنعدم [illegible] سواء خاصة بالمطبوعات الأثرية المتعلقة بالتاريخ القروسطي المبكر.

وكما عدم التطابق في مدى استقصاء شتى أنواع وفئات المصادر والنصوص المتعلقة بمختلف الأطوار التاريخية، فقد أصبح يصعب بصورة خاصة دراسة المواد الخاصة بالتاريخ الساحلي بين النقوش والمصادر العائدة إلى الجيل البيزنطي، وقد [illegible] تحليل استنتاجات المستشرقين الأوائل، وعلى عكس ذلك فإن المصادر الخاصة بالعصر الإسلامي لم تستقص تقريباً عملياً، ولم يدخل معظمها حيز الاستعمال العلمي إلا منذ زمن غير بعيد، ويحتاج الكثير منها إلى معالجة من جوانب علم المصادر، ولهذا السبب فقد أصبح التحليل العلمي للمصادر عملاً تمهيدياً ضرورياً لأجل البحث الراهن، وتم ضم جزء من نتائجه إلى نص الأبواب والقيد العامة، وأما جزء منها فقد بقي خارج حدود النص وذلك بغية اختصار الحجم والحفاظ على بنيان العرض[1].

إن النقوش هي المصدر الرئيسي بالنسبة للقرنين الخامس والسادس، وهي تتوافر عن عدد غير كثير من النصوص الحبشية والعبرية القديمة والعربية الشرقية، ولكنها بشكل رئيسي نقوش من جنوب الجزيرة العربية تستمر تقريبا وحصرها حتى النصف الثاني من القرن السادس، وخلال القرنين الخامس والسادس حلت النقوش التذكارية التي كانت تغيب في السابق جزئياً محل النقوش الإهدائية التي كانت يتسم بها العهد القديم، والمضمون الرئيسي للنقوش التذكارية الطابع هو الحادث المعين، وكان يجري تأليفها بقصد تمجيد مؤلفيها وليس لإبداء الشكر للآلهة، وكما كان الحال سابقاً ولذلك من الطبيعي أن نتوقع فيها مبالغة وتشويهاً للواقع، إلا أن النقوش المشهورة المتعلقة بشن الحملات على الجزيرة العربية ((RY 506 / RY 510 / RY 509)) وبخصوص القتال ضد النصارى ((RY 508 / RY 507 / Ya 1028)) وبأعمال الترميم الخاصة بسد مأرب ((CYM 541)) وغيرها يمكن مقارنتها مع سائر النصوص، وهي تبدو إجمالاً موثوقاً بها ويعتمد عليها.

[1] راجع [illegible]: ٣١١، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٩، [illegible]، ٣٦٥.

وهي: ...وريطا، الإعلاء منها القصص البيزنطية بخصوص حرق ... نجران
في اليمن ومقابلتها بين المصادر النصرانية والإسلامية بصدد السلسلة الممتدة على شكل
البحر الأحمر [1]. إن هذه السلسلة حلقات موجودة حقاً والحلقتها حلقات تقطعي لا البحر
... باب المندب [2].

إن المؤلفات الخاصة بالجدال البيزنطي ... والفتن السريانية والإثيوبية
وكذلك بالمسيحيين العرب الحبشيا وبتطورها لتاريخ النصرانية والسياسة البيزنطية في
جنوب الجزيرة العربية، وهي موضوع إبداعات خاصة على غرار الكتاب الحميري،
ويوجد عنها التوجهات الإخبارية متصلة بالقدر الكتابة في المؤلفات ذات الطابع العام
من أمثال السفر الأخبار ((إيوسيبيوس المتعلم من فيلستارج أو ((التاريخ الكنسي))
لبروكوبيوس القيصري، لقد ... والدراسة الدقيقة للمصادر
من هذا النوع وينتج - بوجه خاص - أن الجزء الأكبر من المعلومات الخاصة بجنوب
الجزيرة العربية في هذه المؤلفات هو تسجيلات أحاديث شهود عيان ((السفراء والرحالة
والمهاجرين)) [3]، ومن جهة فإن ذلك يدل على قراءة المعلومات الواردة في المصادر من
الحوادث الواقعية ولكن من جهة أخرى فإنه يفترض تحويراً مشدداً، فالسفراء ...
يعبرون ... والمهاجرون يتحدثون بالمقام الأول عن مصالحهم، وفي الحاصل جرت
المبالغة - بشكل جلي - في دور النصرانية في جنوب الجزيرة العربية وصلات الأهالي
مع بيزنطة، وظهرت - مثلاً - ادعاءات على اعتناق اليمنيين الديانة النصرانية
ووضعها دينا عموم الدولة منذ القرنين الثالث والرابع.

حكايات القصاد والقصص التاريخية - الملحمية العربية ما قبل الإسلام بعنوان
((أيام العرب)) تنعكس تصورات عن اليمن شائعة في الجزيرة العربية الداخلية، عن
البنيان الاجتماعي للمجتمع الحميري وعن تاريخ العلاقات المتبادلة بين الحميريين والبدو

---

[1] ٣٣٢ ص ١٩٠، ٢١٨، ٢٢١، ٢٤٠، المجلد ١ ص ٣٩، ٩١.
[2] ١٨٨ ص ٢٣٩، ٢٧١ ص ١٩١؛ قارن مع ٢٨١ ص ٣٩ الملاحظة ٧٩.
[3] ٢٠٨ ص ٢١٥ - ٢٢٢ ص ٦ - ... ص ١١١ - ١١٢.

في الجزيرة العربية الداخلية وعما ... فيه اليمنيون، ولذا فإن مقارنتها مع القصص
والمصادر ((البيزنطية)) فإنها تتيح مقارنة مختلف أوجه النظر إلى سياسة اليمن
الحميرية في الجزيرة العربية.

ويتحدث عن جنوب الجزيرة العربية ما قبل الإسلام الأسطورة التاريخية - الملحمية
وهي عبارة عن قصص ... وسجلت في العهد الإسلامي، وهي مشبعة بالتقاليد
التاريخية - الملحمية للبدو ... وبالأساطير الحضارية ومقتطفات من التقاليد
الحميرية المحضة وبالكثير من المواضيع والحوادث التي لا علاقة لها باليمن والتي
... ووضعت ... النزعات النضال السياسي في الخلافة العربية في ما بين نهاية
القرن السابع وأواسط القرن الثامن. ولذا عرفنا تاريخ ... ووضع هذه الأسطورة
فيمكننا أن نرى فيها - مثلاً في القرون - معلومات تاريخية مفيدة عن العصر ما بين
القرنين الخامس والسادس - مثلاً - بصدد الحروب الداخلية الجارية بعد وفاة ...
... في أواسط القرن الخامس وبصدد ((القبائل)) الأقيال الذين حكموا في اليمن
في أواخر القرن السادس... الخ [1].

إن القرآن الكريم يتضمن بعض المواضيع ((اليمنية)) كالحديث عن مأرب بعد
خرق السد، ... ذلك فالحديث عن ... سبأ ... إلى التقليد الإنجيلي
الكتابي ولها علاقة ... بالوقائع اليمنية، وآيات القرآن الكريم بصدد اليمن تساعد
على إعادة تركيب الحوادث التاريخية، وخاصة ما كانوا يعرفونه ويقصونه عن اليمن
في الحجاز في مطلع القرن السابع [2]، وفي مجرى القيام بالتنقيب الأثري في مأرب منذ
زمن قريب اكتشفت آثار الانهيار الأخير (حوالي عام ٥٨٠ م)، وقد جرى تسجيل هذا
الانهيار في القرآن الكريم وحده من بين جميع المصادر المعروفة لنا.

ويمكن التمييز في عداد المؤلفات المكرسة للتاريخ الإسلامي لجنوب الجزيرة
العربية بين مؤلفات إسلامية عامة ومؤلفات يمنية محضة، فالمواقع الإبداعات الإسلامية

---

[1] إرامبو، ٣٢٠ - ٤٤٠، ٤٤٣.
[2] قارن ٣٤٢ ص ٣ - ١٩٠.

العامة الذين يعدّون تاريخ اليمن بالنسبة إليهم جزءاً من التاريخ العام ((الطبري، ابن سعد، ابن الأثير، ابن خلدون)) اعتمدوا على الأساطير اليمنية المحلية وعلى أحاديث اليمنيين القاطنين خارج حدود جنوب الجزيرة العربية. وظهرت المؤلفات اليمنية المحضة في غضون القرنين التاسع والعاشر، واستخدم اليمنيون المواد والمواضيع الخاصة بالقرون الهجرية الأولى لأجل مؤلفاتهم هذه وفيما بعد من إبداعات مشاهير علماء الولايات المركزية للخلافة العربية، والقصص الخاصة بالبعثات الموجهة إلى النبي محمد ﷺ وبحركة عيهلة بن كعب الأسود وبمصير الثوار والعديد من القصص الخاصة بالملوك الحميريين التي تحدثت عن اليمن بعد أن تحللت بصيغة وتفاصيل غير يمنيين. وأما المعلومات الخاصة بالتاريخ اليمني في القرنين التاسع والعاشر فتتضمنها المؤلفات المحلية على الإطلاق تقريباً، وكانت لهذه المعلومات بالنسبة لمؤرخي الولايات المركزية للخلافة العربية أهمية ضئيلة وهم يذكرون الحوادث اليمنية بصورة خاطفة فقط، غير أن لها استثناءات هامة من هذه القاعدة، فمثلاً تاريخ انتفاضة الهيثم بن عبد الصمد ذي خليل توصف بتفاصيل أكثر في كتاب ((التاريخ)) لليعقوبي ويسرد تاريخ الإسماعيليين اليمنيين بحقل بكتابه في المباحث الإسماعيلية المصرية.

علماً أن تفرد بخاصية الهمداني في عداد مؤلفي الإبداعات التاريخية اليمانيون [1]، وهو ألمع شخصية في تاريخ الثقافة والعلم لجنوب الجزيرة العربية القروسطية، ولقد أنشأ الهمداني سلسلة كاملة للكتب التي تخص تاريخ اليمن القديم والمعاصر له، وجمع مواد في التاريخ والجغرافيا وعلم الآثار والفولكلور وسلسلة النسب والأقتباس الخاصة باليمن، وأنشأ على أساسها مؤلفاته، وفي عدادها مجموعة كتب من عشرة مجلدات في التاريخ وسلسلة النسب اليمنية بعنوان ((الإكليل))، وكانت ستستحيل بالكاد دراسة اليمن القروسطية بدون مؤلفاته، رغم أنها وصلت إلينا بقدر غير كبير نسبياً [2].

إن التحيز الوطني لدى الهمداني يقترن مع منهاجية العالم المربي على تجربة ((العلوم الطبيعية)): علم الفلك والجغرافيا الطبيعية وغيرهما، ولذلك فإنه يختار ويقسم

[1] راجع نية الأعمال: ٢١٥، ٣١٠، ٣٩١، المجلد ٢، ٣٣٨، ٣١٩.
[2] ١٢٢ – ٢٢٠، ٢٣١، ١٩١ – ١٧٦، ٢٩٨، ٢١٦، ٧٨، المجلد ٢، ص ٢١٦.

سواء لم يرد فيه كثيراً وبذلك حتى صحتها ويبحث عن أسباب ظهور التشويهات في المطبوعات ويكرس المصادر اليمنية [1].

ولهذا السبب فإن العديد من المواد التي تتضمنها مؤلفات الهمداني تحتاج لقدر كبير من الصحة، ولكن لأجل الانتفاع بها ينبغي – مهما كان الأمر – تحليل مصادر مواد الهمداني وطريقته على حد سواء، فشروحات النقوش القديمة التي يأتي بها غير صحيحة بما أنه لا هو نفسه ولا معاصروه في المطارح (وهو يدل عليهم بمقة) لم يتقنوا لغة جنوب الجزيرة العربية القديمة، إلا أنهم كانوا يدركون أبجديتها المسند البديهي أن ليس الجميع بالقدر المتساوي من الجودة، ولذلك فإذا عرفنا من أين وكيف حصل الهمداني على نص وترجمة هذا النقش أو ذاك لتمكن من إعادة تركيب الكثير من معانيه غير المكتشفة بالرموز المسندية، ويدل تحليل القصص الأسطورية المحتواة في إبداعات الهمداني على أنه استعمل مواد غنية جداً من الفولكلور اليمني المحلي أطلعل بها المطبوعات الكتابية، وغالباً ما تبدو مواصفاته الخاصة بعلم الآثار والجغرافيا دقيقة جداً وهي حصيلة رحلاته ومشاهداته الشخصية.

عدا مؤلفات الهمداني، تبدو قريبة من العهد القروسطي المبكر (السالف): من نهايته)) المؤلفات التالية: ((سيرة الإمام يحيى)) لعلي العلوي (ألفها حوالي عام ٣٠٠ هـ/ ٩١٢ م) [١٨١] و((الملاكلين لها التاريخ صنعاء)) للرازي (المتوفى عام ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٨ م) [١٩٩]، و((التاريخ)) لعمارة اليمني (المتوفى عام ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤ م) [٢٠٦، ٢١٨ – ٢٠٤، ٢٣٧]، ومؤلفات نشوان بن سعيد الحميري (المتوفى عام ٥٧٣ هـ/ ١١٧٧ – ٧٨ م) [٨٨ – ٩٠، ٣٣٦، ٤٤١]، و((طبقات فقهاء اليمن)) لابن سمرة (المتوفى عام ٥٨٦ هـ/ ١١٩٠ م) [٥٧٧]، و((كشف أسرار الباطنية)) للحمادي (المتوفى عام ٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧ م) [١١٤].

والكثيرون من المؤلفين الذين تستخدم مؤلفاتهم لأجل وصف العهد القروسطي المبكر قد ألفوها في العهد القروسطي المتأخر، وهم بشكل رئيسي مؤرخو العصر الرسولي [٤٠١، ٢٤٣، ٣٤٣، ص ١٨٦ – ٢٠٧]؛ الجندي (المتوفى عام ٧٣٢ هـ/ ١٣٣٢ – ٣٢

[1] راجع: ٣١٥، ٣١٩.

ج٢)، ٣٢٨، ص ٦١٢)، واليافعي (توفي عام ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ - ٦٧ م) (٢٤٢، ٣٩٩، ص ١١٦)، وابن حاتم (توفي في نهاية القرن السابع هـ / الرابع عشر م) (٣٧١، ٣٩٨، ص ١١٢)، وتاج الدين عبد الباقي (توفي عام ٧٤٣ هـ / ١٣٤٣ م) (٦١١، ٣٢٨، ص ٤١)، والخزرجي (توفي عام ٨١٢ هـ / ١٤١٠ م) (١٣١، ٣٢٨، ص ١٦٧)، والحسين الأهدل (توفي عام ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) (٢٩٨، ص ١٦٣)، وابن الديبع (توفي عام ٩٤٣ هـ / ١٥٣٧ - ١٥٣٨ م) (٦٦، ٢٣٠، ٣٢١، ٣٢٨، ص ١٣٩) وبامخرمة (توفي عام ٩٤٧ هـ / ١٥٤٠ م) (٣٦، ١٣٩، ٣٢٨، ص ١٦٨). ومن المجموعات الواسعة للمواد "بحسب السنوات" التي تضمنت المعلومات الخاصة بالمصادر المعروفة لنا وغير المعروفة على حد سواء، هي "الفترة الأماني" للمؤرخ الزيدي من القرن السابع عشر يحيى بن الحسين (توفي عام ١٠٩٩ هـ / ١٦٨٧ - ٨٨ م) (٦٤، ٧٦، ٣٢٨، ص ٦٤١) وطبقات الزيدية الكبرى (١١٥) و"الفترة الأماني" (٧٥) راجعه في "العرب" (الرياض، عام ١٣٩٠ هـ، المجلد ٥، ص ١٦٦ - ١٦٦؛ ١٩٨١م، المجلد ١٥، ص ٧٧، ٧٨١، ٨١١).

إن الجزء الأعظم من المعلومات المتضمنة في المؤلفات التاريخية اليمنية - بدءاً من مؤلفات عمارة اليمني يعود للتقاليد الشفهية الزيدية، وهذه التقاليد تتمثل بهذا القدر أو ذاك عند جميع المؤلفين من القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وتتصف المطبوعات الزيدية بالتفاصيل من بداية الإمامة الزيدية.

إن الأدب التاريخي اليمني الخاص بجميع المراحل التاريخية يتصف بالموقف المعادي من الحركة الإسماعيلية لعلي بن الفضل، وهذا الموقف ناتج عن السلبية من الشيعة وكذلك موقف الإسماعيليين الفاطميين المعادي لابن الفضل والذي سجل في مؤلف الحمادي (١١٤) الذي أصبح مصدراً لجميع المؤلفين الآخرين. والحمادي - على ما يزعم - "كشف الإسماعيلية خصيصاً لكي يدرسها من داخلها ويفضح مذهب الإلحاد على نحو أفضل"، ويقال إنه تقليد آخر لم يكن معادياً بذلك القدر. وقد بقيت أمثلة في "التاريخ وصاب" لمؤرخ القرن الرابع عشر الحبيشي (١٢٩).

إن مؤلف عمارة اليمني (القرن الثاني عشر) شيق جداً بالنسبة لتاريخ القرن الثاني عشر - السادس عشر، وأبرز فيه أخطاء والمعلومات بشخصية مكلفة المؤلف، والقلق بشخصيته وتاريخه السياسي وعلاقته بالفاطميين (بالرغم أنه كان وما زال سنياً شافعياً) ينعكس بشكل ظاهر في نسيج "التاريخ" والواقع التي بما يتحدث عنه عمارة بمحبة لزبيد العزيزة عليه ولمحافظها. ومن إحدى نتائج ذلك أصبحت المبالغة المحلية في سلطة وصورة حكام زبيد الزياديين، وانتقل من عمارة إلى سائر مؤرخي القرون الوسطى اليمنيين ومن ثم إلى المؤرخين الأوربيين اعتقاداً بأن الزياديين الذين حكموا في السابق حكمهم نهاية وسعة مطلقة، حكموا اليمن قاطبة. وانتقلت من عمارة كذلك إلى المؤرخين اللاحقين المبالغة في عظمة وصورة الصليحيين الإسماعيليين، ولا سيما الملكة السيدة الحرة أروى: ٣٣١.

ومن المصادر الرئيسة والموثوق بها للغاية بصدد المجتمع القروسطي اليمني مؤلفات سير الحياة التي عددها كثيرون في الآداب القروسطية العربية - والمجموعات المشهورة لسير حياة مشاهير رجال عهد الإسلام المبكر - "الطبقات" لابن سعد، و"أسد الغابة" لابن الأثير، و"الإصابة" لابن حجر - تتضمن الكثير من سير حياة اليمنيين، حيث يطالع بواقع دائماً في الدور السياسي للأبطال ومآثرهم، ولكنها تحتوي على التفاصيل وحقائق هينة تخص المعيشة والحياة الاجتماعية والاقتصادية. ومعاجم سير الحياة اليمنية المحضة - "مرآة الجنان" لليافعي، و"قلائد النحر" لبامخرمة، ومعاجم الفقهاء الزيديين - هي الأخرى تتضمن معلومات هامة غير قليلة، ولكنها ليست غنية جداً في قسم التاريخ الإسلامي المبكر، ومن النادر فقط أنها تحتمل ما جرى لقبائله من مشاهير الأسلاف رغم أنهم عاشوا بعيداً عن اليمن.

إن مواصفات حياة الأئمة الزيديين والشعار اليمنيين الذين عاشوا في الوطن، من أمثال علقمة بن ذي جدن (القرن السابع) [1]، أو الذين هجروها، من أمثال وضاح اليمن (القرن السابع) والمؤلفات العربية في الجغرافيا لابن روسته والمقدسي وابن

[1] راجع ٣٣٩.

النقوش، والمؤلفات اليمنية بصدد الحركات الدينية على غرار الأشعور [illegible] المسجلة، والمعاجم اللغوية اليمنية وغيرها عبارة عن أصناف أخرى للمصادر العربية مع المواد التي تطمس في أساس الكتاب الراهن.

وطريقة التحليل التاريخي ((الإطلاقة)) تساعد على تشكيل منالة المعلومات، وبعض ظواهر وجوانب حياة المجتمع اليمني القروسطي المبكر، وهي الأساسية من حيث جوهرها والأكثر ترويها بمعطيات المصادر يجري تتبعها على مدة في تطورها على مدى خمسة قرون، وفي هذا المجال يعوض بقدر ما عن اللامساواة في توزع [illegible] المصادر، وهذا ذلك فإن مثل هذا التحليل للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية يساعد على تتبع وجود (أو انعدام) العلاقة بين عهدين في تاريخ اليمن ينفصلان بعضهما عن بعض بشكل حاد، ألا وهما العهدان الجاهلي والإسلامي

الباب الثاني

التاريخ السياسي

إن التاريخ السياسي لجنوب الجزيرة العربية في منتصف القرون الأولى من مسيرة يتصف بنهوض الاتحاد القبلي الحميريين ونضال أعيانه في سبيل السلطة ضد السلالة الملكية السابقة في مأرب، وفي مجرى الحروب الداخلية الطويلة الأمد، حيث اشتركت قوى سياسية عديدة في اليمن، انتصر فيها الحميريون.

وخلال تلك القرون نشأت بعض الظواهر والنزعات السياسية الجديدة التي تنامت فيما بعد إلى الملامح المميزة للعهد القروسطي اليمني، الأولى منها هي النزعة المطردة لتوحيد البلاد سياسياً، وثانيها هو ظهور ((الأعيان المنحطين))، الأقيال، الذين كانوا يسعون إلى استقلال حكم بعض المناطق، وثالثها هو اشتداد الاتصالات، وبالمقام الأول الاتصالات العسكرية في الجزيرة العربية الداخلية.

وخلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين قام على طول الحدود الشمالية لجنوب الجزيرة العربية [illegible] منذ زمن غير بعيد بفضل النقوش واللقى الأثرية عند من الممالك البدوية، أكبر هذه الممالك وربما الواقعة في أقصى الشمال هي المملكة الكندية ((القديمة)) بمركزها في مدينة قرية (ذات كهل)، التي اكتشفها علماء الآثار السعوديون منذ زمن غير بعيد في وادي دواسر على الطريق المؤدي من نجران إلى اليمامة [٣٦١, ١٢٧؛ ٢٢٨، ٢٥٩، ٤٠٧] وفي أواسط القرن الثاني حكم فيها (ملك كندة ((كندة)) وقحطان) ربيعة ذو آل ثور، وفي الوقت نفسه نهبت المدينة على يد عساكر ملك سبأ الهمداني -شمر أوتر (Ja 647, Ja 634, Ja 635) ومن ثم حكم معاوية ابن ربيعة (ملك قحطان ومذحج) الذي تم العثور على قبره المنهوب في (القرية)

لقد ساعد (ملك كندة ومذحج) مالك بن بدا ((Ja 2110)) في أواسط القرن الثالث ملكاً آخر من ملوك الجزيرة العربية هو امرؤ القيس بن عوف في غزو مأرب،

إلا أن القبيلة لم تخرج، واضطر الملك الكندي إلى أن يخضع للسلطة اليمنية بعد أن
اسم الريدانيين، وذكر اسم حجر مع بوصفه ملكاً سياسياً مستقلاً في أواسط القرن
الثالث في نقش ريما ٧٧ ، ٢٩٣)، ص ٥١ - ٥٤، المنقور على ضريح الملك اللخمي
امرئ القيس بن عمرو المتوفى عام ٣٢٨ (أي النقش ينعت (الملك جميع العرب)).

وكانت بجوار الكنديين والمذحجيين (الربما إلى الشمال الغربي) تقع مملكة
الأزد ((Ja 635))[1] على هذا النحو بالذات، ليس بشكل ((أسد)) تبقى قراءة اسم
هذه القبيلة الذي يشابه اسم قبيلة ((الأزد)) القائمة في ما بعد[2] بصدد تحول ((السين))
إلى ((الزين))[3].

في منطقة الأسديين، أي الأزديين ((أزد عمان وأزد السراة)) وردت في ضريح امرئ
القيس بن عمرو وفي أواسط القرن الثالث أصبح ملكاً للأسد الحارث بن كعب ((Ja
2110)) ومن ثم في أواخر القرن الثالث، أخوه مالك بن كعب ((Sh 31))، وبالقرب
منها كانت تقع مملكة الغسانيين الذين كانوا يدرجون وفقاً لسلاسل النسب العربية في
عداد الأزد.

وفيما بعد نحو الشرق كانت تقع مملكة نزار ومعد، وورد اسما شعب نزار ومملكة في
النقش اليمني العائد إلى أواسط القرن الثالث[4]، واسم معد في النقوش اليمنية العائدة إلى
القرنين الخامس والسادس، واسما نزار ومعد سوية في ضريح امرئ القيس في القرن الرابع،
والشعبان اللذان معروفان جداً في الأساطير العربية، وكانت اليمامة[5] على الأرجح
مكان إقامتهما.

وحكم امرؤ القيس الآخر (امرؤ القيس بن عوف)[6] في حلقات الواقعة بالأقتراض
بالقرب من الحيرة فيما بين القرنين (٤٤٢)، ص ١٨، لكن قارن مع الحالة الواقعة فيما بين

[1] Ja 635، ٤٤٣، ص ٥٥.
[2] [illegible]
[3] ريكمانز ٧٧، ٢٩٣، ص ٥١.
[4] ريكمانز ٩٩.
[5] Ja 526 = RY 535.

اليمن والحجاز[1]، وكانت تقع جنوبي العراق (أرض تنوخ) ((Sh 31، ٢٨٣، ١٦٦،
والشأن الذي يرد فيه اسم جذيمة بوصفه ملك تنوخ يخرج ما القرن الثالث الميلادي (٣٦٠،
المجلد ٢، ص ٣٥١).

إن قوافل البدو الداخلية في قوام هذه الممالك الممتدة على طول طريق القافلات
البري من اليمن إلى العراق كانت تهاجم القافلات اليمنية والأراضي اليمنية، وكان
ملوك جنوبي الجزيرة العربية يقومون بحملات ضدهم ويأسرون الرهائن، وكانوا
أحياناً يقومون بمفاوضات[2]، ونزح قسم من أهل البدو إلى اليمن وتحضر بعضهم
وخدم بعضهم الآخر جنوداً مأجورين في الفصائل الخاصة[3].

في مطلع العصر الميلادي أخذت الدويلات القديمة تفقد (...)، ومنها: قتبان في
أواخر القرن الأول، وحضرموت وسبأ في أواخر القرن الثالث، وفي أواخر القرن الرابع
وبداية القرن الخامس نشأت للمرة الأولى دولة يمنية عامة موحدة ضمت كل أراضي
جنوب الجزيرة العربية، الأمر الذي انعكس في اللقب الطويل للملوك الحميريين: الملك
سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات وبدوها في طود - وتهامة)، ويمكن تشبيه هذا
العهد اصطلاحياً بعهد الملك أبيكرب أسعد بن ملك كرب الذي حكم في الفترة ما بين
أواخر القرن الرابع وأواسط القرن الخامس.

إن زمن حكم أسعد ابن ملك كرب المسمى بالكامل في أساطير العصر الوسيط ليرمز
إلى التطور السياسي للعهد القديم في تاريخ اليمن وهو في نفس الوقت بداية العهد الجديد،
وفي بداية القرن الخامس بالذات أصبحت محسوسة جداً النزعات التي دار الحديث عنها
أعلاه، ونشأت دولة واسعة الأطراف ولكن في ذلك الزمان اشتد للغاية بأس الأقيال،
وكانت المشاكل المشهورة التي مزقت الدولة الحميرية إرباً إرباً في مطلع القرن السادس
تعود ترقي أسلافهم إلى عهد أسعد، فكان أسعد أول من قام بحملة إلى أعماق الجزيرة
العربية تاركاً عن ذلك النقش ((Ry 509)) القريباً على خط عرض موقع المدينة في وادي

[1] ١٩٧٠، المجلد ٢، ص ٤٤٨، ١٣٥، ص ٤٢٨، ٣٢٢-٣، ص ٢٢٢، ٢٣٣.
[2] Ja 2110، Sh 37 ريكمانز ٧٧، ٤٢٢، ص ٥٠٨ - ٥١٢، ٢٨٣، ص ٤٦١، ١٥٦، ص ٥٤، ٦٠.
[3] راجع مثلاً Ja 666، Ja 576

موحيل، وانضم أسعد بنو الحدود الشمالية لمملكته وضمهم إلى قبيلة، وتأسست في زمن الدولة التهامية ((المدينة)) واستبح هجر زعيمها، وكان مرتبطاً بالسلالة الملكية الحميرية بالأواصر السياسية والنسابية

وكان زمن أسعد بالنسبة لأساطير الجزيرة العربية والتقاليد اليمنية المحلية عهداً خاصاً ومعلماً هاماً في تاريخ جنوب الجزيرة العربية وحداً فاصلاً في ذلك العصر وانطلاقاً من الواقع التاريخي والتقليد التاريخي اليمني فإنني أعتبر مطلع القرن الخامس الميلادي زمن حكم أبي كرب أسعد، بمثابة بداية العهد القروسطي المبكر في التاريخ اليمني [1]

إن المعلومات الخاصة بالتاريخ السياسي العائد للنصف الثاني من القرن الخامس فيما بعد أسعد، غامضة للغاية وقلة نقوش من أيام ابنه شرحبيل يعفر الذي رمم مرتين (النامي ٤٦١ / ٤٣٩ و ٤٦٥ / ٤٤٠) سد مأرب وشيد عام ((٤٧٢ / ٤٧٥)) قصر خرج الزوان بتمائيل من الحجر والبرونز [2]، ومن اللافت أن الأسطورة تنوه به بمثابة يعفر ابن أخ أسعد [3]

كما تتضاعف فيما بعد في النقوش أسماء الحكام الذين لم يحدد بعد بشكل دقيق تتابعهم الزمني وصلاتهم النسابية [4] بصدد محاولات إعادة إنشاء السلالة السلالية الملكية [5]

- بغية إيضاح الأوضاع العامة من المفيد أن نورد معطيات الأساطير التاريخية الشعبية التي تتمتع بقسط محسوس من التاريخية بالنسبة للعهد موضوع الوصف.

[1] أيضاً أسعد، راجع: ٣١٠

[2] CJH 540 ... [illegible]

وكذلك دوستال ...، راجع ...، راجع أيضاً ... ص ٥٩ – ٦٢.

[3] ١٢٦، المسلسل ١، ص ٩٠.

[4] النقوش: RES 4919 + CH 537 ' CJH 644 RES 5085 CH6 RY 518 - CJH 496- Ja 74 - CIH 620 - RES 4969= Ja 876

[5] راجع: ... [illegible]

إن الأسطورة تعطف لتجاري الصراع الداخلي الجاري في نهاية زمن حكم أسعد، فحكامنا يزعم قتل الأعيان المتمردون الملك نفسه، وأقاموا ابنه عمرو (المعمدي طاحرية) بإسقاط أخيه الأكبر حسان، واستطاعوا شيئاً ذاك وعينوا فيما بعد بمثابة وصي العرش لدى الوارث الصغير السن أحد الأقيال وهو عبد كلال الذي خلفه حكام آخرون من غير السلالة الملكية [1]

وحسب ما يذكر في الأسطورة فإن فرع الأفراد الحاكمين من الأسرة الملكية يبدو حكماً يلي: عبد كلال ((الصيغة الأخرى: كليل بن ينوف)) [2]، ثم حسان بن عبد كلال [3]، ثم ربيعة بن مرثد [4]، ثم لحيعة ينوف [5]

وأحياناً ما تشبه الأسطورة لحيعة ينوف بذي شناتر، الملك الذي أسقطه ذو نواس، غير أن ذا شناتر يشبه أكثر ما يشبه معدي كرب يعفر الذي يتصل نسبه في بعض [6] الروايات ((أخذاً بعين الاعتبار الضلال على أنه ليس من الأسرة الملكية وكان مرتبطاً مع الأحباش والنصارى)) إلى فرع آل عبد كلال

في ذلك الحين انتشرت الصلات مع الحبشة ولا سيما أيام مرثد إيلان [7]، وكانت تتصف أسرة عبد كلال بالمشايعة للنصرانية [8]

من الأرجح أن نشاط سياسة اليمن في الجزيرة العربية أخذ يضعف في النصف الثاني من القرن الخامس، والأسطورة تقول إن سبب تمردات الأعيان يعود إلى عدم رغباتهم في القيام بالحملات البعيدة، فإن عمرو بن أسعد نعت بـ ((الموثبان)) الجالس على

[1] ... [illegible]

[2] ١٢٥، المسلسل ١، ص ٨٨١، ... [illegible]

[3] ١٢٥، المسلسل ١، ص ٣ – ١١، ثم مرصد ... [illegible]

[4] ٥٩، ص ٣١، ١٨١، ص ٦٣

[5] ١٢٥، المسلسل ١، ص ٩١٧ – ٩٢٠.

[6] قارن مع: ٨٨١، ص ٢٩، ٣١ – ٣٢.

[7] ينوف ١٦٥، ص ٣٦

[8] ١٢٥، المسلسل ١، ص ٨٨١ – ٤٣٠.

المنجو)) بسبب أنه لم يقم بالحملات، أما عند كلال فتختلف يقال إنه لم يقم بأي حملات [1].

تكمن في ذلك الزمان والذات تعززت في الجزيرة العربية المملكة الكندية ((الحجرية)) التابعة للحميريين والتي أخضعت شعوب نجد والعراق والشام، وفي مطلع القرن السادس طرد الحارث بن عمرو مؤقتاً مملكة اللخميين، وكان الكنديون مرتبطين أشد الارتباط بالحكام اليمنيين، وتدل على ذلك أساطير ((أيام العرب)) ومن خلالها نرى أن الكنديين كانوا يعتبرون بالنسبة لأهالي الجزيرة العربية مرتبطين ارتباطاً قوياً مع اليمن ومعتمدين على التأييد من طرفها [2] (يسند التاريخ السياسي للكنديين) [3].

سرعان ما ضعفت المملكة الكندية، وتبع ذلك موجة جديدة من حملات الملوك الحميرية اليمنية إلى الجزيرة العربية الداخلية - عام ٦٢١ / ٥١٦ - بعد نحو قرن تقريباً بعد أبي كرب أسعد، وصل الملك معدي كرب يعفر إلى وادي مأسل الجماح عن البدو ((الكنديين)) دون هجوم الملك اللخمي المنذر الثالث من العراق، وكان تقدم الحميريين إلى هذه المناطق استمراراً لنضالهم ضد الكنديين الذين طردوهم من العراق، ووقع المنذر معاهدة صلح مع (مع الأثارة) [4].

وكان نضال اللخميين ضد الكنديين والحميريين في الجزيرة العربية الداخلية أهمية ((كلية)) عنها بوصفه تجلياً للمنافسة فيما بين بلاد فارس (الكيان الحميري موال لها) ويرتبطه بقية الرقابة على اليمن التي كانت تشكل قطاعاً هاماً في

[1] [illegible] المفصل [illegible]؛ قارن مع [illegible].

[2] راجع مثلاً: [illegible] المفصل [illegible].

[3] راجع: [illegible].

[4] والتي وصف هذه الأحداث في النقش Ry 510 الواقع بجوار النقش Ry 509 العائد لأسعد (راجع: [illegible]).

الطريق التجاري المؤدي إلى الهند، وكان مجال هذه الأعمال في مسار البلاد الساحلية ومواقع على نحو جيد [1] وقد غدا توسيع صلات وروابط اليمن الدولية التجارية في هذا العهد سمة هامة أخرى من سمات العهد الحميري في تاريخ اليمن.

ويتعلق بهذا النضال اللخمي للحميريين ضد نفوذ مختلف جوانبه من الأحباش في اليمن، وقد غدت نجران - أحد مراكز هذا النفوذ - وهي مدينة تجارية مهمة في شمالي اليمن حيث يقطنت ((قاطع الطرق التجارية الواصلة من الحجاز ((من الشمال)) ومن اليمامة ((من الشرق)) واستطاع الأثرياء التجاريين النجرانيون أن يجعلوا الملوك الحميريين تابعين لهم، ولا سيما معدي كرب يعفر [2].

وكان حكم يوسف / أسعد بمثابة رد فعل على ذلك وقد تبوأ العرش في اليمن عام ٥١٧ بعد أن أسقط بالاحتيال معدي كرب جوزاً [3] وقد أعلن بصورة ظاهرية اعتناق الدين اليهودي، مما كان يعني قطع العلاقات السياسية مع الحبشة، والأحداث المتعلقة بما يسمى ((الحروب الحميرية - الحبشية)) التي تبعت ذلك قد جرى دراستها ووصفها عدة مرات [4].

ووفقاً للأسطورة كان يوسف من أسرة أبي كرب أسعد المؤتمنة، وأعاد السلالة الملكية الشرعية، ومن المحتمل جداً أن شيئاً ما من مثل ذلك قام بإعلانه يوسف خاصة بما أن تقاليد اليهود اليمنيين في القرنين السادس والسابع اعتبر أسعد حامي الديانة اليهودية بالذات.

في نفس عام ٥١٧ أرسل الملك الحبشي إلى حمير قصاصة العسكرية التي تعززت في عدة مراكز، وهب الملك يوسف ضدها وضد حلفائها المحليين وأبيده في ذلك الأقيال من

[1] راجع: [illegible].

[2] راجع: [illegible].

[3] قارن مع: [illegible].

[4] راجع: [illegible].

... الذي كان هو نفسه ربما ينتمي اليها [1] وبعض النقوش ...
القائد العسكري ... القيل اليزني شرحبيل يكمل ((Ry 507)) والزيان ((Ry 508)) ...
... يصف العمليات الحربية التي أعادت سلطة يوسف في ظفار ومخا ...
((Ja 1028)) وغيرها [2].

يبدو بما يكفي أن نجران التي كانت مرتبطة مع الأحباش منذ زمن بعيد ... وكانت الدولة ... الارتباط بالجزيرة العربية الداخلية، وكان يقطن حولها ... [3]، ... أفراد قبيلة الحارث بن كعب، وفيها ... كان يوجد أحد مقدسات الجزيرة العربية المشهور "كعبة نجران"، وكانت اللغة العربية منتشرة في نجران ٢٣١، ص ٢٥٠ – ٢٥١، لكن قارن مع: ١٦٧، ص١٨٣، ١٨٦) في عداد النصرانيين، سواء كان من سواد الناس أم الأعيان، نصادف أسماء عربية طويلة ٢٠٩١، ص٧٥ – ٧٦، ٢٦٧، ص ٢٤١ – ٢٤٢) ولذلك فإن العمليات الحربية الجارية ضد نجران كانت تشكل بالاستيلاء على وهدتي ... والحجاز على طريق الحجاز لكي لا تتاح للبدو فرصة تقديم العون للنجرانيين [3].

لقد خضعت نجران ليوسف الذي ترأس شخصياً أعمال إعدام النصارى الموحدين النصرانيين الذين ... العقيدة ... وقد أثار هذا الحدث رد فعل عاصف للغاية في العالم النصراني والذي أسهم بشدة فيما بعد في سقوط يوسف [4].

وتراجع الأقيال اليزنيين الجبابرة عن يوسف في ذلك الحين، وترأس أحدهم، وهو سميفع أشوع العصيان على الساحل الجنوبي، في قلعة ماوية ((CJH 621)) وحسبما جاء في الأسطورة ... بن ثعلبان، وهو من أقيال إحدى القبائل المشهورة الرئيسة

[1] ... ص٣٢٣، ٣٦٦ : ٣٧٥، ص١٩٠.
[2] راجع: ... ص١٨، ١٨٨ – ١٨٩.
[3] قارن مع ٢٦٩ ص٢.
[4] لمعرفة النصوص النصرانية المتعلقة راجع: ٢٠٨، ٤٧١، ٢٣٣؛ ولمعرفة تاريخ الأحداث راجع: ٣٢، ص١٦ والملاحظة ٩؛ ولمعرفة إحدى ملاحظات النصارى المحتملة أيضا ولمعرفة أحد الاقتحامات الحبشية أيضا راجع: ٤٧٩، ٥٠٨.

القضائي في اليمن (١٩٦١)، السلسلة ١، ص ٣٢١ – ٣٢٧، قارن مع: ٢٨٩، ص٤٥، ولم يتمكن يوسف من نيل التأييد من الحميريين ... من جراء المشاكل التنظيمية العادية لليمن التي قام بها النصارى الموحدون ... الطبيعة الواحدة في الحيرة، عاصمة ... [illegible].

لقد انزل الجيش الحبشي في اليمن عام ٥٢٥، وهزم يوسف بالهزيمة وقتلوه حيث لم يؤيده إلا قسم من الجيوش الحميرية والأرحبية ((الهمدانية))، ونصب المنتصرون بدلا منه أحد العملاء وهو سميفع أشوع فاعتبره بالجنود والمستشارين الحبشيين، ويسمي سميفع نفسه في النقوش بلقب حميري كامل، ولكنه اعترف بصورة رسمية ((RES 3904)) وقد قيد وجود الأعيان الجبابرة أيضا سلطته، وظهر في النقوش للمرة الأولى ... بشكل خاص لقب ملك حمير، ويجوز التحديث هنا للمرة الأولى عن بعض فصائل حرس الأقيال.

والنشاط في أيام سميفع النشاط السياسي ... في الجزيرة العربية ولكنه أصبح في ذلك الزمن مرتبطا بمصالح بيزنطة، وتلبية لطلب بيزنطة أعاد الملك الحميري قيس ابن سلامة، وهو ابن عم الشاعر امرئ القيس، إلى منصب الحاكم الكندي في اليمن، وكان يفترض أن الغزو الكبير ضد الحميريين سيحدث ولكنه لم يحدث [1] وفي ذلك الوقت استمرت المملكة الكندية في الانهيار، وفي الثلاثينات من القرن السادس حاول الزعيم والشاعر المشهور الكندي امرؤ القيس أن يبعث ولو جزءا منها بمساعدة القيل اليمني مرثد الخير ذي جدن ... مرثد إيلان أحسن، أخو سميفع وشريكه في الحكم [2] راجع: ٢٨٤، ص٥٦، الملاحظة الواردة في ١٥٥، ٣٦٣،

[1] راجع: ... ص١١٤ – ١٧٣، ٤٨١ ص٤٤٨، ٣٠٨١ ص٣٠٩ – ٣١٤، ٩٨٤، الصحيفة ... ٤٩ – ٦١، ص١٦٩ – ١٧٤، ٢٣٥، ٢٦٨ ص٨٤ – ٦١ ولمعرفة ... راجع: ٤٧١، ص١١٤ – ١٢٠، ١٤٨؛ المجلد ١، ص٤١٢، ١٩٧؛ المجلد ٢ ص١٤٣، ص١٢، ص٢٥٢، ٣٦٢، ص٢١٠؛ ... نفس: ٦١؛ المجلد ٣ ص٢٧٩، ٣٦٢، ص٢٣٢، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣.

ص١٤٩) إلا أنه مني بالفشل، وفي أواسط القرن السادس غزا الحبشيون الجزيرة العربية الداخلية ولا سيما إلى حضرموت حيث كان يقطن جزء من أبناء قبائلهم وحوالي العامين ٥٣١ – ٥٣٥ استطاع سميفع على يد الأقيال والمستضعفين الأحباش وأصبح الوالي الحبشي أبرهة ملكاً، وهو أيضاً كان يحمل اللقب الكامل لملوك الحميريين، رغم أنه كان يعترف رسمياً بحق سيادة ... وفي عامي ٥٤١ – ٥٤٣ استطاع أبرهة ... من جانب حوالي جميع مناطق ... المشهورة بطريقة مزيد بن كبشة زعيم المتمردين المنتشر في اليمن، وتمكن أبرهة من الانتصار على المتمردين وتسطيحهم، ومن ثم أعاد إنشاء سد مأرب الذي تهدم من جراء الفيضان ووضع عليه ذلك النقش المشهور CIH, 541 (ترجمة النقش راجع: ٨٢، وبصدد الانتفاضة راجع: ٥١، ص٩١ – ٩٧، ٢٨٤، ص٦٦، وللأعطية الموازية في ٣٢، ويزيد بن معاوية، والمعنى بالأحرى ابن أخيه يزيد بن المرق القيسي، راجع: ١٤٨، المجلد ٦، ص ٢٢٨، المجلد ٢، ص ٣٦٧).

واصل أبرهة فيما بعد التقليد الحميري لخوض الغزوات على الجزيرة العربية وأدى القتال ... إلى الإضعاف الشديد للنفوذ الحميري فيها، و... أبرهة أن ... ، وكتب بروكوبيوس القيصري بشأن أن أبرهة أبرهام ... مرة من المرات أن يقوم بالغزو المقترح من طرف البيزنطيين ضد الأراضي الفارسية ولكنه سرعان ما تراجع (راجع ٩٧، ص٢٣٨).

ولكن الغزوات بقيت في واقع الأمر كثيرة، وكانت الملابسات الملموسة معقدة للغاية، ومرة في النقش Ry 506 أنه في عام ٦٦٢ / ٥٤٧ خاض أبرهة معركة أخرى ضد المعديين، موالي المقاتلين سابقاً، وأما الآن فضد اللخميين، ودارت المعركة في حليان، على الطريق المؤدي إلى يمامة، وتم إخضاع المعديين، على حد ما يزعم، وأما عمرو بن المنذر الثالث فقد حكم عليه عقد معاهدة الهدنة مع الحميريين، ولم يكن ذلك هجوماً على اللخميين، بل محاولة لإيقاف تحركهم إلى الجنوب، إذ تقع حليان على مسافة مائة كيلومتر تقريباً إلى جنوبي تلك الأماكن حيث دارت المعارك ضد اللخميين في السابق.

وفي نفس الوقت خاضت قبائل الجزيرة العربية العظمة الأزدية المرتبطة على الطريق الشمالي، طريق الحجاز عند بئر تربان وسحقت قبائل ... وقبائل المتمردين ... التابعة لبشر بن حصن، سحقت قبيلة عامر (أي عامر بن صعصعة) (بصدد النقش Ry 506 راجع: ٩٥، ص ٣٣٩ – ٣٤٢، ٢٨٨، ص ٢٦١ – ٣٢٠، ٤١٨، ص ٤٣٥ – ٤٣٧، ٢٧١، ٣٣٦، المجلد ٦، ص٤٩٦ – ٤٩٨، ٢٤٦، ص ٧٢ – ٨١، ٤٣٨، ٤٠٣، ص ١٠٦، ١٠٤، ٢٩٨، ص ٥٠).

إن تحليل الأخبار والمواد الخاصة بالشعر الجاهلي والتاريخ العام لغزوات الحميريين في الجزيرة العربية يتيحان التوصل إلى الاستنتاج بأن أبرهة قام فعلاً خلال الستينيات - السبعينيات من القرن السادس بغزوة إلى طريقي الشمال ومكة ... يحتمل الطريق التجاري الحجازي موصلاً لأجل التجارة، ويحد من منافسة المراكز التجارية الحجازية، ومن المحتمل أنه قام بمحاولة لإقامة مشيخة بدوية موالية جديدة على غرار المشيخة الكندية، دولة كندة أو غزاتها[1].

بعد وفاة أبرهة بدأ انحلال ... وأخذ سيف بن ذي يزن ... بمساعدة من طرف الغرباء ضد الحكم الحبشي وتوجه إلى الشاه الفارسي، وحوالي عامي ٥٧٦ – ٥٧٧ تم إنزال الجيوش الفارسية إلى اليمن، وأعلن سيف بن ذي يزن ملكاً إلا أن ابن أبرهة استولى على العرش، وتمكن الفرس ... مرة أخرى حوالي عام ٥٩٩، وصار ذلك الدولة الفارسية وهرز يحكم اليمن باسم شاه إيران، وغدت جنوب الجزيرة العربية جزءاً من الامبراطورية الساسانية (راجع: ٢٨٥، ص٨٢ – ٩١، ٣١٨، ص ٣٣١ – ٣٣٣، ١٣٩، ص١٠٨ – ١٠٩، ٣٦٦).

وتركزت سلطة الفرس في مدينتين هما صنعاء وعدن، واستوطنوا على طول الطرق التجارية الرئيسة، وفرضوا الرسوم الجمركية التجارية، ونظموا استخراج خام الفضة، غير أن نفوذهم لم يكن كبيراً في الجزء الأساسي من نجد وفي السهوب الواقعة في

---

[1] ورد في القرآن الكريم إلى محاولة غزو أبرهة الداخل إلى مكة في سورة الفيل (راجع ٢٩) ابن هشام سيرة الرسول ﷺ

وفي ذلك الزمن بالذات ربما انضم إلى ...

الشمال والشرق وفي النهاية، وفي عهد الفرس اتخذ طريق القوافل ...

اليمن التحتية ... الثانية ملوك مشهورين، وفي عهد الفرس انقطع طريق القوافل ...

إلا أن الاتصال بعده مع العاصمة كان مستعصياً وتعقد من جراء مواقف القبائل ...

المادي الساسانيون، وذلك قبل الحكم الفارسي لا يعبر عن الأوضاع السياسية ...

جنوب الجزيرة العربية فيما بين أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع، رغم ...

وقيا بصورة شكلها حتى انتقال الإسلام في البلاد.

ويجري الحد من انتشار سلطة الفرس كذلك من جراء تحرك القبائل ...

الشمال والتي قطنت اليمن وعند حدودها الشمالية خلال عدة قرون، وفي بداية ...

السابع تجمع في الذنب (الجوف) زعماء مذحج وخولان والنجرانيون، وعقدوا ...

ضد الفرس، ويعقد الفرس زر[1] على ذلك معاهدة خاصة للتحالف مع الهمدانيين ...

منافسي للمذحجيين.

وأضف ذلك عندما إضافها على النزاع القديم بين الهمدانيين والمذحجيين ...

عليهم من الشمال، ويعد عدد من المعارك[2] (ص ١٩٠، ١٢٤٥) حدث أحد ...

((الأيام)) اليمنية - وقعة الرزم في الجوف، وجرى ذلك في العشرينات من القرن السابع ...

لا تزال موجودة صيغتان لأسطورة هذه المعركة: إحداهما - همدانية ...

الانتهاء على تحالف قبيلتا همدان ضد قبيلة الحارث بن كعب المذحجية (راجع: ١٢٠، ص ...

٤٠٦، ١٣٣، ص ٨٩، ١٩١ - ١٩٢، ٢٢٦، ١٢٥، ص ٢٣٩) وآخراهما - مرادية ...

دور قبيلة مراد المذحجية وأحد رؤسائها - فروة بن مسيك (راجع: ١٩٤، المجلد ١، ...

الجزء ٢، ص ٦٢ - ٦٤، ١٢٥، المتسلسل ١، ص ١٧٣٥ - ١٧٣٦، ١٩٩٤، ٤٨، المجلد ...

٤، ص ١٨٠ - ١٨١، المجلد ٢، ص ٢٢٥ - ٢٢٦، المجلد ٥، ص ٢٠٩).

وإلى الصيغة الثانية تعزى كذلك أسطورة المنافسة القائمة بين قبيلتي مراد ...

والحارث بن كعب أي داخل قبيلة مذحج (١٩٨، المجلد ١، ص ١٠٣٢ - ١٠٣٣، ...

المجلد ٦، ص ٢٢٦) وكل هذا يعكس سعي المرائين الذين ظهروا في اليمن منذ مدة ...

قريبة نسبياً الورد ذكرهم للمرة الأولى في بداية القرن السادس: ((Ry 507 ، Ry ...

506)) إلى أن تراسوا توحيد قبيلة مذحج، وأصبح الكنديون الآن منافسي قبيلة مذحج

في الشرق، وتحركوا نحو حضرموت حيث اصطدموا مع الأعيان المحليين ...

مواطنيهم الذين وصلوا إلى هنا من قبل.

لذا، أصبح المذحجيون والكنديون الذين كانوا يقطنون اليمن منذ زمن بعيد قبل ...

القرن السابع، النازحين من جنوب الجزيرة العربية دون الوجهة الجديدة للهجوم من ...

الجزيرة العربية الداخلية، وبعد الغزوات الفاشلة لأبرهة وربما لأخلافه انصرف ...

في الصراع بين الحميريين وقبائل الجزيرة العربية الداخلية إلى جانب قبائل الجزيرة ...

العربية، وانعكست نقطة الانعطاف في مجموعة من الأساطير المتعلقة بيوم خزاز ...

(راجع: ٢٩٦، ص ٤٧ - ٤٨، النسخ الأساسية، راجع: ١٥، ص ١٠٩ - ١١١، ١٨٤، ...

المجلد ١، ص ٢١٠، ١٦، المجلد ٣، ص ٣٦٤، التعبير اليمني للأحداث، راجع: ١١٨، ...

ص ٢٢١ - ٢٢٢، ١٩٥، ص ٢٢١، ٢٢٢).

وفي الهجوم اللاحق على اليمن كان ضد الجلهان وقولان ... فمن طريق ...

النجار كانت قبيلة عامر بن صعصعة القوم بغزواتها، وقد حاولت قبائل أبرهة ...

إيقافها عند بئر ترمان (مسند المعارك ضدها راجع: ١١٨، المجلد ٢، ص ١٦٣ - ١٩٤، ...

طريف الربيع، راجع: ٢١٥، ص ٤٦٩ - ٤٧٢، أشعار عامر بن الطفيل من قبيلة عامر، ...

راجع: ١٥٨، الأعداد ٢ و ٣ و ٣٧، ١٨٤، المجلد ٢، ٣٨٧، أشعار عمرو بن معدي كرب ...

من قبيلة مذحج راجع: ٧٧، المجلد ٣، ص ١٤٩ - ١٥٠، ١٠٩، ص ٢٢٥ - ٢٤٣).

معها تحركات التميميون تقريباً من منطقة طريق يمامة الوادي إلى اليمن[1] وانتقلت ...

مواقع المعارك تدريجياً من الجزيرة العربية الداخلية إلى الأراضي اليمنية إلى نجران ...

ومآب وصعدة وأرحب[2].

على هذا النحو ففي عشية نشر الإسلام كانت الأوضاع السياسية في اليمن ...

الحميرية تتصف بالتشتت السياسي وتسلُّط الغرباء على جزء من البلاد والصراع بين ...

الأعيان وبين القبائل والزحف التدريجي للبدو اليمنيين نحو الجنوب، وتحرك الوجهة ...

---

[1] راجع: ١٨٤، ص ٣٣٩ - ٣٥١، ٢٠٤، ص ١٣٧، ١١٧، ص ٣٤١ (المعارك الأخرى راجع: ١١٧، ص ٢٥٣ - ٢٥٨).

[2] قارن: ٢١٤، ص ١٠٠ - ١٠٣، ١٣٣، ص ١٣١ و ٢٢٦ - ٢٣٣، ١١٥، المجلد ١، ص ١٣٣.

الجديدة الوافدة الجزيرة العربية الداخلية نحو الحدود اليمنية، وكان لنشر الإسلام أثر في تحقيق هذا الترابط، ومجابهة قوى التسلط الداخلي والخارجي التي كانت عاملاً من الناحية السياسية ومواكباً لظهور هذه الحركة للقوى الجديدة.

لقد كان هناك من الصحابة الذين اعتنقوا الإسلام على معرفة جيدة بالفرس ووزرها وكثير من الحكومات مع ((الكافة الشفوية)) واستوطن بعض اليمنيين في مكة والمدينة. واعتمد النبي محمد ﷺ على أن يجد في الفترة الأولى من نشاطه بالمبدأ والفعل في الجنوب الأسيما في اليمن، وذلك من المحتمل جداً أنه كانت له روابط مع اليمنيين الواصلين إلى مكة وأن بعض اليمنيين اعتنقوا الإسلام، علماً أن النبي محمد ﷺ نفسه بعث إلى اليمن الدعاة إلى الإسلام.

وفي عام ١٠ هـ / ٦٣٢م أنشأ الأولى جيوش خالد بن الوليد من نجران ثم فتحها على أساس شروط معاهدة لكتم النصارى[1].

وأعلن الوالي الفارسي خاضعاً للسلطات الإسلامية بعد اعتناقه الإسلام، ووصل من الحجاز إلى اليمن العمال الذين كانوا يقطعون جباية الزكاة ويشيدون المساجد ويلقنون الإسلام ويعلمون القرآن وأصول الصلاة، وبدأت فيما بعد المصادمات، وكانت الصدام الأولى مع المذحجين، أعداء الفرس اليمنيين، وتتم بزعامة المذحجين الكاهن الشهير قبل الإسلام، عبهلة ((الأسود الأعرج، عيهلة)) بن عوف الأسود ذو الخمار[2].

وتاريخ حركة عبهلة معروف لنا من مصادرين؛ إحداهما تعتبر قيس بن المكشوح من قبيلة مراد البطل الرئيسي في النضال ضد ((النبي الكذاب)) ٢٨١ ، ص ١١٦ – ١١٩ وأخراهما تعزى إلى قصص أبناء الفرس المشتركين في الأحداث والذين يطرحون خدماتهم الشخصية إلى مكان الصدارة ١٣٥١ ، التسلسل ١ ، ص ١٧٦٣ و ١٧٩٨ و

---

[1] ص ٨٥ – ٨٠ ، ١٢٠ ، المجلد ١ ، الجزء ٢ ، ص ٤٧ ، ٣١ – ١٣٢ ؛ ص ٦٠٠ ، ٦١١ ، ١٩٣ ؛ ص ١٢٩ – ١٣٠ ، ١١٨ ؛ ص ٩٢ – ٩١ ، ص ٣٢ – ٣١ ، ١٤١ ، ٢١٨ ، ٢٩٨ لترجمة صيغ النصوص الموجزة راجع ٨٧ ، ص ٦١ – ٦٠ ، ٣٠٨ ، ص ٢٦٩ – هناك خطأ مطبعي من حقبة المقتبس ، يجب أن تكون ٦٠١ بدلاً من ٢٠١١ .

[2] بصدد حركة الأسود عبهلة راجع ٣٤٢ المجلد ١١ الجزء ٢ المجلد ٦ الجزء ١ ، ٢٨٧ ؛ المجلد ٢ الجزء ١ ، ص ٢٧٢ – ٢٦٨ ، ١١٩ ، ١٥٨ ، ص ٢٦٩ – ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ص ٩٩ – ٩٥ ، ٤١١ ، ٢٦٧ ، ٣٤٨ ، ٣٢٧

١٨٩١ ، ١٤٥٩ و ١٨٨٠ – ٢٠١٩ و ٢٠٢٥ – ١٣٠٢٥ ؛ وتتبع الفكرة بين هاتين المسافتين إنشاء الأحداث.

في عام ١٠ هـ / ٦٣٢م استولى عبهلة بمساعدة من الخيالة من عداد قبيلة مذحج على نجران، وذلك بدعم من التحزبين الذين عداء قبيلة الحارث بن كعب، وبنوا التقدم فيما بعد إلى صنعاء واحتلوها بعدئذ وقتل أبناء الفرس شهر بن باذان، رئيس أبناء الفرس، ووصلت فصائل الخيالة على المناطق الجنوبية من أبين وتخوم الجزيرة المتاخمة إلى حضرموت.

سكن عبهلة في صنعاء في قصر غمدان الحميري، وتزوج من أرملة شهر واعتمد في إدارة شؤونه على أبرز المراسيم الكاهنية، وأورد على الملأ في احتفالات ثورية كثيرة، وقام أبناء صنعاء ثورة بمساعدة المبعوث المسلم وبر من يحنس الذين التجأوا إليها أحد الرؤساء المذحجين، قيس من المكشوح ((المدبرتان الأخريان)) من عند بدوية وابن عمرو. وقتل فيروز، رئيس الأبناء عبهلة، ونشأت الحكومة الثلاثية الثلاثة من فارسيين وقيس الذي سرعان ما تشاجر مع الأبناء وتمرد عليهم وحاول طردهم من جنوب الجزيرة العربية، إلا أن الأقيال الحميريين لم يستجيبوا لدعوته للقيام بالأعمال المشتركة، أما فيروز فقد وجد الدعم لدى القبائل، لا سيما قريش عاد وعامر من مجموعة الواصلين من الجزيرة العربية الداخلية واللتان أرجعتا الأبناء الأسرى من المذحجيين، ونشأت في قبيلة مذحج الخلافات بين قيس وأرئيس الزبيديين عمرو بن معدي كرب، وفي نفس الوقت وصلت التعزيزات المرسلة من الحجاز وحضرموت وتهامة من قبل أبي بكر الذي أصبح خليفة بعد وفاة النبي محمد ﷺ، وتم سحق قيس، وجرى نقله مع عمرو إلى المدينة حيث عفا الخليفة عنهما وأرسلهما للمشاركة في الفتوحات.

لقد كانت حركة عبهلة التي انطلقت عشية اعتناق الإسلام استمراراً للمنافسة فيما بين المذحجيين وبين الهمدانيين والفرس.

وعلى خلاف ذلك فإن هناك ردة أخرى قامت في غضون السنوات الأولى بعد اعتناق الإسلام، هي ردة الكنديين في حضرموت التي كانت نتيجة بالمقام الأول عن نزاعات

ما قبل الإسلام، ولاسيما العداء القائم بين الكنديين النازحين وسكان حضرموت الأصليين.

ورفض الكنديون من كثيرة وكندة الأخرى أن يحملوا بأنفسهم الصدقة (الزكاة) عنهم إلى العامل زياد بن لبيد، وطالبوا من ثم بإعادة الناقة المأخوذة خطأ منهم، واعتبر ذلك تمرداً ضد السلطة الجديدة وقبض العامل على عدد من الكنديين و... يوم رحيلهم، وفي ذلك الوقت الذي توفي فيه محمد ﷺ ورفض الكنديون مبايعة الخليفة أبي بكر، وترأس الأشعث بن قيس –الزعيم الذي كان أصغرهم سناً– هذه الحركة والقتل مليحاً.

وقبلت الحملات العربية بشكل غير ناجح بالنسبة للكنديين، وقد استقر الأشعث بجماعته في قلعة النجير حيث حاصرته جيوش المسلمين المعززة بالتدعيمات التي جاءت من صنعاء ومن عمان.

ودخل الأشعث في مفاوضات مع المحاصرين وسلمهم القلعة، وأما الأشعث نفسه فقد أطلقه الخليفة وأرسله –مثله مثل سائر اليمنيين المتمردين– إلى العراق للحرب[1].

ومنذ عهد أبي بكر بدأ نزوح السكان من اليمن بقدر محسوس، وجرى إرسال الأقيال الأكثر جبروتاً إلى الشام بالفتوحات بأمر الخليفة، وغادر معهم أقاربهم وفئات الحرس والكثير من الناس التابعين لهم، وغادر رؤساء القبائل مع أفراد القبائل المتطوعين، وغالباً ما كانت ترحل أجزاء كبيرة من القبائل، وفي أيام عمر جرى ترحيل جزء كبير من النصارى النجرانيين، ونزح عدد كبير من اليمنيين إلى الشام والعراق ومصر وفيما بعد إلى الأندلس ممن اشتغلوا بدور هام في تاريخ هذه البلدان السياسي والثقافي.

---

[1] راجع: ٧٣، المسلسل ١، ص ١٩٩ – ٢٠١؛ ٨١، ص ٣٩ – ١٤٦؛ بصدد الصيغة الأكثر تفصيلاً راجع: ٤٢، المجلد ١، ص ٨٥ – ٨٧؛ كذلك راجع: ١٣٦، المجلد ١، ص ١٣٤ – ١٦١؛ ٢٣٣، المجلد ١، ص ٨٢ – ٩١؛ ٢٤٧، المجلد ١، ص ٦١ – ٦٤؛ ٢٤١، ص ٣٢ – ٣٦.

وظلت اليمن خلال فترة قرابة قرنين تقريباً (من أواسط القرن السابع إلى أوائل القرن التاسع)، أي خلال الفترة التي غالباً ما تسمى بـ ((عهد الولاة)) متحدة سياسياً باعتبارها جزءاً من دولة الخلافة، علماً بأن اليمن تتبع منطقة إدارياً ومقسمة إلى عدة ولايات العادة ما الجند صنعاء وحضرموت، وأسبغ منصب والي صنعاء بالتدريج المنصب الرئيسي فعلياً، في حين كانت صنعاء أحد أكبر المراكز السياسية والحرفية والتجارية في جنوب الجزيرة العربية في غضون العصر الوسيط المبكر (بصدد عهد الولاة راجع: ٧١، ٤٢، ٦١، ٢١٢).

واكتنفت الأسطورة اليمنية بحكم الأسطورة الذي قام به بعض الولاة، مثلاً، على بن أمية وهو والي عمر وعثمان (٧٤، ص ٢٦٤ – ٢٣٠، ٢٤٥، ٣٤٥؛ المجلد ١، ص ٤٨، ١٥٣؛ المجلد ١، ص ١٠٨) الذي قاتل بأنصار علي بالمدينة، ووقعت اليمن فيما بعد تحت رقابة عبد الله بن الزبير الذي أعلن نفسه خليفة، وعام ٦٧هـ / ٦٨٦ – ٦٨٧م ظهرت في اليمن للمرة الأولى، ووصلت حتى صنعاء فصائل الخارجيين من عمان (٧٤، ص ٢٠٦). وبعد عودة اليمن إلى سيطرة الأمويين نشأت فيها في بداية القرن الثامن حركات العلويين (٧٤، ص ١١٧) وظهر المهدي المحلي الأول وهو عباد الرعيني (٢٤٧، ١١٩). وفي نهاية حكم الأمويين، أي في أواسط القرن الثامن وقعت اليمن تحت سيطرة المعادين الخارجيين وعلى رأسهم ((الخليفة)) عبد الله الأعور طالب الحق، الذي حاول أن يستولي من اليمن على مدن الحجاز المقدسة، ولكن تم سحقه فيما عام ١٣٠هـ / ٧٤٧ – ٧٤٨م على يد فصائل ابن عطية (ص ٣٦ و ٨٣ – ٨٤، ٩٤، ٩٥، المجلد ٥، ص ١٢٨).

ومن الدلائل التي تشير إلى موالاة اليمنيين للعلويين إرسال معاوية عام ٤٠هـ / ٦٦٠م إلى اليمن حملة خاصة تابعة لبسر بن أبي أرطأة (٧٤، ص ٩٦ – ٩٧، ١٣٥، المسلسل ١١) التي تحركت فيما بعد إلى اليمن، ووصلت حتى شبام حضرموت وطردت من ثم – ولو لمدة غير طويلة – الخارجيين من حضرموت (٣٠، المجلد ٢٠، ص ٩٧ – ٢١٤، ٧٤، ص ١٢٥ – ١٢٦، ٣٣٤، المجلد ١، ص ٢٠٦ – ٢١٣).

ولقد تعززت هذه الفرقة بقيادة رئيسها بسر بن أبي أرطأة الوالي الخليفة معاوية بالقسوة والتنكيل بين اليمنيين المتعاطفين مع الإمام علي بن أبي طالب مما زاد من التشيع ومعاداة الحكم الأموي.

وفي عهد العباسيين ظل معظم الأعيان المحليين يقومون بدور الولاة في بادئ الأمر، ثم تبعهم المأمون المرسلون من العراق، الذين كثيراً ما كانوا يختصمون مع الحضور إلى اليمن (الكلوادة التركي مثلاً) ويكتفون بإرسال نواب عنهم. وكان معن بن زائدة العام ١٤٠هـ/ ٧٥٧م - ١٤٦هـ/ ٧٦٤م) أحد أشهر الولاة لقيادته بقمع عدد من التمردات، وبعد أن عين في منصب جديد قتل في سجستان على يد اليمنيين الذين غادروا البلاد سراً لكي يثأروا منه لقتله هلاك ذويهم ١٨٨١، العدد ٧٦٩، ٧٣، المجلد ١، ص ٢٠٤ - ٢٢٢، ٢٩، ص ١٢٠ - ١٤٠٠، واحتفظت التقاليد اليمنية بذكرى بعض الولاة باعتبارهم ظالمين قساة، ويستثنى من ذلك أحد أفراد عشيرة البرامكة يدعى محمد بن برمك الذي حمى أبناء الفرس، فقد احتفظوا بقصص كثيرة عن عدالته وأمانته بتعمير صنعاء، ٣٦، ص ١٢٩ - ١٣٦)، وعام ١٨٤ هـ/ ٨٠٠م خلفه حماد البربري الذي قمع عدداً من التحركات، بما فيها الحركة القائمة بزعامة الهيثم بن عبد الصمد (٣٦، ص ١٣١ - ١٣٢، ١٦٣، ص ٨٨ - ٨٩، ٢٠٣، المجلد ٢، ص ١٩٨ - ١٩٩).

وفي عام ١٩٨ هـ/ ٨١٣ - ١٤٠٠م، بعد النجاح المؤقت لانتفاضة الشيعيين في الكوفة[1] أرسل الوالي الشيعي إبراهيم بن موسى العلوي إلى اليمن، فتمكن من الاستيلاء على صعدة بتأييد بعض القبائل المحلية، وحاول فتح صنعاء وعارك ضد نواب الخليفة وتم سحقه عام ٢٠٢ هـ/ ٨١٧ - ٨١٨م.

وبسبب أعمال سفك الدماء المتعلقة بحركته نعت في التقاليد اليمنية بـ ((الجزار)) (٣١، ١٤٨ - ١٤٩، ١٣٥، التسلسل ٢، ص ٩٥ - ٩٦، ١٨٤، المجلد ٦، ص ٢٢٠، ٤٠٨).

لقد أسهم بعد اليمن عن مركز دولة الخلافة في الاستقلال النسبي للولاة، وانعكس الميل العام لانحلال الدولة الإسلامية الشاملة (أي في اليمن كما في بعض

---

[1] راجع: ١٣٩، التسلسل ص ٨٢ (٩).

الأقاليم الأخرى) برفض الولاة الموافقة على الأوامر المتعلقة بتسريحهم، وحكذلك في تكوين الأسرة الملكية للزياديين، وكان قد تم إرسال مؤسسها عبد الله بن زياد إلى تهامة عام ٢٠٣ هـ/ ٨١٨ - ٨١٩م على يد الخليفة المأمون، حيث كانت هناك اضطرابات القبائل المحلية ضد السلطة بمناطق دائم، وأقام ابن زياد نظامه على سواحل البحر الأحمر، واتسع ولاؤه فيه، وأخضع جزءاً من جزر البحر الأحمر، وأقام الرقابة على التجارة مع أفريقيا الشرقية، وأسس مدينة زبيد، وخلف ابن زياد الحكام على تهامة لابنه إبراهيم والأخير لابنه أيضاً، وعلى هذا النحو تشكلت أسرة حكام تهامة التي استمرت في الوجود حتى عام ٤٠٦ هـ/ ١٠١٨ - ١٠١٩م حتى سلب العبيد العسكريون الأحباش السلطة من مولاهم فأسسوا أسرة جديدة لحكام تهامة - أسرة النجاحيين الزاهية حتى عام ٥٥٥ هـ/ ١١٥٠م).

وكان الزياديون خلال فترة حكمهم قد احتفظوا بالولاء الكلي للخلفاء وكانوا يرسلون إليهم إتاوة رمزية، ويذكرونهم في الخطب، ويسكون النقود بأسمائهم (٣٨٨، ص ١٣٢، ٢٠٤، الملاحظة ١٣)، إلا أنهم كانوا يملكون قوة مستقلة في حياة اليمن السياسية، وحاولوا أكثر من مرة أن ينشروا ممتلكاتهم نحو الشرق إلى اليمن الجبلية وتمكنوا خلال بعض الفترة الزمنية من أن يخضعوا لأنفسهم منطقتي وصاب ومخلاف جعفر، وقاموا بالغزوات على سهل صنعاء، ونرى من التاريخ السياسي - العسكري للقرن التاسع المعروف لنا بصورة مفصلة بالقدر الكافي أن الزياديين لم يمتلكوا أبداً المناطق الوسطى من اليمن (وطبعاً اليمن كافة) وذلك بالذات ما يثبته جميع المؤرخين اليمنيين تقريباً، والقضية تكمن في أن القصص المتعلقة بالزياديين تعزى لدى مؤرخي شتى التيارات إلى تقاليد مؤرخي زبيد وهي مدينة الزياديين الذين كانوا يجلونهم وكانت تعود إليهم، وبالمقام الأول إلى عمارة اليمني، الادعاءات غير المثبتة في التفاصيل والقائلة بأن جميع حكام اليمن ولا سيما اليعفريون اعترفوا بصدارة الزياديين (بصدد تاريخ الزياديين راجع: ١٠٧ - ص ٣٥ - ٤٤، ٣٥٠، ص ١٨١ - ١٨٦، ٢٨٨، ص ١٢٧ - ١٢٤، ٢٩٢، المجلد ٣٢، ص ٤٠ - ٤٥، ٤٢٤، ٤٢٤، ٤٠٨، ١، ص ١٠٥ - ١٠٧).

بقيت حركات التمرد القبلية في عهدي الأمويين والعباسيين تدور في عملية [illegible]
كانت حركات دنيوية محضة ضد استبداد وقساوة الولاة، واتخذت جميعها [illegible]
والقتل شكلاً دينياً على غرار الحركتين الهدوية والعلوية، وفي القرن التاسع [illegible]
يمكننا أن نميز بجلاء في حركة التمرد هذه الدور القيادي للأعيان الإقطاعيين
المحليين الذين دفعتهم مصالحهم الخاصة للعمل على التصرف بأنفسهم في شؤون البلد
بعيداً عن الدولة المركزية، والتمرد الأول كان لأحد الأعيان اليمنيين الهيثم بن عبد
الصمد الواقع في أوائل القرن التاسع، وفي أواسط القرن التاسع بدأ يعمل بشكل [illegible]
كل مكان في اليمن الوسطى (أي في سهل صنعاء وفي عدين وأبين وصاب) الحكام
المحليون الذين أزاحوا ولاة الخلفاء.

وفي عام ٢٢٦ هـ/ ٨٤٠ – ٨٤١م استولى على صنعاء؛ حيث كان يوجد الوالي
منصور التوجي، يعفر بن عبد الرحيم (الصيغة الأخرى: عبد الرحمن الحوالي) زعيم
حاكم المنطقة الجبلية وقصر شبام كوكبان (شبام أقيان) في الشمال الغربي من
صنعاء، وفيما بعد عاد إلى شبام الخاصة به حيث صمد ضد بعض هجمات الولاة
ونوابهم، وسار بالتدريج سيد سهل صنعاء، وقد خلف يعفر إمارته عندما تخلى عنها
لابنه أحمد الذي تنازل عنها لأخيه محمد بن يعفر، وعين محمد والياً وأميراً
عام ٢٦٢ هـ/ ٨٧٦ – ٨٧٧م، وذلك على أساس شهادة الموفق، الأخ ذي النفوذ للخليفة
المعتمد (٢٠١، ص ١٨٦) وكلف محمد في صنعاء وأعمالها ونواحيها بتولي الصلاة،
وإدارة المناجم والضياع، وتسيير العمليات الحربية، وسلمت له قيادة أحداث المدن وجباية
الضرائب (الخراج والأعشار والمسقفات) وسك النقود (٦١، ص ٢٣٤ – ٢٣٧).
واعترف الخليفة بسلطة اليعفريين في سهل صنعاء (بصدد صيغ تحديد تاريخ تسليم
الولاية لليعفريين راجع: ٧١، ص ١٧٠، ٥٣، ص١٢٥، الملاحظة ١) غير أن الحديث دار
حول الولاية في صنعاء التي حولتها الأسطورة الموالية لليعفريين إلى ولاية على جنوب
الجزيرة العربية جمعاء.

بعد مرور بعض الزمن، أي عام ٢٦٣ هـ/ ٨٧٧ – ٨٧٨م أو عام ٢٦٥ هـ/ ٨٧٨ –
٨٧٩م، شغف محمد بدراسة الأحاديث النبوية والأعمال الخيرية، وخلف السلطة لابنه

إبراهيم، وعام ٢٧٠ هـ/ ٨٨٣ – ٨٨٤م قتل إبراهيم الابنة في حالة السخط ولداً من
جراء مشاكل غير معروفة) أباه محمداً وعمه أحمد على مقربة مسجد شبام (٢٠١، ص
١٨٩، والملاحظة ٢٧٢، قارن: ٢٨٨، ص ٣٧) وأثارت هذه الجريمة وغيرها
الاستشهادات والإهانات العديدة للرعايا وحلفاء اليعفريين عدداً من الانتفاضات ضد
إبراهيم، وتوجه رؤساء قبائل همدان ومذحج بشكواه إلى الخليفة (٢٤٧، ص ١٦٤، ١٦
ص ٢٢٦ – ٢٢٧) وعام ٢٧٧ هـ/ ٨٩٠ – ٨٩١م أو عام ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ – ٨٩٣م سرح
إبراهيم رسمياً من منصبه كوالي صنعاء، وفي ذلك الحين حدثت انتفاضة أهالي صنعاء
ضد إبراهيم فقتل (٧٤، ص ١٦٥، ٥٢، ص ١٦٣).
شغلت إمارة اليعفريين لمدة ما، تمرد مواليهم الطريفيين وظهورهم في سهل صنعاء
عدة مرات جيوش الإمام يحيى الزيدي الذي كان يسعى إلى امتلاك مدينة اليمن
الرئيسة، وحصل ضد اليعفريين الوالي الجديد وهو علي جفتم، وحدث في آل اليعفريين
منافسة من أجل الصدارة فيما بين أسعد بن إبراهيم وعثمان بن أحمد. [illegible]
الأساسية المتعلقة باليعفريين راجع: ١٢٠، ص١٧٨ – ١٨٦ والملاحظة ٦٦٢، ٣٥٠، ص
١٨٦ – ١٨٨، ٢١٠، ص ١٦٠ – ١٦٦، ٢٨٨، ١٢٥ – ١١١، ٤٠٩، ٤٢٥، ٥٣٠).
كان المظفرون من حكام اليمن المستقلين يعترفون بسلطة الخليفة العليا، ويظهر
ذلك مثلاً، النقود المسكوكة في صنعاء خلال فترة سيطرة اليعفريين، فجميعها
مسكوكة بأسماء خلفاء بغداد (راجع ٨٤، ص ٦٥، ٢٠٤، ص ٢٣ – ٧٣، الجدول
السادس والعشرون).

أما سائر القوى السياسية في اليمن فقد كانت تبرز في القرن العاشر كقوة
معارضة دينية وسياسية للعباسيين، وكانت الإمامة الزيدية من إحدى هذه القوى، وقد
أسسها في اليمن يحيى الهادي إلى الحق العلوي عام ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م في صعدة، بعد أن
دعته إليها القبائل المحلية، ونشأت بسرعة الركائز الأساسية لهذه الدعوة التي وسعت
ممتلكاتها وأخضعت لنفسها نجران ومقاطعات الهمدانيين الشمالية، وجرت المحاولات
الواحدة تلو الأخرى للاستيلاء على صنعاء، وذلك إما بحجة مساعدة اليعفريين وإما
بدافع معاكس لهم، وكانت الإمامة الزيدية تعمل سواء في زمن الهادي (توفي عام ٢٩٨ هـ/

(أو في زمن أولاده) للاستفادة من أي نزاع ينشب في جنوب الجزيرة العربية بهدف توسيع رقعة الخلافة الزيدية وإنشاء الدولة المركزية، ولمزيد من التعرف بالجوانب الدقيقة لتفاصيل التاريخ السياسي للإمامة الزيدية في القرون العاشر يذكر القارئ بمراجعة مؤلفه الرابع: ٣٣٠).

وفي بداية القرن العاشر نشأت قوة سياسية كبيرة أخرى هي حركة الإسماعيليين اليمنيين، ففي عام ٢٦٨ هـ/ ٨٨١ - ٨٨٢م نشأ في جبال الشمال الغربي (المعنى لاعة) وفي مشرق جبال الجنوب (أبين ويافع) مركزان للدعاية الإسماعيلية ترأسهما الداعي ابن حوشب المسمى بمنصور اليمن ومعاونه اليمني علي بن الفضل، وتمكن خلفاؤهما من استمالة عدد كبير من اليمنيين بفكرة ظهور المهدي في اليمن وإخضاع أراضٍ كثيرة لهما، مقتربين بالتدريج من صنعاء، واقترب علي بن الفضل عام ٢٩٣ هـ/ ٩٠٥م من صنعاء فنحى أسعد بن إبراهيم عنها ليصعد الإسماعيليون في اليمن- راجع في من الكتاب نبذة ((الحركة الإسماعيلية الأولى)).

بعد أن أعاد أسعد على تلك الزمان جزءاً من ممتلكات اليعفريين الأولين وفوض واعترف به خليفة، هرب في بداية الأمر من صنعاء إلى سهوب الجوف ومن ثم إلى المناطق الصحراوية الوسطى، وقد خاض النضال سواء ضد الإسماعيليين أو الزيديين مستعيداً صنعاء وشبام تارة ومغادراً إياهما تارة أخرى، واحتدم الانشقاق السياسي في وسط الإسماعيليين، الأمر الذي أتاح لأسعد بلوغ بعض النجاحات كذلك في منطقة ذمار (٧١، ص ٢٠٢)، وفي عام ٢٩٩ هـ/ ٩١١ - ٩١٢م عقد أسعد وابن الفضل معاهدة هدنة، تولى أسعد بموجبها منصب الوالي الإسماعيلي في صنعاء فكف عن ذكر اسم الخليفة العباسي في خطبه وارتدى الثياب البيضاء وهي رمز التعاطف مع الشيعة.

وفي عام ٣٠٢ هـ/ ٩١٤ - ٩١٥م (الصيغة الأخرى: عام ٣٠٥ هـ/ ٩١٧ - ٩١٨م) أرسل أسعد إلى علي بن الفضل طبيباً دسّ له السم وفيما بعد استولى على عاصمة الإسماعيليين المذيخرة ودمرها، واستلم بعد ذلك من الخليفة المقتدر شهادة جديدة تعينه في منصب الوالي أخضعت له بموجبها أراضٍ جديدة (البلاد التي كان يمتلكها في السابق منافسوه من المناخيين والأصبحيين ومن ثم الإسماعيليين) وهي عدن وأبين

والجوف، وتخلص اليعفريون بالتدريج بالتحالف مع الزيديين من الإسماعيليين الشماليين، أتباع ابن حوشب.

حكم أسعد حتى عام ٣٣٢ هـ/ ٩٤٤ - ٩٤٥م، وتصدى أخلافه بصعوبة للمد الزيديين والقبائل غير الموالية، وعام ٣٧٩ هـ/ ٩٨٩ - ٩٩٠م تمكن عبد الله بن قحطان اليعفري من توسيع إمارته وحتى الاستيلاء على زبيد، والتخلي عن العباسيين وأعلن أنه يخضع للفاطميين، وبعد وفاته عام ٣٨٧ هـ/ ٩٩٧م انتهى حكم اليعفريين في اليمن عملياً رغم أنهم استمروا خلال فترة زمنية ما أمراء صنعاء، وأما شبام فقد حكموها حتى القرن الثاني عشر.

ما بين أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر بدأت فترة تشتت الإمارات الصغيرة والحروب الداخلية فيما بين الأمراء والسلاطين ورؤساء القبائل، ولم يتمكن الزيديون فقط من التغلغل خلال فترة زمنية طويلة إلى المناطق الوسطى، وحكمت في تهامة الأسرة النجاحية للأحباش، وفي غضون النضال ضدها ترسخت مملكة يمنية جديدة هي مملكة الصليحيين.

فقد ترأس علي الصليحي الهمداني في أوائل القرن الحادي عشر حركة الإسماعيليين المضطهدة، واختفى في جبال حراز، وبعد أن شيد قصراً على جبل مسار الذي استولى عليه تمكن من إخضاع المناطق الغربية الواقعة في الغرب والاستيلاء على تهامة وأوقف تحرك الزيديين من الشمال، وعام ٤٥٥ هـ/ ١٠٦٤م تم الاستيلاء على صنعاء ثم على عدن، واتبع علي الصليحي تقاليد كبار الحكام اليمنيين، الذي استمر حتى القرن العشرين، وهو الاحتفاظ بأفراد القبائل وأسر الأعيان الخاضعين لهم بمثابة رهائن، وأعلن الصليحي أنه يعترف بسلطة الخليفة الفاطمي القائمة في مصر فقبل بذلك الاسترشاد السياسي اليمن وأعاد الروابط العائدة للعصر الفاطمي.

والحدث البارز الذي يرتبط بالدولة الصليحية هو امتداد نفوذها إلى الحجاز، ومنذ عام ٤٥٥ هـ/ ١٠٦٣م عين الصليحي ملكاً لمكة، وكان يحضر بالكسوة لأجل الكعبة من اليمن، وعام ٤٧٣ هـ/ ١٠٨٠ - ١٠٨١م رفضت مكة سلطة الصليحيين

- الفاطميين، وتحرك الصليحي عليها بغزوة، وتمكنه قتل في اليمن على يد
النجاحيون الهاشميون والساعون إلى إعادة سلطانهم في تهامة
لمقتل المكرم بن الصليحي - مرة أخرى - تهامة من النجاحيين، وتمكن
وباتت الدولة الصليحية ضعيفاً في عهده، وأزاحته عن السلطة زوجته الملكة
الحرة (التي غالباً ما تسمى بأروى)) ونقلت العاصمة إلى المتطلعين
الزمان بن أبي وخلال سلطتها برز أعيان سهل صنعاء الحاكمون
المؤرخون اليمنيون بحكم (الملكة سبأ الصغرى) بوصفه عهد الازدهار والاستقرار
وفي واقع الأمر كان ذلك زمن نضال السلطة المركزية ضد الأعيان الصليحيين
المترسخين (المالكين القصور) وضد رؤساء القبائل الأقوياء، لا سيما من الأسر
الذين حولان، لقد سعت السيدة الحرة إلى كبح جماح الاستقلالية وتشوز موالي
المتفرين لها، فوطدت - بصورة ملحوظة - الروابط الفكرية والسياسية
مع الفاطميين المصريين، وكان موجوداً باليمن خلال عدة سنوات الوالي الخاص
الخليفة المصري ابن نجيب الدولة، وبعد وفاة السيدة الحرة عام ٥٣٢ هـ/ ١١٣٧ -
١١٣٨م تحولت الدولة الصليحية بالتدريج إلى ممتلكات كبيرة وصغيرة للحكام
الإقطاعيين الذين حصلوا عليها من الصليحيين بمثابة أملاك لهم وإقطاعات، ومن
أبرزها دولة الزريعيين في عدن ودولة الحاتميين في صنعاء.

ذلك هو السير العام لتاريخ اليمن السياسي في العصر الوسيط المبكر، وتخللت فيه فترات الاتحاد السياسي ((الحميرية والخلفية والصليحية)) بفترات الحروب الداخلية؛ حيث نلاحظ ميول نسف الوحدة السياسية القائمة وميول توحيد البلاد ولكن تحت السلطة الخاصة بها ((اليعفريون والزيديون)) وكانت قد تراكمت قبل ذلك الغزوات الحبشية والفارسية وفي نهاية المطاف الفتوحات الإسلامية والتي أدت إلى حدوث تغيرات أكثر بكثير بالمقارنة مع سابقاتها، ويتميز العصر الوسيط المبكر بصورة خاصة باشتداد الروابط مع الجزيرة العربية الداخلية التي كانت في بداية الأمر هدفاً للهجمات اليمنية ودخلت معها كذلك ضمن دولة كبرى ألا وهي دولة الخلافة.

ملاحظات خاصة بالباب الثاني

١ - في النقش Ja 2110 يسمى ملكين بن بدا، (الملك كندة ومذحج) بلوحه إليه رسول للملكين السبئيين الشرح يحضب ويزل بين، وفي نقش آخر علاه الرزمن نص للملكين ((Ry 535 = Ja 576)) يذكر حميري ملك، (الملك كندة) إنما مذحج وكندة يذكران في النقوش اليمنية تقريباً مع بعض دائماً وحيث يظهر اسم مذحج منفصلاً لا وجود، ككندة، لاسم كندة من الظاهر أن في بعض قرائن النصوص كان هذان الاسمان شديداً لأن بعضهما البعض ويستوعبان كحاسين قريبين جداً لبعضهما البعض، ولا نعرف ملوكهما الآخرين باسم ملك في ذلك الزمن ولذلك لا يمكن أن تكون ثمة عملياً اعتراضات ضد تشبيه اسم ملك بن بدا باسم ملك الوارد في النقش Ry 536 = Ja 576 يصادف هذا الاسم في سلاسل النسب العربية للكنديين حيث يبدو بشكل ملكه بن بدأ؛ ووفقاً للأسطورة فإنه كانت حميرية ١٤٨١، المجلد ١، ص ٢٣٣ و ٣٨٧؛ قارن كذلك اسم المجموعة القبلية = العشيرة الكندية في حضرموت من القرن العاشر بنو بدا ١٣٩١، ص ١٦٨ - ١٦٩ و ١٧٦.

٢ - وفقاً للتفسير الدقيق الأحدث لنص ومضمون هذا النقش ((الموجود في النمارة بسوريا)) الذي قام به أ. بيستون كان الحديث يدور في النص عن الغزوات الظافرة التي قام بها امرؤ القيس إلى تاج ((تهامة)) ضد قبائل نزار وأسدين ومذحج ومعد وضد مدينة نجران ١٤٤١؛ كذلك راجع: ٣٩٠، المجلد ٣، ص ١٠٦ - ١٠٧؛ ٣٠٦، ص ٣٢ - ٣٧ و ٣٩٢.

٣ - ممالك الجزيرة العربية الواقعة شمالي اليمن تسمى ((الشامات = Ja 2110 ريدان ٧٨)) وقد وجدت على التوالي في ثلاثة نقوش إهدائية من معبد القاهة في مأرب، في أواسط القرن الثالث أرسل مقتوى الملكين السبئيين الشرح يحضب ويأزل بين، واسمه ((عوفه)) إلى ملك كندة مالك بن بد، وإلى ملك أسد الحارث بن كعب وإلى

((الملك العربية)) (Ja 2110)، وفيه أمير لم يرد اسمه في النقش بحسب الترجمة
يحسب وجده مثلها له ويقول إنه زار الملوك من قبائل غسان والأسد ونزار ومذحج
(ويلمان ٧٩ : ١٦٥٣، ص ٥١ - ٥٤) في أواخر القرن الثالث زار ريمان، وهو يسير
الملك الحميري شمر يهرعش، وزار ملك من كعب، ملك الأسد، ثم زار أرض تنوخ
وطيسفون سلوقية (١٢٦: ٢٦، ص ٥٠٩ - ٥١٢ ؛ ٢٨٣ ؛ ٤٦٦) ويمكن فهم الفعلين عند
ويثبت المستعملين في هذه النقوش كأفعال تعني ((الرحلة سلمية)) و((الغزو حربية))
وطبقاً لذلك نوجد تفسير مختلف لهذه النصوص: إن التفسير الأول يبدو أكثر
احتمالاً، ويمكن من الفهم بالمقام الأول هنا الإشارة إلى وجود مثل هذه الدروب
والتلع في تسميتها.

١ - إن قصة هذا الحادثة ونص المعاهدة الواردين في ((التاريخ صنعاء)) يحتويان على بعض علائم منشئيهما المتأخر، ورغم ذلك فإنه لا تتول أن القصة تعزى إلى الأساطير الهمدانية الحقيقية الخاصة بالأحداث الجارية في أوائل القرن السابع، وإيطالي الأشخاص والقبول: لقد وصفت بشكل صحيح مراسيم عقد المعاهدة: عقد لقاء رؤساء القبائل واجتماع جميع أفراد القوم والتمثيل الرسمي عوضاً عن القائد وخطابات الخطباء واتخاذ القرار من قبل أفراد القبيلة وتدوين المعاهدة، ويبرز الفرس هنا ليس كممثلي دولة أجنبية بل كجماعة متكافئة مع قبيلة همدان وتتضمن القصة عدداً من المصطلحات الاجتماعية التي تفصل بنية قمة القبيلة رؤساء ووجوه وأشراف وفرسان، وتوجد في النص صيغ غير إسلامية، ومن المحتمل أنه جرى التحوير غير المقيد للصيغة الفارسية لبداية النص، وأسلوب النص وجزء ((التحويدي)) قريبان من النص) معاهدة الحميريين مع الربيعيين بصدد الصياغة المختصرة راجع: ١٣٤، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ؛ ٢٥٥، ص ٣٩٨ - ٤٠٠؛ بصدد الصياغة المطولة راجع: ١١٧، ص ٤١٨ - ٤٢٠ ؛ ١٦، ص ٢٩ - ٣١؛ بصدد تطبيق عقد المعاهدات في الجزيرة العربية الجاهلية راجع: ٢٣٩، ص ٦٥ - ٦٧، والموازي الآخر لذلك هو الجزء الختامي للنقش، العائد إلى القرن الثالث ميلادي من قرية الفاو، أحد أقدم النصوص باللغة العربية (١١٤، ص ١ - ٢ ؛ ٢٣٨، ص ١٠٤ - ١٠٥).

الباب الثالث

الحياة الاقتصادية

كانت اليمن في العهد القديم والقرون الوسطى ولا تزال إلى اليوم بلداً زراعياً في الغالب، وقد كان جنوب الجزيرة العربية يدخل ضمن أحدى مناطق الانتشار الأقدم للحبوب المزروعة، والجزء الكبير من الأراضي اليمنية الصالحة للفلاحة، أي نسبة ٨٠٪ ((لاسيما في الوديان الجبلية وسهول النجد)) قادر على أن يعطي محصولاً جيداً بفضل المياه التي تأتي بها الأمطار الموسمية ومياه الفيضانات الناجمة عنها خلال موسمين مطريين (راجع: ٢٥١، ص ٤٨٥ ، ٢٥٢، ص ٣٢٩ ؛ بصدد الظروف المعاصرة للزراعة راجع: ٢٧٠، ص ٥٦ ؛ ٢٢٥، ص ١١٢ ؛ ٣٦٥، ص ١١ - ١٣).

لقد كانت مساحات الأراضي المفلوحة وخصوبتها تتزايد منذ قديم الزمان بفضل جهود الإنسان عن طريق إنشاء وتحسين نظام الري الذي كان يضمن الاستخدام الأقصى لتلك المقادير من الماء التي تحملها سيول الفيضانات من الجبال إلى الصحراء أو إلى البحر (بصدد النظام القديم للري راجع: ٢٨٧؛ ٤١٤؛ ٤٧٤؛ ٣٧٧؛ ٤٨٠؛ ٣٣٣؛ ٢٩٩؛ ٤٠٠؛ بصدد نظامه المعاصر راجع: ٤١٥؛ ٤٥٩؛ ٥٣٢؛ ٣٦٥).

كما كانت المياه توزع إلى الحقول بواسطة السدود الحجرية المرتفعة والمبطنة بالحجر، والخزانات، والجدران المخصصة لإضعاف ضغط الماء وتغيير اتجاه سيله، ومنشآت تحويل وتوزيع الماء، والهويسات، والقنوات الرئيسية والموزعة، وكانت مقاييس هذه المنشآت ومستوى إنشائها التكنيكي مختلفة للغاية في ظروف مختلف أنواع التضاريس ((عند الوديان العريضة أو الضيقة وفي السهوب الواقعة في سفوح الجبال وفي سهول النجد)) وفي المناطق الواقعة في المواسم أو في الأطراف، وكانت المياه تجري إلى الحقول الواقعة على مدرجات السفوح الجبلية وإلى الأراضي المستوية في الحقول الواقعة

في السهول وإلى مزارع النخيل المنزلة، وكان التوزيع المؤقت لتجميع مياه السيول الفيضانية هو المبدأ الأساسي للري.

وإلى جانب ذلك كانت ثمة تجهيزات لأجل ادخار الماء ومنها: الخزانات المحفورة في الصخور والمحفورة في الأرض، وخزانات الماء الواقعة تحت الأرض وأحيانا المسقوفة، وكان الماء يدخر فيها لأجل الري الإضافي وكذلك لأجل الحاجيات المعيشية والشرب (لعدة خزانات الماء في ظفار، مثلا، راجع: ١٣٢، ص ٣٦، أو في عدن: ٤٠١، ص ١٤٠). وكانت ثمة منشآت تستخدم كذلك لأجل توزيع السيول المؤقتة ولأجل ادخار جزء من المياه التي كانوا يوزعونها إلى الحقول في حال الاحتياج، وعلى هذا النحو كان سد مأرب الذي اعتبر في عيون جيران اليمن والمهتمين في العصور الوسيطة رمزا للحضارة القديمة في جنوب الجزيرة العربية (راجع نبذة ((أسطورة سد مأرب)). ولأجل الحصول على مياه ما تحت التربة كانت تستخدم الآبار والكرافز تحت الأرض (راجع، مثلا: ٣٢٧؛ ٤٣٩؛ ١٨٤).

وكانت للعناصر الرئيسية لأنظمة الري ((السدود والهويسات وأحباس الماء)) في أسمائها الخاصة (راجع، مثلا، 761 Ja أو 540 JH و 541 CJh)، واحتفظ بها التقليد كذلك في القرون الوسطى واستمر حتى أيامنا الحاضرة[1] بشكل الأسماء الخاصة بسدود النجد.

أخذت منشآت الري للعصر القديم التي كانت تروي المناطق الواقعة في سفوح الجبال تنهار بالتدريج في عهد الحميريين، خلال القرون الخامس - السابع، وتتابع هذه العملية جيدا في نقوش سد مأرب، فلقد اخترق مرارا في القرن السادس حاجزه الأساسي مدمرا الهويسات والقنوات.

وخلال عامي ٦٦١ - ٦٦٤ / ٤٤٩ - ٤٥٠ و ٦٥٨ / ٤٥٣ جرت إعادة إنشائها بجهود كبيرة في أيام الملكين شرحبيل يعفر وأبرهة، وتشهد معطيات الحفريات الأثرية على بعض الاختراقات الأخرى التي جرت بعدها أعمال الترميم بقدر أقل أو لم تجر

[1] راجع: ١٣٢، ص ١٨٦ - ١٩٠؛ ٩١، ص ٢٣٥ - ٢٣٨.

بلقاء. ويؤرخ الاختراق الأخير، على ما يبدو، بعام ٥٩٠ تقريبا (٣٤٢ ب، ص ١٣٣ - ١٢١). وبعده تحولت واحة مأرب إلى مكان مقفر، وذلك ما جرى وصفه في القرآن الكريم (السورة سبأ، الآيات من ١٦ إلى ١٧). وتحولت منطقة الفلاحة المزدهرة الواقعة على حافة الصحراء على طول طريق التوابل القديم بروتينها التدريجي إلى شبه صحراء، وكان من أسباب ذلك أيضا انهيار الدولة المتمركزة، والحروب التي جرت بين الرحل والمتمردين، وتطمس القنوات وخزانات الماء بالغرين بعد قرون عديدة من استثمارها.

غير أنه في العصر الإسلامي كانت لا تزال تعمل منشآت الري الواقعة في النجد، وهي عبارة عن مجموعات غير كبيرة واقعة في السهول والوديان الجبلية، وكانت الحقول الخاصة، الموحدة بنظام واحد للري، لا تزال، كما في العهد القديم، بمثابة الخلية الرئيسية للاقتصاد اليمني (راجع: ٤٧٨، ص ٨٠).

ويجري ذكر السدود خلال القرنين التاسع والعاشر بصورة رئيسية في مناطق النجد، لا سيما في سهل صنعاء، والتي بواسطتها كانت تروى الضياع، وفي مقاطعة صعدة (٢٣٢، ص ١٨٥ - ١٩٠؛ ١٩٣، ص ١١٣). وغالبا ما كانت تهدم منظومة صعدة للري، مثلا التي دمرت على يد الحركة العلوية لإبراهيم الجزار، ومن الأسباب الأخرى كانت الظواهر الطبيعية الطارئة: الزلازل والسيول الشديدة للغاية، ولم يكن يجار عادة إنشاء السدود الكبيرة (من أمثال سد الريعان شمال غرب صنعاء) بعد دمارها.

من المعروف أن الضرورة في ري الأراضي مارست تأثيرا معينا على علاقات الإنتاج في مجتمعات العصور القديمة والوسطى (راجع، مثلا: ١٠، ص ٢٣١؛ ٢، ص ١٣٠ - ١٣٦؛ ص ١٨٤ - ١٨٥؛ ٥٤٤ / ٣٣٧). والضرورة في تنظيم الجهود البشرية لأجل إنشاء وترميم منظومات الري ولأجل توزيع المياه رفعت في اليمن أيضا الدور الاجتماعي للدولة وللأعيان المحليين الذين حققوا هذا التنظيم، الأمر الذي تجلى بالمقام الأول في العهد الحميري عندما كانت قائمة منظومات الري الضخمة.

إن الدور الاقتصادي للدولة الذي كان رفيعا للغاية في جنوب الجزيرة العربية القديمة أخذ يضعف بالتدريج خلال القرنين الخامس والسادس رغم أنه وصلت إلينا من

هذه الأزمنة أسطع الدلائل على هذا الدور، وهي نقوش سد مأرب ((— CIH 541
CIH 540)) التي تتحدث عن كيفية تنظيم ترميم منظومات الري [illegible]
وكم من جهود بذلوها في ذلك الزمان وأية أهمية كانوا يولونها لهذه الأعمال [illegible]
سائر الأحداث الجارية أثناء حكمهم، فشرحبيل يعفر، مثلاً، في وصفه [illegible]
للنصر في ظفار يفتخر بأنه رمم قبل ذلك سد مأرب [١٩٩ ؛ ٢٤٤، ص ٢٠ [illegible]
٢٤٠ - ٢٤٢]، وبالنسبة لأبرهة كان ترميم السد وقمع التمرد الكبير [illegible]
ليعطيهما البعض من حيث الأهمية وحتى أنه قدس كنيسة على شرف إنهاء [illegible]
أعمال ترميمه، وكان الأعيان المحليون يبرزون في مقاطعاتهم بمثابة منظمي أعمال
الري، كما جاء وصف ذلك، مثلاً في النقش RES. 5085 المنسوب بالقرن [illegible]
نصاب في القرن الخامس على يد الأعيان من قبيلة يزن [راجع: ١٨١

ولا تحتوي النصوص لا من العصر القديم ولا من العصر الوسيط على شواهد خاصة بوجود الملكية العليا للأرض من قبل الدولة رغم أنه ربما يدل على ذلك بشكل غير مباشر النشاط الاقتصادي لدولة العهد الحميري ونظام الدولة والعلو [illegible] وهي العشر وأصبح العشر الضريبة الإسلامية الرئيسية في اليمن بعد اعتناق الإسلام ورغم أنه توجد للتفسير منطقية تماما من وجهة نظر الفقه الإسلامي لتطبيق العشر [illegible] فيمكن التفكير بأن الكهان التقليدي القديم أيضا لجباية العشر ذاته اضطلع ب[illegible] الخاص، ويدل على ذلك التنسيق المتقن، والمبكر جدا للعصر الإسلامي، لتقاسيم جباية العشر من مختلف أنواع الأراضي، وهو قائم على أساس الممارسة اليمنية وتستخدم فيه المصطلحات التي تعزى إلى العهد القديم اليمني ((أراضي البعل وأراضي السقي وغيرهما)) [راجع: ١٩١، المجلد ١، الجزء ٢، ص ٣١ ؛ ٥٣٠/ ص ١٢٤ ؛ ٢٠٦، ص ٢٠ [illegible] ٢٦، ص ٩٤ ؛ ١٩٦، الجزء ٢، ص ٩٥٧].

لقد انتقل جزء من الأراضي في العهد الإسلامي إلى الملكية المباشرة المشاعة للمسلمين جميعا التي تسمى ((بيت المال العام))، وتحول فيما بعد إلى أرض للدولة وربما جرى على هذا النحو فيما يخص بعض الكروم والحقول ومزارع النخيل الواقعة في نجران في القرن السابع، وكانت تقدم للإيجار [راجع: ٤٣٧، ص ١٣]، وكانت هذه

الأراضي تعود بالمقام الأول فيما قبل النصارى المهاجرين من نجران في عهد عمر، والضرائب الإسلامية، التي كانت العشر شكلياً رسوماً دينية وكان دفعها أحد الواجبات الدينية للمؤمنين، غدت أداة هامة لضبط الاقتصاد من قبل الدولة وأداة لجباية الريع المتمركز، وكان يحصل عليه وفيما بعد بحمية ممثلو الأعيان المحليين، وفي الأخبار الخاصة بنشر الإسلام يروى أن النبي محمداً ﷺ وزع على المهاجرين الفوائد من الضريبة (الصدقة) على وائل بن حجر في حضرموت [٢١٤، ص ٢٢٦]، وعلى قيس بن [illegible] في الجوف [١٩٦، المجلد ٢، ص ٣٨٤ ؛ ١٧٧، ص ٢٢٠]، ويستخلص أنه لا يمكن أن نستخلص من ذلك استنتاجا بأن النبي محمداً ﷺ قد نقل جزءاً من الضرائب في اليمن إلى وائل وقيس، إلا أن وجود مثل هذه النصوص يدل على أن القبائل المشهورة كانت في حقيقة الأمر تدعي بحقها في جزء من الصدقة أو تحصل عليه باعتباره حقاً مقدساً مستشهدة بالسوابق التي كانت جارية في أيام النبي محمد ﷺ. وفي القرن الحادي عشر التي الإمام الزيدي يحمي حماية تلك الأموال المثيرة بدون صدد والتي كان الأعيان المحليون يفرضونها على الفلاحين بشكل الضريبة الدينية لصالحهم وشكل ذلك أحد مصادر شعبيته، وفي الحديث الخاص بسهول صنعاء في القرن الماضي عندما يذكر الرازي الأموال التي يجبيها ((أصحاب الضياع)) من الفلاحين يستخدم مصطلح ((الجباية)) الذي كان يعني بالمقام الأول (الجباية الضرائبية)) [٩٩، ص ١٠٧].

لقد كانت الضرائب في اليمن تصرف بصورة رئيسية في داخل البلاد، الأمر الذي كان يتيح إمكانيات إضافية لإعادة توزيع الريع فيما بين شتى فئات المجتمع أو الفئات الطبقات السائدة كما يعتقد صالح أمين [راجع: ٣٣٣، ص ٢٠٠ - ٢٠٣ ؛ ٣٣٤، ص ١٦٠].

وفي عهد اليعفريين كانوا يجبون من صنعاء وضواحيها ٣٠٠ ألف دينار [١٩٣، ص ١١٢]، وبالنسبة لأواسط القرن التاسع ترد في المصادر أكبر المبالغ من الخراج في اليمن بمقدار ٦٠٠ ألف دينار [١٩١، ص ١٤٤ و ٢٥١] وبمقدار ٨٧٠ ألف دينار [٣٩١، ص ٢٨٧ ؛ ٤٤٢، المجلد ١، ص ٣٥٢]، وفي نطاق دولة الخلائف كان الخراج بهذه المقادير غير كبير [قارن: ٣٩٠، ص ١١٣، والملاحظة ١٣]، ويزعم بأن العباسيين في أواسط القرن العاشر أعفوا اليعفري أسعد كليا من واجب دفع الخراج [٥٣، ص ٣١٠ - ٣١١

26 10 2013

أما بالنسبة للعهد الحميري فلا نعرف أية تفاصيل عن طابع تخصيص الأرض للأعيان. ومنذ القرن السابع، في حال وصف مثل هذه الأعمال، كان يستخدم فعل القطع الذي كان يعني مجرد تسليم الأراضي كملك وإقطاعها، ولم يكن يحمل معنى تسليم حصص الأرض المشروط (شاء الخدمة ١٩٣١ : ٢٩٤ ؛ ٣٢٣٥، ص ٢٩ – ٣٤ ؛ ١٩٠٥ – ١٠٩ : ١٦، ص ١٩)، وخلال القرنين التاسع والعاشر خصص اليعفريون الأراضي لمواليهم الطريفيين الذين اقتطعوا بالإضافة إلى ذلك لأنفسهم الأرياف الواقعة في سهل سنفاد وأصبحوا فيه أسيادا كاملي السلطة (١٠٣٥، ص١٩٩).

وقد مارس الصليحيون في القرنين الحادي عشر والثاني عشر على نطاق واسع تخصيص الأرض والقصور وقسم من الضرائب عن الأراضي والمدن لأنصارهم، وكان يتوجب ذلك التملك أمرا خاصا من الملوك لمواليهم.

ويكاد لا يقال شيء ما في المصادر الخاصة بالقرون الوسطى المبكرة عن ملكية الأرض العائدة للمشاعيات – الشعوب، وهي الشكل الأساسي لامتلاك الأرض في المجتمع القديم، ولكن ذلك لا يعني طبعا أنها لم تكن قائمة وبالنسبة للقرن السابع ثمة معلومات عن وجود الامتلاك المشاعي للماء والمطمورات المفيدة، ولا سيما الملح، وكذلك عن المشاعي إلى نزوعها عندما حاول الأبيض بن حمال في التاريخ المعروف أن يحصل من النبي محمد ﷺ على مناجم الملح الواقعة في مأرب بمثابة حصص أرض، ولكنه رغم ذلك لم يحصل عليها لأن الملح حاله حال الماء، كان ملكا عامة منذ قديم الزمان، وبالرغم من ذلك فإنه حصل على الماء ((الغيل)) من النبي محمد ﷺ (١٩٤٤، المجلد ٥، ص ٢٨٢ والتبعة ١). ولا ينبغي أن نرى في هذا الحديث أيضا حادثا واقعيا ولكنه يعكس، بدون شك نقاشات اليمنيين بصدد امتلاك الماء والمطمورات وواقع أن البعض حاول أن يستغل الملكية العامة لصالحه ومن الواضح للعيان وجود الملكية العائلية، القبلية للأعيان، في الشهادة التي أعطاها النبي محمد ﷺ للحضرمي ربيعة ذي مرحب بجري سرد أملاكه وأملاك أخوته وأعمامه ((الأراضي والأشجار والعبيد ومنشآت الري)) ككل متكامل (١٩٤١، المجلد ١، الجزء ٢، ص ٢١)، ومثل هذه الملكية العائلية للأعيان ظهرت في سياق التصالح عن القبيلة – الشعب ويقدر لشداد بأبي

الأقيال، وسموهم الأسلبون ((المتحدرون من أعيان القبائل)) وكذلك المعيّنون من قبل الملوك. وكانت للأقيال أملاكهم ((معاجرهم)) الخاصة بهم وكانوا يتصرفون بشؤون المخلاف ((الوحدة الإقليمية، المقاطعة)) وأرضه وسكانه.

وربما كان ((الحشر)) اليعفريين في شبام كوكبان بمثابة ملكية قبلية، وكان يضم أرض الجبل وبعض البيوت والأرياف، والحقول والبساتين والينابيع والقنوات والسوق والجامع العام، وكان عساكر اليعفريين يسكنون في الأرياف أو في الرباطات الخاصة. ويصف ابن روستة هذه الأملاك فذكر بشكل خاص أن كل ذلك يعود ملكا لابن يعفر ((كانت حصة لابن يعفر، هذا في حصته)) (١٩٣٢، ص ١١٢)، وابن يعفر الذي يذكره ابن روستة هو بالأحرى محمد بن يعفر. وإذا حكمنا على أساس الأحداث الجارية في أيامه وبعد بعض المدة من الزمن فيمكن استخلاص أن شبام لم تكن ملكا شخصيا بل كانت ملكا قبليا؛ فكان يسكن فيها كذلك إخوة ابن يعفر المتعاونون فيما بين بعضهم البعض وعمه وأبناء عمه.

وفي عهد الصليحيين أصبح تخصيص الأملاك الخاصة لأفراد الأسرة الملكية ظاهرة اعتيادية بالقدر الكافي ((فالسيدة الحرة، مثلا، حصلت على مثل هذه الأملاك عندما كانت زوجة لولي العهد))، وكانت أملاك الكثيرين من الأعيان الصليحيين أملاكا شخصية وليست سلالية.

وكانت اليمن الحميرية وكذلك اليمن الإسلامية تتصفان بالانتشار الواسع النطاق للملكية الخاصة للأرض، كما كانت مزارع النخيل ملكا خاصا منذ زمن بعيد (٢٧٣١، ص ٢٤٥)، وكانت الأملاك الخاصة الشاسعة العائدة لأفراد قمة المدن موجودة في نجران في القرن السادس (٣٠٨، ص ٣٥١ – ٣٥٦)، واحتفظت قصص نشر الإسلام بأحاديث غير قليلة بصدد كيفية مصادقة السلطات الإسلامية على حقوق الأعيان المحليين في الملكية الخاصة ((مثلا، وائل بن حجر)) (راجع: ١٩٤، المجلد ١، الجزء ٢، ص ٧٩)، وهي لا تتحدث عن النقاشات العديدة بصدد أملاك الأراضي العائدة للأشخاص المعينين (راجع: مثلا: ١٠٣٠، المجلد ٣، ص ٢٢٩ ؛ ٤٨٩، المجلد ١، ص ١١٥، والمجلد ٢، ص ١٧٠).

في القرن العاشر يملك الجزء الأكبر من الأراضي الواقعة في الوديان ملكا خاصا سواء للأعيان أم الفلاحين البسطاء، إلا أن الحقول الخاصة كانت متحدة في حقل متكامل بسبب النظام المشترك لتوزيع المياه [1]. ويتحدث الهمداني عن النظام المستخدم لمثل هذا التوزيع بمثال وادي ضهر حيث أن السلطان نفسه لم يكن يملك الحق في تحويل الماء لنفسه دون دور وحيث كانت تروى وفقا لعادة الترتيب حتى تلك القطاعات من الأرض التي لم يكن أصحابها موجودين فيها والذين لم تقلع أراضيهم (١٢٦، ص١٣١ - ١٣٢) بصدد النيل الغاشر في وادي الأهجر راجع: ٥٣٦، ص ٢٨ - ٢٠، قارن ٤٣٩، ص ٤٩٨.

كانت الأراضي تباع وتشترى وتؤجر، وفي القرن التاسع أجبر الإمام يحيى اليهود والنصارى القاطنين في نجران على إعادة الأراضي التي ابتاعوها من المسلمين منذ أيام مجيء الإسلام [2] (٤٣٠، ص١٣٩ و ١٤٢ و ٨٨٩ - ٨٩٥؛ ١٨، ص١٧٣)، وكان الحكام ومعاونوهم (مثلا، الطريفيون) يستولون على الأرياف والأراضي. وإلى جانب مثل هؤلاء الأسياد والأصحاب للأرياف كانت في القرنين التاسع والعاشر موجودة فئة من أصحاب الضياع (أهل الضياع) التي كان يتصف بها على الأخص سهل صنعاء (١٩٣، ص١٦٢). ويجري الحديث في (تاريخ صنعاء) بصدد أنهم كانوا يستغلون الفلاحين بعنف وحتى أولئك الذين لم يكونوا تحت سلطتهم (٩١، ص ١٠٧، الصيغة الأخرى: ١٦٢، ص ٩٠). وحسب ما يذكر في الأساطير فإنهم حصلوا على ضياعهم من سيف بن ذي يزن، والمغزى التأريخي لهذه الأسطورة هو الادعاء بالامتلاك منذ العهد الجاهلي، الأمر الذي قد يكون صحيحا بالقدر الكافي.

---

[1] أيضا نختلف مع الكاتب حول فهمه هنا بأن الأرض كانت متحدة بسبب الري لأنه يجهل طبيعة أراضي السقي باليمن والتي لا علاقة لها بالملكية العامة كما هو الحال في الماء - المترجم.

[2] لقد أبقى الإمام الهادي ملكية اليهود اليمنيين في نجران مقابل دفع ١/٩ بدلا من العشر تمييزا لهم عن المسلمين كما يسمح لهم بشراء أرض من المسلمين بنفس الشروط المترجم.

في اليمن من القرون الوسطى الظاهرة الكثيفة بالملكية الكبيرة للأرض. ونمى التعرض المؤلف للعهد الإسلامي بشكل خاص بوجودها ونموها، وفي القرنين التاسع والعاشر كانت قطاعات الأرض (العقارات) ذات مساحة ٣٠ ألف قفيز تعتبر قطاعات كبيرة (٤٥١، ص٣٦١). إلا أننا لا نعرف القياس الدقيق للقفيز اليمني ولكن لأجل التقدير التقريبي يمكن استخدام القفيز المعروف في العراق، وعندئذ يبلغ متوسط مساحة القطاعات، التي كانت تعتبر كبيرة في اليمن، زهاء ٤٨٠ - ٥٠٠ هكتار. وكانت مثل هذه الأملاك موجودة، مثلا، في الأراضي المقفرة والمحولة جزئيا إلى مراع في الجوف ومأرب، أي في أراضي الري القديم.

وكانت أملاك الأراضي الكبيرة تحفز تطور الإيجار بالمحاصة. ولهذا، مثلا، قصة بصدد الحافظ المشهور للأحاديث النبوية والفقه طاووس بن كيسان الذي كان يؤجر كل أراضيه لأنه لم يكن قادرا على فلاحتها (٩١، ص ٣٣٦).

وعاد العهد الإسلامي بعض الشيء من إعادة توزيع رصيد الأراضي، فأصبح جزء من الأراضي ملكا للدولة، وحصل الولاة والحكام النازحون إلى اليمن على الأراضي، ونال اليمنيون الذين غادروا البلاد جزءا من الأراضي بقطاعات أرض (الواقعة، مثلا، في العراق) مع غير اليمنيين الذين بقوا في الجزيرة العربية (مثلا، مع سكان المدينة) (راجع: ١٣٥، المتسلسل ١، ص ٢٨٥) وخصص الأئمة الزيديون الأراضي للطبريين النازحين إلى اليمن، واستولى الصليحيون أنفسهم على الأراضي ووزعوها على المقربين منهم، إلا أنه ينبغي الافتراض بأنه بقي ملاكا أساسيين ورثة الأعيان الحميريين، وأعقاب سكان المدن الأثرياء من العهد الحميري وملاك الأراضي الحميريون القاطنون في الأرياف الجبلية والسهلية.

كانت الزراعة المصدر الرئيسي للمنتوجات الغذائية لليمنيين، وكانوا يزرعون في البلاد البر والذرة والشعير، وفي النقوش المتعلقة بترميم سد مأرب في القرنين الخامس والسادس تسرد قائمة ما تم تزويده للعاملين: البر والشعير والذرة، وخلال ما بين القرنين السابع والعاشر بقي شتى أنواع القمح (البر والحنطة) والذرة أساس إنتاج الحبوب في اليمن (١٢٨، ص٩٥؛ ١٩٤، المجلد ١، الجزء ص، ٢٧٣؛ ٢٣٣، ص ٢٠٦؛ ١٢٥، ص

٣٢٥ و ٣٥٨ ؛ ١٩٣: ص ١٠٦). يصعب مجمل المعلومات الخاصة بزراعة الحبوب في اليمن (راجع : ٣٤٢: ص ٤٠ و ٤٧ و ١٤٩؛ ٣٢٦: ص ٩٩ ؛ ٣٢: ص ٣٠٥ ؛ ١٥١). ومن المناطق الأساسية لإنبات الحبوب كانت سهل صنعاء ونجران ومنطقتها والمقاطعات الهمدانية، وموزع، بشكل خاص المناطق الوسطى، ((الحميرية)) (الأمطار وزرعين والسهول)) التي كانت تنمو في القرن العاشر بـ((الأمطار وزرعين والسهول)) التي كانت تنمو في القرن العاشر بـ((المصر اليمنية)) (١٢٥؛ ص١٢٩). وكان القمح اليمني يصدر في العصر الجاهلي إلى سائر أجزاء الجزيرة العربية (قارن: ٣٨، المجلد ١، ١٢٥). وليست ثمة معطيات عن شح الحبوب في اليمن في العهد الإسلامي المبكر، وتدل وفرة المعلومات الخاصة بشرح أنواع الحبوب والصيغة العامة للمواصفات التي تبجل بركة الأرض اليمنية (مثل ما جاء سواء عند الهمداني اليمني أو ابن رسته غير اليمني) على الازدهار النسبي للزراعة اليمنية في القرون الوسطى المبكرة، وانخفض إنتاج القمح بعض الشيء خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وكانوا يستوردونه إلى اليمن من مصر بدون دفع الرسوم الجمركية، وفي القرن الرابع عشر ازداد إنتاج الأرز الذي جرى زرعه بمثابة حبوب زراعية على يد الرسوليين (٣٢٦، ص ٩٩ و ١١١).

واشتهرت المناطق المجاورة للبادية والواحات دائما بالتمر الممتاز، وكان العنب اليمني مشهورا، وأنتجت خضراوات وفواكه متنوعة شتى (التمر؛ العنب: ارياني ٣٣ : ٢٨، ص ٩٩ ؛ ١٩٦، المجلد ١، الجزء٢، ص١٧٢ ؛ ٣٣٣، ص ٢٠٦ ؛ ٤٦١، ص ٤١٦، والترمـــــا، ص ٣٤٤ ؛ ١٢٢، ص ١١٩ و ١٢١ و ١٢٥، ص ٣٥٤: ١٩٣ ؛ ١١١ ؛ ٥٣٠، ص١٨٨ ؛ الفول والحمص والجزر والخيار والقرع: ١٢٥، ص ٥٥ و ٣٥٨ – ٣٥٩ ؛ التفاح والمشمش والخوخ والبطيخ ١٩٣، ص ١١٦ – ١١٢، ١٢٢، ص ١٢٠ – ١٢١ ؛ ١٢٥، ص ٣٥٤ – ٣٥٦ ؛ ٣٦٠: الجوز ((اللوز)) ١٤٩، ص ٦٦ ؛ ٩٦، ص ١٣٦ ؛ ٩٩، ص ١٤١ ؛ ٢١، المجلد ١، ص ٦١، المجلد ٥، ص ٣٧٤). البساتين وحقول الحبوب وأشجار النخيل المفردة وأحراج النخيل – تلك هي اللوحة الطبيعية للسهول والوديان الجبلية في اليمن خلال القرون الوسطى، وكانت البساتين والحواكير تشغل كذلك الجزء الكبير من أراضي المدن وكانوا في اليمن ينبتون ويصدرون الورس – الزعفران

البري) وكان العسل اليمني مشهورا، إلا أنه في مجال عطايا أرض جنوب الجزيرة العربية الواردة في المصادر من العهد الإسلامي افتقاد لتعدد النباتات التي كانت تعطي البخور والمر وسائر المواد العطرية التي كانت تشتهر بها اليمن القديمة اشتهارا كبيرا (رغم ذلك راجع: ١٢٥؛ ص ٣٦٠).

وكانت تربية الماشية في اليمن القديمة ذات طابع حضاري وكانت تغلب فيها تربية الأبقار، واستمر مثل هذا الوضع حتى القرون الوسطى، وأما في الوقت الحاضر فأساس تربية الماشية فيها هو تربية الأغنام، وفي عهد نشر الإسلام وكذلك خلال القرنين التاسع والعاشر كانوا يربون في اليمن البقر، وتدل المصادر على سلالات عديدة منه في منطقتي معافر – الجند وفي تهامة وأرجاء جرش (٣١: ص ٩١، ١٤٦؛ ص ٩١ و ١٢٥ ؛ ١٢٥: ص ٢٦٢ ؛ ٤٣٢: ص ٤١ و ٥١ و ٥٥) واستخدم مؤلفو الأسفار اليمنيون منذ القرن الثالث عشر كلمة ((البقر)) الدلالة على الماشية عموما (٣٣١، ص٨٧ ؛ ٣١٩: ص ١٤٢).

إلا أنه حسب بعض المعطيات يمكن متابعة الازدياد التدريجي لأهمية الأغنام، وهي ترد بمقادير كبيرة في قوائم غنائم الجيوش الحميرية التي قمعت العصيانات في القرن السادس (مثلا، RY. 308))، وفي النصوص الخاصة بقواعد جباية الضرائب وفي الشهادات الراجعة لعهد نشر الإسلام، وفقا لما يرد في المصطلحات، تؤخذ الأغنام بعين الاعتبار في المقام الأول (راجع، مثلا: ١٩٤، المجلد ١، الجزء ٢، ص ٣٥ و ٣٨، المجلد ٢، ص ٣٥)، وذلك، طبعا، يعكس فقط جزئية الواقع اليمني، والكثير مقتبس مجريا من الممارسة واستعمال الكلمات السارية في الجزيرة العربية الداخلية، ولكن هذه الوقائع هي الأخرى ذات دلالة باعتبارها بداية عملية تغير اتجاه تربية الماشية، والتي انتهت في زمن متأخر بكثير.

كان اليمنيون في القرن العاشر ((وربما أسلافهم (قارن: ١٩١) وأخلافهم أيضا)) يأكلون الرغيف المصنوع من القمح البر والذرة والحنطة الرومية وكان الرغيف المصنوع من الحنطة الرومية مشهورا بأنه لم يكن ينكسر وكان يحتفظ بالطراوة خلال مدة طويلة، وكانوا يطهون الكشك من البرغل بعد خلطه باللبن الرائب، وكان لا يفسد خلال مدة طويلة ولذلك كانوا يأخذونه في الطريق (١٩٣، ص١١٤ ؛ ص ٣٥٢).

٢٤٢، ص٢١٨، ٢٢٨ - ٢٢٩) وكانوا يستخدمون في الغذاء كثيرا من التمر وشتى أنواع الفواكه والخضروات، وكانوا يأكلون الطبيخ بالسكر لأنه لم يكن حلوا بالقدر الكافي(١٩٦؛ ص ١١٦).

وكان الموز ((الموز)) يعتبر طعاما طيبا، وكانوا يستوردونه، حسب ما يقال من إيران(٩٩؛ ص ١١١؛ ٣٥؛ المجلد ١، ص ٦١؛ المجلد ٥، ص ٣٧٤)، وكانوا يعرفون بالتفاصيل بين الأصناف العديدة (السود المحلية أم المستوردة)) من الفواكه (قارن: ١٢٢، ص ١١٦ - ١٢؛ ١٢٥، ص ٢٥٥ - ٢٥٤)، وكانت اليمن ولا سيما نجران تشتهر بالحلويات وكانوا يحبون بشكل خاص المأكولات بالعسل (مثلا، العسل المخلوط بدقيق القمح)(٧١، المجلد ٣، ص ٢٦؛ ١٢٥، ص ٢٥٦ - ٢٥٨).

إن المصادر تمدح اللبن اليمني (قارن: ١١٦، ص ٢٦٥: مجرد ((اللبن)) المتفوق من حيث القيمة الغذائية والطعم على ما يعتبر خارج اليمن زبدة، وكانت الزبدة والسمن اليمنيان يعتبران أيضا جيدين جدا وكانا يدخلان في قوام الطعام الأساسي للغذاء ١٢٤، ص ٣٤٦ - ٣٤٧)، ولا يقال شيء ما عن الجبن اليمني في المصادر.

وكان اليمنيون يسلقون اللحم، و كان يبقى مدة طويلة بعد السلق في قدر من الحجر أو الفخار بعد تغطيته، بالخل (مثلاً، في منطقة سهل صنعاء) ولذلك كانوا يشترون اللحم في صنعاء مخصوصا عادة لأسبوع كامل ويطهونه فورا وفي ما بعد يسخنونه فقط (١٢٤، ص ٣٤٥ و ٣٤٧؛ ١٢٦، ص ٤٢ - ٤٣؛ راجع: ١٩٢، ص ١٦٢).

وكتب ابن روسته باندهاش عن أهالي صنعاء يقول: ((إنهم يأكلون لحم البقر على الضأن السمين الرغم أنهم يشترون هذا وذاك بنفس السعر)) ١٩٢، ص ١١٢، وهذه الخاصية الزائلة في الوقت الحاضر لأزوال اليمنيين تعكس التقليد القديم لتربية الأبقار الذي كان لا يزال باقيا في القرون الوسطى المبكرة.

في العصر الجاهلي وخلال بعض الزمن بعد اعتناق الإسلام كانوا يحضرون في اليمن شتى أنواع المشروبات المسكرة بقدر خفيف من التمر (السطر ٥٠ - ٥١؛ ٤٢٠)، ومن الشعير (المزر ١٩٤، المجلد ١، الجزء ٢، ص ٨٤ و ٨٦؛ ١٤٥، المجلد ١، ص ١٠٩٩؛ المزر - من الذرة العويجة؛ وربما المزر (المشروب مسكر)) عموما؛ قارن:

١٩٣؛ ص ١٨٩) ومن العسل ((البتع ١٩١، المجلد ٦، الجزء ٢، ص ٨٤ و ٨٦؛ ١٥٥، المجلد ٢، ص ٢٥٦، المجلد ٤، ص ٣٩، والكن قارن ١٩٧، المجلد ٢، ص ٩٣؛ البتع نبيذ العسل) - وكذلك النبيذ ((٦٩٦ - سطر ١٩٦)) ومن العنب والزبيب ((الخمر - الزبيب؛ سطر ٤٧ - ٤٨ و ٩٣ - ٩٤؛ سطر ١٩٨)) ٤٣؛ ص ٤٢) وبالرغم من الحظر المعروف كانوا يحضرون النبيذ في القرنين التاسع والعاشر في منطقتي تمل بريسم وسطار وصنعاء.

وهنا كانوا يربون الجمال والخيل في اليمن في القرون الوسطى المبكرة، وظهر الجمل فيها في نهاية القرن العشرين قبل الميلاد، وكان معروفا جيدا في العهد القديم كواسطة رئيسية لنقل السلع اليمنية عبر الصحراء إلى الشمال، وتزايد استخدامه داخل اليمن بقدر ازدياد الصلات مع بدو الجزيرة العربية، وكان الجمل يستخدم خلال ما بين القرنين الرابع والسادس على نطاق واسع في أعمال الإنشاء، ولا سيما الري والتربيات المتكررة لسد مأرب، وكان الجمل الملك الرئيسي للبدو ووسيلة التنقل والإنتاج، وفي عهد نشر الإسلام كانت الصدقة تجبى من قبائل حضرموت بالجمال، وكانوا يربون الجمل في جميع أرجاء اليمن، وكان الجمل الحميري يتمتع بشهرة خاصة، وقد كانوا في القرنين التاسع والعاشر يربون هذا النوع من الجمال في شتى مواقع اليمن.

وكانت الخيل اليمنية، التي ظهرت في القرنين الثاني والثالث، مشهورة ولكنها كانت قليلة العدد، وإلى جوار العدد الضخم للمساكن الشاة والإبل المشتركين في الغزوات تذكر النقوش عشرات وحتى وحدات الأفراس والفرسان، وتذكر الخيول بالعشرات وليس أكثر من تاريخ نشر الإسلام ويرد تعدادها بشكل خاص في المعاهدات، وكانت أسعار الخيل في اليمن في أواسط القرن السابع أعلى بكثير مما هي في الحجاز (قارن: ٧٤، ص ٨٤)، وتذكر الخيل المشهورة العائدة للأعيان اليمنيين وموالي الخلفاء بشكل خاص من قبل المؤرخين ولكن ليس ثمة معلومات عن التطور الكبير لتربية الخيل لذلك القدر الذي جرى تسجيله في ما يتعلق بالقرن الثالث عشر عندما كان في مقدور السلطان الرسولي أن يرسل إلى المصريين المحاربين ضد

[illegible] كانت الثانية بمثابة ملك خاص منذ زمن بعيد في الجزيرة العربية [راجع: ٣٦٦، ص ٩٨ – ١٠٠]. وتعرض النظرية والممارسة الإسلاميتان فرض الضرائب الخاصة المختلفة، وكانت الضرائب الإسلامية تجبى في اليمن من الأشخاص العاديين، وكانت القطعان الكبيرة للماشية الموجودة في أيدي أعيان القبائل اليمنية الرحل والحضر منها، بمثابة أساس ثروة هذه الفئة من الطبقة السائدة في اليمن في القرون الوسطى.

كما كانت اليمن في القرون الوسطى المبكرة مشهورة، بثرواتها الباطنية، وكان الاستخراج النشيط لشتى أنواع الخامات النافعة يوافق بالذات مرحلة العصور الوسطى المبكرة لتاريخ اليمن.

وكانوا يستخرجون في البلاد الأحجار الكريمة وأحجار الزينة التي كانت تحتل مكاناً كبيراً في مجموعة الحلي العائدة إلى القرون الوسطى المبكرة في الشرق الأدنى والتي كانت تتمتع، حسب ما يزعم، بخصائص شافية وصائنة، ومنها العقيق والجزع والزبرجد، وكان العقيق اليماني يعتبر فريداً من حيث عمق لونه الأحمر القاتم [٢٤٤، ص ١٠٨ – ١١١، ٢٩٠، ص ١٦٢ – ١٧٢، ٣٠١، ص ١٦٠ – ١٦٥، ١٢٥، ص ٣٦٤ – ٣٦٨، ١٨٧، ص ١٣٦]. وكان في القرن التاسع مشهوراً منجم الرضراض للفضة الذي كان يتفوق، وفق ما يعتقده الهمداني، على مناجم خراسان المشهورة. وفي القرنين التاسع والعاشر قد كان جزء كبير منه ملكاً للفرس القاطنين في صنعاء وفي قرية الرضراض ذاتها[1].

في العهد الإسلامي كان بعض أجزاء المنجم أيضاً عائداً ملكاً لشتى القبائل والعشائر، وكان يقع في أراضي القبائل الهمدانية (وبشكل رئيسي، قبيلة نهم)، ولكن المذحجيين نازعوا معها بشدة على المنجم، وتمكن الزعيم المذحجي المشهور

---

[1] للمزيد راجع كتاب الجوهرتين الذي قمت بتحقيقه ونشره. المترجم.

ابن الزوية من أن يستولوا على جزء منه، وكانت الطريق المؤدي من المنجم إلى صنعاء والعراق، وكانت تراقب عليها بعض القبائل التي هي الأخرى صارت شريكاً في تقاسم المداخيل الناجمة عن الاستثمارات.

في القرن التاسع كانت المراقبة العامة على المنجم تعود لليعفريين الذين كانوا يحصلون منه على حصتهم ((السلطانية)) بوساطة الموظفين المعينين خصيصاً لأجل ذلك، وفي عام ٢٧٠ / ٨٨٣ قامت أرجاء هذا المنجم بعصيان ضد اليعفري إبراهيم فأوقفت ماضرة المنجم طاردة الفرس منها، فبرأته امالقه وخلال هذه الفترة انقطع استخراج خام الفضة ولم يستأنف بعد ذلك، وربما ليس من جراء الأسباب السياسية بل ونتيجة لنفاد باطنه. وفي نفس الزمن تقريباً غور منجم بكة المشهور [للذهب ١٧٧، ص ٣٥ أ – ٣٦ ب و ٣٢ أ].

وفي اليمن الحميرية بلغت مستوى رفيعاً من التطور أعمال الإنشاء وفن النقش على الحجر ونحت التماثيل من البرونز والحجر، وما يخص العهد الإسلامي فليس ثمة معلومات بصدد أعمال نحاتي التماثيل اليمنيين من الحجر أو المعدن.

وبموازاة اضمحلال الدولة المركزية، ربما ضعف النشاط الإنشائي. وفي العهد الإسلامي تدمرت الحصون والقصور والسدود القديمة بالتدريج ولم يعد إنشاؤها فيما بعد، إلا أنه شيدت مبان جديدة عديدة ((بالمقام الأول المساجد، مثلاً، في صنعاء والجند وزبيد)) ومتابعة لتقاليد العهد الحميري في شكلها المعماري واضحة للعيان [راجع، مثلاً: ٤٥٢؛ ٢٧١؛ ٤٧٦]. ويدل طابع الفن المعماري التقليدي المعاصر على أنه في أيامنا الحاضرة أيضاً لا زال باقياً العديد من السمات التي ميزت الفن المعماري العائد إلى العهد الحميري: الجمع بين الوطائد الحجرية والجدران من الآجر الطري، ووجود الأبراج وتعدد الطوابق واستعمال الجير لأجل التزيين الخارجي للجدران والنوافذ.

كانت اليمن الجاهلية، كما يدل على ذلك الشعر الجاهلي، بالنسبة لكل الجزيرة العربية بمثابة إحدى المنتجات الرئيسية للعديد من المصنوعات الحرفية الضرورية والثمينة تقييماً رفيعاً، ومنها الأسلحة والمصنوعات الجلدية والأقمشة والملابس، وعلى نطاق الجزيرة العربية كلها كانت الأقمشة اليمنية المختلفة

والملابس المصنوعة منها مشهورة، وانتشرت ملابس اليمنيين المخيطة بهاء في المدينة منذ القمص الفاخرة والعمائم الموهوبة إلى النبي محمد ﷺ، وكان الولاة الأولون للجنوب الجزيرة العربية يمونون العشرات من المدن والقرى بالأقمشة والملابس اليمنية، وفي القرنين الثامن والتاسع نسج النساجون اليمنيون المكسوة (القطيفة المخملية)، والمشهورة بجودتها وأقمشتها وملابسها، ومارس سكانها نسج الأقمشة فيها بعد أن نزح منها معظم النصارى في أيام الخليفة عمر، وكان في عدادهم نساجون عديدون وكان القطن بمثابة المادة الخام لأجل هذه الحرفة، وكان يزرع جزئيا في اليمن ويستورد جزئيا من الخارج.

وكانت تربية الأبقار تقدم موادا خاما لأجل عمل الدباغ، (فكانت الجلود اليمنية مشهورة بليونتها وانعدام التجاعيد فيها، وكانت مصنوعات صناع الجلود اليمنيين مشهورة على نطاق الجزيرة العربية) جمعاء.

وكانت المراكز الأساسية لتطور هذه الحرف تقع في شمال اليمن، وكانت صعدة من مثل هذه المراكز، وكان التصنيع المتقن للجلود وصنع المصنوعات من الجلد يعتبران من السمات المميزة الرئيسية لليمن في القرنين التاسع والعاشر أيضا.

كما كانت الجزيرة العربية الجاهلية تحصل من اليمن على الأسلحة: النصال والرماح والصدرات الزردة المصنوعة من المعدن المحلي أو المستورد من الهند (راجع نبذة (الوقائع اليمنية في الشعر الجاهلي)). إن الأنواع المذكورة أعلاه للحرف التي كانت موجودة في اليمن الحميرية ما زالت باقية في اليمن الإسلامية، وتحملت مصنوعات النساجين وصناع الجلود والأسلحة المحليين المنافسة مع السلع الواردة إلى اليمن من جميع أرجاء العالم، وجغرافيو القرون الوسطى العرب مجدوا مصنوعات الحرفيين اليمنيين وكتبوا عن ثراء ويسر الأسطوات اليمنيين (راجع، مثلا: ١٩٢، ص ١١٠)، وهم بالذات كانوا يؤلفون الجزء الكبير من أهالي المدن والعديد من القرى بالبلاد وكانوا المشاركين النشيطين في حياتها الاقتصادية والاجتماعية.

غير أنه في اليمن الإسلامية التي بقيت بلداً للمزارعين والحرفيين حيث لم يكن العمل الحرفي يعتبر مشرفا، وفي عهد الخلافة العربية المبكرة كانت الاتجاهات القيمية العديدة

القاسية بمجتمع الرحل وأشباه الرحل والمنقولة إلى جانب الاتجاهات القيمية الأخرى، وكان بموجبها عمل الحرفي (الحداد والنساج والدباغ) يعتبر معيبا ومشينا[1].

وفي الخطاب الموجه ضد اليمنيين في أواسط القرن الثامن) عدد ما يلي: (إنهم جميعا ليسوا إلا دباغي الجلود ونساجي المعاطف ومشذبي [illegible] مع قرود[2] (١٠٩١، المجلد ١، ص ٣٦-٤١)، وفي الأسطورة الحميرية المتعلقة بأسعد الكامل والمنتشرة في وسط اليمنيين القاطنين في اليمن وخارجها كان بمثابة الإجراء الأعلى لإهانة الأعداء المقهورين إرغامهم على ممارسة تلك الحرف التي كانت مميزة بالذات بالنسبة للعهد الحميري (٣٢٠، ص ٦٩، ١٥٨؛ ص ٤٧٥، ٢٦٤؛ الجزء ٣، ص ٣٢)، وفي القرن التاسع كان أهالي صنعاء، الذين كانوا يعتبرون أنفسهم عربا أصليين، ضد أبناء الفرس ويكرهم بكل ما هو ممكن فصاروا يلومونهم على تلك المهن الحرفية التي كانت تتوقف عليها حياة وازدهار مدينتهم في نواح كثيرة (١٨١، ص ٣٨٦)، وفيما بعد وقع الحرفيون في عداد الفئات الدنيا للتقسيم الاجتماعي في القرون الوسطى المتأخرة، إذ أصبحوا ضعفاء ومساكين.

إن ذلك يفسر ببعض الأسباب: من جهة فعلى ظل بقاء الحرف وحتى في ظل التسلع أسواق التصريف المحتملة (وقد أصبح العالم الإسلامي بمثابة مثل هذه السوق) بدت الحرف اليمنية على حافة الحياة الاقتصادية والاجتماعية للخلافة العربية، ولم يكن يستورد إلى بغداد ودمشق ما كان ينتجه الحرفيون اليمنيون، ومن جهة أخرى فعلى امتداد كل مرحلة القرون الوسطى المبكرة استوطنت في البلاد قبائل الرحل وأشباه الرحل التي كانت تحتقر العمل الحرفي وكانت قادرة على أن تفرض مثل هذا الموقف على جزء كبير من المجتمع، وأصبح العديد من الحرف يمتهنه الذميون (اليهود والنصارى) تقليديا بعد نشر الإسلام حينما انصرف اليمنيون بنشاط في السياسة و

---

[1] إن الإسلام بطبيعته يشجع العمل والإنتاج أيا كان نوعه إلا أن العادات القبلية لبدو الرحل فرضت نفسها ولا تزال حتى اليوم. المترجم.

[2] في صيغة أخرى: ما بينهم إلا وهو دابغ جلد، أو ناسج برد، أو سائس قرد. المترجم.

((الطيوب والتمور، والمصنوعات المعدنية المحاطة بها الحرف في المجتمع الإسلامي، الأمر الذي يعني بدوره، على عرض العديد من المهن أمام المسلمين لاحقاً ومن المعروف أنه في مطلع القرن العشرين كانت حرف كثيرة، بدءاً من الحياكة حتى صنع المجوهرات، من نصيب المشتغل اليهودي في اليمن، ومن الطبيعي أن هذه العوامل الجديدة أضيفت إلى العناصر القديمة جداً للقضية الاجتماعية، واحتقار الحرف والحرفيين هو ما يعبر العديد من المجتمعات القائمة في حوض البحر الأبيض المتوسط والمجتمعات العربية القائمة في إفريقيا (راجع، مثلاً: ١٦١).

وكانت التجارة إحدى الأشغال ذات الرتبة العليا في اليمن الحميرية وكذلك اليمن الإسلامية، وعاشت بها الحضارة القديمة في جنوب الجزيرة العربية بالقدر الكبير، والتجارة كانت ولا تزال حتى أيامنا المعاصرة تؤلف الجانب الهام للحياة الاقتصادية في المجتمع الإسلامي، ولا سيما في اليمن.

لقد هيأ وجود عدة مناطق جغرافية ((الوديان الخصبة والأنجاد والسهول والصحاري وأشباه الصحاري، ولكل منها منتوجاتها الزراعية ومنتجاتها الحرفية)) في اليمن حاجة اقتصادية ماسة إلى التبادل التجاري ((الداخلية))، وقد تحققت إمكانيات مثل هذا التبادل بفضل وجود المدن – المراكز التقليدية للتجارتين الداخلية والخارجية والأسواق الدائمة القائمة في الأرياف وكذلك بفضل حركة المرور المنتظمة الجارية في الطرق التي تخدم الحاجات للتجارتين الخارجية والداخلية. وعلى الإجمال فإن الروابط التجارية الداخلية ظلت مستمرة ومستقرة على امتداد مرحلة القرون الوسطى المبكرة، إلا أنها ضعفت بعض الشيء أثناء فترات الاضطرابات السياسية وقويت حينما نشأت وقويت الدولة المركزية على غرار الدولة الحميرية التي افتتحت عهد القرون الوسطى المبكرة والدولة الصليحية التي اختتمته.

ويمكن أن نلاحظ زخماً أكبر وتغيرات بارزة في مجال التجارة الخارجية، ورغم أن المصريين قد تعلموا في القرنين الخامس والسادس الوصول بأنفسهم إلى الهند وإفريقيا الشرقية عن طريق البحر ورغم أن الطلب على التوابل اليمنية انخفض في حوض البحر الأبيض المتوسط بصورة ملحوظة فإن دور اليمن باعتبارها مركزاً للتجارة

الترانزيت ظلت تجارية وسياسية هامة على الطريق المؤدي إلى الهند لا زال باقياً ومعترفاً به في العالم، وتكتسب هذا الدور معنى جديداً من جراء الصراع بين بيزنطة وإيران الساسانية ولا سيما أيضاً في سبيل الرقابة على الطريق المؤدي عبر البحر الأحمر إلى المحيط الهندي (راجع ٣٠٨، ٤٢٠، ٣٦٠، ٢٨٤، ٣٦٩).

وكانت القافلات تواصل التحرك نحو الشمال وتنقل السلع من الهند وإفريقيا مع كل ما كان يتم إنتاجه في اليمن (وتضعف أصداء هذه الروابط التجارية في معلقة الجاهلية العربية في انتشار الأنسال ((الإيلافية)) ورغم ذلك فإن هذه التجارة الموجهة إلى حوض البحر الأبيض المتوسط أخذت تضعف بالتدريج ولا سيما من جراء الفتح الإيراني الجاري في أواخر القرن السادس والذي قطع جزءاً كبيراً من علاقات جنوب الجزيرة العربية مع بيزنطة ولكنه عزز اشتداد اتجاه العلاقات التجارية القديم والثانوي الأهمية في السابق والمؤدي إلى العراق وإيران عن طريق يمامة.

ولقد أدى إضعاف تجارة المرور مع الهند وانخفاض أهمية السلع الصالحة لإعادة بيعها إلى تحفيز لتصدير المنتوجات اليمنية الصرفة، وكان الطلب على هذه المنتوجات قائماً في الجزيرة العربية الداخلية حيث كانت موجودة كذلك الطرق التجارية التقليدية وحيث نشأت خلال القرنين الخامس والسادس مراكز تجارية محلية لا بأس بها وإنما كانت القافلات اليمنية في العهد القديم تخترق الجزيرة العربية الداخلية ((من طريق إلى آخر)) دون أن تهتم بالقدر الكافي بالمتاجرة مع السكان المحليين بل وكانت تحتفظ بسلعها لأجل الشام ومصر الرومانيتين ففي القرن السادس تزايد دور اليمنيين في تجارة الجزيرة العربية الداخلية ونحن نعلم عن الصادرات اليمنية من خلال تحليل الشعر الجاهلي، وهي الأقمشة والأسلحة والجلود والأحجار الكريمة وأحجار التزيين وربما الحبوب وكذلك النبيذ (قارن ١٩٥).

كانت اليمن في أواخر القرن السادس تشارك بصورة نشيطة في منظومة الجزيرة العربية العامة للأسواق التي كانت تتوالى بعضها بعضاً. ومن عداد أسواق الجزيرة العربية الشهرية الاثنتي عشرة أقيمت أربع منها في اليمن: اثنتان منها تحت رقابة أبناء

الفرس في صنعاء وعدن والشام تحت رقابة القبائل الرحل في حضرموت والشحر ٣٤٠، ٦٢، ص ٢٩٣ - ٢٩٨).

وظهر جانب آخر في الدور التقليدي لليمن باعتبارها وسيطاً تجارياً. فقد كانت صنعاء وغيرها مركزاً مهماً من مراكز الجزيرة العربية، علاقاتها التجارية مع الحبشة والشام، وبواسطة عمل وكلاء ووساطة فعلية عادة بين التجار المكيين والتجار اليمنيين وحاول المكيون أن يفرضوا رقابة على طريق تجارتهم الصيفية. ويفسر ذلك العديد من روايات الملوك الحميريين السياسية، دفعهم إلى الدفاع عن مصالح المكيين التجارية (راجع ١٣٦، ١٣٩٩/١٣٦١، ٣٤٦، ص١٨).

وكان تحريم التعامل بالربا الخاص بفئة المسلمين يشمل التجار اليمنيين اللامسلمين أيضاً (راجع: ١٦٦، المجلد ١، الجزء ٢، ص ٣٥ - ٣٦ و ٨٥، ٩٨، ص٨٧ - ٨٨).

في أيام فتوحات الأمويين وحكمهم، أي خلال ما بين القرن السابع وبداية القرن الثامن، كانت اليمن بعيدة عن الأحداث الأساسية الخاصة سواء بالحياة السياسية أم الاقتصادية للخلافة العربية.

ونشأ الاتصال الجديد للروابط التجارية في زمان قيام خلافة العباسيين عندما كانت الروابط السياسية مع عاصمة الخلافة الجديدة - بغداد - وانتعش كذلك الطريق التجاري المؤدي إلى العراق، وكانت العلاقات المتبادلة نشيطة للغاية. وتتضمن مؤلفات الهمداني، مثلاً، الكثير من الأخبار والأحاديث الخاصة برحلات اليمنيين إلى العراق والعراقيين إلى اليمن، وكانت الفضة تصدر جزئياً من منجم الرضراض إلى العراق، وكان تنظيم سير القافلات أساساً في أيدي «الشركات» التجارية العراقية - الجماعات، وكان اليمنيون في أكثرية الأحوال يلتحقون بها. وكانت للتجار العراقيين في صنعاء خاناتهم ومستودعاتهم ووكالاتهم وممتلكاتهم. وعندما كان ينشأ وضع ملائم كانت علاقات العمل تتسع فعلاً. مثلاً رخصت الفضة كثيراً في بداية القرن العاشر في اليمن في ظروف التجارية الناشئة لم يجتز العراقيون وجمعهم أرباحاً طائلة من شرائها وكذلك المصريون والسوريون والفرس (راجع ٩٩، ص١١٢ - ١١٣؛ ١٧٧، ورقة ١٣٢ - ١٣٦ ب؛ ٣٤٢، ص ٢٠٨ و ٢٣٢).

إلى جانب العلاقات القائمة مع العراق وبلاد الفرس في المناطق الجنوبية طيلة سيادة الصليحيين الذين خلفوا الفرس الغزاة فهؤلاء كانوا يمارسون التجارة [illegible] من كبار تجار اليمن الإسلامية. وكان النشاط التجاري [illegible] من سلالة الشهابيين.

وكانت تصدر من اليمن الفضة والأحجار الكريمة وأحجار الزينة والزعفران العربي (الورس) والعسل والبخور والأقمشة والألبسة الفاخرة. وكانت التجارة تجري عبر الطريق البرية وعبر البحار على حد سواء، ولم تخمد أو تضعف أبداً الملاحة البحرية عبر البحر الأحمر، وكانت السفن الأولى تحمل حمولتها بحيث تسير في المواني اليمنية إلى البصرة وبعد. ومهما كانت الروابط المباشرة ربما لا تزال باقية ولكنها ضعفت إلا أنه في عهد الخلافة العباسية كان الطريق الأساسي لأهل البلاد يسير من الهند إلى البصرة ومن هناك إلى حوض البحر الأبيض المتوسط براً (راجع: ٣٣٦، ص١٣٥ - ١٤٠؛ ٣٣٣، ص٢١٢ - ٢١٣؛ ٢١٠، ص ٩٤ و ٨٥ و ٨٧).

وفي أواخر القرن العاشر وفي القرن الحادي عشر حدثت «النهضة» التدريجية لتجارة الدور الخاصة بمصر عن طريق اليمن مع الهند وعلاقاتها مع اليمن ذاتها، وساعدت على ذلك أيضاً الروابط الدبلوماسية للصليحيين مع الفاطميين، والعامل الأكثر أهمية، على انشقاق العالم الإسلامي إلى الغرب الفاطمي الشيعي والشرق السلجوقي السني قطع مصر عن الطرق التجارية الشرقية، وأصبحت اليمن من جديد بوابة تؤدي إلى الهند. وبدأ ازدهار مدن اليمن الساحلية، وبالمقام الأول عدن والشحر ومخا، وساعد على ذلك أيضاً تعزز الدولة المركزية في عهد الصليحيين، الأمر الذي وسع علاقات المدن الساحلية مع السوق الداخلية اليمن. وازدهرت أهمية تجارة الدور البحرية. وفي أيام الزريعيين والرسوليين، ما بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر، أصبحت هذه التجارة أحد الاتجاهات الرئيسية لنشاط الدولة الاقتصادي، ومؤلفات تلك الفترة الزمنية متوفرة بالنصوص الخاصة بالقواعد الجمركية والمداخيل الجمركية ومقادير الرسوم الجمركية والخاصة بوصول السفن من البلدان النائية وهلم جرا. وانتعش بقدر ما النشاط التجاري القديم والاتجاهات القديمة للروابط التجارية التي تساعد على نهضة وازدهار المدن الساحلية اليمنية (راجع ١٣٩، ٢٣٩، ص١٠٦ - ١١٢؛ ص١٠ - ١٥٧).

الباب الرابع

البدو والحضر

كان من السمات المميزة لمرحلة القرون الوسطى المبكرة في اليمن اشتداد التأثير المتبادل للنمطين الاقتصاديين والثقافيين الخاصين بالرحل مربي الماشية (البدو) المتحدرين من الجزيرة العربية الداخلية، والمزارعين الحضر وهم السكان الأصليون لجنوب الجزيرة العربية، وقد أثرت مسائل هذا الواقع في نواح كثيرة علي مجرى التطور الاجتماعي والثقافي في اليمن

وكان سبب تحول العلاقات فيما بين الرحل والحضر الي أحد العوامل الرئيسية في حياة المجتمع بجنوب الجزيرة العربية يعود إلي الانتشار العام لدور البدو مربي الجمال (أي البدو الأقحاح) في بداية الأمر في الجزيرة العربية الداخلية وفيما بعد كذلك في الجزيرة العربية كلها خلال القرون الأولى من عصرنا.

كان الوضع الاقتصادي والثقافي في الجزيرة العربية في بداية عصرنا يتميز بوجود دول الحضر الضخمة في أطراف الصحراء والتي كان تحت سلطتها عدد من الرحل ومن هذه المدن كانت بترا وتدمر والحضر وغزة والدولة السبئية - الحميرية، وأما الجزء الأساسي من الجزيرة العربية الداخلية فقد كان متمثلاً بالنمط الاقتصادي والثقافي للرحل، الذي كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمجتمع المزارعين الحضر في الواحات الكثيرة العدد نسبياً والمحاطة بالصحاري والتي كانت بمثابة مراكز هامة للتبادل التجاري.

خلال القرون الأولي من عصرنا جرى الهبوط التدريجي لدور دول الحضار الشمالية الواقعة في المناطق المجاورة للصحراء وأخذ يضعف تأثيرها في الجزيرة العربية وصار يشتد في الجزيرة العربية المستقل للرحل و تعززت رقابتهم علي الواحات والطرق التجارية وتغلغلوا بشكل أعمق إلي أراضي مناطق الحضار وسلح تبديل السرج بالرمح

لم يستطيعوا القيام بالتنقلات السريعة والبعيدة المدى على الجمال"، وكانت قبائل «البدو الأقحاح» تتنقل معها، بحثاً عن مراعٍ وغنائم جديدة، على نطاق الجزيرة العربية بعيداً، وجرى الصراع في سبيل إعادة اقتسام المراعي وفي سبيل مصادر المياه، وانعكس في كتاب «أيام العرب»، ونشأت دولة يقطنها سكان حضر، وتقع مراكز هذه الدول في المدن والقرى، ولكن الدور الرئيسي كان يعود فيها إلى قبائل الرحل وأعيان الرحل الذين تحدر منهم ملوك اللخميين والغساسنة والكنديين «النجديين» والقدامى".

ومع القبائل البدوية المتنقلة أخذت تنتشر على نطاق واسع اللغة العربية، والآثار المكتوبة الأولى باللغة العربية مثلاً، النقش من النمارة والنقش من قرية ذات كهل المكتشفة تؤرخ بالقرنين الثالث والرابع وحدث بعض التقارب في ثقافة أهالي الجزيرة العربية: لغتهم وإبداعهم الشعبي وشعرهم التاريخي وتصوراتهم الدينية، وأسهمت في ذلك الأسواق المنتظمة التي كان يحضرها الناس شهرياً من شتى أرجاء شبه الجزيرة.

وفي ظل هذا التواصل والتمازج للثقافات والعادات لهذه القبائل التي تربطها مصالح مشتركة ظهر الإسلام في هذه البيئة، وكان الناس المنتمون إلى مجتمعين من نمطين مرتبطين فيما بينهما بعلاقات التجارة والعون المتبادل والصراع المتبادل ودفع الإتاوة والرعاية والعداء والتحالف يشتركون معاً ضد الأعداء الدخلاء، وكذلك عبادة المقدسات المشتركة والتي كانت تضطلع بدور هام، وكانت الروابط والنزاعات التقليدية تتبدل فيها بروابط ونزعات جديدة وعلاقات مؤقتة حيث كان يخف ثأر الدم لمدة زمنية ما وحيث لم يجر سفك الدماء وحيث كانت تدور التجارة عند الأماكن والمنشآت المقدسة وحيث كان قضاة التحكيم الموقرون يحلون الخلافات الناجمة بين شتى الناس وفيما بين القبائل والعشائر، وغدت مكة مركزاً من مثل هذه المراكز، وقد تطور فيها بعد الطابع الموحد والتفوق على القبائل لهذا المركز.

---

(1) سنجد تفصيلاً لهذه النقطة في الفصل القادم الذي أضفته إلى هذا الكتاب من مؤلف العرب على أبواب بيزنطة. المترجم.

لقد كان لمجتمع الرحّل في الجزيرة العربية في مطلع القرون الوسطى الباكر تاريخ مديد في التمايز السياسي والاجتماعي على حد سواء، وكان يتميز بالمستوى المتوسط للانقسام إلى شرائح اجتماعية فضلاً عن كونه قائماً على اللحمة الخاصة القبائلية، لقد كانت ثمة شريحة للأعيان بالوراثة، الأشراف الأطهر وكذلك رؤساء بالوراثة"، وكان يظهر بين الفينة والفينة ملوك ذوو سلطة مطلقة، من حيث المعايير البدوية، وكانت تنشأ المراكز السياسية ذات المدينة والسوق ومقر الرئيسي، وكانت الدول الناشئة توحد الرحل والحضر كما كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً «بالبشول العالمي» في ذلك الحين "بيزنطة وبلاد فارس وحمير"، وكانت رعاية هذه الدول تعمل على ترسيخ سلطة الحكام التي لم يكن لها دائماً أساس وطيد بالقدر الكافي(1).

كما كانت تهل الفترة ما بين القرنين الرابع والسادس حتى تميزت الجزيرة العربية باشتداد نشاط ودور البدو الرحل، وأصبح البدوي أحد الشخصيات الرئيسية في حياة كل أرجاء الجزيرة العربية واتسع مجال النفوذ السياسي لقبائل الرحل وازدادت مساحات الأراضي المستخدمة كمراع لجمالها، وتجلت العملية العامة «النشر البدوية» في الضغط المستمر لقبائل الرحل والاتحادات شبه الحكومية القائمة في الجزيرة العربية الداخلية على الحدود الشمالية لليمن، وفي الهجمات المستمرة على القافلات اليمنية، ورداً على ذلك الضغط فقد مارس الحميريون سياسة نشيطة توحد الجزيرة العربية، قاهرين القبائل والأراضي.

في البدء كان البدو رعايا لدويلات جنوب الجزيرة العربية أو تحالفوا معها ولكنهم كانوا خاضعين لها، وقطن سكان الجزيرة العربية الرحّل على حدود الدويلات اليمنية أو في السهوب التي كانت تعتبر أراضي يمنية منذ القرن الرابع، وخدموا الحكام اليمنيين كأجراء في الفصائل الخاصة أو في عداد الوحدات المتطوعة

---

(1) راجع: ٢٩٦؛ ٣٠٦؛ ٣٢٤؛ ٣٦١؛ ٣٨٤ – ٣٨٦؛ ٣٨٩؛ ٣٩١ – ٣٩٣؛ ٣٩٨ – ٤٠٣؛ ٤٠٤ – ٤١٦؛ ٤٢٩؛ ٤٤٧ – ٤٥٠؛ ٥٦٠؛ ٥٣٨؛ بصدد القضايا العامة المتعلقة بالرحل في الجزيرة العربية راجع: ٣٠٠ – ٣٠٤؛ ٢٨٥.

القبائليون، ولقد يترابط دور المسالك البدوية بالتدريج فبدأت تظهر في الشمال مناطق اليمن وغالباً بعيداً عن معقوليها الأصلية، وجرى تنقل البدو الرحل في الأقاليم اليمنية الداخلية، إلى حيث اقتربت الحقول الثرية سابقاً أو إلى الوديان والأنجاد حيث تمكنت تلوح منذ زمن بعيد مراعي الرحل ((الأعرابيين)) (راجع الملاحظة ١ الخاصة بهذا الباب) وبشر انحلال دولة الحميريين المركزية وتدمير منظومات الري أخذ البدو يزحفون نحو الجنوب، إلى مناطق انتشار حضارة الحضارة العريقة.

إن الأراضي الصالحة للترحل قليلة في اليمن وكانت كثافة السكان في البلاد كبيرة دائماً، ولذلك أدى ظهور جماهير الرحل الكثيرة فيها إلى استقرارها رغم أن بعض الأراضي الواقعة في المناطق النائية من اليمن الزراعية تحولت إلى مراع وأما الرحل فقد عادوا إلى الترحل وأدى انتصار الرحل على الحضر، عاجلاً أم آجلاً، إلى تحضرهم وإلى تخليهم عن تقاليدهم الاقتصادية، ولكن البدو كفوا في بداية الأمر عن الترحل متحولين إلى وجهاء وولاة موظفين وإداريين ومعاونين لمالكي الأراضي المحليين ((الأقيال)) وجنود الملك والإقطاعيين، والقليلون منهم فقط انتقلوا إلى ممارسة فلاحة الأرض.

وفي العهد الحميري عندما كانت لا تزال الدولة المركزية قوية قبل تفككها أدت عملية دخول بدو الجزيرة العربية إلى المجال الجغرافي والاقتصادي والسياسي للحضارة اليمنية، إلى ((الحميرة)) سكان الجزيرة العربية، والنقوش اليمنية التي كانت تنعت القبائل بعشائر ((SJT٢)) كانت تنعتها أحياناً بالأسلوب اليمني الخالص - شعوب. المصطلح SJT (العشيرة، وجمعها Sr - عشائر) الوارد في نقوش القرنين الثاني والثالث يطابق كلمة ((العشيرة)) بالعربية، وبهذا النعت نعت بدو الأقاليم الشمالية ((الجوف)) في النقش أرياني ١٧، ويذكر في عدادهم Ymm الذي يطابق يم من شاهد (الهمداني) المعاصر، و dgryt وهم أهالي العاصمة الكندية قرية ذات كهل، ونفس المصطلح يتكرر للدلالة على الخولانيين في النقشين Ja 616 و Ja 685، ويشير أ. بيستون إلى أن المصطلح Szt وعشائر يتعارض مع المصطلح شعب

٢٧٠ ، ص ٤٤٣ ؛ ٣٦٩ ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ؛ ٤٩٤ ؛ الجزء ٤ ، ص ١٥٠٠، المصطلح شعب

هو ما يدل به قبلياً على الشاعيات الإقليمية؛ وغالباً ما يترجمونه بـ ((القبيلة)). الأمر الذي يسمح به إذا لم يهمل الفارق بين الشعوب وقبائل الرحل، ويصادف في النقش Fa Wiss / Sf / Srt / 74 ، ٢١٣ ، ١٦ ، إن كلمة ((الكهلان)) تعتبر في سلسلة الأنساب العائدة إلى القرون الوسطى بمثابة النعت العلم الخاص بقبائل البدو اليمنيين، وربما البوادي، RRin / Sr تعني في هذا المجال القبائل البدوية الخاضعة للحميريين.

وبعد ذلك حتى القرن الثالث سميت قبيلة كندة، التي غزت أراضي سبأ من الشمال، باسم ((الشعب))، وذلك ما جاء في النقش Ry 535 = Ja 576. ومن المحتمل أن واضع النقش استخدم مصطلحاً سلالياً سياسياً أكثر منه اجتماعياً بالنسبة إليه. ويحتمل أيضاً تفسير آخر لذلك فإن المذحجيين كانوا يعتبرون الكنديين مختلفين عن البدو الصرف، وكجماعة قد تحضرت بالقدر الكافي، وهكذا كان الأمر في الواقع، وقد كانت للكنديين عاصمتهم القيمة، وكان سكان الواحات الحضر خاضعين لهم؛ ولذلك كان يمكن تسمية سكان مملكتهم باسم ((الشعب))، وسميت باسم ((الشعوب)) قبائل غسان والأسد ومذحج ونزار في نقش علان ٧٥ العائد لذلك الزمان (١٢٤) ص ٤٩ - ٥٤.

وقد تسبب مشاهير أفراد قبائل الرحل في الجزيرة العربية منذ القرن الثالث تقولها بهدانية ميكربة للآلهة المحلية وسعوا إلى أن يسموا أنفسهم بأسماء يمنية، وأصبح أعيان الرحل أحياناً يحملون ذوي ألقاب وأسماء وملابس وآلهة يمنية، وكانت تجري عملية تشبه عملية تحويل البرابرة القاطنين على حدود الإمبراطورية الرومانية إلى ((رومانيين)) وتحويل عرب الدولة اللخمية إلى ((إيرانيين)) وتحول عرب مملكة الغسانيين إلى ((بيزنطيين)) وهلم جرا.

وفي معبد أوام المأربي يوجد نقش ((أرياني ١٦)) عائد إلى القرن الثالث من عصرنا ويعتبر إحدى الشهادات المبكرة على ((حميرة)) البدو، ونصه ما يلي: بادية وابن وأبناء مالك جذيمة وسعد والحارث، وأبناء بادية من يشع، وعملاء ((ومحبوبو mhbbt)) ذات باطع، من خدعتين الثنين، وبنو شمر يهرعش سبأ وذي ريدان أقاموا للهوان، حاكم أوام، تمثالاً من البرونز وعد به عهده بادية لقاء سلامة أبنائه

مالك وجديمة وسعد والحارث وجعل ابنائه آلحوم من ذي صلائم، وليواصل الملك في إهداء الملائمة لهم ولأبناء أبنائهم والثنية والأرتاح لشمر يهرعش، ملك سبأ وذي ريدان وليقيهم المقاه من شر وحسد أي عدو، باسم المقاه ثهوان ٣٢١، ص ٩٧ - ٩٨ / ٤١٦، الجزء ١، ص ٤٠٠.

إن النسل الذين كانوا يسمون بأسماء أصلية خاصة بالجزيرة العربية، قد كرسوا النقش لإله سبأ بأسماء حميرية، من المحتمل أن المصطلح mbbbt يقصد به الرجل الذين أصبحوا محبي الشعب المتحضر، وكان نفس المصطلح يعني المصطلح الاعتيادي الخاص بالتابعين - الأدم - dm، وصيغة النقش تبدو واضحة تماما، في الإهداء أصل اسم إله - المقاه، وحرف اللام الوارد فجاء في عبارة / lbrw hbry/hw والذي يدل الإضافة الخاصة بالكلمة الثانية لهو حرف عربي الأصل[١] ويتشخص أمامنا سكان الجزيرة العربية الذين دخلوا ضمن بنية المجتمع اليمني واستوعبوا بعض عناصر الثقافة اليمنية وسعوا إلى أن يسلكوا المسالك المفروض على اليمنيين في تلك ((النقوش والإهداءات المكرسة للمقاه)).

وحفظت الأسطورة العربية ذكرى كيفية قبول قبائل الجزيرة العربية لسلاسل النسب المحلية بعد أن وصلت إلى اليمن واختلطت مع القبائل المحلية (مثلا، بحسد شلهب بن أدد وأطالنا بن ذي الكلاع)) (راجع: ١٤٦، المجلد ١، ص ٣٥)، وهؤلاء هم تلك الفئة من الناس الذين تسميهم أسطورة القرون الوسطى أحيانا بـ ((اليمنو الحميريون)) (العرب الحميريون).

إن أ. بيستون يعتبر أن المصطلح hyb/t العيب الوارد في النقوش العائدة إلى القرن السادس يقصد الرجل من منطقة نجران الذين كانوا حلفاء للملوك الحميريين وحيوا معهم ضد سكان الدنيا[٢]، وكان في نجران وأرجائها في القرن السادس كثيرون من سكان الجزيرة العربية، وكانت المدينة المركز الرئيسي الذي وحد اليمن المتحضر

(١) ٤٩٤، الجزء ٨، ص ٤٠٠.

(٢) ٣٣٣، ص ١١٩ - ١٢٠.

والجزيرة العربية المترحلة، وفي المواد الخاصة بالشهداء النجرانيين نجد بين أسماء أهالي المدينة وأرجائها أسماء عربية أصيلة بدءا من اسم زعيم النصارى النجرانيين - الحارث بن كعب[١]، الذين كانوا يتكلمون في الغالب بالعربية[٢]، والافتراض أ. شهيد القائل بأنهم كانوا في نجران يكتبون بالعربية ليس معللا بالقدر الكافي ٣٧١، ص ١٨٣ و ١٨٦)، ولكن لا شك في أن نجران كانت مركزا للحفاظ على تقاليد الجزيرة العربية الثقافية والمعيشة واللغة العربية، الأمر الذي ساعد عليه كذلك العصر الجديد الأكثر من العصر الوثني.

وتتعلق بالأحداث النجرانية النقوش التي تعتبر ((الوثيقة)) أخرى تدل على عملية ((التحجير))، وهي نقوش تميم يزيد (راجع: ٣٢١).

ويتظاهر اسم هذا الشخص بأشكال مختلفة في النقوش المنقورة على الصخور العائدة إلى القرن السادس، ففي الجزيرة العربية الوسطى، وفي وادي موصل وليس بعيد من نقش معدي كرب يعفر، نقر شكل شخص ذي ربطة مخططة حول فخذيه ويحمل رمحا (نصله منعكس إلى أسفل) في يده وخنجر خلف حزامه، وبجواره اسمه - tmm - تميم[٣].

ونفس الشكل المشابه (الرجل ذو لحية يحمل رمحا مقلوبا وسيفا ذا ربطة ملفوفة حول فخذيه بشكل معقد) الذي يحمل النقش (التميم يزيد، فالد - كتاب لخيمت ذي جدن)) في النقش رقم ((Ry 514)) موجود في وادي كوكب الواقع شمالي نجران، وبجواره يوجد النقش: (التميم، فالد - كتاب أخيمت يرحم ذي جدن، ليرحم على أبناء مالك ذي جدن الرحمان آمين)) هذان النقشان موجودان قريبا من النقش الكبير المتعلق بغزو الجيوش التي أرسلها يوسف أسعد ضد الأحباش والنجرانيين.

(١) راجع مثلا: ٢٠٩، ص ٧٥ - ٧٦.

(٢) ٣٣٣، ص ٢٤٢ - ٢٥٠.

(٣) Ja 1030؛ ٢٠٠، ص ٥٥، قارن مع ٥٠٨ أ، ص ٢٤٨؛ ٣٦١، ص ٦.

وفي نفس الطريق، في مكان أقرب من نجران، عند بئر الحيمة وبجوار شجر خشن لشخص ذي خنجر يوجد النقش: "اللهم ذو هدابة، [illegible] يرحم ذي جدن ذي يزن، من تأليف أهيب ذي يزن"[1]، وبجوار هذا النقش يوجد كذلك حسب تفسير للدكتورة يوسف لسعد يتحدث عن نفس الغزو والنقش هو الرقم « Ja 1028 ».

وفي أخره يقول النقش: «اللهم بالهيئة وضعه وكتبه باسم الرحمان، من تأليف تميم ذي هدابي، رب اليهود باسم المحمود»[2]، وبجواره يوجد نقش قريب منه من حيث المضمون ومصنوع في نفس الوقت (الشهر يوليو عام ٥١٨) وهو النقش Ry 507 الذي يختتم بالعبارة: «إن هذا النقش صنعه وكتبه تميم، ابن معدن، ذو قسملت، السبئي» لأن جميع النقوش توجد في نفس الطريق وجميعها باستثناء الأول منها مذكورة أثناء غزو واحد جرى خلال شهري يونيو - يوليو عام ٥١٨ / وفي جميع النقوش ترد أسماء أفراد قبيلة ذي يزن القبيلة المشهورة باحتوائهم أصحاب تميم، واسم تميم ذاته يصادف بشكل نادر جدا[3] ولذلك فمن البديهي أن نفترض أن الحديث يدور حول نفس الشخص، ولا تتناقض مع هذا التشبيه الفوارق في سائر عناصر اسم تميم المرافقة للاسم في النقوش، وكلها متعلقة باختلاف خلافيا لنموذج أسماء الأشخاص المعمول به في جنوب الجزيرة العربية، واسم يزيد يصادف مرة واحدة ولكن ذلك هو الاسم الثاني وكان من المحتمل إهماله واسم الأب معدن (المعد، معد) موجود في نقش واحد فقط ولكن في بقية النقوش لا يوجد أي اسم أب أخر يتناقض مع اسم الأب هذا وهلم جرا.

إن الاسم يسمح بتحقيق منشأ تميم، اسم القبيلة هو dgsmlt، وفي أسماء النسب العربية تعرف اسم قبيلة السملت، أو السامل، المنحدرة من أزد شنوءة الذي قطن منطقة نجران»[4]، أي أن ذلك هو عشيرة أو قبيلة البدو النجرانيين، وفي سلاسل

[1] Ja 1030، ...، ص ...، قارن مع ...، ص ...، ص ٦.

[2] ...، ص ...، ص ٣١ - ...، ص ٣١٩ ...، ص ٣١ - ...، ص ٣٨.

[3] لا يوجد كذلك في النقش RES 4306.

[4] ...، المجلد ٢، ص ١٤٨، ...، ص ٢٣٠ - ...، ص ٢٩٣، ...، ص ٦٩، ...، ص ٩٥٣.

نسب أسلاف القسامل نصادف كذلك اسم مالك الذي يحتمل اقترانه مع مالك الوارد في Ry 513، بما أن علاقته مع ذي جدن القبيل ليست خفية[1]، ويمكن أن نرى في هدابة « dydyt » الاسم المتجسد والمنسوب إلى جدن - مكان إقامة المنازلين في واحة نجران[2]، الذي يشبه على حد ما الجدنيين، وعندئذ يكون تميم من السملت من الجدنيين.

إن اسم تميم ليس اسما مميزا لجنوب الجزيرة العربية، ويصادف بصورة نادرة في اليمن الجاهلية، وكذلك في منطقة نجران[3]، ولكنه كان منتشرا على نطاق واسع في اليمن في العهد الإسلامي ولكن على الغالب في الشمال، في وسط الشمال، وعلى خلاف ذلك فهذا الاسم كان دائما منتشرا على نطاق واسع في الجزيرة العربية الداخلية وقد سجل في السلاسل النسبية العربية، وفي النقوش الصافية والصمودية البدوية، والتعوز الجزيرة العربية الداخلية كذلك بالاسم الثاني لتميم - يزيد وباسم أبيه معدن - معدّ (راجع ١٨٢).

إن كل ذلك يدل على أن تميم يتحدر من البدو النازحين إلى الجزيرة العربية، والغزوات الحربية التي شارك هو فيها الغزو الأول ربما جرى في عهد معدي كرب يعفر عام ٥١٦ بما أن النقش Ry 457 = Ry 511 يوجد بالقرب من النقش Ry 510، متعلقة بمصالح الحميريين في الجزيرة العربية الداخلية وكانت تشارك فيها دائما القبائل المتطوعة الحميرية المتحالفة وقبائل البدو.

والنقش Ja 1028 شأنه شأن النقشين الآخرين المصنوعين أثناء ذلك الغزو « Ry 515 و Ry 508 » تحمل طابعا يهوديا جليا، (قارن[4] "لقد كانت الديانة اليهودية في ذلك الوقت الديانة الرسمية للدولة الحميرية، ولم تعن الصيغ اليهودية في النقوش

[1] ٦٥، ص ٤٧٦.

[2] ١٩٥، ص ٣١٠ - ٣١٦؛ ٥٤٢، ص ٦٤٧ - ١٤٩ و ١٥٥ - ١٥٦.

[3] ٢٠٩، الورقتان ٩٤ ب و ٩٥ ب.

[4] ٢٠٠، ص ٤٢ - ٥٠٨، أ، ص ٢٤٨.

حميريا لطشق القبيلة اليهودية وخلفها حقالت نفس الإعلان عن انتسابها للمجتمع

الحميري، ويمكن قول نفس الشيء عن استخدام لقب مطلق (الفاتح عسكريا)

(أي عسكري بلقد عزيها الملك أو الأنوان الأعلى)) بالنسبة لتميم، وفي هذه الحالة

يتمثل تميم بمثابة ممثل للقبيلة ذي يزن المشهورة أي بمثابة مواليهم وليس بمثابة رئيس

من الرحل، وهكذا فإن تميم المنحدر من الجزيرة العربية يعتبر عنصراً بعينه

((الحميري)) من عناصر اليوم الاجتماعي القبلي ويدخل ضمن المجتمع الحميري.

والتمثال صورة تميم، رغم تصويرها بصورة التربية في النقوش، تدل على أنه يعني

أصيل، فهو يحمل رمحاً مخططة ويمسك في يديه سلاحا يعتبر أصيلا ((السيف الأثر

المختص)) والرمح، ونفس القوس، وفي اسم الفرس، وفي اسم تميم، الذي احتفظ

بجذوره الخاصة بالجزيرة العربية، يمكن تبيان السعي الجلي إلى صياغته على النمط

اليمني. والصيغة المزدوجة لاسم تميم يزيد هي الصيغة الموازية للصياغة الأصلية للأسماء

اليمنية ((الحميرية)) ولا سيما أسماء زعماء تميم في نفس تلك النقوش. والألقاب على

أساس القبيلة ومكان الإقامة بوصفها هو على النحو الحميري، بحرف ذو، ونرى

أمامنا محاولة غير مكتملة حتى النهاية (ولذلك فإن لها صيغة خاصة في كل نقش من

النقوش) للتعبير عن الاسم ذي الأصل من الجزيرة العربية على النحو الحميري.

على النقش Ry 507 يسمي تميم نفسه بسبئي، أي يمني، ولكن استخدام مثل

هذه النسبة بالذات في الزمن، الذي كانت منتشرة فيه على نطاق واسع أسماء على غرار

((الحميري)) و ((المملكة حميرية)) خاصة بعد انهيار المملكة السبئية، أمر غير مفهوم

تماماً، ومن المحتمل أن ((الحميري)) كان يسمي فقط اليمني الأصل، الفرد من أفراد

الشعب، وأما كلمة ((السبئي)) فكانت تعني أكثرية الإقليم ((الجوف، مأرب)) وليس

السلسلة النسبية، وعلى كل حال ففي العهد الإسلامي المبكر نصادف النسبتين

((السبئي)) و ((المأربي)) بالنسبة للأشخاص القاطنين في مأرب من ذوي العلاقات القبلية

في الأقاليم الأخرى [1]، والنسب ((السبئي)) و ((المأربي)) و ((القطباني)) وحتى ((الأوساني))
مستخدمة بكثرة في العهد الإسلامي ولكنه يصعب تحديد طابع استخدامه [2].

أن تميم يزيد، ذا الأصل من الجزيرة العربية والذي أصبح ((حميريا)) تماما، ليس
المثال الوحيد على التطورات من هذا النوع. وبالقرب من خولان تبع نقوش لمختلفين عدة
ذوي أسماء عربية تماماً (Ry 515 ، ٢٠٠، ص ١٥١). ويذكر اسم بدوي ما
كان يحمل اللقب مكتو، في النقش Ja 950 من القلقة.

ورد أيضاً ((عربي)) ما في النقش الوحيد المنشور في الصخرة الواقعة في منطقة
نجران ((Ja 1011)).

أن ((المتحول)) تميم يزيد ليس مثال على العملية المعروفة جيداً لتمازج البدو الرحل مع
الحضارة الأكثر تطوراً، ولها مثيلات عديدة في التاريخ، أقربها فيليب العربي السوري
الأصل الذي أصبح امبراطورا رومانيا، والملك أوديناث التدمري الأصل الذي كان
يتفاخر بلقب ((أوغسطوس))، والغسانيون السوريون الذين كانوا يحملون ألقابا
بيزنطية، واللخميون العرب العراقيون الذين كانوا يدخلون ضمن الهرم الوظيفي
السياسي للإمبراطورية الساسانية، وهلم جرا.

وكان الرحّل في مناطق اليمن الشمالية يقطنون في أراضي الشعوب المتحضرة القوية
وكانوا خاضعين لها أو كانوا يدخلون ضمن هذه الشعوب ونشأ مثل هذا الاتحاد بين
الحضار والرحل بزعامة قبيلة الهمدانيين، وآلف شعب ذي همدان الذي تحول فيما بعد
إلى همدان، وهو إحدى القبائل الرئيسية في اليمن الإسلامية، وفي العهد الإسلامي
المبكر انضم إلى عداد همدان وخولان الرحل أو أولئك الذين كانوا رحلا منذ أمد
قريب وقبلوا الأسماء الحميرية القديمة.

إن همدان اسم أحد شعوب مناطق اليمن الشمالية، وقد تمكن أعيانه خلال
القرنين الثاني والثالث، من أن يخضعوا لأنفسهم الشعوب الأكثر قدماً من أمثال

---

[1] (راجع، مثلا، ٤٨، المجلد ١، ص ٤٦ ؛ ٩٣، المجلد ١، ص ١١).

[2] ٢٧، العدد ٩٥٠، ٢٠٢، العدد ٩٠.

حاشد وبكيل وغيرهما، حتى أصبح الأعيان الهمدانيون ملوكاً أيضاً خلال بعض الفترة الزمنية، وصار الهمدانيون يوحدون تحت سلطتهم الجزء الأكبر من الأراضي الشمالية وأصبح سكانها يسمون في غالب الأحيان بهمدان مؤلفين شعباً موحداً نظامياً نوعاً ما، وفي النقش Ja 1028 ((أواسط القرن السادس)) سمي هذا الشعب باسم همدان ((dhmdn))، أي ((الشعب الهمداني)) وفيما بعد ((الشعب همدان)).

وهذه هي المرحلة الانتقالية لتسمية الاتحاد القبلي الكبير باسم قبيلة همدان (قارن: ١٨٢، ص ١٨١)، وفي الفترة الأولى من العهد الإسلامي سمي هذا الاتحاد كله بمجرد همدان [1] والقصص الخاصة بانتشار الإسلام تسرد عدداً كبيراً من المتحكمين على ألوانها والتي كانت واقعة في أيدي الزعماء الهمدانيين [2].

لقد كانت الأراضي الهمدانية مكاناً حيث كان الرحل يقيمون اتصالات مع الحضر، واستوطنت قبائل مترحلة عديدة في الأراضي الهمدانية تقليدياً، وفي النقش Ja 1028 جاء تفسير مفهوم ((الشعب ذو همدان)) على النحو التالي: dhmdn/ hgrn/ wa'rbn، أي ((الشعب ذو همدان: أهالي المدن (المتحضرون والبدو))، والمنعكس في هذه الصيغة واقع أن البدو دخلوا في قوام الشعب اليمني الكبير، وأخذ الرحل يشغلون وضعاً ثانوياً في الاتحاد القبلي، وقبلوا الاسم المحلي التقليدي همدان ودخلوا في قوام ما تسمى بمصطلح شعب، وفي نفس النقش ترد أسماء فصائل قبائل كندة ومراد ومذحج والتي احتفظت باستقلاليتها، واستخدم بالنسبة إليها اسم جماعي آخر - هو erb - ولم يفلح بعد تحديد الفرق بين استخدام هذين الاسمين ((erb و erbr)) في نص النقوش ولكن الموازاة الأثنوغرافية العصرية قد تسلط بعض النور، وفي بادية الشام سموا عرباً جماعة من البدو الذين لم ينتموا إلى قبيلة واحدة ولم يؤلفوا جماعة قبلية موحدة [3].

[1] ١٩٤، المجلد ٢، الجزء ١، ص ٧٣ - فوم.
[2] ((مختصر تاريخ همدان في ولاية همدات راجع بتفاصيل: ١٨٨)).
[3] ٢٢٣، ص ٤١.

وفي تاريخ الهمدانيين تصادف مرة أخرى عبارة ((الحميرية)) بصيغة ((الهمدانية)) ويدل على ذلك ما جاء في القصص الخاصة بالبعثة الهمدانية المرسلة إلى النبي محمد ﷺ حيث يوجد نص يقول بإهداء شهادة إلى رئيسهم، ويتضمن النص تسميات بعدد من الفئات الناس التي تدخل ضمن همدان، ويبدو أن هذه الأسماء كانت معروفة جيداً للأعيان الهمدانيين الذين ظهر في وسطهم نص الشهادة التي تؤكد حق هؤلاء الأعيان في السلطة، لقد ورد في الشهادة أن مالك بن قيس يعين الآن بحكم شعبه همدان الأحمور والعرب والخلائط والموالي [1]، الأحمور هم الحميريون [2] وفي تفسير ابن هشام المنسوب إلى نص ابن سعد ورد اسم هؤلاء الأحمور، وفي البداية كان يرد مصطلح القدام ((القدام)) الذي يعني الرؤساء، الزعماء [3]، وفيما بعد سلالتي الأذواء المعروفين أي ((الأقيال)): ذو مران، ذو لأوة، وفي الصيغة الأكثر انتشاراً القائمة بين: الأحمور وهم الحريث والسعديون وآل ذو بارق والسبتي وآل ذو حدن وآل ذو رضوان وآل ذو لأوة وآل ذو مران [4]، إن مصطلح الأحمور يعني هنا السكان الأصليين، وبنفس المعنى يقال كذلك بمعنى أحمور العاهر وأحمور الخلل وأحمور يشيم [5]، وفيما أصبح يعني السكان القرويين الذين لم يكونوا يدخلون في عداد القبائل [6].

والفئة الثالثة واردة في نص ابن سعد ولدى يو، وبلها وزين (٥٣٥، المجلد ٤، ص ١٧١)، بمثابة غرباء، إن محمود القول على حق إن صحح ذلك إلى عرب ((العرب البدو)) [7]، وما يؤكد عليه كذلك بالموازاة عند الطبري في نفس المكان: أعراب همدان ((البدو همدان))، ويدخل ضمنهم: أرحب ونهم وشاكر ووديعة ويام مرهبة ودلان وخارف وعذر

[1] ١٩١، المجلد ١، الجزء ٢، ص ٧٣.
[2] قارن مع: ٩٤٢، ص ١٠٠ و ٢١٠.
[3] قارن مع: ٢٨٤، ص ١٠٢، ١١٨، ص ٣٣٧.
[4] ١٣٥، المسلسل ٣، ص ٢٤٨٧.
[5] ٣٤٩، ص ٧٠ - ٧١.
[6] ٤٠٨، ص ١٤ - ١٥.
[7] ٤٠٨، ص ١٤ - ١٥ و ٣٢، وهو يطابق المصطلح ((هجرة)) hgrn الوارد في النقش Ja 1028.

وحجور، وفي فئة أخرى للطبري: عنز وبام وذهم وشاكر وأرحب، وهذه هي أسماء القبائل المرحلة وشبه المرحلة الحقيقية العتيدة، المعروفة جيداً من التاريخ اليمني. وتسمى الفئة الأخرى بمصطلح المخلاف، ويصادف هذا المصطلح غالباً ما بعد / في القرن العاشر عند الهمداني الذي يعني لديه مجموعات السكان ذوي البنية المختلطة من العشائر والقبائل المتلاشية والنازحة وغيرها، ويكون منشأ العشائر مشوشاً ومنسياً وعلى كل حال ليس له أهمية جوهرية.

إن لمصطلح الموالي معاني كثيرة نسبياً، وعادة ما في حال استخدامه توخذ بعين الاعتبار شتى أنواع التبعية بشكل الرعاية، وبما أن الحديث يدور بصدد سلطة كبار الرؤساء فإنه ينبغي أن نرى في الموالي الناس التابعين لهم بصورة مباشرة (وربما سكان ضياعهم إلخ).

كان مالك بن قيس متحدراً من أرحب الذين كانوا ينتسبون إلى البدو ((العرب))، ما لم يكن يعني بالضرورة الرحل في القرن السابع إلا أن مثل هذا التقسيم كان يعني الذكرى عن الفرق بين المجموعات الأصلية والرحل السابقين، ويأتي نهوض الأرحبيين في الاتحاد القبلي همدان في المرحلة الانعطافية لنشر الإسلام وكان يعني التفوق العددي لأولئك العرب الذين كانوا في بداية القرن السادس يحتلون المرتبة الثانية في قوام همدان.

خلال القرنين السابع والثامن كان الهمدانيون لا يزالون يسمون عرباً (وفي هذه الحال ليس ((البدو)) بل ((العرب))) فابن الكلبي، مثلاً، كتب يقول: ((... الهمدانيون (و شخص ما آخر من العرب)) - ومعاجم بشيخة ١٢٨، ص ١٠)، في الأحاديث المتعلقة بأحداث القرنين العاشر والحادي عشر وفي المصادر الخاصة بالقرن الرابع عشر والتي تستند على مراجع القرنين العاشر والحادي عشر يدور الحديث عن ((همدان وعرب آخرين)) ولكن كذلك أحياناً عن ((العرب همدان)) أي عن عرب من همدان [1]، [2].

---

(١) ص ٨٩ و ٩٣.

(٢) قارن مع ١٩٦، الجزء ١، ص ١٠، الطوال ١٢ و ١٩ شعوب وعشائر خولان.

وخلال القرنين التاسع والعاشر تمثل همدان بمثابة إحدى قبائل اليمن، واستطاع زعماؤها، معتمدين على قوة القبائل المنظومة القبلية التي كانت مستعدة دائماً إلى أخذ وتحمل السلاح، القيام بالدور الحاسم في العديد من الأحداث السياسية وكانت ما تتعلق بهم مسائل دولة اليعفريين والإمامة الزيدية، ولكن ينبغي أن نشير بأن قبيلة همدان لم تنزح إلى أي مكان في العهد الإسلامي بل بقيت في أراضيها التاريخية وذلك بالدرجة الكبيرة من جراء أن التناسب بين الرحل والحضر قد استقر فيها قبل الإسلام أو في ذات الفترة البدائية للعصر الإسلامي.

إن خولان أيضاً يشبه همدان في بعض الشيء وهو كذلك أيضاً اسم شعب وأرض قديمين، وخلال القرنين الثالث والرابع لربما ظهر الرحل في قوام شعب خولان وهو ما يمكن استخلاصه مما ذكر في قوامه مصطلح ...، أي القبائل المرحلة، وبعد الإسلام نزح الخولانيون كثيراً وإلى مسافات بعيدة وربما كانت بينهم مجموعات من الرحل لا زالت باقية لمدة طويلة جداً، وفي القرن التاسع كانوا يراقبون على المناطق الواقعة شمال شرقي صنعاء وناضلوا من أجل امتلاك هذه المدينة المركزية، وفي عهد الصليحيين قاتلت قبائل كبيرة من الخولانيين في المناطق الجبلية من مخلاف جعفر وشاركت بنشاط في النضال المنتشر هنالك من أجل السلطة العليا وامتلاك القصور ولكنها لم تظهر بتاتاً فيما بعد بمثابة مجموعة منفردة في المناطق الجنوبية المتباعدة جداً عن الصحاري والسهوب [1].

هكذا جرى التقارب بين النمطين الثقافي - الاقتصادي للرحل والحضر، وهكذا لم تزل تربية الماشية للرحل باقية لدى البدو فقط في حال القيام بالنزوحات العامة إلى السهوب اليمنية وأما في حال النزوح إلى أعماق البلاد فقد كانوا يتخلون عنها، وفي مجالي المعيشة والثقافة كذلك جرى التوحيد والتقارب بين الثقافة الحميرية بجلاء، ولكن التأثيرات كانت متبادلة عموماً، وقد ساعد ظهور البدو على تطور تربية الماشية وعلى انتشار تربية الجمال والأغنام؛ كما ولم يزل الاحتفاظ (بالبيتات)

---

(١) راجع: ٢٨٤، ص ١٢٤ - ١٢٦ : ١٤ ، ص ٦٠ : ٢٣٣ ، ص ٢٤٢ - ٢٥٠ : قارن مع ٢٣ ، ص ٨٢ و ٨٣.

الاجتماعية للقبائل المترحلة في مجالات كثيرة ولم تنضم إلى عداد النبلاء الحميريين المجتمع الآية للمستويات الرفيعة العليا، وتدل العبارات والكلمات العربية الأصل العديدة في النقوش اليمنية المتأخرة إلى القرن السادس على أن اللغة العربية أخذت تنتشر على نطاق البلاد، وقد كان الجمهور الأساسي من السكان يتكلم باللغة الحميرية. وتكون اللغة العربية أصبحت لغة للقادة العسكريين والجنود والرعاة والجيران ذوي الزعامة القبائلية، كما نعرف أن لغة الشاعرة والفاشية في الجزيرة العربية كانت معروفة جيداً في اليمن الحميري، وقد هيأ هذا الجانب العلاقات المتبادلة المقدمات لتغير تناسب التوازن الذي جرى أثر ظهور الإسلام.

لقد أصبح البدو ((أعراب)) وقبائلهم إحدى القوى السياسية الرئيسية في عهد انتشار الإسلام، رغم أنهم كانوا في بداية الأمر القوة الرئيسية للعرب وشكلوا فيما بعد الدعامة الرئيسية للإدارة الإسلامية وقد أدى ذلك إلى أن تقدم القبائل المترحلة وشبه المترحلة إلى أعماق البلاد، كعنصر لا يتجزأ من السكان الأصليين، وكتطبيق للشعار الإسلامي القائم على محاولة كسر حواجز النعرة الإقليمية الأمة إسلامية واحدة)).

أما بالنسبة للكنديين فقد استقروا في حضرموت رغم أن الكثيرين منهم توجهوا إلى العراق والشام لخوض الفتوحات، وكانت المملكة الكندية ((القديمة)) للقرنين الثاني والثالث من عصرنا والواقعة شمال اليمن تضم قبيلتي قحطان ومذحج المترحلتين وشبه المترحلتين وكذلك سكان الواحات المتحضرين، ولاسيما مدنيي عاصمة (القرية ذات كهل)¹ وكانت قد ظهرت قبيلة ثور الكندية في شمال اليمن خلال القرون الأولى من عصرنا وأخضعت قبائل وأراضي كثيرة أخذت تسمى تدريجيا، الفئة القبلية الحاكمة، باسم الكنديين ((الكندة)) والكندية، وتحولت مملكة الكنديين بالتدريج إلى قبيلة أو (الشعب) الكنديين، وكان كاتب النقش Ry 535 على حق بهذا المعنى عندما سمى الكندة شعبا، لأنه ربما شارك في الغزو الفاشل الذي شنه مالك بن بدع على اليمن بالمقام الأول، الرحل الذين كانوا يسمون بالكنديين وكان مالك يسمى بـ (الملك كندة) وخلال القرنين الثاني والثالث انضمت الفصائل الكندية المشتركة في العمليات الحربية للجيوش الحميرية إلى قوام فئة erb - المحاربين البدو.

وفي نفس تلك الفترة بدأت الروابط الأولى للكنديين مع حضرموت، وفي النقش يحكى ويدور الحديث عن سحق قبيلة الملك الحميري شمار يهرعش للدولة الكندية المشاركة القديم المساعدة للحضرميين، ومن المحتمل أن ذلك دليل على تحول الكنديين إلى حضرموت بعد سحقهم بالقرب من مأرب، وشارك الكنديون بعد مدة ما في الغزو السبئي الكبير على حضرموت، والنقش أرياني ٢٢، الذي يتضمن حدثية عن هذا الغزو يجرد بعض المراكز التي أصبحت فيما بعد دعائم الكنديين في حضرموت، ولا سيما دمّون بالقرب من تريم ¹¹

في القرن الخامس شارك الكنديون في غزوات الحميريين على الجزيرة العربية الوسطية وأعادوا فيها بمساعدة مملكتهم التي وحدت بزعامتها الرحل وكذلك سكان الواحات المتحضرين، ولاسيما سكان يمامة الزراعية، وعلى أي حال فإن التاريخ السياسي للمملكة الكندية ((الحديثة)) بحضرموت يدل على أن العنصر المترحل يتمتع فيها بالدور الغالب سواء في القوام العام للسكان أم في قوام الفئة الحاكمة

بعد انهيار المملكة الكندية القديمة في الشمال واصل رؤساء الكنديين الاضطلاع بالدور الكبير في اليمن، وكان زعيمهم يزيد بن كبشة والي الملك أبرهة، أي أنه كان داخلا في قوام مراتبية الدولة اليمنية وترأس انتفاضة الأعيان اليمنيين المحليين

لقد سبق أن نزح الجزء الكبير من الكنديين (وفقا للهمداني، زهاء ٣٠ ألف شخص) بعد سحق مملكتهم (خلال القرنين الخامس والسادس) من غمر ذي كندة ويمامة إلى حضرموت

وقد كانت تقطن حضرموت القبائل الكندية (ولا سيما، الصدف) التي ربما وصلت إليها في القرن الثالث (لا يزال يناقش المنشأ الكندي للصدف)، وكان الصدفيون في بعض الأحيان يناصرون لا الكنديين بل السكان (الحميريين)، والسكان الأصليين

---

¹ ٢٩٠، ص ١٠١ - ١٠٢.

² للاطلاع راجع: ١٩٤، الجزء ٥، ص ٢٠٩ - ٢١٥)، ١٣٥، ص ٢٦٨ و ٢٧٥.

حضرموت التي تنازع عليها الكنديون [illegible] وازدادت حدة المنافسة بين الزعماء الكنديين وأقيال حضرموت، [illegible] حرب الردة، تمرد الكنديين على المسلمين.

وكان في عداد الأعيان الكنديين زعماء لأشباه البدو شاركوا بنشاط في نزاعات ومعارك [illegible] والأميين الزاحفين من السهوب [illegible] الجمال [illegible] البدو، وكان جميع الزعماء الكنديين في القرنين السابع والثامن [illegible] من الأرض [illegible] وخلال هذا [illegible] كان الكنديون في عداد [illegible] القبائل التي نزحت إلى العراق والشام [illegible] إلا أنه [illegible] من القرنين [illegible] (١) ، وخلال القرنين التاسع والعاشر [illegible] في حضرموت عدد كبير من المراكز الكندية التي سكنها [illegible] الأمر الذي يشهد على تحضر سكانها.

لم [illegible] الكنديين في اليمن خارج حدود حضرموت في العهد الإسلامي، [illegible] (٢) [illegible] الأكثر نشاطا إلى [illegible] أو القبائل التي كانت تنسب نفسها إلى الكنديين، في [illegible] حضرموت، والتحكم بأراضي الحضار والسيطرة عليها (٣).

في [illegible] عام ١٩٨٢ [illegible] [illegible] الحضرمي [illegible] في حضرموت [illegible] المستوطنات الكندية [illegible] في حضرموت الغربية المركز الأساسي [illegible] مراكز [illegible].

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

[illegible] حضرموت [illegible] التي تحتل الدعامة الأخيرة للكنديين في الحروب [illegible] ربما إلى استيطان حضرموت قد جرى من الجهتين: الغربية والشرقية، [illegible] فمن الغرب سار الكنديون من [illegible] الغربية [illegible] وأما من الشرق فقد سار الكنديون [illegible] عن طريق مهرة (التعبير الهمداني: بين البحرين والشحر) (٢).

وقد [illegible] نموذج للمستوطنات الكندية، فإنها تقع دائما على [illegible] خلال السنين القديمة (٣) على أطراف الوديان [illegible] سطوحها الصخرية [illegible] مستوطنات ذات آثار للإقامة القديمة ما قبل الإسلامية وتقع بشكل منتشر على [illegible] الجدل، ويدل هذا التركيب للمستوطنات [illegible] عملية الاستيطان التي [illegible] السيطرة على السكان الزراعيين المتحضرين الأصليين.

لقد قطن المذحجيون غربي الكنديين خلال القرنين الثامن والتاسع [illegible] من العهد الحميري [illegible] إلى [illegible] مذحج، والاتحاد بين قبائل مذحج التي دخلت ضمنه، مثلا، قبائل [illegible] من أمثال زبيد ومراد والحارث بن كعب وغيرها، كان أحد الأجزاء المكونة للمملكة الكندية القديمة، وكانت المذحجيون ملحقاتهم في القرن الثالث، [illegible] أثناء القرنين الخامس والسادس أصبح المذحجيون [illegible] أكثر [illegible] للأطراف المرتبطة لليمن الحميرية وكانوا يشاركون دائما في القبائل المتطوعة البدوية التي تخدم الملوك الحميريين كما كانوا بمثابة [illegible] الرئيسيين [illegible] نجران الذين كانوا يهاجمون دائما - في القرن السادس - الحدود الشمالية لليمن، وقد أصبحوا الدعامة الرئيسية للحركة القائمة ضد أبناء الفرس اليمنيين في مطلع القرن السابع ويتحالفون مع الهمدانيين، حلفاء الفرس، وكانوا يضغطون على الكنديين في الصحراء فيما بين مأرب وحضرموت. و[illegible] شتى مجموعات المذحجيين العلاقات مع الدولة الإسلامية، وأحد الزعماء المشهورين، فروة بن مسيك، وحد بصورة مؤقتة جميع المذحجيين تحت سلطته مستقلا

---

(١) [illegible] ص ٢٢٥.

إلى السلاجات التي حمل عليها، من النبي محمد ﷺ، وكان المذحجيون الأوائل
الأسلمية المعروفة الغالية والتابعة لجيوشة الأسود، وقد أقاموا فيها بعد [illegible]
من الجيوش الإسلامية التي دخلت اليمن نهائيا.

لقد كان المذحجيون في عداد القبائل المرتحلة الأولى التي وصلت إلى [illegible] المتبقية اليمن (١) وكان نزوحهم واستيطانهم الرئيسيين منطلقين بعهد نشر الإسلام وفي تلك الزمن بالذات كانت القبائل المذحجية (التي خاضت القتال في [illegible] الإسلامية) إلى أعماق البلاد ووصلت حتى منطقتي لحج وعدن، وأصبح الواقع الأساسي لنزوحهم منطقة الجبال والسهول التي كانت تسمى سرو وحمير (المنطقة التي تقع شعر ذو رعين، وفيها بعد نحو الجنوب)، وكانت مواقع إقامة المذحجيين تتخلل مواقع إقامة سائر القبائل والعشائر الأصلية إلا أن المذحجيين أزاحوها تدريجيا كما أزاحوا القبائل البدوية الأخرى التي وصلت إلى هذه المنطقة (٢). قرية حسان الواقعة في منطقة رداع والتي كانت تعود ملكيتها للأعيان المسلمين ذوي الأصل الحميري، لمشيرا محمد بن [illegible] الأربعة صارت فيما بعد تعود ملكيتها للقبيلة الحزمية من كعب من مذحج.

واندمج البعض في أحلاف مع المذحجيين واندمج البعض الآخر معهم (الآن انهم تذحجوا) (مثلا، قبيلة ظهران العمرية) (٣)، وأصبحت كل أراضي سرو حمير وجميع السكان يسمون تدريجيا باسم مذحج، وإذا حكمنا من حيث طابع الأراضي ولمدى السكان الكبير فإن المذحجيين استوطنوا فيها وأصبحوا بمثابة المجموعة السائدة، وفي القرن العاشر وصل تغلغل واستيطان المذحجيين حتى مناطق اليمن الشاحبة البحر، وحتى أبين وأحوار (٤)، وقد استغرق مجمل عملية تغلغل المذحجيين مدة

(١) [illegible] ص ١٩٥، ١٩٩٠ و ٢١٥.
(٢) راجع: ملك [illegible] ص ١٩٠.
(٣) [illegible] ص ١٩٢.
(٤) [illegible]

طويلة جدا، وكتب الهمداني في القرن العاشر بصدد أنهم قطنوا في سرو مذحج منذ مدة طويلة جدا. فكان أحد أهداف كبار الرؤساء المذحجيين خلال القرون التسع والعاشر توحيد المناطق المشتتة على نطاق البلاد جميعا تحت سيطرتهم وحيث كان يسكن المذحجيون النازحون من الشمال، وعموما فقد استوطن الرحل غالبا ما في المناطق الداخلية واندمجوا مع أفراد الشعوب المتحضرين المحليين وأبقى على خلاف ما كان عليه في العهد الجاهلي، صار اتحاد الحضر والرحل يسمى ليس بالشعب بل بالقبيلة (أصبحوا قبائل)، والقبائل استوطنت في الأرض وعاشت في وسط الحميريين ولكنها ما زالت تحتفظ بنيتها القبلية وعلاقاتها السلالية وعاداتها وشعورها بالتفوق على أولئك الذين لا ينتمون إلى القبائل وأصبح يكون أي فردا من أفراد أحد القبائل يعود له بالنعمة والهيبة، وصارت القبائل القديمة أشباه رحل وحضرا، وضمت الشعوب في حوزتها الرحل، وأخذت تسمى بالقبائل الاتحادات التي [illegible] المزارعين الأصليين (أمثال مذحج ومراد وكندة) وابتلعت الرحل (أمثال حاشد وبكيل وخولان) (١). ومن جراء ذلك ضمت قبائل كثيرة إلى نفسها ثلاث فئات من الأفراد، الرحل والبدو (الرحل) والحضر (مثلا همدان في عهد نشر الإسلام).

وفي الأخير زالت من الاستخدام كلمة شعب بمعناها القديم والتي نصادفها في القرآن الكريم وانحلت الشعوب واندمجت في القبائل وصارت تسمى بقبائل (أجمع قبائل)، وفي مجرى انحلال الشعوب حرم بعض أفرادها من الدفاع عن العشيرة وقد ألوا مع مرور الزمن فئة المزارعين الذين أصبحوا تابعين لسلطة المالكين الإقطاعيين بشكل مباشر، وبدأ البدو المتحضرون يسكنون القرى وتحول جزء منهم إلى مزارعين إقطاعيين فعليين وأصبح بعضهم الآخر مزارعين معدومي الحق، والعديد من المزارعين الأصليين، ليس جميعهم وليس الذين أصبحوا، أفرادا للقبائل وقبلوا السلالية الخاصة بالجزيرة العربية.

(١) أي إن حاشدا وبكيل وخولان قد استطاعوا ابتلاع البدو الرحل - المترجم.

واستمر التقارب بين النشاط الاقتصادي والثقافة وتطورت الزراعة المتحضرة في جوهر الأمر، وتطل في الجانب الثقافي والاجتماعي اختلفت العملية بسير اليمني في ظل هيمنة العنصر الحميري حل في ظل هيمنة العنصر الطاغي عليه البدو الرحل والقبائل الرحل، وأخذ أعيان القبائل يستظلون بالدور الرئيسي في القبائل، وتطلعت جذورهم تمتد إلى ماضي الجزيرة الجاهلي، وأصبحت اللغة العربية لغتهم وبالتالي، لغة عموم السكان بالتدريج، وفي القرن العاشر لم تعد لهجات اللغة الحميرية تستخدم إلا بشكل نادر جدا وكان يستخدمها بشكل رئيسي فقط سكان القرى أي المزارعون المتحضرون، واعتبر الهمداني أن اللغة العربية كانت اللغة الطبيعية فاعتقد بوجود مناوئ الآثار اليمنية القديمة، أن جميع بقايا اللغة السابقة إلا تشويه للغة العربية الصحيحة ((الفصحى)).

لقد احتفظت قبائل كثيرة ((غالبا ما تتحضر منها)) بصورة تامة بـ ((أخلاق عالم الرحل)) ويعبر عن ذلك في انتشار كلمة شعب للدلالة على جماعة إقليمية، وفي استيعاب نظام العلاقات العشائرية والعادات القبلية المجلوب من البادية، وفي ازدهار مبادئ ثأر الدم ((الذي كان لا يزال موجودا حتى الثلاثينيات من قرننا الحالي))(1). ويتجلى ذلك أيضا في أن الفرد من أفراد القبائل كان يشعر بصورة جلية بأنه متفوق على جميع الباقين، وفي القرون الوسطى المتأخرة كان أفراد القبائل، أو القبيلة، يؤلفون شريحة خاصة ضمن التراتبية الاجتماعية اليمنية التقليدية، فكانت أعلى من المزارعين والحرفيين والتجار وغيرهم، والحق الاعتيادي لسكان اليمن الريفيين في أيامنا الحاضرة أيضا مرتبط ارتباطا شديدا بتقاليد وعادات المجتمع المترحل، القائم على الأوضاع العرفية التي لا تزال باقية في معظم الأحوال في مجال ضبط وتنظيم العلاقات المتعلقة بالأرض والماء.

وفي أواسط القرن العشرين أيضا كان المزارعون من عداد القبائل يفضلون خوض المعارك على فلاحة الأرض رغم أن معظمهم كانوا مضطرين بهذا القدر أو ذاك، إلى

(1) أي وحتى الوقت الحاضر (المترجم).

العمل في الأرض ويجري ضبط وتنظيم العلاقات سواء بين الناس أو بين القبائل، بحسب ما كان سائدا في الجزيرة العربية الجاهلية، على أساس نظام ((الأراضي المحمية)) ((الحوطة والهجرة)) ونظام الحكماء ((المحكمة والمناصب و الخ...)) وفي هذين النظامين اندمجت المادة الجديدة مع التقاليد القديمة، وغالبا ما كانت ((الأراضي المحمية)) تتجمع في مواقع مقدسة وقريبة وكان أمناؤها من عداد أوصياء المعابد القديمة.

وكان الأعيان المسلمون المنتسبون إلى آل بيت النبي محمد ﷺ ((السادة)) يتمتعون، بصورة ناجحة بدور قضاة التحكيم منذ القرون الوسطى المتأخرة، واندمجت شتى عناصر القرون الوسطى المبكرة للمجتمع اليمني انسجاما وإرثا مع العلائم والظواهر المميزة والتي أصبحت خاصة باليمن وحدها على مدى قرون عديدة.

ورغم ذلك كله فإن اليمن المتحضرة تغيرت، وانتقل الرحل وجعلتهم مزارعين وجنودا وتجارا وإقطاعيين وموظفين ونحن نرى ضمن جميع شرائح المجتمع اليمني أعقاب القرون الوسطى المبكرة من انحدروا من المجموعات التي كانت مترحلة في الزمن الماضي، وكانت سلالات كثيرة في مدن اليمن العائدة للقرون الوسطى المبكرة تفتخر بانحدارها من شتى القبائل المترحلة، ورغم ذلك فإن سكان البدو المتحضرين ظهر من جديد الرحل النازحون من الصحاري الداخلية والذين كانوا يحتفظون، من جراء وجودهم، بمبدأ التآزر المتبادل بين الرحل والحضر والذين كانوا يعيشون قاعدة ((المرخزة))، لأجل الاحتفاظ بـ ((الأخلاق)) البدوية لدى القبائل المتحضرة.

وانعكس اندماج شتى العناصر الثقافية - الاقتصادية والعرقية مع بعضها البعض على تطور الوعي الذاتي العرقي والسياسي لليمنيين خلال القرون الوسطى، وتميز العهد الحميري بتشكل التصور البدائي عن وحدة البلد وشعبه - الحميريين، وخلال العهد الإسلامي اندمجت الوراثية الثقافية في العديد من المجالات الجديدة وتغير قوام الفئة الحاكمة وانتشر الإسلام واللغة العربية ودخلت اليمن ضمن منظومة علاقات العالم الإسلامي الموحد.

وتمكن خلال القرنين الثامن والتاسع ووصل من الولايات الوسطى للخلافة العربية إلى جنوب الجزيرة العربية بعض العوامل السلبية التي نشأت من جراء المعارك السياسية العائدة للقرن الثامن والمتعلقة بتصادم مجموعتين من العرب، هما القحطانيون والعدنانيون، وكان هذا التصادم قائما على الثقافة الواقعية القائمة بين شتى المجموعات داخل الفئة الحاكمة وقد أدى هذا إلى انتعاش الأعيان اليمنيين المحليين وبروزهم نحو السلطة مستغلين ضعف دولة الخلافة العربية، فظهرت بينهم نزعة ((الوطنية العصبية)) التي كانت تخفي مصالحها تحت ستار الدعوة إلى الماضي المجيد العريق لليمن بوصفه تمثيلا في النضال ضد أخطار الفرس وضد سائر الغرباء الذين استعبدوا اليمنيين الأصليين، وفي تاريخ اليمن العائد للقرون الوسطى المبكرة توجد وقائع ساطعة عديدة تخص نضال ولاة دول الخلافة ضد هذه النعرة الوطنية في سياسة الحكام المحليين.

وكان قيس بن المكشوح، الزعيم المذحجي وأحد قادة حروب الردة، من أولئك الذين بدأوا إثارة الشعور ضد دعاة الأعيان اليمنيين إلى أن يعجوا معه ضد أبناء الفرس، وفي العهد الإسلامي كانت تظهر مثل هذه الدوافع ضد أبناء الفرس إلى حد أنها جرت معها يزيد بن جرير القسري، وهو أحد ولاة العباسيين وكان مذحجيا من العراق، فأعلن تحريم الزواج لأبناء الفرس من اليمنيات الأصليات وحاول حتى فسخ الزيجات التي كانت معقودة، فكان يزيد منحدرا من أسرة مرتبطة شديد الارتباط بحلقات الصراع بين القحطانيين والعدنانيين والتي طاحت منذ أيام خلافة الأمويين، في القرنين السابع والثامن اتخذ النضال في سبيل السلطة فيما بين مختلف التكتلات شكل الصراع بين العدنانيين والقحطانيين ((اليمنيين)).

وفي مطلع القرن التاسع أعلن الوالي إسحاق بن عباس عن عدم ولائه للسلالات العصبية والنعرة القبلية الإقليمية وحرب، مهددا بالإعدام الانتزاع أو التبجح بالسلاسل السلالية العائدة إلى العهد الجاهلي القديم.

وقد غدت هذه النزعة المصلحية التي تغلفت بشعار الوطنية العصبية في القرن التاسع أحد الأسس النظرية لارتقاء الأعيان اليمنيين المحليين والذين كانوا يدعون بالأصول

العصبية، حيث نسب القحطانيون عموم أنفسهم إلى الذوات الحميريين، فالحميريون مثلا أعادوا الذواتين إلى ... وقد سموا أبناءهم بأسماء المقال من الأسماء الواردة في الأساطير القحطانية ونشر الثابتة بالعهد القديم، ومنها: أسعد، وسبأ وحسير وقحطان، وعلى هذا النحو تعزز نزوعهم السياسي إلى إقامة حكمهم المستقل عن سلطان بغداد، وقد اتسم أعالي مستعدة في القرن العاشر إلى تزايدت ((الحضرميين))، وكان ينسب إليهم أبناء الفرس، وإلى قحطانيين، وكان يتزعمهم بنو شهاب.

ووجدت ((الوطنية العصبوية)) تجسدها الأسطع في النشاط الثقافي اليمني[1]، وذلك عبر مساهمتهم المتداولة خارج اليمن لتأليف ونشر الأسطورة التاريخية ((القصية القحطانية))[2]، وذلك عن طريق الأشعار ((لعلقمة بن ذي جدن والحسن همدان ويزيد بن مفرغ والكلاكيون غيرهم)).

ويحتل إبداع الهمداني (توفي أواخر الثلاثينيات من القرن العاشر) مكانة خاصة وهو أحد أعظم علماء اليمن في القرون الوسطى والذي ألف المؤلفات العديدة الأولى الخاصة بمجالات التاريخ والسلاسل السلالية وعلم الآثار والجغرافيا والتكريسة اليمن سواء في العهد القديم أو عهد القرون الوسطى، وقد جمع وعالج في مؤلفه ((الإكليل)) العديد المجلدات كل ما وصل حتى زمانه من الأساطير والوثائق والآثار الخاصة بالماضي اليمني[3].

وكان الهمداني في نشاطه مدفوعا بالشعور بالوطنية وبالسعي إلى تبجيل اليمن، الأمر الذي أثار، حسب ما يزعم، الموقف المعادي إزاءه من طرف الزيديين وحتى أدى إلى حبسه.

---

(١) ...، ص١٨ ، ١١٠، ص ٣٩.

(٢) ١٩، ص ١٦٨ – ١٧٨ ، ٢٣٥، التسلسل ٤، ص ٢٥٤٧.

(٣) القارن مع أسعد الكامل)).

(٤) راجع: ١٢٣، ص ٣٦٤ – ٣٦٥.

(٥) ٢١٠، ص ٢٧ – ٣٩.

(إلى علمه بخبر قصيدة ((الدامغة)) التي تبجل اليمنيين وأحد مسلسلات القصائد اليمنية الوافدة ردا على كتاب ((التنخبة)) للكميت التي ثلب فيها اليمنيين [1]. ويبدو أن فهم الهمداني للوطنية يختلف عن فهم الأعيان المتعصبين، بدليل أن العصر الهمداني، وكذلك ((الوطنية الحميرية)) اليمنيين العاديين لم تتصلا بالعصبيات ضد سائر العرب أو بمهاجمة الإسلام، وكان جميع فضائل اليمنيين تعتبر في نظرهم جزءا من فضائل جميع العرب، وظل الهمداني أيضاً عربيا مخلصا ومسلما صالحا، ويعطي نفس الشيء كذلك بصدد التعبير الأعظم الآخر للنزعة ((الحميرية)) في الثقافة اليمنية، وهو نشوان الحميري ((القرن الثاني عشر)) الذي ألف الملحمة الأخيرة للأسطورة القحطانية ((الملحمة اليمنية))، ولم تتعارض الوطنية المحلية مع العروبة مثلما كانت تتعارض معها الشعوبية الفارسية، وكانت الوطنية المحلية موجودة منذ بداية الأمر في الأطر العربية والإسلامية، فكما كانت ((الوطنية الحميرية)) تنطلق من الحميريين وبقية اليمنيين عموما بأنهم عرب ((الكن الأفاضل من العرب)) ومسلمون ((الوطن الأفاضل من المسلمين)).

وعلى مدى القرون السابع – العاشر يمكن متابعة كيفية تطور واشتداد هذا الوعي الذاتي العربي، الموازي لتطور الوعي الذاتي العام للشعب العربي الغالب للقرون الوسطى، ووسع مصطلح العرب معناه من العرب البدو في اليمن على العرب – جميع اليمنيين في العهد الإسلامي المبكر، في أثون النزاع الضاري بين القحطانيين والعدنانيين، كان أحيانا ينسى اليمنيون حتى الحق في أن يسموا عربا ((أليس الحميريون، المنحدرون من التبابعة، عربا)) [1]، وأسهمت الخلافات والنزاعات القائمة في المناطق الوسطى من دولة الخلافة في أن يعي اليمنيون بطبيعتهم العربية، وساعد على ذلك مثلاً، التصور بأن

[1] ((الهمداني)) الأوضاع الأساسية العامة بسيرة ونشاط الهمداني راجع: [illegible] – ((المقدمة فيها للأكوع)).

[1] [illegible] المجلد ٤، ص ٣٦ ؛ فارن مع: [illegible] ص ٣٩ – ٤١.

اليمنيون هم العرب، العروبة، العرب الأصليون الحقيقيون الذين يختلفون عن العدنانيين المستعربين – العرب المستعربة [1].

ورغم ذلك فإن الفهم الواسع النطاق لمصطلح ((العرب)) لم يتوسع في البيئة اليمنية فقط، فحتى مؤرخي القرنين الثاني عشر والثالث عشر احتفظوا ببعض التصورات المبكرة القديمة وقولهم ((الأعراب)) هم فئة من الناس الذين يختلفون عن سائر اليمنيين. وقال علماء في القرن العاشر أن تقسيم الرقابة على صنعاء للعمدان وغيرها من الحوثيين [illegible] نزحوا إلى الهادة وخولانيون وصلوا إلى مخلاف جعفر.

لقد تطور التصور عن عروبة الذات لدى اليمنيين تحت تأثير العملية العامة لتشكيل الكيان العربي في القرون الوسطى، وكان من العوامل الرئيسية لهذا التطور – الإسلام ولغته المقدسة، والحكم الإداري والعسكري الذي كان يسير باللغة العربية إضافة إلى القبائل التي كانت تتكلم بالعربية، وقد نشط كل ذلك المعرفة الواسعة النطاق للغة العربية والتي كانت موجودة في السابق، وحفز لنشرها وساعد بواسطة اللغة على أن يعي جميع اليمنيين بأنفسهم عربا، وفقا لما جاء في الحديث النبوي ((من تكلم بالعربية يسمى عربياً)).

وغدت هذه الظاهرة في القرن التاسع ذات طابع منتشر بشكل عام، وأصبحت تسمى عربا سواء السلالات الوافدة إلى صنعاء والحميريون، فعندما وصف الرازي فئات سكان صنعاء سمى عربا ((عرب من أهل اليمن)) السكان الأصليين الذين كانت تتزعمهم سلالة سماعة بن الأسود التي يشار إلى منشئها بشكل خاص، ونشأ الشعور الحاد بالعروبة في الدولة الصليحية التي وحدت اليمن كلها سياسيا، وعندما دعا

[1] ((بصدد تطور مصطلح العرب راجع: ٩٨٨)).

[2] (١١)، ص ٤٣ ؛ (٩٠٤)، ص ١٤٩.

[3] (١١)، ص ٥٩.

[4] (٩٥٥)، ص ١٧٢.

[5] (١٠١)، الورقة ٩ ب؛ ٩٨، ص ٨٠ – ٨١.

[6] (١٥)، ص ٤٦.

المظهر اليمنيين إلى أن يثأروا من نجاحي تهامة بسبب أنه تشدد اليمن على
الإسماعيليين عند النسخ بل عن حرب العرب ضد اللاعرب [1]، وحتى صدور أمر بقتل
جميع اللاعرب في تهامة، الذين ظلوا يبقي تمييزهم من حيث عدم قدرتهم على نطق
حرف ((الضاد)) المشدد، ورأى الحصام الصليحيين أيضاً العرب في أحداثهم عندما
ظلوا عن شروح الصليحيين: ((العرب دخلوا زبيد)) [2]، والمظهر هو أول من سمى
نفسه - من بين الحكام اليمنيين - على النقود بلقب عظيم العرب: ((الملك المظفر
المظهر عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين))، وتم إدخال النموذج الجديد للأسطورة على
يد الزريعيين الذين حلوا محل الصليحيين: ((الواحد ملوك الزمن ملك العرب واليمن)) [3]،
وصار جميع اليمنيين ((عرباً)) أما كلمة ((الحميريون)) ((وهي اسم جميع اليمنيين في
العهد الجاهلي)) فقد بقيت فقط كاسم إحدى القبائل.

غير أنه بموازاة ذلك وخلال مدة طويلة، على مدى القرون الوسطى كلها، بقي بين
اليمنيين كذلك التقليد الحميري القديم - لتسمية البدو سواء الدخلاء أم الرحل من
بينهم، باسم ((العرب)).

وفي عهد الرسوليين سمت المصادر عرباً قبائل المناطق الداخلية التي كانت دائماً تقلق
الدولة بغاراتها [4] وفي عهد الرسوليين ذاته، كما نتصور، ظهر في المصادر مصطلح عربان
محدداً كان يسمى الرحل الذين كانوا يخدمون في الجيوش الملكية [5] وفي عهد الدولة
الطاهرية أخذ مصطلح عربان معنى ((رحل المناطق الداخلية)) [6].
وإضافة إلى توسيع نطاق العلاقات والتقارب فيما بعد بين الرحل والحضر، وبين العرب
والحميريين كان بمثابة الخصيصات الهامة لتاريخ اليمن في القرون الوسطى المبكرة.

---

[1] ٩٦٩: ص ٩٦١ - ٩٦٢.
[2] ٩٦٩: ص ٩٦١ - ٩٦٢.
[3] ١٠٧: ص ٣٩.
[4] ٧٧: ص ١٦٩.
[5] ٥٠: ص ٦٠.
[6] ٣٣٠: ص ٤١ و ٤٢ و ٤٨ و ٥٢ و ١١٩ و ١٣٠ و ١٣٢ و ١٥١ و ١٦٢ و ١٦٨ قارن مع: ٣٠٩: ص ١٩٢.

ملاحظات خاصة بالباب الرابع

١ - المعلومات تدور بصورة رئيسية عن الرحل - المنحدرين من الجزيرة العربية والذين سكنوا في السهوب التاخمة للحدود الشمالية لليمن المتحضرة، وفي الأنجاد الداخلية وفي الصحاري الساحلية من الجزيرة العربية الداخلية كان يقطن كذلك ومنذ زمن بعيد الرحل الذين كانوا يربون الأغنام ويقطنون أقل الجبال، وحتى أيامنا الحاضرة لا زال هؤلاء محتفظين بعناصر المعيشة واللغة الخاصتين بأقدم رحل الجزيرة العربية [1] وفي العهد القديم وفي القرون الوسطى المبكرة رغم أن الرحل كانوا متجاورين مع حضر اليمن وكانوا يتأثرون بصورة متبادلة بثقافتهم فإنهم مارسوا عليها تأثيراً ضئيلاً للغاية، وأخذ يتزايد دورهم في تاريخ اليمن بالتدريج بدءاً من القرنين التاسع والعاشر، وذلك في الكثير من الحالات تحت تأثير البدو ((الكنانيين)) الذين نزحوا من الجزيرة العربية الداخلية إلى جنوب الجزيرة العربية فقطنوها.

٢ - لقد جاء وصف تاريخ التغلغل التدريجي لقبائل الجزيرة العربية إلى أراضي اليمن وصفاً جزئياً [2]، ويجري تتابع تاريخ تغلغل القبائل وبالمقام الأول القبائل المذحجية خلال القرون الثامن - العاشر تتابعاً جيداً في كتاب ((صفة جزيرة العرب)) للهمداني [3]، حيث جاء: ((... وهكذا، فاستوطن المذحجيون في سرو مذحج منذ مدة قريبة فقط، وهي ذلك المكان حيث عاش والقرى فيها مسمى بأسماء أهاليها من سلالة ذي رعين))، وجاء المثال الساطع على تبدل السكان في إحدى الأراضي الهامة لليمن الداخلية والواقعة على الطريق المؤدي إلى البادية في منطقة

---

[1] راجع: ٤٠٣؛ بصدد اللغة راجع: ٢٤٨؛ ٢٩٥؛ ٤٤٤؛ ص ٢٥ - ٢٨؛ بصدد الإشارة المحتملة إليها في النقوش (بالمصطلح ألظ) راجع: ٣٧٦، ص ١٠)).
[2] مثلاً من المؤلفات ٤٣٣؛ ٢٢٣؛ ص ٨١ - ٩٦؛ ٤٢٢؛ ص ١٨٦ - ١٨٣ و ١٩٥ - ١٩٦ و ٤٠٣ - ٤٠٦.
[3] راجع: ١٦٢، مثلاً، ص ١٨٠ و ٢٤٨؛ بصدد المذحجيين راجع: ١٢٢، ص ١٨١.

بهم الحالية في الاستقصاء الذي قام به لك وضمن ٤٨٧، وبعد أن قارن مصطلح العبارات المكتوبة ووجود الهمداني واستيطان القبائل في أماكنها الحالية، أشار إلى أن قبيلة بهم وصلت إلى هذه المناطق من اليمنية خلال القرون الوسطى المتأخرة واستقرت بصورة تامة في مستهل أيام الهمداني وتكتلت في القرن العاشر إلى الجنوب تاركة بعض الأراضي الواقعة في الشمال لسائر الاتحادات القبلية العشائرية التقليدية من اليمنية.

وعلى هذا النحو فإن المذحجيين كانوا يؤلفون خلال القرون الوسطى كما في والآن يؤلفون في الوقت الحاضر، جزءا كبيرا من القبائل النشيطة سياسيا.

٢ - إن النص الوارد في القرآن الكريم ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ (الحجرات: ١٣)، يؤكد على إحدى أهم السمات للواقع الاجتماعي في الجزيرة العربية في القرن السابع، وهي الاقتران فيها بين النمطين الاقتصاديين والثقافيين للحضر والرحل. إن الشعب الوارد في القرآن الكريم معروف جيدا في العبارات المقتبسة الخاصة باليمن القديمة، وكلمة Seb شعب (الجمع شعوب Seb) هي اسم الخلية الأساسية للمجتمع اليمني القديم، اسم الشاعية الإقليمية[1]، وكانت تسمى شعوبا كذلك الشاعيات الصغيرة والكبيرة وكذا الشاعيات[2] الدول (أمثال سبأ) وفي هذا الحال كان المعنى يقترب إلى كلمة (الشعب) العربية الناجمة فيما بعد.

وتتعارض كلمة شعب بكلمة قبيلة (الجمع قبائل) في القرآن الكريم، وبهذا المصطلح كانت تسمى في الجزيرة العربية الداخلية جماعات من الناس متحدة فيما بينها، في المقام الأول، بوحدة المنشأ (سواء كان الحقيقي أو الزائف)، وكان من الممكن أن توحد القبيلة بعضها ببعض، الرحل وأشباه الرحل، والحضر، ولكن هذا المصطلح كان في أغلب الأحيان يعني القبائل المترحلة، والشعب، شأنه شأن القبيلة،

[1] ٣١٥، ص ٢٤٩ - ٢٥٠؛ ٢٨٤، ص ٩٧ - ١٠٠؛ ٢٨٨، ص ١٨ - ١٩.

[2] ٣١٥، ص ٢٤٩ - ٢٥٠؛ ٢٨٤، ص ٩٧ - ١٠٠؛ ٢٨٨، ص ١٨ - ١٩.

التي كانت تعتبر الحلقة الأساسية لتراتب الجماعات القبلية العشائرية كما كان يتعين أن يحتوي في نفس الوقت الجماعات القبلية الموجودة واقعيا أو الاتحادات القبلية السريعة الزوال.

وفي النقوش الرملية المتعارض العشيرة جمعها عشائر كما قد أشيرت أعلاه بالشعب، وظهرت القبائل في العهد الإسلامي وحده في القصص الخاصة باليمن القديمة والعائدة إلى التقاليد في الجزيرة العربية الداخلية، وفي الأسطورة المصطلحة الخاصة بالملوك المصريين[1]، وفي الوصف الخاص بمحاصرة جرش على يد المسلمين سمي الرحل وأشباه الرحل واليمنيون باسم قبائل اليمن[2].

وفي العهد الإسلامي المبكر زال مصطلح شعب وحلت محله كلمة قبيلة، ولم يحدث ذلك للتو فالمصادر العائدة للقرن العاشر، كما كان الحال في السابق، كانت تذكر الجماعات القبلية العشائرية أو الإقليمية بدون ذكر المصطلح الذي يدل على نوعها، وجاء الهمداني في القرن العاشر بالمخطط العربي المعياري لتراتبية الجماعات الناس حيث يقع الشعب في قمته وتتبعه فيما بعد القبيلة، وفي هذا الحال تعتبر شعوبا فقط الاتحادات القديمة القائمة في اليمن، حمير وفرعان لحمير هما مالك وهميسع وكذلك شعوب الجزيرة العربية مضر وربيعة ونزار، وينسب المؤلف كل الاتحادات القائمة في القرن العاشر، بصورة تلقائية، إلى فئة القبائل[3]، والمؤلف نفسه يسمي بكلمة قبائل البدو السابقين والجماعات ذات المنشأ الحميري على حد سواء (أو حتى تلك الجماعات التي احتفظت باللغة الحميرية)[4].

وفي القرون الوسطى المتأخرة نشأ النظام التراتبي اليمني التقليدي حيث شغل القبائل (أهل القبيلة) إحدى المراتب العليا، وكانوا متمثلين بالرحل والمزارعين والعاملي

[1] راجع مثلا، ١٣٥، المسلسل ١، ص ٩١٩ و ٢٤٤، ٣٢٠، ص ٩٠.

[2] ١٩٤، المجلد ١، الجزء ٢، ص ٧٦، ١٢٥، ص ٣٧٨ و ٣٧٩.

[3] ١٨، ص ٩٢ - ٩٣.

[4] ١٢٤، ص ٣٧٨ و ٣٧٩.

الذين كانوا ينتمون شكلياً إلى إحدى الجماعات ذات النظام العشائري القبلي ولذا كان لهم شعور جماعي، وكانوا يتمتعون بالحق في حمل السلاح ومطالبة السلطة باحترام حقوقهم والخ.. وفي اليمن المعاصرة أصبحت تسمى بمصطلح قبيلة سواء القبائل المترحلة أم المتحضرة [٢].

١ – بالنسبة للهمداني كانت الجزيرة العربية تتكلم باللغة العربية جيداً بنفس القدر من الجودة، وهو يتحدث عن شتى درجات ((الفصاحة)) بصدد اليمن وحدها، وحسب ما كان في رأيه كانت اللغة التي لم تكن مفهومة بتاتاً اللغة المستخدمة في المهرة والشحر وحضر موت حيث في الوقت الحاضر أيضاً لا زالت باقية لغات جنوب الجزيرة العربية، وبصدد المناطق الحميرية الأصلية (السرو حمير وكلاع مخافر ونعار ... وكتابه)) يقول إنهم يتكلمون فيها باللغة الحميرية أو بشوائب كثيرة من اللغة ((الحميرية)) وفي الأرجاء التي يوجد فيها الهمدانيون ثمة مناطق حيث يتكلم سكانها ((الجيد)) ولكن تتخللها مناطق حيث توجد في لغتها كلمات وعبارات كثيرة ذات أصل حميري، ويتكلمون على النحو الأفضل حسب رأي الهمداني، في منطقة نجران وفي سرو مذحج وبيحان وحريب وخولان وكذلك في لحج وأبين ودثينة، ويتكلمون بنحو جيد جداً حيث يقطن أفراد قبيلة الحارث بن كعب وفي بعض مناطق حضر موت، وفي أبين لحج توجد لغة جيدة بفضل أنه استوطن فيها الكنديون، وعلى هذا النحو فاللغة العربية الجيدة موجودة حيث يقيم الناس متحدرون من الشمال، واللغة العربية الرديئة موجودة، كما جاء عنده بصورة خاصة، في القرى ((من سكن منهم القرى))، كما يتكلمون بشكل أردأ في المدن، في عدن وفي صنعاء حيث ((في كل بقعة لغتها الخاصة)) [٣]، إن المعطيات المتعلقة بانتشار اللغة، وهي الدليل الرئيسي لانتشار

---

[٢] قارن مع: ٣٢٦، ص ٢.

[٣] راجع: ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٤٤)) ص ٢٩.

اللغة العربية، تتطابق إجمالاً مع المعطيات المتعلقة بالتوزيع السكاني للقبائل البدوية في الجزيرة العربية، وهي الوسائل الأساسية لنشر اللغة العربية

٢ – بصدد البقايات الاجتماعية القائمة في اليمن المعاصرة وبصدد المكان الذي تحتله فيها التقاليد وعادات العالم المترحل و ((الأشكال)) البدوية [٢]، إنما بصدد علاقة البدو ((الإيديولوجيا)) الرحل لأمد طويل عند البدو المتحضرين وأشباه الحضر [٣]، ومن الأمثلة الساطعة على ذلك تعتبر هيمنة العادات البدوية في الحياة المعيشية ((للعرب البحريني)) ((الدواسر))، وكذا ما ذكر عنه أو ابن ... [٤] وبصدد سهولة دمج الغرباء باعتباره السمة المميزة للقبيلة المترحلة العربية [٥]

وبصدد حوطة الكنديين ((القدماء)) عند بلينيوس راجع [٦].

---

[١] راجع: ٣٠٠ – ص ٨٢ – ٥٣، ٣٠٤، ص ٨٦ – ٥٢، ٥٢٢، ص ٩٠.

[٢] راجع: ٢٥٠، ص ١٣١ – ١٣٢، ٢٤٩، ص ٢٥٥ – ٢٥٦.

[٣] راجع: ٥١، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٩، ٣٢٤، بصدد حوطة الكنديين ((القدماء)) عند بلينيوس)) ((.

[٤] راجع: ٥٢٩، ص ٣٢.

[٥] راجع: ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٤٤)) ص ٢٩.

الأحلاف القبلية (1)

إن تحالفات القبائل العربية تشكلت إلى الشمال من نجد والتي لاحت ... عدد وافر من الشواهد، قد بلغت مرحلة من التطور في العلاقات الاجتماعية بحيث يطلق عليها اسم الأحلاف القبلية، ونظراً لتمسك العرب بأنسابهم فقد شكلوا ... مستقلة معروفة لنا أسماؤها من مصادر شتى، فهي ترد في الرقوم وفي الآثار التاريخية التي دونها علماء المسلمين، كما ترد أيضاً في الشعر الجاهلي، وقد اتخذت تنظيمات القبائل، أي أحلافها، صوراً لتنظيمات شتى قامت على الجيش الذي انطوى تحت لواء جميع الرجال القادرين على القتال، ورغماً من أن الوحدات العسكرية قد تخضع وفق للقبائل فقد كان لها قائد عام اتخذ في هذه الصفة لقب ملك، وهو يشابه إلى حد ما مفهوم اللفظ اللاتيني (الدوكس) dux، وكان القائد العام ينتمي إلى إحدى العشائر الحاكمة، ذلك لأن كل قبيلة كان لها في العادة عشيرتها الحاكمة من الأعيان وكانت سلالات النسب هي التي عاونت بالذات على التوارث وحفظت اللقب داخل هذه العشائر، كما حدث ذلك في الجنوب العربي بالنسبة لنظام قديم مثل ((الكبيرات)).

وفي حلف القبائل كان القائد أو الملك يشغل وضعاً يترجمه على أفضل وجه المصطلح اللاتيني ((الأول من بين متساوين)) Primus inter Pares ويمكن أن نشير إلى أكثر من مثال في تاريخ القبائل العربية الشمالية من شأنه أن يدلل على أن نظام الشورى قد وُجد في تلك الدويلات العربية، وأن الجنود تمتعوا بحقهم في التعبير عن رأيهم أمام الجيش وأمام الملك، وأشار البعض إلى أن نظام الحكم الذي وصفه هومير

---

(1) لقد رأيت استكمالاً للفائدة إدراج هذا الفصل الذي له علاقة بهذا الموضوع، والذي كان أساساً في بعض مصادر المؤلف وقد نشر ضمن كتاب جديد أصدره قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت بعد ترجمته من اللغة الروسية بمناسبة الاحتفال بدخول القرن الخامس عشر الهجري على صاحبه أفضل الصلاة والسلام للعالمة السوفيتية نينا فكتوروفنا بيغولفسكايا، المترجم.

Homer لا يخلو من شبه في بعض خصائصه مع ((النظام الملكي)) الذي وجد لدى العرب قبل الإسلام؛ خاصة فيما يتعلق بالزعامة العسكرية ((والسلطة الملكية)) التي اتخذ جانبها مجلس شورى القادة والمجمع الشعبي، مما يشير إلى وجود نظام يستند على ديمقراطية عسكرية)) والأخير كان عليه الحال لدى اليونان في عهد الأبطال، ولدى الرومان في عهد من سموا بالملوك، كذلك وجدت لدى العرب ديمقراطية عسكرية استندت على العشائر الكبيرة كما استندت أيضاً على القبائل وعلى الجماعات التي ربطت بينها صلة القربى، وانطوت عنها)) وفي رأينا أن مستوى تطور مجتمع العرب الشماليين في القرن الرابع كان أعلى بكثير من مستوى تطور اليونان والرومان في العهد البطولي))، خاصة وأن المستوى الاقتصادي الرفيع التركيب الاجتماعي لجيران العرب المباشرين، وأعني بذلك بيزنطة وإيران، قد ترك أثراً كبيراً على تطور المجتمع العربي نفسه.

وعملية ((التبدي)) التي يقال إنها حدثت بالشرق الأدنى في القرن الثالث الميلادي لم تحدث في واقع الأمر، إلا أنه يشترط الدويلات العربية المتأثرة بالحضارة الهلينية حدث شيء أشبه ما يكون بتفتت القبائل العربية وتدهور لروابطها الاقتصادية التي كانت متحققة في الماضي مع تلك الدويلات، مما حدد بالتالي مصيرها في اتجاه آخر. وكانت تدمر والبتراء وجرش وبصرى مثلاً - دولاً، تمت من حيث نظامها إلى العهود القديمة، وقد قام نظام الإنتاج فيها على الرق، وارتبط بالتأثير المستمر للعوامل الاقتصادية كما اعتمد على السكان الرحّل البدو وأشباه الرحّل ممن نزلوا بالواحات والصحاري المحيطة بها ولم يكن من شأن التركيب العشائري والقبلي لهذه المدن - الدول الواقعة على أطراف الصحراء ألا يترك أثراً محسوساً فيها؛ فروابط النسب القوية قد احتفظ بها السكان المحليون ووجدت طريقها إلى الحياة الاجتماعية لهذه المدن، وهو أمر يمكن تتبعه بوضوح في النقوش الأثرية لبطرا وتدمر التي ترتفع إلى القرن الثالث، وقد تركزت خاصية هذه المدن - الدول في ما أطلق عليه ميخائيل روستوفتسف M. Rsotovtsef اسم ((مدن القوافل)) Caravan Ciries، لأن

التجارة البرية عاونت على ازدهارها وازالها[1] وكانت هذه التجارة تعتمد على حيوان النقل بالصحراء وهو الجمل.

وأزمة العالم القديم التي حدثت في القرون الثالث الميلادي هنا عندنا بأهمية خاصة، وذلك بالطريقة نفسها التي أخذت تبرز فيها بوضوح ظاهرة العلاقات الإقطاعية الجديدة بكل خصائصها بالنسبة للشرق والتي رجحت كفتها في القرن السابع أي قرن الفتوح الإسلامية الكبرى. فالمدن - الدول ذات الطابع القديم التي تأثرت بالحضارة اليونانية لم تلبث أن أفسحت المجال للإمبراطورية البيزنطية الرومية التي سارت فيها عملية الإقطاع ببطء وإن نتج من ذلك القضاء على آثار مجتمع الرق حين استبدل بعمل الرقيق عمل الفلاحين بالأرض وأهل الصناعات والحرف بالمدن.

ولقد تطورت الاتحادات الحكومية لدول العرب الجديدة عن التركيب القبلي ونشأ من هنا أحلاف القبائل التي كان فيها الشعب والجيش أشبه على وجه التقريب مترادفين. فالاتحادات القديمة للمدن - الدول لم تترك خلفًا لها وانتهى أمرها بالزوال، ولكن تطورت عنها أشكال حكومية فريدة هي تنظيمات «البربرية» (المستندة في الأصل على قبائل تنحدر من صلب جد واحد) لم تلبث أن توحدت في أحلاف قبلية على قاعدة جغرافية، وارتبط مصيرها فيما بعد بمجتمعات ذات طابع إقطاعي شبيه لما حدث ببيزنطة و إيران، وبما حدث فيما بعد في عهد الخلافة الإسلامية أما نظرية «التبدي» أو «التبدي من جديد» فإنها لم تحظ بالتعضيد وصدق عليها وصف أحد الباحثين بأنها «أفكار تميزت بالكثير من الأصالة العلمية إلا أنها تفتقر إلى الإقناع»[1] reconstruction fort- savante, mais peu convaincate.

وكانت اتحادات القبائل التي تشكلت في القرنين الخامس والسادس إلى الشمال من نجد و ذلك على حدود الدولتين الكبيرتين، عبارة عن تنظيمات قبلية وأحلاف القبائل ساد بها مجتمع طبقي، وقد تغير التركيب الداخلي لحياتها قبل وقت طويل من

1/ M. Rodinson, Bilan des etudes mohammadiennes, pp. 189- 190.

سلطة الحيرة مرتبطة للعرب اللخميين. فامرؤ القيس (ملك العرب كلهم) الذي مات عام ٣٢٨ كان ملكًا لحلف من القبائل لم يعد بعد مجتمعًا بدائيًا. وفي الحق فإن سلطات تلك المصادر التاريخية بعد قرن أو قرنين من ذلك العهد معلومات عن حياة تلك الدول العربية لا يشبه في شيء شتات الأحلاف البالية والغامضة التي تكونت عن مسالك دولة كندة التي مر بنا الكلام عليها في موضعها من البحث.

أما بالنسبة للعرب اللخميين والغساسنة فإن الفئة اللخمية داخل مجتمعهم واقتسامها بينهم أمر لا يرقى إليه الشك، ولذا كان مشهورًا أن تثبت بوضوح وروابط بين أعضاء الأسرة الواحدة وتعاملك بينها يقوم على صلة الرحم فقد حول رأس الأسرة و في بلغة واحدة معه إخوته وأبناؤه. ولقد انتقل لقب المنذر وحقوقه إلى ابنه الأكبر النعمان الذي بقي معه إخوته بل وقاتلوا تحت قيادته وكانت عشيرة «البيت» الحاكم تقف على رأس المجتمع وورد الكلام أيضًا عن «أملاك بيت الحارث»[1] وكان مرد غضب المنذر بن الحارث من «العرب الفرس» هو أنهم جاروا على التخوم حدود «البيت الحارث». ووفقًا لأسلوب حياة العرب شبه الرحل فقد كانت هناك منطقة محدودة المعتبر ملكًا أو حمى لبيت معين، وبما يقف دليلاً على ذلك النزاع المشهور الذي نشب بين العرب من أجل السيطرة على «الأسطراطا» ولا يخلو من مغزى بالنسبة للتركيب الاجتماعي لهذه الدويلات المكونة من اتحادات قبلية ما ساد بها من مفهوم عنصري وطبقي. فلقد جمع المنذر «كل إخوته وأبنائه وأعيان دولته وجميع عساكره»[2] ليقوم بالهجوم على اللخميين ويكمن الرباط العنصري في التسلسل الطبقي لتلك المجموعات التي اعتمد عليها، ففي البداية «إخوته» وبالتالي قبل «أبنائه»، ثم يأتي هؤلاء في التسلسل «أعيان دولته»، وهو مفهوم طبقي يتحدد به أهل اليسار من الأسر الكبيرة الذين يكونون الطبقة العليا في مجتمع الدولة العربية

1 Joannes Ephesinus, Historia ecclesiastica, VI, 3. CSCO. Scriptores syri, series III, Parisiis, 1935, p. 280 (212).

2 المرجع: ٦، ٣، ص ٢٨٠ (٢١٢).

هذا التسلسل لم يأت اعتباطاً، فالقرابة كانت جميعهم، أي أهل (أبيته) كانت لهم
الأسبقية على الأعيان وهو أمر تؤيده نصوص أخرى. فاللخميون مثلاً لم يعودوا بعد
السلسلة بعد موت الحارث، بل احتفظوا ((بجميع أبنائه وأعيان دولته وحاشيته))
وربما من الأسبقية التي كانت للإخوة على الأبناء في النظام المشايخي الوطيد رأينا
المنذر مثلاً يطلب شيئاً ما ((هو وإخوته وأبناؤه)) فإن نظام الوراثة لم يقم على المبدأ
المشايخي بل قام على المبدأ الأسري. فالرئاسة كانت تنتقل من الأب إلى الابن ومن
من الأخ الأكبر إلى الأخ الأصغر. كما نلاحظ مثلاً من المبدأ المشايخي الذي
بدولة روسيا الكييفية Kievan Russia حيث جرى النزاع على الدوام بين المبدأين
المشايخي والأسري[1]. وانفراد الأعيان بالحكم يقف شاهداً على تقسيم المجتمع على
أساس طبقي شغل فيه أعيان العشيرة وضعاً رفيعاً ويرد الحديث في سيرة يعقوب
البرادعي أن الحارث الغساني ((وأعيان دولته)) رجوا من القديس أن يعالج ((أهل بيته))
ما، أو ((أثناء)) وفي روايته لهذه القصة يستعمل يوحنا الأفسوسي لفظاً قريباً من
اللفظ العربي هو ((أهل)) يعني الناس أو الأقارب وقد سلك طالب اللقب أعيان دولته
أي أكثر الناس التصاقاً به[2]. وفي اتحاد القبائل كان يقف على رأس كل قبيلة
أعيانها. أما الوحدات العسكرية أي الفيالق فقد وجد على رأسهم الزعماء، أي
الرؤساء من طبقة الأعيان. وهذه الاتحادات القبلية للعرب كاللخميين والغساسنة
كانت تتكون في الأساس من أقوام شبه حضر لهم مراكزهم المدنية كالحيرة
والأنبار لدى اللخميين وحيرتا الحارث الغساني ومعسكري لدى عرب بيزنطة. غير أن
شطراً كبيراً من هؤلاء العرب كانوا يخرجون للمراعي بقطعانهم في فصل خاص من
السنة وكان تنظيم اتحاد القبائل نفسه يقوم على أساس عسكري. لذا فإن الكتل
عن الشعب قد تم التعبير عنها بلفظ ((المعسكر)) و((المعسكر)) فالمنذر مثلاً جمع

[1] المرجع.

[2] N. Pigulevskia, Araby VIV. Posiniskim lstochnikam, str. 53.

[3] John of Ephesus, Lives of the Eastern Saints. Patrologia Orientalis, t. 19, Paris, 1926,p. 233.

((فقال معسكره)) أي جميع جيشه ((exercitus)) الذي كان معه معسكره
((castra)). ولقد نقل النص الأول الطبري في النصف الأول من القرن الخامس
الميلادي قبل عام (٤٩٨) من العرب التابعين لمعسكره لتوقيعهم لسمعان العمودي في
البادية قوله ((فأرسلت وأمرت بجمع كل معسكري وقلت لهم: لا يجرؤ أحد
منكم على الذهاب إلى مار شمعون فتضرب رأسه بالسيف هو وجميع أهل بيته))[1].
ويبين المؤلف استعمال لفظ المعسكر أو الجيش في هذا المعنى نفسه وفي معظم
النزاع الذي نشب بين المونوفيزيين حول الأسقف بولس ويعقوب البرادعي يقول يوحنا
الأفسوسي أن ((الخلاف ساد جميع المعسكر العربي))، مستعملاً في هذا المعنى اللفظ
السرياني الذي يعني ((المعسكر)) في صيغة الجمع[2]. كذلك يتحدث الحارث أثناء
النزاع المذهبي عن ((معسكرنا)) مما يسبغ لوناً معيناً على تعبيره هذا[3]. ولم يكن
استعمال هذه المصطلحات اعتباطاً، فيوحنا الأفسوسي نفسه يتحدث عن معنى
((الطمأنينة)) في روايته لذلك النزاع[4]. كما يستعمل اللفظ اليوناني ((الوظوس))
ليترجم به المعسكرة السريانية عن العامة الذين لم يدعوا الجمع بإسلامهم والخاصة ((
للإجتماع بالمنذر في المجمع العقائدي الذي عقد بالقسطنطينية[5] وهذا التمييز الذي
يجريه مؤلف بعينه حين يدعو ممثلي الامبراطورية بعامة الناس، بينما يدعو الكتلة
الشعبية بممثلي اللخميين والغساسنة باسم الشعب لأمر يستلفت النظر لاحقاً. فهو في
الحالة الأولى يستعمل تسمية معقدة في تركيبها لأنها تتكون من اللفظ اليوناني
((الوظوس)) والألفاظ السريانية ((من سواد الناس)) والتي يجب ترجمتها بالعامة.
هذا بينما يدعو على الدوام أولئك الذين يكونون الكتل الشعبية في المملكتين

[1] Vita Simeoni, Acta martyrum et sanctorum, ed. Bedjan, v. IV, Parisiis, 1894, p. 597.

[2] CSXO. Scrptores syri, series III, t. 3, p 208.

[3] Michel le Syrien, Chronique, p. 316 (256).

[4] Joannes Ephesinus, Historia ecclesiastica, Iv, 40, p. 220.

[5] المرجع: ٤، ٤٠، ص ٢٢١.

التوزيع باسم ((المعسكر)) أو ((المعسكر))، وهو مفهوم عسكري بحسب القصد به
القوات العربية حيث كان ((الشعب)) هو الجيش شيئاً واحداً في الحكم الملكي
غير أن ترتيبهم الشوري اقتصر على الطبقة العليا من الأعيان أو الأغنياء، وأعني
الأعيان القبليين الذين استند نفوذهم على العشيرة الكثيرة العدد والقافلة وذات الثروة
وكان جيش العرب يتكون من أفراد أحرار يتمتعون بكامل حقوقهم، وهم جميعا
مقاتلون كانوا يؤلفون هيئة الرجل بمعسكرهم والتقيم أخذوا على عاتقهم تحمل
جميع العمل والالتزامات أثناء الغزو، وكانوا معرضين لأخطر المخاطر، وإن كان
نصيبهم من الغنائم هو الأقل، غير أن التقاليد العشائرية والقبلية ظلت غالبة لديهم لهو
طويل فالجند الأحرار، أو ((المعسكر العربي))، فكانت لهم مجالسهم على غرار
المجالس الشعبية ((الفيتشا)) Vecha بروسيا القديمة، وبالتالي فقد كان لهم تنظيمهم
فوق القبلي. لأنه في تلك الاجتماعات شارك جميع المحاربين، وكان اجتماع المعسكر
locus consistens يعقد في خيمة كبيرة [1] وبمعنى آخر وجد موضع يجتمع فيه
الجيش للتداول. وأخوف المنذر بن حارث من حدوث تصرفات عدائية من جانب بيزنطة
التي قطع معها سائر العلاقات، فقد أوغل بمعسكره في جوف الصحراء، وهناك ضرب
معسكره، وامتنع عن مقابلة أي مبعوث يقدم من القسطنطينية، وكان ((أعلن استعداده
للقتال ضد كل من يجرؤ على الاقتراب من موضع تجمع معسكره)) [2]. وكانت
الدعوة إلى الاجتماع تتم بالناقوس والبوق والقرن، وهي الطريقة التي استعملت عادة
لجمع الجند [3]. من هنا يتضح أن المنذر كان مستعداً لصد أي هجوم أو غيره يأتي من
بيزنطة، بل وكل من يجرؤ على الاقتراب من موضع تجمع جيشه، أعني الموضع
المركزي للمعسكر ومن الجائز أن ضباط الملك نفسه وجد على مقربة من ذلك

---

(١) C. Brockelmann, Lexicon syriacum, Halis Saxonum, 1928, p. 185.

(٢) Jonnes Ephesinus, Historia ecclesiastica, VI, 4, p. 286.

(٣) The chronicle of Joshua the Stylite No. 51, ed. ((الترجمة الروسية)) N. Pigulevskia; Cambridge, 1882, p. 47 Mesopotamia na rubeje V-VI vv. Sirijskaia khronika Iesihu Stilita kak istoricheskii istochnik, M. L., 1940, str. 110

الزوج. وعمل المنذر كان يطلق أيضا من جمع المعسكر في مجلس شعبي غير أنه من
المعروف كذلك أن المنذر والنعمان كانا يخاطبان الجند مستمعين بفرض وقع وسهم
الخطابية، والأمثال هذه الخطب التي كان يلقيها الشواء على جندهم معروفة أيضا في
الجيشين البيزنطي والفارسي.

من هنا يتضح أن الجيش العربي يتكون من أفراد أحرار التغلب تنظيمهم
العشائري والقبلي قسمات جديدة من واقع اندماجهم في أحلاف قبلية، ويمثل الحلف
القبلي بمثل ((الحلف)) برئاسته فالملك يستند سلطانه على الوراثة التي انحصرت في أسرة
مخصصة تنتمي إلى العشيرة التي خرج منها الملك. أما ((المعسكر)) العربي أو
((المعسكر)) فقد كان له إلى جانب تنظيمه القبلي أيضاً مجلس فوق القبلي يجتمع
فيه كل المحاربين، وقد وجد ضرب من الشورى البدائية، فكانت أمراً عادياً في مستوى
التطور الاجتماعي لمجتمعهم ذاك. ويقدم صورة حية لهذه الديمقراطية قصة حفظ لنا
تفاصيلها شمعون الأرشمي الذي قدم في أشهر يناير من عام ٥٢٤ ((٨٣٥ من التقويم
السلوقي)) إلى معسكر المنذر الذي كان يقع على عشر مراحل من الحيرة، وكان
((المنذر ملك الحيرة)) اللخمي قد تسلم آنذاك الكتاب يفيض بالتيه والخيلاء من ملك
حمير مسروق ذي نواس. فجمع المنذر جنده وقرأ عليهم الكتاب، ثم حكى السفير
سفير ملك حمير كيف قتلوا النصارى وكيف تم استشهادهم على يد الحميريين.
فدعا المنذر الغاضب ((جميع الأعيان من نصارى دولته)) وقال لهم: ((لقد سمعتم بما
حدث، فما عليهم الآن سوى رفض المسيح، فأنا لست خيراً من الملوك الذين اضطهدوا
النصارى)) [1] ولكن أحد أعيان دولته رد عليه بحدة قائلاً: ((لا يليق بك أيها الملك أن

---

(١) Chronicon anonymum pseudo - Dionysianum, ed I.B, Chabot, t, II. CSCO. Scriptores syri, series teria, t. II, Parisiis. 1933, pp. 62-63.
لعل المثال المفصل يقدم فكرة أوضح: ((انظروا ها إن المسيح قد طرد من الحميريين والفرس والروم أما أنتم فلا ترضون أن تتخلوا عنه، وأنا لست خيرا من ملوك الفرس والروم الذين طردوا المسيحيين وتفوهو، ولا من ملك الحميريين الذي فتك بهم وأقنعهم في بلدهم)) (انظر ص

تلوح بمثل هذا الكلام، ونحن لم نشجع نصارى في أيامك أنت !! عند ذلك فصاح فيه: ((أتجرؤ على الكلام أمامي ؟!)). وكانت سيئة الصدور في جيش العرب، لذا فقد رد عليه ذلك الرجل من الأعيان ((إنني لا أخالف في الحق لومة لائم، وما دام سيفي ليس بأقصر من سيوف الآخرين فإنني لن أخاف القتال حتى الموت !! وعند ذلك لم يجد ملك اللخميين ضرورة لاتخاذ إجراءات ضده (بسبب عشيرته !!)، ولأنه كان أيضاً (من ذوي الحسب المعروفين) فيه الشجاعة في القتال))[1]

من هنا يبدو جلياً أن مثل الكتاب طرق أمام العسكر، أي الجمعية العامة، عرض المنذر على الأعيان من نصارى دولته أن يطرحوا النصرانية، مما يشير إلى وجود التسميات الجماعية داخل ذلك المجتمع، غير أن ديمقراطية النظام انعكست في أن أحد الأعيان العرب لم يخش التعبير عن رأيه، ذلك أن الملك لم يكن سوى الأول من بين متساوين ولذا كان بالإمكان معارضته وفوق هذا فإن المتحدث لم يخش أن يقوم الأمر إلى صدام مسلح لأنه عهد فيه الشجاعة في القتال كذلك يبدو واضحاً أن العصبية القبلية كانت لا تزال مسيطرة الصدور لذا فإن المنذر لم ير حاجة إلى اتخاذ إجراءات مع المتكلم بسبب عشيرته، فقد تخوف من أن تؤيد تلك العشيرة أحد أفرادها، ومن هنا يتضح أن الروابط العشائرية والقبلية لم تتفصم بدولة اللخميين، وحقيقة الأمر أنه وجد بناء ديمقراطي فوق القبلي، ولكن أعيان العشائر احتفظوا بمكانتهم ونفوذهم اللذين كان على الملك أن يعمل حساباً لهما.

والأحلاف القبلية التي اتخذت صور التحالفات لدول العرب الشماليين في القرنين الخامس والسادس كانت متنوعة في أنماطها الاجتماعية، وتمتعت فيها بالقوة والنفوذ العناصر القبلية والروابط العشائرية، فالجماعة المكونة من الأسر جرى تنظيمها منذ

من ((الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية)) لأغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية وسائر المشرق (١٩٦٦) - المترجم.

(1) N. Pigulevskia, Vizantia na Putiakh v Indiu, str. 295 - 297. (مقتبس)!.

الإنتاجية الأولى تنظيماً عسكرياً أصبحت معه منظمة حربية وعسكرية وهو أمر لم يكن في الوسع تجنبه لأن الحروب كانت المهنة الجماعية الأولى بل والنشاط الجماعي الأكبر الذي احتيج إليه للحصول على منتجات إيجابية المعيشة أو لأجل الحفاظ عليها وتنظيمها، ويحصل هذا أيضاً على الحضر وعلى الجماعات الزراعية، وإن كانت هذه الأوضاع قد اكتسبت أشكالاً متعددة انعكست فيها عوامل الزمان والمكان وما شابه ذلك.

والتنظيم العسكري للعرب الذي كان تعبيراً لأهم حرفة في حياتهم قد احتوى بطبيعته جميع الجوانب الاقتصادية، وكانت تربية الماشية هي الأساس الذي قامت عليه حياة العرب شبه الرحل وتنظيمهم العسكري أيضاً، فقد كفلت لهم الغذاء الضروري كما كفلت لهم وسائل الحركة في حروبهم أي النقل والانتقال على السواء، إذ أن الرعاة والقاطنين سائر الخيل والحراس وسائقي العجلات كانوا جميعاً ينتظمون شطراً من السكان له نشاطاته الاقتصادية، وقد سال استقرار جزء من هذه القبائل إلى تطوير العمل في الزراعة، مما أعان على توفير بعض الاحتياجات الجديدة الزائدة والتي تتطلبها حياة الاستقرار، وفي ظروف حياة الرحل المتنقلة عرف العربي كيف يحصل على كل ما هو ضروري له ولقطعانه، غير أنه منذ اللحظة التي تحولت فيها القبائل أو اتحاداتها إلى جيش حليف لدولة كبرى ودخلوا في خدماتها فقد ظهرت لديهم نزعة للحصول على المواد الغذائية والعلف بغرض سد احتياجات الجيش، تمثل هنا في تسلمهم الأرزاق السنوية annonae militaris، وفي نظير الخدمة العسكرية قد تسلمت دولة الغساسنة من بيزنطة مكافآت في صور شتى عينية أو نقدية.

وكانت وسيلة الثراء بين العرب، خاصة بالنسبة لزعمائهم، هي الغنائم بجميع أنواعها كالأسلحة والمعادن والذهب والفضة، أو المواشي، وكان هذا يتمثل في نهب القطعان الصغيرة أي الغنم أو قطعان الخيل والإبل، مما يرد ذكره على الدوام في المصادر وحدث أن تعرضنا له في الفصول السابقة من الكتاب، كذلك احتل مكانة هاماً في هذا الصدد سبي الناس، وقد جرت العادة بيع الأسرى كرقيق، ولم يحتفظ

العربية في أيديهم لا بعدد ضئيل منهم للقيام بشتى الأعمال، [illegible] كانوا سلعة مربحة في التجارة؛ بل لعلها كانت أربح السلع على الإطلاق.

وتقدم مادة المصادر؛ وكذلك المصطلحات الداخلية في الاستعمال، [illegible] بما فيه الكفاية عن بعض الدول العربية التي تشكلت في القرنين الخامس والسادس على حدود إيران وبيزنطة، وهي لوحة لمجتمع طبقي أخذ يبتعد عن [illegible] ولعل خير ما توصف به الاتحادات الحكومية للعرب هو أنها كانت أحلافاً قبلية تشكلت في داخلها مجتمعات إلى حد كبير بالتقاليد القبلية.

وكان اقتصاد العرب يقوم على الرعي، وقد احتاجت القطعان سواء في ظروف حياة البدو الرحل أو أشباه الرحل إلى الانتقال من موضع لآخر وراء الكلأ والماء، ولهذا كان من الضروري لهم أن يصحبوا قطعانهم. هذا وقد وجدت مساحات شاسعة من الأرض تحت تصرف اللخميين والغساسنة كانوا يترحلون فيها بينها وتتنقل قطعانهم خلال أشهر معينة من السنة، ولما قدم المنذر الغساني على الأنبار (اللخميين) [illegible] وضرب فسطاطه بأرض [illegible] الواقعة على مسيرة ثلاث مراحل والتي وجد بها جميع مستوطنات عرب الفرس وقطعانهم[1]. ولم يكن بمقدور أية قبيلة أن ترعى داخل هذه الأرض إلا بإذن من المالك لأنها كانت ملكاً لعشيرته وحمى، وكان على القبيلة التي ترغب في الرعي بها أن تدفع إتاوة معينة، وفي أزمنة سابقة كانت بعض القبائل تدفع الإتاوة لقبائل أخرى نظير حمايتها لها بالولاء، بصرف النظر عن الأرض التي ترحل فيها. وفي النزاع الذي نشب بين الحارث والمنذر بسبب طريق التجارة الذي يصل بين [illegible] وفرقيسيا [illegible] أن القبائل التي كانت تتنقل في المراعي [illegible] كانت تدفع الإتاوة للخميين منذ عهد قديم، وأضاف لأنه ليس على استعداد للتنازل عن هذا الحق[2]. وفي الوقت ذاته فإنه لم يجادل في حقيقة تبعية ذلك الطريق للرومان منذ القدم

[1] Procopius, De bello persico, II, 1, p. 150.

[2] Joannes Ephesinus, Historia ecclesiastica, VI, 3, p. 280 (212).

[illegible] وهو الأمر الذي [illegible] الحارث، من خلال هذا يتضح أن القبائل كانت تدفع [illegible] بصرف النظر إلى الأرض التي ترحل فيها.

وقد توصل فيما مر إلى أن بعض الباحثين يربط ميل العرب الخاص إلى القتال نوعاً ما [illegible] (التبدي الثاني)، وواقع الأمر أن نمو النزعة القتالية للقبائل العربية في الفترة من الزمان التالية للقرن الثالث، وهو قرن انهيار الدويلات العربية التي [illegible] الهلينية كالبتراء وتدمر، ظاهرة لا سبيل إلى إنكارها وإن كان من غير الصواب إرجاع ذلك بأية حال إلى (التبدي) الذي لم يحدث إطلاقاً.

وقد أدى انهيار الروابط الاقتصادية القديمة إلى فقدان التوازن، مما نتج عنه الكثير من الظواهر الجديدة، فالدول العربية التي تشكلت عند حدود الدولة العظمى كانت مجتمعات (بربرية) فتية، وتمت مكونات [illegible] قبلية اعتمدت على الحروب. وإذا كانت الحروب في الماضي تنشب للأخذ بالثأر أو من أجل الأرض التي لم تعد تكفي القبيلة، أما الآن فقد أصبحت تنشب طلباً للغنائم، وغدت حرفة من الحرف أسوة بغيرها[1]، وهكذا أصبحت الحرب ظاهرة عادية في تطور هذا المجتمع الجديد الذي تميز من قبل في استعداده للقتال، ولم يكن سبب هذا هو (التبدي) بل انتقال المجتمعات البربرية من أنظمتها المشاعية والقبلية إلى أنظمة حكومية، أي إلى دولة تسود فيها نظام طرق التبادل، وبالنظر إلى أن الحرب قد أصبحت (حرفة مستديمة) لهم ومصدراً للثراء، فقد نالت أدوات القتال والقتال كالأسلحة والعدد (؟) واستعمال الحيوان في الحرب أهمية قصوى، وهذا يفسر لنا ما حازه جيش العرب الذي كان قوامه الفرسان من تفوق في صلاحيته للقتال، وانعكس هذا بوضوح في أسلحته ومعداته القتالية كما انعكس أيضاً في إجادته لأساليب الهجوم والدفاع.

[1] فيما يتعلق بتنظيم الغزوات والغزو لدى الشعوب الرحل ومنهم العرب يمكن الرجوع إلى الدراسات الإثنوغرافية.
(J. Henninger, Das Eigentumsrecht be din heutigen Beduinen Arabiens, pp. 38-40)

وحتى في حالة الاستقرار الدائم فإن الغارات وأعمال الغزو كانت من [illegible] العادية في حياة العرب، إلا أن مجتمعهم البدائي هذا لم يلبث أن [illegible] (العسكري الديمقراطي) وأخذت ظاهرة التنوع الطبقي فيه تجتذب الانتباه [illegible] من بيزنطة وإيران اللتين استخدمتا العرب كحلفاء لهما، قد وجهت همم [illegible] نحو العمليات العسكرية التي تتطلب اللباقة وخطة الحرب [illegible]، أما حصار القلاع [illegible] الذين قد كان بالنسبة للعرب في تلك الأزمنة أمراً لا طاقة لهم به، ولقد كانت [illegible] والمدن والقطعان والقوافل التجارية منذ عهود موغلة في القدم في خطر دائم [illegible] غارات العرب التي كانت بالنسبة لهؤلاء الأخيرين وسيلة من وسائل الثراء البدائي [illegible] اعتمد على الغنائم بصورة خاصة أعيان العشائر وزعماؤها، بينما كان للغالبية [illegible] من ذويهم فرصة المخاطرة في حين كان نصيبهم الأقل عند اقتسام الغنائم. [illegible] الغساسنة واللخميون الذين انخرطوا في خدمة الدولتين الكبريين فقد كلفوا [illegible] بمهمة حراسة الحدود من غارات القبائل العربية الأخرى، فضلاً عن أنهم أخذوا [illegible] في الحروب التي نشبت بين بيزنطة وإيران.

ويتحدث مؤلف الحوليات السريانية لبداية القرن السادس عشر من عرب [illegible] الذين لم يعرفوا الهدوء ولم يذوقوا طعم الراحة فيقول إنه ((لما بلغ مسامعهم أن الحرب على وشك الاندلاع مع الروم تجمعوا وخرجوا إلى قتاله))(١) وكان ما يتم الاستيلاء عليه من الغنائم يقسم بينهم، ولم يكن من حق أول من يضع يده عليه، ولم يختلف الأمر سواء كانت هذه الغنائم متاعاً أو ماشية أو محصولات زراعية أو أسرى ثم سبيهم [illegible] كانت جميعها ثروة من شأنها التقسيم ولما تخاصم الغساسنة مع بيزنطة أغاروا على [illegible] والتي عراقية وسورية، ثم أوغلوا في جوف الصحراء حيث شددوا الحراسة، واقتسموا الغنائم، وكان للملك والزعماء والأعيان نصيب الأسد من الغنائم، بينما يأتي الغالبة في المؤخرة، وكان العرب في العادة يبيعون أسرى الحروب ومن وقعوا في السبي في أسواق الرقيق بالدول المجاورة.

(١) Joshua The stylite, No 24, p. 224, p. 19.



ومن الطريف أن نلاحظ أن العرب حتى في ظروف حياتهم الحرة المستقلة [illegible] قد حصلوا على القوت اللازم لهم ولخيولهم من حلفائهم بالتزامات نحو الدولتين العظميين، كالأرزاق العسكرية annonae militaris التي كانت تقدمها لهم بيزنطة [illegible] من مدفوعات نقدية كالذهب أو من منح عينية كالحبوب والقمح والتمر والزيت والعلف لغذاء الحيوان، فلما نقض هذا الاتفاق [illegible] العرب من [illegible] بيزنطة وأخذوا يهاجمون حدودها محتجين بأن الإمبراطور قطع الأرزاق السنوية عنهم وأنه لم يصل إلينا ما نعول عليه، فاضطروا إلى [illegible] الظروف المادية لحياتهم فقد الهاربون فجأة وأخذوا يبحثون عما يقيم أودهم [illegible] من قتل أو تمزق، ويعرفون مثلاً أنهم لم يمتلكوا [illegible](١) ولا [illegible] معيشتهم عن أن تواجه فجأة انعدام الغذاء والعلف فقد لجأوا إلى الطريقة البدائية [illegible] معيشتهم وهي الغارة والسلب، وهم وضعوا أيديهم على كل شيء على المحاصيل الزراعية، بالذات الذهب والفضة التي كانت قيمة في حد ذاتها فضلاً عن استعمالها في التبادل، أما المعادن الأخرى فكانت ضرورية لصناعة الأسلحة والأدوات، وتوضح هذه المعطيات تقدم الدليل على مدى اعتماد العرب اقتصادياً على بيزنطة عندما دخلوا معها في التزامات عسكرية وانخرطوا في خدمتها.

(١) Joannes Ephesinus, Historia ecclesiastica, III, 42, p. 224 (168).



إلا مكان تطور المجتمعات القبائل العربية في الشمال قد حدث في ظروف المجتمعات جيرانها وفوق أثر دول ذات مستوى رفيع في نظمها الاجتماعية، فإن النظام الحكومي في الجنوب يدل أهمية خاصة لأن تطويره سار في طريق مستقلة، ذلك أن بلاد اليمن لم تتعرض لمثل ذلك الأثر الطويل الأمد للحضارة اليونانية الرومانية، خاصة وأن ذلك العالم لم يكن له نفوذ مباشر عليها رغما من أن أزمة القرن الثالث التي حلت بمجتمع البحر المتوسط القائم على الرق تردد صداها في ظاهرة انهيار تجارة منطقة البحر الأحمر بأكملها، غير أن خواص البناء الاجتماعي للمنطقة الجنوب العربي تخضع للقوانين التاريخية نفسها التي عملت عملها في تشكيل أوضاع العالم العربي والعالم الشرقي على السواء.

وطابع البناء الاجتماعي لعرب ما قبل الإسلام باليمن يمكن استجلاؤه من الرقوم القتبانية القديمة لتلك البلاد، فدراسة الرقوم السبئية تقود إلى الاستنتاج بأن عددا من مصطلحاتها يرتبط بمراحل مختلفة في تطور مجتمع هذه المنطقة وبعض هذه المصطلحات عشائري وقبلي، بينما يشير بعضها الآخر إلى اختلاف نوع الملكية، وذلك في عدد من الحالات التي ترد في آن واحد برقوم بعينها، أما في حالات أخرى فإن المصطلحات تعاون على التمييز بين السكان الحضر والرحل الذين اختلف طابع تنظيمهما الاجتماعي.

وقد اجتذب اهتمام الباحثين منذ وقت طويل ما يشير إلى وجود ضربين من الجند، يحمل أحدهما في الرقوم تسمية ش ر ع ب بينما يحمل الآخر تسمية خ م س، فمثلا يرد في الرقم الدعائي (votive) CIH.315 الذي يرجع إلى العهد الوثني ذكر نوعين من المقاتلة (أو خ م س هـ م و / و ش ر ع ب هـ م و)، هما خ م س و ش ع ب [1]، وقد فهم هارتمان M. Hartmann من هذا أن المقصود من خ م س هو الجيش الذي يدين

CIH? E, lin, 7., pp. 346 - 347.[1]



بالطاعة للملك ويتمتع في الوقت ذاته بموازنة الملك، هذا بينما يعني ش ر ع ب القبيلة أي الرجال ...(؟) وعامة الناس [1]، كذلك يحمل إلى فهم لفظ خ م س بمعنى الجيش المحترف مجموعة (الكوربوس CIH) ففي الرقم CIH 155 يرد الكلام على جيش ملك سبأ وجيش ملك حضرموت [2] خ م س / م ل ك / س ب أ / و خ م س / م ل ك / ح ض ر م و ت، كما يرد في الرقم CIH 334 وجيش سبأ وحمير و خ م س هـ م و / س ب أ / و ح م ي ر م [3]، وثمة تفسير جديد لهذه الألفاظ يقدمه بيستون Beestoun الذي لا يقبل مع رودوكاناكيس Rhodokanakis في قوله إن ش ع ب هو ((القبيلة a tribe)) Stamm وأن خ م س هو وحدة تتكون من جملة قبائل)) [4] أما بيستون فيفهم من لفظ خمس ((الشطر من السكان لا ينتمي إلى القبيلة، ويتعارض مع الجماعة القبلية ش ع ب من جهة ومع البدو الرحل - ع ر ب من جهة أخرى))، وفي هذا المفهوم المصطلح يشخص من الرقم أكثر جلاء في رأيه [5]، وأما البروفسور ماريا هفنر M. Hefner فتفترض أن خ م س الرهمي صيغة الجمع للمفرد خ م س)) [6] إنما يقصد بها ((القوات الشعبية Heervolkem)) التي ظهرت في رقوم ملوك سبأ وذي ريدان جنبا إلى جنب مع

[1] M. Hartmann, Die Arabische Frage. Lipzig, 1909,pp. 448- ((ش ر ع ب ((Stam, nach Burger, Volksleute im Gegensatze Krieger)) خ م س 449, ((Krieger von Beruf))

[2] CIH 155, gin. 3. t. I, pp. 218-219.

[3] CIH 334 lin, 38, t. I, pp. 377- 378, 381.

[4] A. FL, Beston, Notes on Old South Arabian Lexicography. Le Museon, 1952, v. 65, I, I- w, p. 140 - 161.

[5] المرجع نفسه ص ١٤١ - خ م س،

ش ر ع ب (nontribal element of the ciculation as opposed to the tribal element designed as ع ر ب and to the purely bekuim)) ...

[6] هو اللفظ نفسه الذي دخل العربية الفصحى ويرد في معاجم العربية أن ((الخميس)) هو الجيش والجيش الجرار - المترجم.

وواقع الأمر أن هذه المقابلة بين المصطلحين مذكورة على في القسم الرقيم، مثال ذلك الرقيم المتعلق بالفترة الوثنية التي عبد فيها الإله إلمقه، عليه يعرب إرم من مملكة تكون التي تشبه في المسمية التي خرج فيها وعبد قبيلة سبأ والأعراب ((أ ب ع م ش ع ب أ س ب ن / و ع ر ب ن))[1] وفي الرقوم المذكورة أعلاه وأيضاً في الرقيم الذي تحدث عنه الآن، نرى أن يترجم لفظ ش ع ب بلفظ ((الجماعة))، مما نستدل عليه فيما يأتي من لم تأتي الترجمة الألفاظ هو: ((الجماعات سبأ والأعراب))، ((الذين لم يدخلوا في تكوين الجماعة)) وبهذا فقد ظهر لفظ ع ر ب في النقوش كجماعات مستقلة[2] وفي الرقيم الآخر من هذه يطلق على القسم من القبيلة الذي اضطلع بالخدمة العسكرية ش ع ب، ويظهر إلى جانبه على قدم المساواة لفظ ع م س الذي ولد اضطلع بالخدمة العسكرية إلا أنه لا ينتمي إلى القبائل[3] لعلك تلك يرد في الرقيم تذكر الوحدات العسكرية من الرحل وشبه الرحل التي لم تدخل في تكوين القبائل هنا ويقصد البدو يكون الرحل الخلص. أما اع ر ب فهي وحدات من العرب شبه الرحل وفقاً لرأي الذين مر ذكرهم

ويمثل القضية خاصة لفظ ش ع ب الذي يلزم فحص معناه وتحديده تحديداً جيداً لهذا التنظيم المعقد يتفق حسب رأينا مع مفهوم ((الجماعة))، وبهذا سنترجم ذلك الرقيم الوارد بالرقوم ويرى هارتمان أن لفظ ش ع ب يطلق في البداية تنظيماً سياسياً أي معلناً ارتبط نشاطها بعبادة إله ما ويعبد هذا الإله وقد طورت البروفسور مارية فكرة مؤلف ((المسألة العربية)) ((Die Arabische Frage)) وهو هارتمان (M. Hartmann) فأكدت في كثير من الصحة أن مفهوم ش ع ب في بلاد العرب الجنوبية يختلف اختلافاً أساسياً عن مفهوم البدو)) ومن المتفق عليه أن القبيلة Der Stamm-the tribe إنما هي مجموعة كبيرة من الناس تنحدر من صلب جد واحد

---

1) CIH, t. II, No, 397, 7, 8, p. 58.

2) M. Hofner, Die Beduinen..., P. e 26.

3) A.F.L, Beston, Notes on Old South- Arabian Lexicography, pp. 140- 141.

4) M. Hofner, Die Beduinen... P62.

((القبائل))، لأنه يرى لذلك حسب رأيها إعداداً لتنظيم الجيش وإزالة الفوارق إلى صورة تقارب كبير بين الشامة للمقاتلة وإلى اجتذاب البدو الرحل للعمل فيه[1]

ويتمتع بأهمية كبيرة رقيم من القرن السادس نسبة ملك سبأ يستطيع الشرح سميفع أشوع بن شرحبيل يكمل، اللذان كانا يدينان بالنصرانية (النجاشي المسيحية) وجاء فيه: ((الجيش الملك والقيل)) ع ر س هـ م و / م ل ك م / و ق ي ل ي م الذي يجب يفهم منه أن المراد هو ((الجيش التابع للملك والجيش التابع للقيل)) والجيش هنا من، أي القسم منه المتكون لا من مجموعة القبائل ش ع ب بل من البدو الذين ينتمون إلى التنظيمات القبلية رحلاً كانوا أم شبه رحل، ومن الجوهري تحل المسائل الأخرى شبيهة لهذا الرقيم بوجود نوعين من المحكم يقوم على رأس الملك وعلى رأس الآخر القيل وأيضاً بوجود جيشين يتبع أحدهما لهذا والآخر لذلك[2]

لهذا أثار الجزء الكثير من الاهتمام في الدراسات الغربية المهد لموضوع العلاقة بين السكان المتحضر والرحل، والتي تتمثل في المقابلة بين اللفظين ش ع ب و ع ر ب في الرقيم. فالبروفسور مارية هفنر لاحظت أنه عندما طمحت مملكة سبأ في القرن الأول قبل الميلاد إلى إخضاع حمير، كان شطر من جيش هؤلاء الأخيرين يتكون من البدو الرحل. ويرد في رقيم من القرن الثالث ذكر ((بنو مأرب)) جنباً إلى جانب مع قبيلة سبأ حيث تنحصر لفظ ع ر ب في مواجهة لفظ ش ع ب ((CIH 353))، فيشكل الاثنان معاً إن لم يكن جيشاً واحداً فعلى أيا حال جيشاً متحالفاً[3]، من هنا يتضح أن قبيلة سبأ كانت إلى جانب ((بنو مأرب)) حيث يرد اسم مأرب كمركز مدني وكموضع رئيسي لقبيلة سبأ[4]

---

1) M. Hofner, Die Beduinen.... p. 62.

2) G. Ryckmans, Une inscription chretienne sabeene aux muses d'Antiquites d'Istambul. Le Museon, 1946, v. 59, pp. 165 - 172.

3) CIH, t. I, p. 433, 353, nota 10.

4) M. Hofner, Die Beduinen... p. 61.

وتعتبر (الأسرة واحداً منطقياً) (1). أما مفهوم ش ع ب (فلا علاقة له البتة بصلة الرحم)
وهذا الرأي لا يمكن قبوله إلا إذا تم الاتفاق على أنه في تكوين ش ع ب لم تدخل
القبيلة التي يربط بين أفرادها صلة الرحم فحسب، بل وقبائل أخرى يربط بينها إلى جانب
صلة الرحم أيضاً الجوار والمصالح المشتركة. وكان على رأس كل قبيلة (رب
الأسرة) الذي شيخها، أما اتحاد القبائل فكان يضم أبناء الأسرة المختلفة. وقبيلة من
ظهور الوحدة العليا في صورة (المنظومة النشأة) سيطرت على الجماعات الصغيرة
الجماعة التي قامت على أساس المصالح المشتركة، وعلى أساس تقسيم العمل بين
مجموعات السكان داخل قبائلها المختلفة. أقول إن هذه الجماعة لم تتكون بطبيعة
الحال تنظيماً يستند إلى علاقة الرحم وحده وإن وجب الاعتراف بأن خلاياه الأولى
دخلت في إطار هذا التنظيم الأكثر شمولاً والذي نرى أن يحمل اسم الجماعة، وقد
(قلنا منذ عام ١٩٦٢ على أنه حتى وإن اتخذ لفظ ش ع ب في الترجمة معنى (القبيلة)
إلا أنه اعتماداً على المصادر المختلفة يجب أن يفهم ويفسر بصورة مخالفة لأنه اكتسب
(المسألة حديثاً تقريبة من الفطرة المتصلة بالجماعة) [2]، وعند مرحلة معينة من
التطور ظهر النظام الجماعي للسكان المستقر في جنوبي الجزيرة، معتمداً في أساسه
على وحدة التراب وعلى الإنتاج المشترك بين الجماعة كالزراعة وتربية الماشية
والحرف، وقد استدعت الملكية المشتركة للأرض عملاً مشتركاً وكانت الأساس
لوحدة الجماعة، ومن الطبيعي أن مفهوم ش ع ب بالجنوب العربي لم يتحدد به قبيلة
بذاتها بل الجماعة التي تنتمي إلى قبائل مختلفة، أي ذلك النظام الذي روعي فيه البناء
الطبقي المنطقي حيث وجدت طبقة الأعيان القبلية حكماً ووجدت المهن المختلفة
للمجموعات المتعددة في المجتمع؛ ووجد أيضاً نظام لتقسيم العمل بينها، ويمكننا من
متن الرقيم Ry 508 أن نخرج باستقراء مفاده أنه في إطار ش ع ب كانت الجماعة
تضم فقط العناصر الحضرية المستقرة من ذي همدان ش ع ب ن ذ هـ م د ن، أي أهل

N. Pigulevskia, Vizantia na putiakh v India, str. 350.[1]

(مدناً). أما العناصر الرحل من ذي همدان فقد حملوا اسم البدو في ع ر ب ن، ويعود إلى
ماشيتهم الغنم كالبقرة والمراد والمذحج))[1].
وقد سبق الاختلاف في المهن إلى الاختلاف الاجتماعي داخل القبيلة، لم يسبق فيها
بعد إلى الاختلاف داخل الجماعة، لذا فإن ذلك المجتمع لم يعرف المساواة، (الأقيال)
أو (الأحرار) يحافظون لهم ممتلكاتهم وكانوا يشغلون المكانة الرئيسية في المجتمع،
بعضهم وبينوا الوزارة أيضاً من عشائرهم القوية، وفي الجماعة جرى التمييز أيضاً
بين (الأقيال) و(الأحرار) و ل د ش ع ب هـ مو[2]، وحتى في الأزمنة البعيدة التي كان
فيها التطور (التكبيرات)، أعني سلطة زعماء القبائل المتمثلة في المحلات الاقتصادية
على جميع وسائل الإنتاج بما في ذلك الري الصناعي كانت في واقع الأمر في يد هذه
الطبقة، أما وظيفة القائد العسكري فكان يشغلها لا الكبير بل الملك الذي يحكي
ملوك، والركس rex، والباسيليوس basileus))، وكانت تتمثل في الحلقة الأولى
في مهام عسكرية. وقد حمل اسم ش ع ب في الجنوب العربي الجماعة القبلية، وهو
تنظيم قبلي متطور ظهرت فيه فعلها الاختلافات في الملكية والأوضاع الاجتماعية، ووجد
فيه إلى جانب القبائل التي لم تتمتع بمكانة بارزة طبقة قيادية من الأعيان القبليين أخذت
تلعب دوراً متزايداً في الوضع الاقتصادي وفي الحكم وفي القيادة العسكرية للجماعة.
والقبائل الرحل وشبه الرحل التي كانت تدور في فلك مأرب لم تبلغ بطبيعة الحال
مستوى التطور الاجتماعي الذي بلغته الجماعة بقولة سبأ. أما العمل الشاق الذي استدعاه
ترميم سد مأرب عام ٥٤٣ على عهد أبرهة فقد أخذت فيه بطرف (الجماعات) التي ع ر
ب، لا البدو ا ع ر ب[3]، لذا فإن هذه المجموعات الأخيرة وردت أسماؤها متصلة في الرقوم
بوصفها تعيش حياة أكثر بداوة في إطار عشائري قبلي ولم تدخل في تكوين (الجماعة)

G. Ryckmans, Inscriptions sud - arabes, 10 me series, R 508, Le Museon, 1953. v. 66, p. 297; M. Hofner, Die Beduinen,.. P. e- 64.[1]
G. Tyev lam, Inscriptions sud - arabes, Le Museon, 1932, v. 45, pp. 290, 294 - 295.[2]
CIH 541, t. II, p. 281.[3]

التي أطلق عليها النمط خاص هو ش ر ح ب ، ومن ثم فقد عرفوا باسم أوسع انتشاراً هو
ع ر ب ، أي البدو، وكان تنظيمهم الأولي أبسط وأكثر بدائية، وهو معروف لنا من
المؤلفين الأوائل، ومن المصادر اليونانية والسريانية التي حفظت لنا معلومات عن الرحل من
قبائل العرب الشمالية، والقبائلية ودخ ح ج و ش ر ح ب في الرقوم الأقدم تاريخاً، ووجود
ش ر ح ب في الأثر الحميرية، إنما يستند على الاختلاف في مستوى التطور الاجتماعي
الذي من شأنه أن ينعكس بوضوح عند مقارنة البناء القبلي البدائي بالتنظيم الاجتماعي
المعقد الذي يسوده النظام الطبقي.

وتوجد بالرقوم العربية الجنوبية معلومات بشأن القبائل العربية التي دانت بالطاعة
لبيئة ثابتة، فقد شغلت هذه القبائل قطعاً من الأرض نقلتها إلى نمط الحياة الحضرية
واستغلت هذه الأرض، وفي الوقت ذاته اعترفت بالطاعة للبيت الحاكم، وهكذا فسر
البروفسور ريكمانس لفظ و ث ف الوارد في الرقوم التي كشف عنها أحمد فخري
بمأرب، على أنه يعني ((الطاعة)) و ((الاستسلام))، أي خضوع قبيلة لقبيلة أخرى حاكمة[1]
ولم تضم ش ر ح ب الرحل وشبه الرحل الذين ظلوا يدورون في فلكها، ذلك أنهم لم
يكونوا متحدين معها في نظام اجتماعي، غير أن الطرفين شاركا معاً في الحملات
العسكرية، وهو الأمر الذي تحدث به الرقوم، واحتفظا خلال ذلك بنظامهما العسكري
الذي يستند على القاعدة القبلية وعلى التقسيم إلى قبائل يرأسها قادتها العشائريون أو
القبليون، وتصور لنا هذا بوضوح الرقوم السبئية في حديثها عن الكتائب الداخلة في
تكوين الجيوش الخارجية في الحملات العسكرية.

من هنا يتضح أن ش ر ح ب الواردة في الرقوم العربية الجنوبية إنما يقصد بها
الجماعة القومية التي تجاوز مستوى تطورها المرحلة القبلية ليصبح شيئاً أشبه بدولة
الحوز، ويمكن أن يلاحظ فيها التقسيم الطبقي، حيث وجدت طبقة من الأعيان
ليست على قدم سواء مع بقية طوائف ذلك المجتمع

(1) A. Fakhry, Archaeological Journey to Yemen (1947), part II. Epigraphical texts by G. Ryckmans, Cairo, 1952, Fakhry3, lin. 6, p. 4,7 (wfir ((acte de cession, de concession))

وتحد بجزيرة العرب وفي المناطق شبه الصحراوية بسورية، وأيضاً في المناطق
المتاخمة لأرض الجزيرة السفلى القبائل المتفاوتة من حيث درجة تحضرها، ولعل مثل
تجمعهم دون شك بمراكز مدنية تزايدت حولها في القرنين الخامس والسادس حيث
نشاطهم، الأرباح التجارية فشاركت مشاركة نشطة في التبادل التجاري والتي توجد
وسائل النقل تحسنت لتحركاتهم، وقد أخذ العرب طرفاً في تجارة القوافل ونقل السلع
وحراستها، وسلكوا الطريق إلى مدن لم تلبث أن نمت ثم معها روابط قوية، على أن هذه
المدن لم تكن مدناً عربية بحتة بل كانت مدناً أجنبية لم يربط العرب بها سوى العلاقات
التجارية على ما يبدو، لذلك فإن شطراً فقط من السكان العرب الحلويين أهل الطبقة
العليا كانت لديهم إمكانية التفاعل مع هذه المجتمعات.

وعلى نقيض هذا كانت المخيمات، وهي المواضع الثابتة لدول العرب، بل إنه حتى
بين الرحل كان المخيم يضرب بموضع تمكنه في العادة نقطة جغرافية محدودة، وقد
ارتبطت حول مخيم العرب شبه الرحل حياة اقتصادية ذات طابع حضري، اعتمدت على
الإقامة الثمار وجمع المحاصيل الزراعية ورعي الغنم، ولم يلبث مخيم الرحل أن اكتسب
جميع سمات القرية وثبتت جذوره، ولا يخلو من أهمية في هذا الشأن قصص حراس
الإسكندرية بصدد المخيمات ((البريمبولي Parembolei)) التي نصبها العرب في
مناطق فلسطين والرابية.

وحيرتا النعمان المشهورة، والمقصود بذلك الحيرة عاصمة دولة اللخميين، لم تكن
في بداية أمرها بطبيعة الحال سوى ((حيرة)) أو ((حيرتا)) أي المخيم أو المعسكر بالمعنى
الحرفي للفظ في مفهومه العام، وتلتقي في لغة الجنوب العربي بلفظ ح ي ر ت بمعنى
المخيم ((encampenent)) كذلك توجد صيغة ت ح ي ر المشتقة من الفعل ح ي ر،
ح ر ت بالأحرف غير المتحركة ((Scripta defectkva)) [1]، وهو في هذا المعنى

(1) A. F. L. Beeston, Notes on Old South- Arabian Lexicography, VI. Le Museon, 1954, v. 67, pp. 331 - 312.

يتفق مع المعنى السرياني والعربي للفظ (الحيرة)) بمعنى المخيم وهو أمر لم يفطن له الباحثون إلى وقتنا هذا، ولم يكن اعتباطاً أن أخذ ينضم إلى لفظ (المخيم) اسم الملك الذي نزلت أسرته بذلك المخيم، فأصبحت الحيرة تعرف باسم ((حيرة النعمان)) ثم تحول اللفظ من معناه العام ليصبح علماً على موضع بعينه[1]، وكان يتحاشى لفظ (المدينة) إلى (الحيرة) ولم يظهر هذا إلا في أزمنة متأخرة، وهكذا قُرن ذلك المخيم باسم الملك أو تم ربطه بالتقاليد العشائرية والأسرية فأصبح يعرف باسم الأسرة أو بيت النعمان، وحتى بعد أن قامت الحيرة وأصبحت موضعاً لإقامة دائمة فإن العرب كانوا يغادرونها بسهولة وكأنما يطوون خيامهم، وإن وجد بها بطبيعة الحال مبان ذات طابع مستديم بل وحتى قصور وبيع.

(1) Joannes Ephesinus, Historia ecclesiastica, III, 42, p. 224

(2) هي اللفظة نفسها الواردة في شعر حسان بن ثابت لا سيما القصيدة المشهورة التي يتحسر فيها على الغساسنة ويذكر منازلهم بالشام:

لمن الدار أوحشت بمعان ... بين أعلى اليرموك فالخمان

فالقريات من بلاس فداريا ... فسكاء فالقصور الدواني

فقفا جاسم فأودية الصفر ... مغنى قبائل وهجان

تلك دار العزيز بعد أنيس ... وحلول عظيمة الأركان

ثكلت أمهم وقد ثكلتهم ... يوم حلوا بحارث الجولان

كما وردت أيضاً في بيت لشاعر آخر (أو النابغة):

بكى حارث الجولان من فقد ربه ... وحوران منه خاشع متضائل

ويقول في بيت ثالث:

[illegible] في غسان أطراف منزل ... إلى الحارث الجولان فالنبي [illegible]

- المترجم.

ويقول أحد مدوني الحوليات لبداية القرن السادس: ((ولقد أغار عرب الروم المسمون بني ثعلبة على حيرة النعمان فوجدوا بها قافلة معدة للذهاب إليه أي إلى النعمان ولملا محملة بالميرة من أجله فانتهبوا عليها وقتلوا كل من بها ووضعوا يدهم على الإبل، ولم يقربوا الحيرة لأنها كانت قد ابتعدت في جوف الصحراء))[1]، ومن هنا يتضح أن الجيش كان قد غادر الحيرة ولذا تمكن بنو ثعلبة من سوق القافلة والإبل التي أعدت لتموين جيش النعمان، ويرجع هذا الحادث إلى ٥٠٢، وإلى العشر الأخيرة من ذلك القرن نفسه ترجع الأخبار بصدد حيرة الغساسنة التي كانت تقع على نشز من الأرض في وسط وادي الجولان بسورية الشمالية، وإن كان تأسيسها يرتفع إلى عهد أبعد من ذلك، وكانت تحمل اسم (الحيرة بيت الحارث برجيلة)) وكان ينزل بها المنذر بن حارث ملك عرب الروم[2]. هذا الموضع الذي كان قرية في الماضي أصبح مدينة لها أسوارها المحيطة بها[3]، ويرى ولديكه أن (الحيرة الغساسنة) كانت عند قرية الفيع على مقربة من شمالية بدمشق، هذا بينما يفترض ديسو أن القرية هي قرية حارث الجولان[4] التي تقع على الطريق الذي يصل وادي اليرموك بالجابية.

وبالرغم من بلوغهم درجة معينة من الاستقرار فقد احتفظ العرب بخلقهم وبسرعة التحرك والانتقال، فكانوا يغيرون فجأة موضع إقامتهم، وكانت غاراتهم على ولايات عرابيا وسورية ((توغل العرب الغساسنة في جوف الصحراء وضربوا مخيماً كبيراً بها والتمسوا الغنائم))[5]، وكان المنذر بن حارث يخشى أنه لو غادر مخيمه الثابت هذا (الحيرة) بجنده كما طلب منه الإمبراطور فسينقض عليه (العرب الفرس) ويسبون

(1) Joshua Stylite, No. 57, Wright. P. 54. (الترجمة الروسية رقم ٥٧، ص ١٥٣).

(2) Joannes Ephesinus, Historia ecclesiastica, IV, 22, p. 209 (158).

(3) E. Honigmann, Eveques et eveches monophysites. Louvain, 1951, pp. 162, 203, 228. cf. Nöldeke, Zur Topographie und Geschichte des Damascenischen Gebietes ZDMG, 1875, Bd. 29, p. 430; R. Dussaud, La topographie historique de la Syrie antique et medievale, paris, 1927, 334-??

(4) Joannes Ephesinus, Historia ecclesiastica, IV, 22, p. 209 (156).

(5) Joannes Ephesinus, Historia ecclesiastica, III, 42, p. 177 (132).

الدراري (النسطوريون) على جميع ماليّ))[1]، وحتى لو وجدنا لديهم مدينة يعقوبية مرتبطاً وعاصمة لهم، فقد ظل العرب يعيشون معيشة الرحل، فعلى عام ٣٢٤م مثلاً لم يجد شمعون الأرشمي المنذر اللخمي بحيرة النعمان لأنه كان قد توغل في جوف الصحراء في البلاد الجنوبي الشرقي وضرب معسكره على بعد عشر مراحل، وكان الكثير من رجاله يصحبه هنده وعرب من قبائل أخرى مثل بني معد[2]. ومما يلفت شاهداً على بساطة حياة العرب أن أحد أبناء الحارث (الارثاث) كان يرعى قطيعاً من الخيل عندما انقض عليه اللخميون وقبضوا عليه وقدموه قرباناً للعزى التي كانوا يقدسونها[3] ومن البديهي أنه كان بعيداً في تلك الوقت من المخيم أو المعسكر متنقلاً مع قطعانه، أما شكل المخيم، وهو المنزلة المؤقتة التي اتخذت طابع مستقر دائم، فيستخلص استخلاصاً من روايات كيرلس الاسكيثوبولي، ففي عهد الامبراطور انستاسيوس الأول عام ٤٢٠م ((أقامت خيام)) ((al sketai)) للعرب قرب دير أوثيميوس بفلسطين، وقد طوقها (البرابرة) مراراً ثم أعادوا نصبها وبناءها من جديد، وكان للدير بركتان كبيرتان لديهما مكانتا موضوعين، وقد عُرف أحدهما (الربض الوقتية)[4]، للعرب النصارى الذين نزلوا حول أوثيميوس الذي عمدهم، كذلك أسس البطريرك بطرس الأسقف فيها بعد بيعة من الخيام ومخزناً، كما بنى حوضاً، وكذلك أبنية الخيم والمنازل، وكان من المحتمل أن يصبح على مر الزمان أكثر استقراراً أي موضعاً للهيكل المستديم أشبه ما يكون بالقرية.

---

(1) المرجع ج ٢، ص ١٠٥ (١٤١).

(2) I. Guidi, La lettera di Simeone di Beth - Arsam, Roma, 1881, p. 2.

(3) Procopius, De bello Persico, II, 28, p. 284.

(4) Kyrillos Skythopolis Vita Euthymii, 46, 51, ed Ed Schwartz, Texte und Untersuchungen, 1939, Bd, 49, pp. 67, 75.



وقد وجدت بحيرة اللخميين أبنية جميلة، كما أوجد ذلك القصور والخورنق والسدير على السواد، أبنين لذلك قصبة بل وأصبحت أيضاً مدينة تحيط بها المسيحيات والحواجز حتى قيل في حقها ((الحيرة مدينة العرب الكبير))[1].

وفي تاريخ القبائل العربية الشمالية شغلت مكانة هامة تلك الدويلات التي تأثرت بالحضارة الهلينية، مثل بطرا وتدمر والأنباط، غير أن هذه كانت مدناً دولاً City - States، أو ((مدناً قوافل)) Caravan cities، وكان للعنصر اليوناني - الروماني نصيب وافر في أنماط الحياة السائدة بها، وحتى هنا بالشرق قامت هذه الدول على ملكية الأراضي، وكان تاريخها على غرار تاريخ ((العالم اليوناني - الروماني القديم)) ((Classical Antiquity)) هو التاريخ المدن التي قامت على أساس ملكية الأرض وعلى الزراعة))، واختلفت هذه المدن بمجالسها وكورياتها curiae[2] اختلافاً تاماً عن المدينة المعسكر، أي مخيم العرب الثابت بحيرة اللخميين أو جورة الغساسنة أما هذه المراكز الأخيرة فقد انهارت في عهد الفتح الإسلامي وقام في مكانها مراكز جديدة للعرب مثل الكوفة والقيروان، وبالمثل وهذا تلاسس نفسها، أي أنها بدأت في واقع الأمر كمخيمات ومعسكرات ثم لم تلبث أن تحولت بالتالي إلى مدن.

---

(1) G.S. Assemeni, Bibliotheca orientalis Clementino - Vaticana. De Scriptoribus syris nestorianis, Romae, 1728, III, 1., 88

(2) الكوريات Curiae جمع كورية Curia، وهي الأحياء التي كانت تنقسم إليها مدينة رومية القديمة وبلغ عددها الثلاثين، وكانت تضم الارستقراطية والعامة على السواء ومن المعتقد أنها قامت في الأصل على أساس عسكري - المترجم.



مما لا شك فيه أن تطور مجتمع عرب جنوبي الجزيرة يستحق اهتماماً خاصاً، وذلك عندما بلغت العلاقات الاجتماعية والحياة المدنية في القرنين الخامس والسادس مرحلة تتفق مع ما يسمى بنظام المدن الدول City - States الذي عرفه من قبل اليونان والرومان. ويرشدنا من هذه فإن قيام هذا النظام بالجنوب العربي لم يخضع للأثر اليوناني أو أي أثر أجنبي آخر، ولقد ظلت العلاقات والروابط القبلية على أشدها وانعكست في تنظيم المدينة بأكملها، وإن ساد فيها وضوح التقسيم الطبقي للمجتمع.

ولقد حددنا في خلال دراستنا لبلاد العرب الجنوبية وللنظام الاجتماعي بمدينة نجران في القرن السادس أن أشرنا إلى تطور مدن القوافل، وهي مدن ظهرت إلى الوجود نتيجة لظروف اقتصادية معينة، فهي قامت عند ملتقى الطرق البرية بجزيرة العرب حيث اكتسبت تجارة المرور (الترانزيت) أهمية كبيرة وسادت بهذه المدن علاقات مالية أساسها التبادل التجاري والتعامل التقليدي والربا، مما أسهم في نمو هذه المدن بصورة ملحوظة، وعلينا أيضاً في دراسة مدن القوافل بالذات أن نولي اهتماماً خاصاً للرقيق كعنصر من العناصر الجوهرية في رفاهيتها، ويرد ذكر الرقيق في رقوم البطرا وتدمر، كما تتحدث عنهم المصادر المتعلقة بتاريخ نجران، والتركيب الاجتماعي لمدينة نجران يعطي مثالاً جيداً للمدينة، الدولة القديمة، وذلك في العهد الذي اتحدت فيه بعض المدن الدول لتشكل دولاً كبيرة تمتعت بإمكانيات أكبر.

ولقد عاونت المصادر المتعددة اللغات التي تم الكشف عنها مؤخراً على الخروج باستنتاجات لم يكن في الوسع تناولها قبل فحص هذه المصادر، فالمستندات التاريخية والحوليات المدونة باللغتين اليونانية والسريانية والمعاصرة للأحداث التي كان مسرحها نجران تسمح بضبط سنين الأحداث وتكشف النقاب عن فحوى الرقوم الحميرية

الثقافية، ووصف العلاقات الاجتماعية الذي لا تكترث به في هذه المصادر من المظاهر المختلفة على الرواسم الذاتية الأخرى ببلاد العرب الجنوبية والوسطى [2].

ولقد لاحظ كبار الباحثين من أمثال رودوكاناكيس وفايس على اختلاط عدد من الظواهر في طابع مجتمع الجنوب العربي، فالنظام القبلي القديم والارستقراطية الاقطاعية والنظام الملكي، كل هذه وجدت في آن واحد هناك بحسب رأيهم [3].

وتحليل هذه الظواهر التي يسودها الخلط يسمح لنا بتثبيت أشكال هذه العلاقات الاجتماعية التي نحن بصدد دراستها، كما أنه سيعاون أيضاً على تحديد النمط الاجتماعي والاقتصادي لذلك المجتمع الذي بلغ مستوى معيناً من التطور بالمدينة الدولة والتي ساعدت على نموها ظروف تجارة المرور، أما الجوانب الأساسية التي تحتاج إلى البحث فهي: علاقات النسب والنظام الطبقي، وكذلك الوضع الاقتصادي للطبقة المسيطرة وطابع السلطة نفسها.

وقد أشرنا فيما مر إلى أهمية روابط النسب لدى العرب الرحل، أي البدو، ويمكننا أن نضيف إلى هذا أن أهل الجنوب العربي كذلك لم يقطعوا أنفسهم من تلك النسب، سواء أشباه الحضر منهم أو الحضر أو سكان المدن، ويقف شاهداً على ذلك الرقوم الحميرية وأقوال المؤرخين العرب من أزمنة متأخرة، ولقد بينا فيما مر من الكتاب دور الاتحادات العشائرية والقبلية لعرب الشمال من أمثال التميميين والكنديين والغساسنة الذين شكلوا أحلافاً قبلية، أما بالمناطق الجنوبية للجزيرة العربية حيث كان شطر من السكان يعيش حياة حضرية وحيث أقيمت مدن تمتعت

---

1. N. Pigulevskia, Vizantia na putiakh v Indiu, str. 336- 337 et sui; N. pigulevskaja, Les rapports sociaux a Nedjran au debut du VI - e siecle de L ere chretienne, Journal of the Economic and Social History of the Orient, 1950, v.3, pp. 113- 130; 1961, v 4, pp.1 - 16.
(انظر ملحق هذا الكتاب - المترجم).
2. Hitti, History of the Arabs, 4 th ed., 1949, pp. 57; N. Rhodokanakis, Das öffentliche Leben in den alten Südarabischen Staaten; D. Nielsen, Handbuch der altarabischen Altertumskunde, Kopenhagen, 1927, p. 108.

بمختاراتها الخاصة بها لقرون عديدة؛ فإن صلات النسب قد ظلت محتفظة بخصائصها السابقة، وهي تقف دليلاً على الأهمية التي علقها العرب على الأنساب، مما نرى صداه في أشعارهم وفي ((أيام العرب المشهورة)) بل وحتى في المصنفات الأدبية الزاهرة التي يوشيها بالمثل وتمثل الحروب القبلية وعادة الأخذ بالثأر القاعدة التي تليها هذا الشعر [1].

وبرغم من تطور أنماط العلاقات الاجتماعية فإن روابط النسب ظلت على ما هي عليه، وإن اكتسبت سمات جديدة، والزعوم العصبية، بما في ذلك تلك التي تجمعها روابطهم. نشهد بوجود أسر وعشائر كبيرة، ولم تقتصر الأسرة على الأب وأبنائه، بل ضمت بشكل إخوته وبني عمومته، وهناك شواهد على وجود ملكية مشتركة في آن واحد بين أخوين، أو ملك يرد إلى جانبه أسماء اثنين أو ثلاثة من أمثاله [2]، والملك الذي استشهد النصارى وهو مسروق ذو نواس قد قضى على أسر بحالها من الأعيان، أي من الأسر ((الحمراء)) التي دخل في عدادها الإخوة والأبناء وبنو العمومة، وكانت المناصب الكبرى مثل ... ((الأعضاء النبلاء)) والكبيرات ((الكبارها)) تخضع للوراثة، وهي تلك السيدة من أعيان نجران وأثريائها قالت تفتخر ((ألستم تعرفون قبيلتي وعشيرتي وتعرفون من أنا وابنة من أنا)) [3]، والعشيرة التي لم تنقطع أملاكها عرضة للتقسيم أو الانتقال بالوراثة خارج العشيرة، فقد وجد بينها المصالح الاقتصادية المشتركة، وارتبط بهذا في العادة تقاليد الزواج داخل الأسرة، وقد ساق هذا إلى ارتفاع شأن الأسر القديمة ونمو نفوذها السياسي، وهم ما يسمون بـ((الأحرار)) و((النبلاء))

---

1 G. J. Lyall, Translations of Ancient Arabian Poetry. New York, 1930, p. XXXIII; Gabrieli, La Letteratura beduina preislamica. L'antica società beduina. Roma, 1959, pp. 102-104.

2 J. Ryckmans, Institutions monarchiques en Arabie méridionale avant l'Islam. Louvain, 1951, pp. 163, 203-208.

3 A. Moberg, The Book of the Himyarites. Lund, 1924, pp. 24 b-25 b.

الذين خرجوا مباشرة من طبقة الأعيان المشائخية القبلية، ونجد هنا حيوياً صدى التي والذين حنية معطفة، لأن شكوكها كانت تثيرها البيوتات الكبيرة.

ويمثل طبيعة التركيب القبلي أن يقود إلى التقسيم إلى بيوتات وفئة والعرق ((البيوت))، حقاً وقول أحد علماء الاجتماع، وبالنسبة لأن الأرستقراطية المحلية قد شكلت ونسج السيطرة والكفاية فقد أصبحت طرفاً في إرثها، منطوية بهذا ونفقتها الأبرار، وكانت مدينة نجران بما في ذلك المنطقة المحيطة بها والدائرة في الصخر تمثل وحدة مستقلة لها حكومتها الخاصة بها، وكانت أمورها بيد المدينة (البولة). أما ((الأحرار)) و ((النبلاء)) فقد شكلوا أيضاً الطبقة المسيطرة التي تولت إدارة شؤون الدولة، وأحد عناصر الأرستقراطية كان الحارث (أرثاس) الذي تدعوه المصادر اليونانية ((الشارع المدينة وشواخها)) [1]، أما المصادر السريانية فتدعوه ((الرأس)) جميع نصارى المدينة [2].

وقد شغل الحارث [3] وضعاً رفيعاً بوصفه الشارع المدينة ومنطقتها، فهو الذي ... بعد الحرارة، إلا أنه لم يكن الوحيد الذي يصرف شئونها، ويرد على جانبه ذكر ((الأحرار)) [4] و((أعضاء المدينة)) [5] فهو بهذا مكان أشبه بالأول من بين متساوين، وكما كان عضواً من أعضاء طبقة النبلاء ذات الثروة، وقد أضحى من الضروري إعطاء جواب لمسروق (ذي نواس) الذي كان يحاصر نجران وطالب بالفدية، فقد الشرع الحارث من المدينة بصحبه ثلاثة وخمسون من أهل البيوتات الكبيرة ليتفاوضوا معه في أمر تسليم المدينة وافتدائها، ومن هنا يتضح أن رأي الشارع لم يكن وحده كافيا البت في المسألة، لذا فقد عاونه هؤلاء الثلاثة والخمسون من أهل الرأي بها، وهم الذين وعشرا

---

1 Martyrium Arethae. Acta sanctorum. Octobris, t. X. P. 728.

2 A. Moberg, The Book of the Himyarites, p. 8 a - 36 b.

3 اسمه هو الحارث بن كعب - المترجم.

4 المرجع ص ٥١.

5 Martyrium Arethae, pp. 724, 728.



على نوع ((التعسا)) المطلوب حتى لا تتعرض مدينتهم للدمار، وقد طلب مسروق [illegible]
من الملك نفسه ((فاضطر الشعب إلى شراء نفسه بمبلغ باهظ؛ إلا أن الرأي الذي [illegible]
عنه ((النبلاء)) الغلب والمدينة)).

هذه المعلومة تدل على الاعتراض بأن المدينة كان لها إدارتها الخاصة بها [illegible] الثلاثة والخمسين رجلا كانوا في أغلب الظن هم أعضاء المجلس البلدي ((boule)) أو [illegible] قبل مشاركتهم في المفاوضات كان أسرا واضحا، أما فيما يتعلق بـ((الشراع)) فمن المعلوم أنه استعمل في الحوليات والوثائق اليونانية عند الكلام عن رؤساء القبائل وصغار الملوك والزعماء، وقد تصرف الحارث في اتفاق مع جميع الطبقة العليا وهذه إرادتها وهو قد احتاج إلى تأييد هذه الطبقة لحل المشاكل المحيطة بالمدينة - الدولة، كتسليم المدينة واقتناعها كما جرى في هذه الحال بالذات[1].

ونسمح لنا المصادر بالتطير من الرقة بالوقوف على ما تمتعت به طبقة النبلاء، أي الطبقة الأرستقراطية، من مكانة اقتصادية. وكان من النهجة تمسك هذه البيوتات الكبيرة بصلات النسب الوثيقة وبالعلاقات العشائرية القوية، أن حازت على نفوذ واسع وتمتع أعضاؤها بالاحترام والثروة، وكان ما حازه أحد هذه البيوتات من ثروة عريضة أن جعلت هذه الأرملة مالكة زوجها من أن تشغل وضعا فريدا في مجتمع المدينة، فالسيدة رومي (رهم) التي مر ذكرها قبل قليل كان لها ثروتها الشخصية الكبيرة من عقار ومنقول. وإن ما تمتعت به نساء العرب من استقلال لأمر معروف من مثال الخمسين الذين ترد أسماؤهم مقرونة بأسماء أمهاتهم بدلا من أسماء آبائهم (كالمنذر بن الشقيقة) أو ((النعمان بن هند)) وتؤكد رومي ارتباطها بعشيرة أبيها وبأسرته لا زوجها، وكان ابنها يدعى ((النعمان بن رومي بنت (زمع))، وكان لها أملاك عريضة

[1] عن نكبة نصارى نجران راجع البحث المفصل الذي نشره به إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك الأنطاكية وسائر المشرق تحت عنوان ((الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية))، دمشق ١٩٦٦ وأيضا دراسة عرفان الشهيد تحت عنوان:
Irfan Shahid, The Martyrs of Najran New Documents (Subsidia Hagiographica, 94), Bruxelles, 1971. - المترجم.

[illegible] من الخلفاء، لأنها تتحدث عن ((خزائنها الخاصة)) المختلفة ما عدا [illegible] ((الأوراء))، وكانت ثروتها متعددة الوجوه وتتكون من محاصيل أراضيها وما تملكه من الماشية والضياع)) والمقصود بهذا العقارات التي [illegible] أغلب الظن ضمن الأراضي الزراعية الخصبة، أي بريفها، وبلاد العرب الجنوبية حيث عرف الناس الري الصناعي منذ أمد قديم؛ هذه الأراضي كانت تدر دخلا جيدا، وكان سكان المنطقة يعملون بالزراعة فيفلحون الأرض ويشرفون على أعمال الري، ويقال إن ((أولئك الذين كانوا يزرعون بضواحي المدينة وحقولها والضياع)) قد سلمهم مسروق الذي خرب جميع مناطقهم. وكان جزء من تلك الممتلكات يتكون أيضا من قطعان الماشية، ولقد امتلكت تجارة القوافل أعدادا كبيرة من حيوان النقل والطعام، كذلك احتاج السكان المحليون إلى البقر والغنم، لذا فقد كونت الماشية شطرا هاما من الملكية[1]، وهنا يقف شاهدا على مبلغ حجم الملكية العقارية لدى الطبقة الأرستقراطية أن الزعيم الحارث [illegible] المدينة قد أوصى بأن تؤول ثروته بأكملها إلى أبنائه وأقاربه الذين ظلوا على النصرانية، وهذا يبتها الوصي ((بضياعه الثلاث الكبيرى)) أو ((حقوله)) الكثيبة[2]. والحارث، شأنه شأن رومي، كان يعد من الأثرياء الذين أصحاب الأملاك الكبيرة التي تتكون من أراض زراعية، ولم تفقد الطبقة الأرستقراطية بالمدينة روابطها مع الأرض، وهو أمر تميزت به زعامة المدن العربية بوجه عام، ويجب ملاحظة أن شطرا من العقار انتقل إلى الكنيسة، التي دعمت ثروتها بهذه الطريقة بما يتفق مع وضعها في الدولة.

[1] الوثيقة ص ٢٢٣/ ٢٣٢.

[2] الوثيقة ص ٢٣٦/ ٢٣٨. جاء في كتاب أغناطيوس يعقوب الثالث سالف الذكر أن الحارث قال عند إعدامه على يد مسروق (ص ٣٠): ((إذا كفر أحد بالمسيح وعاش مع هذا اليهودي سواء كانت زوجتي أم من أبنائي وبناتي أم من جنسي وعشيرتي، فالكافر به أولى، فإنه ليس من جنسي ولا من عشيرتي وليست لي أية شركة معه، وليكن كل ما أملكه للكنيسة التي ستبنى بعدنا في هذه المدينة، وإذا ظلت زوجتي أو أحد أبنائي وبناتي بأية وسيلة كانت، ولم يكفروا بالمسيح فليكن كل ما أملكه لهم، ولتخصص للكنيسة ثلاث قرى من ممتلكاتي تختارها الكنيسة نفسها)) - المترجم.

ووفقا لـ الحارث (وهي بمصطلحات الأبناء والقرابات) تتمتع بقوة الروابط الأسرية،
علما أن ذلك أيضا ما تمتع به شيخ العشيرة من سلطة وشأن.

وتجمع المصادر على أن رومي كانت تمتلك إلى جانب ما ذكرناه كمية كبيرة من الذهب والفضة على هيئة نقود مسكوكة، ويرد بخلاف النقود أيضا ذكر (الحلي) من الذهب والفضة والنحاس والأحجار الكريمة والياقوت، ومن الجائز أن هذه تمثل مما ورثته من أشياء ثمينة، غير أنه وجد لدى رومي (الأصناف) التي هي ((الخزائن)) كما قول: (يعرف ألفا من الدارينات ((الستسكوكة)) التي ورد في مصدر آخر أنها تعد عشرة آلاف قطعة من النقود ((الكسروية)) من الذهب والفضة. وعلى الرغم من وجود اختلاف حول كمية النقود في المصادر المعنية إلا أنه لا يوجد شك في أن الأمر إنما يتعلق بكمية كبيرة منها، لأن النص اليوناني يتحدث عن نقود من الذهب والفضة معا، وقد رأينا في بحث سابق لنا (1) أنه في منطقة (الاستخدام) [illegible] وهو أثر يرجع تاريخ تدوينه إلى القرن السادس، كانت النقود ((الذهبية)) للحميريين والتي حملت اسم ((البلطاني)) أو ((الاولطاروس)) تعادل القطعة الذهبية البيزنطية التي تزن اثنين وعشرين قيراطا ((Karation)) (2)، وعلى ذلك فإن القطعة النقدية ((الذهبية)) كانت عملة رسمية قامت بسكها الدولة، وقد أطلق على النقود والموازين ((الملكية)) أو ((الرومية)) إلخ وفقا لوزنها وقيمتها، وهذا من شأنه أن يبرهن على أن سك النقود لم يقتصر على الدولة وحدها بل ومن الجائز أن النقود المسكوكة التي وجدت بخزانة رومي قد ضربت على يد رومي نفسها.

وبالنظر إلى أن الدولة – النبوة نمت في ظروف نشطت فيها تجارة القوافل كما نشطت فيها التجارة البحرية فقد وجدت معاملات نقدية متزايدة، وارتبطت بها تراكم النقود الذهبية والفضية، وعرفت بلاد العرب معادن الذهب، وفقا لمصادر التاريخ القديم، أما في العصور الوسيطة فيحدثنا عن ذهب بلاد العرب كل من الهمداني

(1) N. Pigulevskia, Vizantia na Putiakh v Indiu, str. 248- 241.
(2) المرجع نفسه، ص 243.

بالإضافة إلى ذلك وجدت المعاملات النقدية نظام الربا، وقامت على التخطيط لعمليات الشراء والاستدانة وتنمية الأرباح، وكان من نتيجة ذلك أن نمت أيضا المشاعات الأسرية، ويرد مصدر في سير القديسين أنه ((الحميريين)) لولا [illegible] أن سكة مطرودة منذ رومي قد منحت النقود كقروض، كما ((أقطعت)) الكثير من أعمال البر في نحو الناس عديدين، وجد من بينهم ملوك وأثرياء وفقراء، وفي ذلك ما يجعلها محل بتقدير ملك الحميريين ((أن الرجل الذي يملك ألف دينار كانت قد أقرضتها إياه)) (1)، ومن الطريف أن ((أعمال البر)) التي قامت بها رومي كانت قروضا بأرباح ربوية، فضاعفت بهذا ثروة أسرتها.

والحق يقدم شخص ما القروض، أي بصيغة الدائن، فقد كان على الشريعة أن تحدد ما في العمليات التجارية وفي عمليات البيع والشراء التي كانت تتم بطرق القوافل والبحر، وهذا الضرب من القروض الذي احتاج إليه ((الأغنياء))، كما احتاج إليه الملك الحميري)) نفسه كان أمرا لا مفر منه في حياة التاجرة التي لعبت دورا هاما في الاقتصاديات الجزيرة العربية لذلك العهد، أما فيما يتعلق بالساحل الوسطى من الجزيرة العربية في القرن السابع فإن القرآن الكريم وسيرة النبي يشهدان بأهمية تجهيز وإعداد القوافل وحراستها، كما يشهدان أيضا بأهمية عمليات البيع والشراء التي أخذ طرفا فيها عدد من البيوتات الكبيرة.

وفي تعداد ضروب الملكية التي كانت للسيدة رومي هذه، يرد أكثر من مرة ذكر الرقيق من الذكور والإناث، والمصادر تورد عادة في آخر السلم الاجتماعي، وكضرب من ضروب الملكية، وهم يشغلون في المصدر السرياني موضعا يلي الذهب والفضة، أما في المصدر اليوناني فيسبق الرقيق في الترتيب الضياع والمساكن (2)، ومن هنا نرى أن الرقيق قد احتل موضعا هاما في اقتصاد ذلك المجتمع وفي نظامه الاجتماعي، وكان الرقيق من الذكور والإناث يمثل جزءا هاما من الممتلكات، فعلى

(1) The Bood of Himyarites, ed A. Moberg. Lund, 1924, p. 43 a - 44a
(2) Simeon Bethasmensis. Lettera,,, P. 4; Martyrium Arethae, p. 732

لديهم مكان يجري العمل في الضياع والأراضي التي كانت تمثل ممتلكات الأعيان و (النبلاء). ولا يخلو من مغزى أنه عندما استولى المسلمون على نجران أخذوا من السكان ممتلكاتهم من ذهب وفضة وآنية ورقيق [1]. أما ذو نواس فقد أخذ الفتيان والجواري من الخاصة عشرة عندما استولى على نجران وأعدائهم التي أصابت مملكته. وفي البحث الذي ناقشنا فيه الكلام على العلاقات الاجتماعية بمجتمع الجزيرة العربية سقنا معطيات المصادر الإخبارية والرقوم التي تؤيد القول بوجود الرق والرقيق لم يقتصر على أهل اليمن والحجاز وحدهم، بل إن الرق كان أساسًا من أسس الرخاء الاقتصادي للطبقة العليا في مجتمعات تلك العصور [2].

وإلى جانب ذلك تحدثت المصادر عند تعدادها لسكان نجران عن المواطنين والفلاحين وأهل الحرف والرقيق [3]. ويرد مع المواطنين ذكر الفلاحين جنبًا إلى جنب، كما يمكن توضيحه بأن المدينة قد احتاجت إلى ضواحيها الريف القريب منها والذي امتلك أعيان المدينة شطرًا من أراضيه، ومن الجائز أن الرقيق كان يعمل بتلك الأراضي، أما الشطر الآخر من الأراضي فكان يعمل فيه الفلاحون Oi Georgoi الذين كانوا يتخون بسواعدهم ما يحتاجون إليه، وكان لسهم كما رأينا يرد إلى جانب المواطنين وهاتان المجموعتان من السكان دخلتا في التركيب العام لمواطني المدينة وكانتا تشكلان دعامتها الأساسية. أما أهل الحرف oi kheiro Tekhnoi فكانوا يحتلون في السلم الاجتماعي الدرجة التي تعلو الرقيق، ومن ضروب العمل اليدوي التي نجد مزاولة بالمدينة كانت صناعة الأنسجة، ويجب الافتراض أن الأمر إنما يتعلق بالأقبية والبرانس التي لم تكن تخاط بل كانت تنسج قطعة واحدة من الصوف، وحازت رواجًا كبيرًا في حياة الرحل، وقد التزم أهل نجران في صلحهم مع

[1] Al- Beladsori, Liber Expugnationis regionum, Lugduni Batavorum, 1866, pp. 64- 65; Kitab futuh al - Buldan, t. 1. Trans. By e Hitti, New York, 1916, pp. 98, 100- 101.

[2] N. Pigulevskia, Vizantia na Putakh v Indiu, str. 352 - 354.

[3] Martyrium Arethae, p. 739.

النبي بدفع ألفي حلة قيمة كل حلة أوقية، وهو ما يعادل الأربعين درهمًا. وإن حدث وأن كانت القطعة أغلى من ذلك حسب له فضل ذلك. أما إذا كانت دون ذلك فقد كان المسلمون يأخذون ما يعادله خيلا وإبلا وغيرهما من السلع ذات القيمة، وأما في حالة الحرب فقد اشترط عليهم تقديم المطايا وحيوانات النقل على حدة، والالتزام الخاص بتقديم العمل في معاهدة الصلح بين النبي و ((أهل نجران)) يقف دليلا على ما ناله هؤلاء من المساومات من رواج [1]. وكما هو معلوم فإن المصادر حفظت لنا رسائل النبي إلى مختلف القبائل بالجنوب العربي، وتتمتع بأهمية لا يرقى إليها الشك. المادة المتعلقة بمقدار الضرائب التي أخذها المسلمون من الأقطار المفتوحة، فقد ارتبط هنا بما إذا كان الري طبيعيًا أم صناعيًا، كما ارتبط أيضًا بزيادة الناتج في قطعان الماشية [2]. وفي الصلح الذي عقده النبي على يد مبعوثه عمرو بن حزم مع أهل منطقة نجران ألزم كل فرد (الذكر أو الأنثى، حر أو عبد) يدفع دينار واف أو عوضه ثيابًا [3]. وقد حفظ لنا ابن سعد رواية مفادها أن النبي طلب من أهل نجران ألفي حلة لم تختلف في أسعارها، وإن غنم منهم شيئًا من الدروع والخيل والإبل والأسلحة حسب فضل ذلك أيضًا [4]. هذه المعلومات التي تعود إلى القرن السابع تجد التأييد في ما عرفناه من مصادر القرن السادس بخصوص الحالة الاقتصادية لبلاد العرب الجنوبية ونجران.

هذا وقد أخذ طرفًا في إدارة نجران (النبلاء) الذين شغل مكانه مرموقة بينهم ((الأعيان)) و ((الرؤوس)). ومن المتفق عليه أن اقتصار العشائر الأرستقراطية على ميراثها الخاص بها قد أكسبها وضعًا اختلفت به عن بقية أبناء الأحرار. غير أنه في الوقت ذاته كان أفرادها بالذات هم الذين يديرون شؤون المدينة ويبتون في مصيرها ويسلمهم مكانها الأوليجاركيين

[1] Al - Beladsori, Lider..., p. 65; Hitti, Kitab.., pp. 100 - 101.

[2] I. Sperber, Die Schreiben Muhammaes an die Stamme Arabiens, MSOS Berlin, 1916, Bd. 19. pp. 77, 85.

[3] المرجع نفسه ص ٨٧.

[4] I. Sperber, Die Schreiben Muhammaes..., p. 98.

والسمات الثرية التي كشفت عنها آثار الحضارة تسمح بوصف عمران والجريها من الاتحادات الحكومية للجنوب العربي الشاملة لما بالها مدن دول ومن ناحية أخرى فإن البنية الدولية لم تحتفظ بطابعها القبلي والنسبي، وإن كان هذا هو القاعدة التي قامت عليها أصلاً. أما الجماعة ش ع ب فلم تعد تربطها علاقات النسب الخالصة القائمة على صلة الرحم، ودخلت في مرحلة أعلى من التطور أصبح من العسير معه تسميتها جماعة عشائرية. كذلك من الصعب استعمال لفظ الأفخاذ في مفهوم ش ع ب، رغم من أنه يتفق مع هذه المرحلة من تطوره بالجنوب العربي، ذلك أنه ينطبق بالأحرى على الجماعة الريفية التي تكونت نتيجة للاعتراف بعلاقة الجوار على الأرض، وبلاد العرب الجنوبية تمثل هذا في تجاوز العناصر الحضرية وشبه الرحل حيث انضم هؤلاء إلى أولئك دون الاعتماد على الجوار بالأرض وحده غير أن المستوى العام للتطور الاجتماعي، هو الفئات التي عرفت بها ش ع ب أدى مشاركته بالتنظيم القبلي أ ع ب، إنما ينعكس تنظيمها اتخذ فيه دوراً متزايداً لتقسيم العمل، الأمر الذي يقربه كثيراً من الصفوة من ((الأخيار))، وفي هذه الحال يصدق القول بأن التاريخ الأسيوي إنما هو وحدة تتألف من الدينية والريفية، ومن نسيج الأسس التي قامت عليها المدينة كنظام هو معروف عن ملامحها الكلاسيكية القديمة كان نظام الرق، وهو أمر تؤكده بصورة كافية شهادة الحضارة حتى بالنسبة للجنوب العربي، ولم يقلل وجود الجماعة الحرة إلى جانب الرقيق إلى اختفاء إحدى الطبقتين، بل على العكس من ذلك كانتا تكملان بعضهما بعضاً، فهما وضعا الأساس لحياة الثابتة الدولة أخيراً فإن التجارة والتبادل التجاري قد أسهما إلى جنب الحرف والصناعات والتعامل النقدي في تدعيم هذا النمط من أنماط التنظيم الاجتماعي وسارعا بعملية تطويره.

من كل هذا يمكننا الخروج باستقراء وثيق مفاده أنه لو انبعثت الدول بالمناطق الأسيوية نتيجة للفتوحات اليونانية الرومانية، وذلك حين استطاع الفاتحون أنفسهم بخلق تنظيمات تتفق مع النمط المعتاد لديهم والمحبب إليهم والذي احتذى إليه السكان المحليين، فإن المعطيات الخاصة بالجنوب العربي تسمح لنا بالتوكيد بأن ظهور المدينة الدولة إنما كان مرحلة من مراحل تطور المجتمع العربي لم يلعب فيه العالم اليوناني

الروماني دوراً ما. ومن الجلي أن أسس هذا النمط من التطور الاجتماعي، بل وجميع عناصره الأساسية قد نشأت في بلاد العرب الجنوبية ذاتها، وعلى ضوء هذا أيضاً فلا بد لنا من فحص التركيب الاجتماعي لمدن الحجاز، وما الأخضر محكاً، وطابع مدن اليمن والتوحيد الدويلات الصغيرة التي وحدت بها إنما كان هدفه مزيج هذه الوحدات المستقلة في حكومة واحدة جهد ملوكها في إرسال أسماء الدواخل التي اتخذوها والقابهم، على استعمال هذه الألقاب طويلة بشكل غير معهود، بل إن محمداً نفسه قد أيد عملية التوحيد بهذه المدن الدول نظراً لما تميزت به بلهفها وإدراكها من المسائل والمشاكل، مستعملاً الدبلوماسية طوراً والسيف تارة أخرى بغرض توحيدها تحت راية الإسلام.

وفي فحصنا للتركيب الاجتماعي ببلاد اليمن صدد وإن أشرنا إلى أن صلة الرحم القبلية قد ضعفت في الأنساب كما ضعفت أيضاً في نظم الحكم، فتفسيرها في وجود النظام الملكي وفي نمو سلطان طبقة الأعيان وهم ((الأمراء)) و((الأقيال)) (القول دول) وأي الحكومات المحلية الحاكمة، ورغماً من ذلك فإن المجتمع بأكمله قد تشكل بصورة يظهر فيها الاختلاف الطبقي بوضوح، وينعكس هذا بصورة خاصة في علاقته بنظام ش ع ب. وإذا ما أخذنا في الاعتبار وفي الوقت ذاته وجود نظام الرق يجب ألا يغيب عن البال أنه لم يكن يحمل بأية حال من الأحوال طابع نظام متميز، لا يوجد لهذا تأييد في النقوش الأثرية ولا في الأخبار. فالرق قد وجد وهو المسؤول إلى حد كبير عن رفاه ملاك الأراضي والأعيان، ولكنه لم يمتد إلى جميع جوانب الإنتاج بالمجتمع.

أما دول العرب الشمالية للقرنين الخامس والسادس فإنها لم تبلغ ذلك المستوى من التطور بل وجدت في أعلى درجات البربرية وكانت بنيتها الاجتماعية بدائية وأكثر بساطة، ذلك أنه لم يوجد بها إنتاج جماعي يسوق إلى تقسيم سارع للعمل، وكانت منهم مجموعات ثابتة، وأما ممالكهم فتنتمي إلى ما أطلق عليه اسم ((الدول البرابرة)) وفي مجتمعهم البدائي ذلك الذي لم تشغل فيه العناصر الحضرية وضعاً قيادياً ما، فإن الاتحادات القبلية لشبه الرحل اكتسبت الأهمية اعتماداً على قدرتها العسكرية،

ويمثل ((الجيش)) و ((العسكر)) مفاهيم أساسية بها، تماثل معنى ((الشعب/ التجنيد)) بممالك الجنوب العربي. أما الجماعية التي يعبر عنها لفظ ... عرف بالشمال: لأن تنظيم دول العرب الشمالية ... مرحلة الرقوم تحت لفظ ... ((الجيش)) ولكن دون ... وقد ثبتت هذه الأنساق القبلية والوحدات ... في صورة أحلاف ... بمحالفات كبيرة في الشمال. ويمثل تركيبها العسكري بشكل ((ديمقراطي عسكري)) يشرف على إدارة شؤون أحلافها نظام فوق القبلي.



بنيان المجتمع

لقد تمت دراسة البنيان الاجتماعي لجنوب الجزيرة العربية القديمة بصورة مفصلة نسبيا (راجع: ٢٦٧، ٢٧٢، ٤١٤، ٤٢١، ٤٧٨، ٤٨٣)، وكذلك جرى تحليل المؤسسات السياسية التي قامت بها ن. فيكولاييفسكايا (٨٠: ٣ ص ٣٣٧ - ٤٠٧) وقام بها أ. لونديين (٣٨١، ص ٩٩ - ١٠٨، ٣٨١). وقد ميز أ. غ. لونديين في المجتمع الحميري عدة فئات اجتماعية هي: - الفئة العليا ((الأعيان عموما، وقمة الشعوب، والأقيال، والمخلوع إلخ)) ثم ((أهل المدن))، والحرفيون، و ((الفلاحون)) ((أفراد الشعوب الأحرار)) والعبيد، وأخيرا البدو، وهذا النموذج صحيح ويجري إلى سترابون وإلى البيانات التي يتميز بها المجتمع القديم[1] إلا أن هذا الوصف غير موجود ولا يعكس الشكل بعض المجالات العمومية القائمة في المجتمع اليمني القروسطي المبكر والمرتبطة بشتى مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمتحدة بمنظومة لإدارة الدولة.

في حال وصف البنيان الاجتماعي القروسطي المبكر لليمن ينبغي التفريق بين المصطلحات الاجتماعية الخاصة بمجالات المجتمع الأربعة: مؤسسة الدولة والشاعات - الشعوب والقبائل ((المترحلة وفيما بعد المتحضرة)) وسكان المدن.

وظلت التراتبية في الدولة الحميرية تتمثل بالملك ((mlk)) ويكان يتبعه الأعيان ((mrs)) مراس، رأس، المتألفون من أرقى النواب - الأقيال ((gul)) والموظفين العسكريين ((mgtw)) مقتوي وذوي المناصب الإدارية والعسكرية مهرج ((mhrg)).

[1] أ. لين ميو، ٢٩٠، ص ١٣٢ - ١٣٩.

وبذلك فهم مجموعات غير حرة بالنسبة لنا ولكنها من رعايا الدولة التابعين الذين كانوا ينتمون إلى قوام الجيش أثناء الحروب بأسماء thy ، syd ، gbd المستعبدين والأعراض، وكان تقسيم الجيش يضم فصائل الشعوب وقبائل الرحل والأعيان المشتركين بالنسبة ((الخاضعين للملك)) هنا أدم dm ((المصطلح التقليدي بالنسبة لجميع فئات الأتباع)) و dnn ... وعند القرنين الثاني والثالث كانوا موجودين المصطلحان dr ... و dde ... ((الرعية)) الملك إزاء جميع الرعايا ... فيهم الأقيال، وأما إخضاع الرحل فكان يسجل بوصفه تحالفًا ((وديًا)) وكذلك ما يدل عليه المصطلح mhllBt ((محبوب، صديق))[1].

فكان من الممكن أن يعني المصطلح mr's ((مرءاس)) حسب ما جاء استخدامه في النقش Ry 507، ليس مجرد الأعيان عمومًا بل كذلك الأعيان ((المحليين)) خصوصًا[2]، واللقب مقتوي mqtw معروف جيدًا من نقوش كثيرة ويعني الموظف الإداري والعسكري الكبير (٩٨١، ص ١٠٣ – ١٠٤)، أو الممثل الشخصي للملك أو للقيل أو ممثل الشعب[3]، وقد ذهب ع. برايسلر إلى أن المصطلح مقتوي كان يعني في بداية الأمر التبعية الشخصية وكان مماثلًا للمصطلح العربي مملوك ((المملوك ملكًا))، وهذا المصطلح كان يسمى الأفراد الأحرار للمسائل الأعيان المساعدة الشخصية، وفي القرنين الخامس والسادس أخذ هؤلاء ((الخدم)) يشغلون مناصب دولة راقية فأخذ المصطلح يدل على أرقى الأعيان[4].

وفي الشعر العربي للعصر الجاهلي تصادف هذا المصطلح بمعنى ((الخادم)) وعلى ... في ((رياضة بالبين)) ... ((المعلقة)) عمرو بن كلثوم في البيت ٤٦، ١٩ – ص

---

[1] المصطلح mhllBt ... مع ارياني ٢١ ، ١٩٩٠ الجزء ... ص ٥٠٠.

[2] ... ٩٨١، ص ١٠٣ ... ص ٣٢٦.

[3] ... ص ١٠٩ ... استخدم هذا المصطلح في القرنين الخامس والسادس راجع ... ١٩٩١، ص ٣٢ ... ١٩٩١ الجزء ... ص ١٩٩.

[4] ... ص ٣٢٩ – ٣٣٠ و ٣٣٦.

... وكان مصطلح mhrg مهرج كذلك يعني شخصيًا ذا منصب عسكري ما (١٩٧٢، ص ٢٧٠)، والمصطلح ly الذي يعني شيئًا ما وسطًا بين ذوي المناصب العليا والسفلى في الجيش، وهو مرتبط بمفهوم ((التتابع))، وكذلك ... الخصوص)) بالخيالة، من الظواهر أن الحديث يدور حول جند الخيالة الوريما من ... (١٩٧٢، ص ١١٨).

المصطلح قيش gBd يصادف في النقش Ry 509 وكذلك في النقوش من ... ويفسر بالافتراض له ((وحدة احتياطية في الجيش)) (١٩٧١، ص ١٤١)، والعربي للمصدر ((قيش))، ((خميس)) والحفاظ على المصطلح في العصر الإسلامي بمعنى يخص فئة ما من الفلاحين يدلان على أنه كان يعني به الأشخاص التابعين المرتبطين بالأرض (قارن حسب ترجمة ع. ريكمانس ((المستأجرون))، Syd - 500 Ry و RES 5085 (من المصدر ((السيد)) – ((الموالون)) وهم فئة من الجنود الذين كانوا خاضعين سواء للملك أو للأقيال مثلًا، RES 5085، ولعل كذلك نقش ...

لقد استخلص ع. برايسلر المصطلح أدم dm بالتفصيل (١٩٧٨، ص ٨٢ – ٣٢٨) وهذا المصطلح يعني فئة عريضة جدًا من الأتباع ... بدءًا بالعبيد وانتهاء بالمستأجرين الذين كانوا بالاحتمال تحت السلطة المباشرة للملك أو للقيل أو للشعب أو لعوائل منتسبة (راجع كذلك: ٢٤٧، ص ٢٤ – ٣٩). dm ... هم ((الرعايا)) عمومًا، ((الخاضعون)) ارياني ١٣ : dr ، d dr ... فهم ((الرعايا))، ((الموالون)) (راجع مثلًا CJH 598 : ٤٩٣، ص ١٠٥٥)، ولقب الملك المعروف في الأسطورة القحطانية ذو الأذعار الذي يفسر فيها بمعنى ((المثير للذعر)) يعزى كما يبدو إلى المصطلح الخاص بهذه النقوش وهو بمثابة نقل لذكرى ما عن الملك ورعاياه.

في أواخر العصر الجاهلي للتو (نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع) تلاشى لقب mlk وأخذ التقليد العربي يسمي في ذلك الزمان الأقيال بمصطلح الملوك أي حكام المناطق المتمتعين بالسلطة القصوى المحتلة في الدولة المضمحلة، وهذا التقليد يعرف كذلك الأذواء ((جمع مصطلح ذو)) وهم فئة دنيا من الأعيان، وكان بالإمكان

أن يسمى الأذواء بالأقيال والعكس، كما يبدو، لم يكن بالإمكان أن يسموا بالملوك وقد كانت عليا درجات المراتبية موجودة فقط في الشعوب بما أن سلطة الدولة، في واقع الأمر، لم تكن موجودة بل كان موجودا فقط التحكم الإداري الضعيف للسلطة الرئيسية في العاصمة.

ومع انتشار الإسلام استبعد نظام السلطة الإدارية الدولة، وكانت قمة المراتبية قائمة خارج حدود اليمن، فالنبي محمد ﷺ كان قائما في الحجاز ومن ثم الخلفاء أو الأئمة المستورون أو الظاهرون (مثلا، لدى الإسماعيليين)، وفي الدولة الزيدية كان الرئيس الأعلى (الإمام) قائما في اليمن ذاتها، وفي عهد حكم الخلفاء كان الوالي ونوابه (النائب وجمعه نواب) يتمتعون في اليمن بالسلطة العليا، ومنذ القرن التاسع حصل الأشخاص ذوو لقب الأمير على النفوذ السياسي الأكبر وأما خلال القرنين العاشر والحادي عشر فقد ظهر لقب السلطان، وكان هذان اللقبان في اليمن يحملان جزئيا فقط الانتماء إلى الجهاز الإداري والعسكري، وغالبا ما كانا فقط بمثابة تدامين والتمين للتشريف والاحترام غير منطقي، وسميا بسلطة الدولة الخاصة بحكام المناطق والأقضية (في العصر) غالبا ما يسمون كذلك بالملوك، مثلا عندما يدور الحديث عن [illegible] وقد ظهر المصطلح ملك للدولة على ملك عموم اليمن المرة الأولى على النقود المعدنية للصليحيين في القرن الحادي عشر [١٠٧]، ص ١٥٦، وفي دولتهم التي وحدت اليمن جمعاء، انتظمت مراتبية الأمراء والسلاطين والنواب التابعين بصورة مباشرة للملك الأعلى وكانوا يملكون الأراضي والقصور ويلتزمون بخدمة الملك الحاكم.

وفي العهد الصليحي بالذات انتشر كذلك المصطلح رعية الدال على جميع الرعايا المرعيين الذين فرضت عليهم الضرائب [١]، ولكن في الصيغة الأخرى [٩٩] ص [١٠٧]، لا يوجد المصطلح رعية، والدلالة على الفلاحين والعبيد التابعين كانت تستخدم في القرن العاشر عدة مصطلحات تتطابق مع المصطلحات القديمة الحميرية

---

(١) [١٠٧]، مثلا ص ٦٧ و٦٩ بعد القرن التاسع [illegible] في النص [illegible] إلى القرن الخامس عشر.

[illegible]، على ما يبدو، بقايا لها dm ((...))، وصيغ أقياص ((الحاج))، وكانت الأقيال والمشايخ والشاعيات المنحصرة تسمى بالأقيال وكان المصطلح [illegible] بدل عموما على البدو.

في القرن العاشر كان أحد أحفاد عشيرة الأقيال المشهورة من بداية القرن السابع وهي مختومة عهد بكلال ((المتفرعة من سفيان بن عبد كلال)) يملك في وادي شهر بكلال مسلوحها ((العبد)) عائدين إليه ومنحدرين من سلف واحد، أي أن هؤلاء القبائل يعودون أحفادا لأشخاص كانوا تابعين للأقيال منذ القرن السابع، وبصدد هؤلاء القبائل قال الهمداني إنهم سموا ذُمَمًا (مفردها ذِمّي) [illegible] الرجل الملوك ذمي وهم الذمم [١٢٠] ص ٢٢٨، ويفترض الحبشي بحق أن هذا المصطلح يعزى إلى الكلمة السبئية dm القديمة [٣٤٢]، ص ٧٨، الملاحظة ١٨)، وترتبط مع الكلمة القديمة، بلا شك، فئة أخرى من التوابع العائدين إلى عهد القرون الوسطى الإسلامية الباس حمير في مخلاف الضوض وذي رعين [١]، وفي هذه المنطقة من الأراضي الحميرية الوسطى، في قضاء حقل جهران، أشار الهمداني وسط ((الحميريين المستوطنين في السهل إلى أناس هم أهل تبع ((القوم من وادي تبع)) أي على اختلاف الناس التابعين بصورة مباشرة للملوك والأعيان العائدين إلى العصر الجاهلي [٢]، وفيما بعد يقال أن قوما منهم يقطنون كذلك في كتاب ((الملس المنطقة تقريبا)) وبهذه المناسبة يقتبس بيتا من إحدى القصائد الخاصة بأسعد الكامل: ((لقد أقمت الأفاضل من شعبي في العراق وأقمت التبعيين ((التبعيت)) في قرى قتاب)) [٣]، في نص الأسطورة القروسطية

---

(١) [١٢٠]، ص ٢١٥، قارن مع: [٣٢٦]، ص ٢٨٩.

(٢) [١٢٠]، ص ٢٣٦، قارن مع: [٣٤٢]، ص ٧٢.

(٣) قارن مع: [٣٦]، ص ٧٠ و٧٢ و٧٣ و١٠٠)).

... التبتون: سكان قرويون متحضرون يعتبرون الرحل عربا متهورين [1]، وبالتسمية بالنظام الوضيع وهم السكان النازحون التابعون الذين ربما كانوا خاضعين للملوك قد جلبوهم من المناطق الأخرى.

من المناسب هنا أن ننوه أيضا بفئة أخرى هي العُبّاد، هكذا يسمي الهمداني جماعات الكنديين القاطنين في حضرموت، وهم واردون في قائمة تلك الفئات من الكنديين التي قطنت في القرن العاشر في حضرموت فيما بين الأقوام ((الكندية)) للكنديين وبين قوم الصدف المشكوك في انتمائه إلى الكنديين ١٢٥١، ص ١٦٨، ١٦٦؛ ويليها نسبت إحدى المواضع وهي روضة العُبّاد والتي كانت تعتبر عائدة إلى قوم الصدف (١٢٥، ص ١٧٤)، وقيل بصدد الوادي الجبلي المجاور سَدَدة الكندية ما يلي: الفيه الكثير من القرى وأشجار النخيل العائدة إلى قوم العُبّاد من الكنديين؛ ١٢٥، ص ١٧١)، وهذه الفئة من السكان، كما نرى، متحضرة وتنتمي إلى تلك الجماعات من الكنديين التي سبق أن قطنته منذ النزوح الأخير للكنديين إلى حضرموت، والمصطلح العباد ليس اسم علم ولا يشابه اسم قبيلة، وهذا المصطلح معروف من التاريخ الجاهلي بأنه يدل على إحدى فئات سكان الحيرة، وهم سكان ما بين النهرين المتحضرون والنصارى الذين دخلوا في قوام المملكة اللخمية وصاروا بمثابة أفراد لقبيلة تنوخ (١٩٦؛ ص ١٩ - ٢٨)، ويمكن الافتراض بأنه هنا أيضا يدل المصطلح العُبّاد بالتماثل على الفلاحين المتحضرين التابعين للكنديين والمعترف بهم بالتدريج [illegible].

تحدث ابن الكلبي عمن ينتمون إلى فئة العلوج في شتى البلدان فسمي الساموران علوج اليمن، وكان العرب يسمون المتحضرين المقهورين بالعلوج، وبالتالي فالساموران هو اسم إحدى فئات التابعين، وهذا الاسم الغامض - الساموران - له ما يوازيه في الوقت الحاضر - وهو اسم إحدى الفئات الدنيا والأكثر احتقارا ضمن المراتبية الاجتماعية اليمنية.

---

(1) والزنت القرات غبار قومي، واسكت النبيت فرق الناب. المترجم.

لقد مثلت المشاعية ((الشعب)) اليمنية في العهد القروسطي المبكر خطلان في المراتبية الاجتماعية، فكان القيل يحتل مكانة القمة، والمعنى القديم لهذا اللقب هو الرئيس الثاني للشعب، ولكن منذ القرنين الثالث والرابع أطلق عليهم اسم الأعيان ((الأعيان المتحكمين)) الذين كانوا يعينون من قبل الملك والذين كانوا يحكمون في أفراد الشعوب باعتبارهم رعايا ويبسطون سلطانهم عليهم بالتدريج وكذلك على ممتلكاتهم، وكانوا كما كان الأكابر في العهد القديم الأشخاص الأولين المقدمين في الشعب، وكانوا أحيانا يسمون رؤساء الشعوب هؤلاء باسم القدام ((gdm))، وربما ينتمي إلى هذه الفئة من كانوا يسمون باسم مهرت mhrt و wmr.

في المراتبية الاجتماعية الجديدة يتبع الأقيال على التوالي صغار الأقيال والعامل و ((الشوري)) ((Cit)) و ((الأنصار)) ((nsr)) والصيادون syd، ويليهم من هم مرتبطون بصورة خاصة بالأقيال بالذات من ((جيرانهم)) ((gr)) و ((إخوانهم)) (('h)) الذين يكونوا ((زملائهم)) أو قد يكونوا ((أفراد عشيرة الأقيال)) وكذلك ما يسمى باسم Vgn، والأشخاص التابعون للأقيال يسمون في النصوص الإسلامية بأهل البيت والتقليد العربي يذكر، بالإضافة إلى العبيد، كذلك الغلمان، وهم أشخاص تابعون وكذلك المساكن العبيد.

(1) لقب الكبير ((kbr، جمعه أكابر khbr و kbwr)) هو اللقب القديم لرئيس الشعب الذي كان لا يزال باقيا في القرن الخامس والسادس [1]، وأخذ الأقيال يزيحون الأكابر بالتدريج؛ ونجم وضع انتقالي عندما كان الشخص الواحد يشغل المنصبين في آن واحد [2]، وفي الأزمنة القديمة كان ثمة كذلك مصطلح آخر للدلالة على رئيس الشعب ((الوريما، العسكري)) - القدام gdm ٢٨٤، ص ١٠٢، وفي العهد الحميري المتأخر نصادفه بشكل أندر وفي أكثر الأحوال بصدد الرحل أو بمعنى ((القائد))، ((الزعيم))، وقد وجد المعنى القديم صداه في القصص الإسلامية، ففي قصة أعتاق

---

(1) راجع مثلا: CJH 621 (بصدد المصطلح راجع: ٣٠٨، ص ٣٦٦؛ ٢٨٤، ص ١٠١ - ١٠٢).

(2) راجع مثلا: ١٩٣، ص ١٥٥)).

الإسلام من قبل علماء بن قيس الهمداني وردية بداية قائمة الأسمو... بطمير المشاكل الأصلون، السهم العام فائم، وذلك ما يفهم المغلط معاجمدي [illegible] الأسموريين (١٩٩١، المجلد ١، الجزء ٢، ص ٥٧٣ فُحكم، آل ذو مُرَكَن، آل ذو [illegible] أنواء همدان)، وفي تعليقات الهمداني الخاصة بتفسير مصطلح القدام في أرجوزة [illegible] لأحمد بن عيسى أحمد الرداعي بمثابة الملك ١٢٥، ص ١٠٧).

إن المصطلح kbr كبير معروف في التقليد العربي بشكل كبير (الجمع أكابر)، ومرادفه أو ترجمته هو المصطلح عظماء الذي نصادفه (إلى جانب المصطلح أقيال) في نشدنا قصة رسالة النبي محمد ﷺ إلى الحضرميين: (وكتب رسول الله ﷺ إلى أقيال حضر موت وعظمائهم)[1]، ويتحصل من النص أن هؤلاء هم فئة تلي الأقيال وتخضع لهم. إن أ. ج. لوندين يقرن كذلك المصطلح مهرت mhrt كلقب لأعيان الشعب[2]، ويدل هذا المصطلح على فئة ما من القادة العسكريين في الشعب أو في قبيلة الشعب[3]، ولا نصادف المصطلح عيهلة (الجمع عباهل) إلا في القصص الإسلامية، وهو مع تضمنه بعض صيغ رسائل النبي محمد ﷺ إلى الحضرميين: (من محمد رسول الله إلى الأقيال العباهلة من أهل حضرموت)[4]، ويصدد كلمة عباهلة قد تفهم كمصطلح يدل عليه بيت من أبيات (القصيدة الحميرية) لنشوان الحميري: (والعباهلة من أهل حضر موت من بين أحمد، والأشباء، وآل صباح) (١٩٨٨، ص ٨٣)، ومن البديهي أن الكلمة قد لا تفهم كمصطلح، وذلك ما يطابقه تركيب الصيغ الموجودة لرسائل النبي محمد ﷺ. ولكن من المحتمل أنه متعلق بالتفسير العربي الاعتيادي والذي بموجبه تعتبر كلمة عيهلة نعتاً من النعوت: شيئاً يشبه (الراسخ في سلطته الملكية)[5]، وكان

[1] ١٩٩١، المجلد ١، الجزء ٢، ص ٣٣.
[2] ١٩٩٧، ص ١٠٢ – ١٠٣؛ قارن مع: ١٤٣، ص ٧٧ (الثروة مال).
[3] بيوتاني ٢٣ – ١٩٩١، الجزء ٣، ص ٢٠٩؛ ١٤٣، ص ٦٩.
[4] ١٩٩١، المجلد ١، الجزء ٢، ص ٣٩؛ ١٦١، ص ٦٩ – ٧٧.
[5] الراجع: [illegible] ١٩، ص ٢٠١ – ٢٠٢.

المصطلح عيهلة يستخدم كذلك كتسمية لعلم الكاهن الكاهن اليمني ابن عوف الأسود يسمى عيهلة[1].

وكان أعيان الشعب يلقبون بالمصطلح SW (الموالي)، (الشيوخ)، (الشهود العظماء)؛ ويدل سهماء المصطلح على خضوع هذه الفئة من الأعيان للأقيال وعلى أن هؤلاء الأعيان، على غرار الأقيال، ربما كانوا (معتكفين) وليسوا وراثيين، وفي النقش 508 ReS يتذكر بين الزعماء موقعو النقش كذلك فئات أخرى من الأشخاص المتميزين: nsr (الأنصار)، و gsyd (المسيطرون) كما كان لدى قوى الأقيال mgHt (الحراس) قارن مع: ١٤٣، ص ١٨).

إن (الجيران الزعما) (الجيران) gr الوجوبين في عداد مستعملي الأقيال كما ورد في النقش 507 Ry، وفي النقوش 508 Ry و 507 Ry و 572 Hy المصطلح h (الأخوة) كذلك يعني (الشرع) و (الزملاء) القيل ١٩٣، ص ١٤٥ و ١٩٤)، ومن المحتمل أنه بهذا المصطلح يفهم كذلك أفراد عشيرة القيل، وكان رئيسها ربما يسمى بالمصطلح grt قارن مع Ry 507 رؤساء العشائر الجزئية) يفترض أ. ج. لوندين أن المصطلح hgr الوارد في النقوش Ry 512 و RES 3904 يعني (ابن العشيرة والقبيلة)، ويفترض أ. جام كذلك أن الحديث يدور حول الأعيان من عداد عشيرة القيل[2]، ولكن العلم في الوقت الحاضر لا يقبل هذين الافتراضين (قارن مع ١٤٣، ص ٥٦) إن hgr الهاجر يعني (مطلق السراح).

في القصة الخاصة بوصول القيل سميفع ذي الكلاع إلى المدينة المنورة يجري الحديث حول الاثنى عشر ألفاً من البيوت، أي العائلات، الخاضعة له[3]، وفي صيغة

[1] ٢٨، ص ١٠؛ عيهلة؛ قارن مع: ٣٤٢، ص ١١٣ – ١١٦.
[2] ١٠، ص ٥٦ – ٥٧؛ ١٩٣، ٤٩٣؛ ص ١٤٥.
[3] ٧، المجلد ٢، ص ١٨٣؛ ٧٣، المجلد ١٠٢٠١، ١٠٣ – ٣٢٦، ص ٨٣.

الشرق لنفس القصة يقال إنه وصل معه العبيد والغلمان وأهل البيت ((الأشمنة)) ((الأقرباء)) وبلغ عدد الأخيرين ٤ آلاف، وأطلق سيفه سراحهم [1].

ومن هنا يمكن استنتاج أن أهل البيت هم أفراد العائلات البيوت الذين يجري تطرحهم في الصيغة الأولى، وأن الحديث يدور حول أو عن أشخاص تابعين ما (ماعدا من العبيد)) وليس عن الأشياء أو الأقارب. والمصطلح الموازي لهذا من حيث الاستعمال هو ((الأخوة)) بمعنى ((الزملاء)) التابعين وليس بمعنى ((الأخوة)) لو راجع ما ورد أعلاه. وقد يعني المصطلح غلاماً كذلك الجنود العبيد ومجرد أفراد الشعب الشبان الذين كانوا في الخدمة العسكرية، وقد يعني كذلك الشبان عموماً، ولكن المعنى الاصطلاحي أكثر انتشاراً بالإضافة إلى العبيد وأهل البيت.

وكان التابعون في العصر الإسلامي (سواء الأعيان منهم أو البسطاء) يسمون بالمصطلح الواسع الدلالة وهو المولى (الجمعة الموالي).

وكان البنيان الاجتماعي للقبائل المترحلة في اليمن الحميرية يتمتع بقدر قليل من التنظيم الداخلي لقبائل البدو في الجزيرة العربية الداخلية وكان الزعيم المسمى باسم السيد أو الرئيس يتزعم العشيرة أو القبيلة (وربما هذان الاسمان كانا يتبادلان في الاستعمال).

ويختلف المصطلح التقليدي السيد، المستخدم في الجزيرة العربية، في النقوش (الشكل الجمع من المفرد)) [2]، وكان يستخدم هذا المصطلح بالأخص، كذلك إزاء الملوك)) الكنديون في حضر موت [١٩٤١، المجلد ٢، الجزء ١، ص ١٨٠]، والدلالة على الزعماء الزيما من المراتب الدنيا)) كان يستخدم المصطلح الرئيسي، وفي قصة الالتقاء مع الرؤساء في مذاب ترد أسماء القادة المجتمعين للمذحجيين والهمدانيين [3]، وفي

[1] ...، المجلد ٦، ص ٦٤؛ ٣٢، ص ١٠؛ ٩٨، المجلد ... ص ٢٣٩، ٢٠٧؛ المجلد ٤، ص ١٧٨ – ١٧٩.

[2] مثلاً ٢٠١، ص ٦؛ ... ٥٧؛ وفي التقليد العربي ١٣٣، ص ٢٢٥ – ٢٢٦.

[3] ٩٩، ص ٣٢؛ ٢٨، قارن كذلك مع ٣٩، ص ٥٥.

المذكورة يوم الرزم سمي قائد الهمدانيين بالرئيس [1]، وسمي عمرو معدي كرب بالرئيس [٧٤١، ص ٧٠، ١٣٥؛ التسلسل ٦، ص ١٩٩٦]. من المحتمل أن المصطلح الرئيسي في العصر الجاهلي بشكل خاص، والمصطلح ر gdn القدام ((القائد الشعبي)) الوارد في نقوش القرن السادس يعني كذلك أحياناً زعيم الرحل [١٩٨٤، ص ٢٠٦] لأنه في النقش Ry 506 يعني مجرد قادة الفصائل العسكرية والذين دخلوا في نفس الوقت زعماء القبائل المترحلة، وفي الوقت الحاضر يسمى زعماء الرحل في جنوب الجزيرة العربية بمصطلح مقدم.

كما كان بين كندي حضر موت الأعيان من كانوا يسمون أنفسهم بملوك. وقد اتخذ الأشعث بلقب الملك [٦٣١، المجلد ١، ص ٥٠ – ٧٤، ص ١٧٦]. من المحتمل أنه بتأثير مثال الكنديين اتخذ منافسوهم، أي أقيال حضرموت، يسمون أنفسهم بملوك، مثلاً وائل بن حجر [١٩٤١، المجلد ١، الجزء ٢، ص ٧٩].

أما الشريف ((جمعه الشرفاء)) فهو المصطلح الاعتيادي للدلالة على الأعيان المشاركين للقبائل، ومرادفه بالجمع هو الوجوه، في قصة الالتقاء في مذاب سمي أعيان مذحج بالأشراف وسمي أعيان همدان بالوجوه [٩٩، ص ٣٧ – ٣٨]، وفي نفس النص إلى جانب الأشراف والوجوه يوجد الفرسان ((قارن مع ذكر أسماء الركاب العشرة في حاشية الأشعث))، وكان من الممكن أن تتحد جميع هذه الفئات العليا بالمصطلح المشترك الرؤساء [٩٩، ص ١٣٨؛ رؤساء همدان جميعاً، وجوههم وفرسانهم].

وكان زعماء البدو اليمنيون يسمون كذلك بالألقاب – الكنى مثلاً الكبش [٦٥٤، العدد ٢، السطر ١٤] عن الزعيم من سعد العشيرة (المذحج)؛ ((قارن مع اسم الزعيم الكندي يزيد بن كبشة الذي تمرد على أبرهة)) ومثل هذه الكنى كانت منتشرة في اليمن ذاتها [راجع، مثلاً، ١٣٣، النقش رقم ٢٢ وص ٣١].

وقد برز داخل القبائل اليمنية فئة الكواهل (وهم الأفراد الراشدون والكاملو الحقوق في الجماعة العشائرية – القبلية)، ((نحن الكواهل من قومنا)) – فعلياً

[1] ٦٥١، الجزء ٢، ص ٢٢٥ – ٢٢٨؛ المجلد ٤، ص ١٨٠.

بعض الأشخاص من قبيلة خالق ((هلك)) القسم في قصة زيارة ممثليهم للنبي محمد ﷺ (ص ١٩٤، ص المجلد ١، الجزء ٢، ص ٨١) وفي قصة حرب الردة اليمنية تصادف التقسيم المقصود للقبيلة إلى أعيان و((الشعب)) الواقع مع قيس العوام البسطاء للقبائل التي كان إلى زعمائها أبو بكر فيطي زعماؤهم في هزيلة)) (٣٥، المسلسل ١، ص ١٩٩٦).

كذلك في العصر الإسلامي انتشرت المصطلحات الاجتماعية للقبائل المترحلة على نطاق واسع بين السكان المتحضرين والمستوطنين، وكانت القبائل مترحلة ومتحضرة على حد سواء يطلقون على زعمائهم اسم السادة (جمع السيد)، وتمكن خلال القرنين الثامن والتاسع كانوا في غالب الأحيان يسمون بالأمراء والسلاطين وكان الأعيان يسمون بالشرفاء، والدلالة على شتى أنواع التبعية كانوا لا يزالون يستخدمون مصطلحي ((الرعاية)): الموالي والجار.

أما التقسيم الاجتماعي في المدن فقد كانت مدن اليمن القديمة تتمتع باستقلالية معينة وكان لها نظامها الخاص للإدارة الذاتية، وكانت القرون الوسطى المبكرة تتميز بالجمع بين سلطة الدولة المركزية والسلطة السياسية المحلية في إطار المدينة. وقد وصف أ. ج. لوندين بنيان سكان المدينة اليمنية في بداية القرن الميلادي ٢٧٤، وجاء وصف البنيان الاجتماعي لنجران في القرن السادس على يد ن. ف. بيغولفسكايا بالاعتماد على المصادر السورية النصرانية (٣٠٨، ص ٣٣٦ – ٣٨٤)، ووردت أسماء ((الشرائح)) سكان نجران في كتاب ((الاستشهاد عارثا)) على النحو التالي: ((النبلاء)) ((الأحسنان))، ((أهل المدن))، المزارعون، الحرفيون، العبيد، وكانت أكبر أسر ((النبلاء)) تقدم الزعماء المدينة))، وكانت الشاعيات – الشعوب في إطار المدن تخضع لهم، وكان المزارعون الأحرار والعبيد يشتغلون لأجلهم في ضياعهم وكان يحكم في المدن الملقب الملكي ((egi)) أحيانا شكليا وأحيانا فعليا.

وقد يدل هذا المصطلح من حيث المبدأ على الوالي عموما ولكنه في أغلب الأحيان يدل على الولي في المدينة (راجع: ٢٨٣، ص ١٠١)، والملقب في بعثة النجرانيين المتوجهة إلى النبي محمد ﷺ كان خليفة المواكب السابقين الذين صاروا منذ زمن بعيد ممثلين لأهل المدن وليس للملوك ظلالا وسلطاء.

(المصطلح hwr هور ((أهل المدن)) يعني حرفيا ((المستوطنين))، القاطنين القارين)، وهذا هو الاسم المشترك لسكان المدينة الصميرية، ويطلقه المصطلح العربي ((أهل المدن)) مثلا، في معاهدة المسلمين مع النجرانيين)، وكان سكان المدينة الأحرار يسمون hbb والأصحاب، وهم يماثلون ((النبلاء))، الوارد اسمهم في المصادر النصرانية، التجار، وملاك الضياع، وكان يجري تعيين وانتخاب أعضاء المدينة من بين صفوفهم، وكان ينتسب إليهم كذلك صغار التجار والحرفيون، وكان ((الأصحاب)) هؤلاء يمتلكون الحوانيت والورش في المدينة ويمتلكون أراضي مزروعة في حدود المدينة وخارجها، وكان يشتغل من أجلهم العمال المأجورون من المدن والقرى والمستأجرون والموالي والعبيد، ((في مزارع النخيل)).

لقد حافظت السلطات الإسلامية في بداية الأمر على العديد من حقوق النجرانيين، وذلك ما يدل عليه نص المعاهدة المعروفة [2]، وفي أيام الخلفاء العرب كانت المدن لا تزال أساس البنيان الاقتصادي والسياسي ووحداته الرئيسية، وكان الولاة (جمع الوالي) يسكنون المدن، وكان الحكام المستقلون، حتى ولو كانوا يعتمدون على ممتلكاتهم العشائرية وقصورهم (مثلا، اليعفريون والصليحيون) لا يتمكنون من العيش بدون الاعتماد على المدينة، ولذلك فإن حكام الأطراف، شأنهم شأن الأقيال، كانوا يضطلعون بالدور الفعال في حياة المدينة إلى جانب ممثلي السلطات المركزية.

وفي العصر الإسلامي تنامت في المدن أهمية الفئة الإدارية والعسكرية وعدد الإقطاعيين ملاكي الأرض القاطنين في المدينة علما بأن الكثيرين منهم كانوا لا يزالون يقطنون في ضياعهم، وكان التجار والحرفيون بمثابة القوى الاقتصادية والسياسية الأكثر نشاطا وكانت المزارع الواقعة خارج المدينة وداخلها تؤلف جزءا هاما من ثرواتهم، كما كان جميع كبار التجار الأثرياء تقريبا في صنعاء الإسلامية كذلك ملاكين كباراً للأرض.

[1] السطر ٦١٣ ص ٧٣.

[2] ستجد نص هذه المعاهدة في الملحق مع بعض النصوص والوثائق الأخرى - المترجم.

لقد كان سكان صنعاء في القرن العاشر ينقسمون إلى فئات تصير تسويتها التي

نسبيا، ومن بينها عرب صنعاء والمضربين وأبناء الفرس والعوام، وكان أطفال منها

(عزيمها، عريقها، وهو في العادة بالوراثة، وكانت الفئات الثلاث الأول عبارة عن

مختلف سكان المدن اليمنيين والتجار والحرفيين ذوي الأصل الحميري أو الفارسي أو

من أصل شمالي الجزيرة العربية، وكان ذوو المنشأ الفارسي يؤلفون الجمهور الأساسي

لسكان المدن المغتصبين وصغار التجار الذين كانت لهم منطلقاتهم وأصنافهم

بالوراثة، في كتاب (تاريخ صنعاء) (٩٩، ص ٣٦٣، يقال ما يلي: ((قال أبو محمد

(الهمداني)) إن الناس في صنعاء كانوا ينقسمون إلى أربعة أصناف عرفاء، وكان بنو

سحامة عرفاء العرب من أهل اليمن، وبنو سحامة هؤلاء هم من الحميريين، وكانت

مجموعة من ذويهم في مجلس وعلى شرفهم سمي الباب، (الباب بني سحامة)، وكان

قرب المسجد ومقابل الصف الأول (قارن مع: ٩٩، ص ٢٩٢)، ورحل سلفهم سلما إلى

النبي محمد ﷺ الذي قرأ عليه سورة ياسين.

العريف الثاني هو من آل شروس في الضربة، إن آل شروس هم موالي السكاكين

وهم من آل محمد بن عبد الرحيم، نصير مالك بن أنس.

العريف الثالث ممثل العامة، وهو من بني (ذوزه) وشخص آخر من بني غسان

والعريف الرابع من الأبناء، وهو من آل سريعة (أو شريعة)، وهو من بني أبي

الجريش والمكلف للقيام في الجامع، ومن بينهم كذلك أبو دجانة الإمام وبنو أبي

السلام، وقوم يسمون بني الحجاج وهم من خراسان، وقد أضافهم الأبناء قائلين إنهم

موال، وبنو أبي الجريش، أصحاب المقابر والجبانة وهم من الأبناء)).

ويضاف في هذا العرض إلى الفئات الأربع من سكان صنعاء –اليمنيين الأصليين

والعرب الشماليين النازحين (المستوطنين – (المضربين)) وأبناء الفرس والعوام، كذلك

مشاهير من أهالي صنعاء المنتمين إلى شتى فئات اليمنيين وهم بنو سحامة الأعيان

الحميريون الذين احتفظوا بمواقعهم بعد حلول الإسلام، ومن بينهم بنو الكرندي الذين

حكموا في منطقة معافر أيام الهمداني (١٢٥، ص ٧٨)، وكان هؤلاء الحميريون من

أوائل المعتنقين للإسلام في اليمن، أي من الذين أيدوا الدين الجديد والسلطة الجديدة

منذ البداية بالذات.

كذلك منهم آل شروس وهم أسرة من مشاهير الفقهاء وقارئي الأحاديث والراوين

في صنعاء وتقلت معلومات وأحاديث كثيرة في التاريخ مستمدة من أفراد هذا الآل،

والشخصية الأكثر شهرة هي الفقيه المشهور من القرن الثاني هـ، الشيخ إسماعيل بن

سلمان، ويحتمل أن اسم الآل من أصل فارسي ولكنهم ليسوا من أبناء الفرس لأن الآل

هو من آل الموالي التابع لقبيلة ثقيف أي أنه ينحدر من المناطق المفتوحة خارج حدود

الجزيرة العربية (ربما من الفرس)، إن العلاقة مع الثقفيين، الذين انحدرت منهم

أسرة كاملة من موالي اليمن في القرنين السابع والثامن، تدل على أن شيوخهم وأقاربهم

كانوا متصلين بأفراد بعض الموالي المكلفين للخلفاء في اليمن، وآل شروس هو الآخر

مثال على الكيفية التي كان يحصل بها علماء الدين (وعند كانت مهنة تمارس

بالوراثة غالبا) على السلطة السياسية، وفي هذه الحال باعتبارهم عرفاء لجزء من

سكان صنعاء المتبحين.

كان العريف الرابع يتزعم أبناء الفرس وقد فقد المكان المكرس له في النص،

انطلاقا من صيغ إحدى المخطوطات اعتبر من الأفضل الصيانة التي بموجبها يجري

تحديث عن آل سريعة ((أو شريعة))، الذي لا يذكر في أي مكان آخر، وهو أحد

فرعات آل بني الجريش الكبير (وليس أبي الجريش، كما هو في هذا المكان من

النص)، وقد وجد اسم آل الخزرجي في قائمة آل صنعاء رغم أنه ليس منهم، كذلك

نجد من بينهم نصير النبي محمد ﷺ من المدينة المنورة أبا دجانة الخزرجي الذي توجد

بعض المصادر عنه بخصوص مشاركته في اغتيال الأسود (٩٩، ص ٩٢))، وكان

صاحب ثروة وجاه، وهذه هي علاقته المحتملة الوحيدة مع أبناء صنعاء الذين نسبوه

إليهم لإضفاء صيغة الشرف على سلطتهم وثروتهم، ومن جهة أخرى نجد أن بني الحجاج

(ربما من الفرس أو الأزديين) من خراسان قد نسبوا أنفسهم إلى هذا النمط الأبناوي

المشهور ولكن معظم الأبناء استنكروا تحديباتهم على المنشأ الشرف، ولا نجد أسماء بني

أبي السلام قط في مكان آخر.

يكون العريف الثالث زعيماً للعامة – لجماهير المدن (ربما للعاطلين بالأسواق)، والأسماء الأصلية التي تنشأ منها أسماء العرفاء ذات صيغة غير اعتباطية، فهو عمدان إلى الصعاليك المتلطي. وفيما بعد سموا أنفسهم بالرسوليين اليمنيين الذين استحدثوا للنشأ النسلي، وهذا الاسم الدال على ((زعيم العامة)) يتعلق بشخصية هزلية لكنه من سواد المدن على غرار بني ساسان (القارن كذلك مع بني الشرف – منجم الزهراني لاستخراج خام الفضة))، واسم بني زوزة هو الآخر لا يشبه اسما والفيا، هذا الاسم (من الصيغة الأخرة: دوزة وزوزة)) يشبه فيما يشبه نحتي[1].

ومهما كان أصل هذه الأسماء في الواقع فإن هذا السرد يدل على الدور الكبير لسواد المدن في حياة المدينة وعلى وجود زعماء أو منظمات لهم، ومن المحتمل أنه ينبغي أن تنسب إلى عداد العامة الساقطين الذين بلغ عددهم في صنعاء أيام الخليفة هارون الرشيد ٧٠ ألفا، حسب ما يعتقد الرازي (١٩٩١، ص ٦٠ – ٦١ في تاريخ مدينة صنعاء، ص ١٠٦) ولا نعرف شيئا عن كيف كانت تعمل ((المنظمات)) سكان المدن عمليا، ولكننا نعرف أن في العديد من الأحداث السياسية الواقعة خلال القرون الثامن – العاشر غالبا ما قام سكان المدن كقوة مستقلة عند النضال ضد أصحاب السلطة المركزية غير المرغوب فيهم (الموالي الخلفاء أو الأئمة الزيديين)) مثلا أو الذين حاولوا أن يراقبوا مدينة (الإقطاعيين المحيطين بهم (مثلا، اليعفريين أو الطريفيين)).

وكان اليمنيون في القرن التاسع والعاشر يعتبرون أن التصادم والتصارع بين شتى الفئات هما ما يميزان الأوضاع في المدن، وخصص الهمداني في كتابه ((صفة جزيرة العرب)) فصلا خاصا لهذا الموضوع (١٩٨٤، ص ٢٦٤ – ٢٦٥) إذ كتب: ((أسماء القرى التي يتألف سكانها من مجموعتين متحاربتين لبعضهما البعض: عدن الأبيني – (الأعداء) بين المربين والحماميين وبين اللحجيين لحج وأبين – بين الأصابح وبني عامر؛ صنعاء – بين الشهابيين وأبناء الفرس، والذين انسبوا أنفسهم هنالك إلى عمار

---

[1] قارن مع: زوزية – ((الحزن فصيا)) (بخصوص الإنسان) ١٩٨٧، ص ٣٦ – ١٠٣؛ أو الزوزية – ((المصنوع)) (١٩٧١، ص المجلد ١، ص ٨١٤).

(الزرازير) كانوا من الأبناء، وأما أهل البلد والذين انسبوا أنفسهم إلى القحطانيين فهم من بني شهاب؛ خيوان بين الرضوانيين وآل أبي مؤيد، وبين الرضوانيين بعضهم بعضا؛ ويمع من بني عكشد؛ صعدة بين عكيل وبرسم؛ وبشعة – من قرى خولان – بين الأوديين والتسلوبين، بوسان بين بني جعفة وبني زيدان؛ وعمران بين بني صريمة وهمدان؛ والجوف بين همدان ومذحج، ومأرب بين سبأ ومذحج؛ وجيران بين المواسع وعنز)).

لقد كانت التجابهات هنا تجد طوابع مختلفة: فثمة تزاحمات بين السكان المستوطنين والنازحين ((لحج وأبين ومأرب والجوف، وفيما بين شتى القبائل، وأسر الأسر من الأعيان القدامى، الحميريين، والأسر الثرية من المدن))، وإجمالا فإن فيهم الصراع الحاد بين التكتلات يعبر عن التصادم لشتى المصالح ((الجهاز الإداري العسكري، والإقطاعي القرى، وتجار المدن، وملاكي الأرض))، وكذلك هنا أنه جرت تغيرات كبيرة في قوام سكان المدن إذ كانت تنزح وتتحضر والأكثر شتى الفئات الجديدة التي لم تكن موجودة تماما في العهد الحميري ((النزاع القبائل والنازحون وغيرهم)).

ثمة مجال اجتماعي آخر هو المؤسسات الدينية ورجال الدين، من الصعب أن نحكم على نشاطات ((رجال الدين)) في العهد الحميري، فقد زال تماما بالكاد الكهنة القدامى مع ممتلكاتهم من المعابد والناس التابعين لهم، وانطلاقا من المعلومات التاريخية اللحمية يمكن أن نتحدث عن نفوذ الأشخاص الدينيين: الحاخامات اليهود لدى حاشية البلاط الحميري في القرن السادس، والشماسة النصارى في المدن الحميرية في القرن السادس أيضا، وكان الكهنة وسط القبائل يتمتعون بنفوذ كبير وأصبح أحدهم، وهو عبهلة الأسود، في القرن السابع زعيما لحركة سياسية وفكرية كبيرة. وفي عهد الإسلام كان رجال الدين بمثابة إحدى القوى السياسية الرئيسية في نجران وكان الأسقف يمثل أهاليها وفي المعاهدة المعقودة مع المسلمين جرى التشديد بشكل خاص على الاحتفاظ بحقوق رجال الدين وذاتيتهم.

إن القصص الإسلامية تربط باليمن الأحداث الخاصة بالوقائع الأولى للتشاور الشفة النبوية، ولكن في واقع الأمر لم يكن منصب القاضي موجودا بعد العهد الأول للإسلام، وكان زمام السلطة، سواء السياسية أو الدينية، في أيدي الوالي، ولكن، كما هو الأمر في كل مكان بالعالم الإسلامي، فقد تكونت في اليمن خلال القرنين السابع والثامن فئة مثقفة من علماء الدين هم العلماء والفقهاء الذين اضطلعوا بدور لا بأس به في الحياة (الإسماعيلية) بالنسبة لأنصارهم بحكم ممثلي الهيئة الدينية في المقام الأول، وكانت سلطتهم السياسية تعلوها قائمة على هذا الأساس الديني، وخلال القرنين العاشر والحادي عشر نشأ رجال السياسة العقلاء، ابن القاضي علي الصليحي [illegible] من عداد الفقهاء والعلماء، وفي عهد حكم السيدة الحرة ظل الفقهاء بمثابة قوة معارضة مستقلة.

وعموما لقد كانت للميول العامة السائدة خلال القرنين العاشر والحادي عشر والنزعة إلى بسط نفوذ الفقهاء والعلماء على الحياة الاجتماعية قاعدتها الاقتصادية في اليمن، كما كان الحال في كل مكان، ونعرف عن ممتلكات الأرض الكبيرة التي كانت ملكا للفقهاء والعلماء اليمنيين، فأحد أوائل القضاة اليمنيين وفقهاء الأحاديث النبوية، وهو طاووس بن كيسان، قدم أراضيه للإيجار، وفي القرن العاشر أخذت تنتشر على نطاق واسع الأوقاف التي كانت تعود على الفقهاء بالكثير من المداخيل وتضمن لهم استقلالية اقتصادية معينة[1].

إن لدينا معلومات قليلة عن أشكال التبعية كما في اليمن القديمة كذلك في اليمن القروسطية، وكان من الممكن أن تعني المصطلحات أقباص وودبع dm القديمة مختلف أشكال هذه التبعية وصولا إلى أشكالها المستعارة، وكان في عداد هذه الأشكال كذلك العبودية التي لا نستطيع فرزها دائما وبمظهرها الخالص بوثوق تام،

[1] وقد كانت هيبتهم واحترامهم من قبل الناس العاديين وتقديرهم بصورة ابتعادهم عن مزاولة النشاط الدنيوي وتوجههم نحو السلطة والمصالح الخاصة، وهذا الشعور لدى الناس العاديين نابع من كون أن رجل الدين أو العالم الحقيقي لا يقدر على الانغماس في شئون السلطة والتجارة (المترجم).

خلال القرنين الخامس والسادس كان معظم العبيد خاصين بالعائلات والبيوت، كان لدى كندة كذلك عبيد يشتغلون في ضياع ملاكي الأرض في القرن، كما هو الحال بالنسبة لنجران (راجع: ٢٨٤، ص ٩٢ – ٣٠٤:١٩٦، ص ٣٥١ – ٣٥٤، ٣٥٩).

إن الوثائق المسجلة بالعربية تدل بإقناع على وجود بعض العبيد في جنوب الجزيرة العربية في العصرين الجاهلي والإسلامي المبكر، ويتميز في الاصطلاح العربي نوعان من العبيد بالتطبيق على ذلك الزمان: أحدهما العبيد القديم الذين كانوا يعتقون بحق الانعتاق في حال اعتناق الإسلام، فكان هؤلاء العبيد (عموما، الأسرى المتحولون إلى عبيد) يسمون بأسماء عبد مملوك، عبيد المملكة وكذلك وصفاء، غضروف، غلام، عبد مسلم، وعبيد عموما، والنوع الثاني العبيد الوراثيون عبيدا العبيد القن.

وفي قصة محاولة الزعيم الكندي الأشعث لاستعادة عبيده الذين اعتنقوا الإسلام يتناول المصطلح العربي على الفرق بين النوع الأول من العبيد وعبيد القن أي العبيد الخالصين الذين حصلوا على هذا الوضع بالوراثة، من المميز أن هذه القصة تجعل نجران موقعا لحدوث الأحداث، فبينما كان يوجد في القرن السادس العبيد المشتغلون في الزراعة أي خارج عائلة صاحبها فهم يناسبون مفهوم عبيد القن.

وفي حكاية الأشعث يدور الحديث عن أنه في أيام عمر عثر في نجران على عرب كانوا ملكا للأشعث في العصر الجاهلي فحاول أن يستعبدهم مجددا، وقد دافعوا عن حقهم في الحرية أمام الخليفة فقالوا: ((يا أمير المؤمنين) لقد كنا عبيد المملكة ولم نكن عبيد القن ((أي عبيد بالوراثة)) ووفق كلمات ابن رستة فإن العبارة: ((إننا عبيد المملكة ولسنا عبيد القن)) تعني: ((كنا مأسورين [illegible] ولم يملكونا في السابق))، يقال: ((إنهم عبيد المملكة)) أي أنه قهرهم وحولهم إلى عبيد أما هم فكانوا أحرارا، لكن العبد القن هو ذلك العبد الذي كان نفسه مملوكا وكان أبوه أيضا عبدا، كذلك يقال إن القن هو ((المشتري))، وينتمي إلى النوع الأول كذلك العبيد المماليك، وهو النوع الأكثر انتشارا، وغالبا ما يذكر اسم العبيد - الغلمان، فمثلا، ربما يتحدد بهم في قصة سميفاء ذي الكلاع (راجع ما ورد أعلاه) ومن المحتمل أن هذا النوع يكون من الذين تم إعتاقهم في حال اعتناق الإسلام (المماليك عند ذي الكلاع: راجع

(٦) ص ٢٠ ، وفي نص رسالة النبي محمد ﷺ إلى جميع أقيال اليمن، [illegible]
يكون [illegible] الأوضاع الواقعية والمصطلحات اليمنية القائمة خلال [illegible]
السابع والثامن، نحو عبارة عبد مسلم وحرسه، إن نظم الحكم [illegible]
المستغرق في العدد من النوع المطلوب، فقد يكون المصطلح مسلم يعني العبيد [illegible]
يحصل على الحرية في حال إعتناق الإسلام (١٦)، ص ١٠٨، إن العبد [illegible]
[illegible] العبد المعروف في قصة عمرو معدي كرب الزبيدي، والعبد [illegible]
[illegible] (١٧)، المجلد ٢، ص ١٥٦) [illegible] هذا المصطلح وجميع [illegible] (١٦).
ص ٦٥ - ٢٠٠.

لقد فهمنا من [illegible] ووصول أول موالي اليمن، وهو معاذ بن جبل، إلى الخليفة أبي بكر في سنة [illegible] وصفاً على حدة (١٤، ١٩٦، المجلد ١، الجزء ٢، ص ١٣٢) [illegible] هم العبيد - الخدام الذين ينتمون إلى ذلك النوع الأول المطلوب، وقد نشأ سؤال عن أنه هل كان ممكناً أن يحتفظ معاذ بهؤلاء العبيد - الخدام الذين أهدوا له في اليمن، ومع أن أبا بكر قد سمح له بذلك إلا أن معاذاً قد أطلق سراحهم رغم ذلك.

علماً أن المصطلح [illegible] على نطاق واسع إزاء اليمن، ويدل ظاهر استخدامه إلى أنه يعني العبيد الأصليين حيث انتقل إلى العبيد المرتبطين بالأرض والذين يؤدون جزءاً من الدخل على الأرض والماشية، يقال إن النبي محمداً ﷺ وهب الأمن والرعايا لمالك ذي [illegible] في حال ما إذا دفع الأخير الصدقة التي [illegible] أرضه وماله ورقيقه (١٦)، ص ١١٦، ويمكن من المحتمل أن يكونوا [illegible] مثل هذه القضية [illegible] أن الهمدانيين [illegible] عبيداً يحظون في العهد الإسلامي أيضاً (٢١٦)، ص ١١٨.

ويقال أيضاً أنه في حال دفع العشر لا تفرض جباية أي مبلغ إضافية ((لا عن الرقيق ولا عن المزرعة ولا عن العمال العاملين فيها ولا يجبى شيء عن العبد المسلم وفرسه)) (١٦)، ص ١٠٨، استناداً إلى أن النبي محمداً ﷺ يؤكد في رسالته الخاصة بأموال عشيرة أقيال حضرموت ذي مرحب على ممتلكاتهم من الأرض والماشية والأشجار والرقيق (١٦١، المجلد ١٢٢، ص ٣) ١٦ ص ١١٤).

لقد كان هناك تصور عام بأن اليمن قد عرفت العبيد [illegible]
[illegible] الذي [illegible] في عهد معاوية منصب مولى اليمن (٢١)، ص ٢١٠ [illegible] إلى الخليفة ٣٠ رأساً رقيقاً.

في القرنين التاسع والعاشر يرد ذكر العبيد المستقرين ويسمعون [illegible] بذلك في عهد الرسوليين، حيث كان جزء منهم [illegible] أيضاً عبيداً يستخدمون في مستوطنات خاصة [illegible]

وهنالك يرد اسم العمال في الرسالة الموجهة إلى أقيال اليمن (٦)، ص ١٠٨ [illegible] الاستخلاص من عبارة مزرعة وعمالها كان هؤلاء العمال [illegible] بالأرض، ويتضايق مصطلح العمال كذلك في بعض الحالات [illegible] إلى النبي محمد ﷺ حيث يجري الحديث عن كيفية إقدام أصحابهم على [illegible] عماله [illegible] مستأجرين هذا التمر [illegible]، وربما كان العمال [illegible] في القرون الوسطى الإسلامية [illegible] يستخدم في المصانع.

لقد تحدثنا أعلاه عن أسماء [illegible] - [illegible] التي ظلت باقية منذ العهد [illegible] وتدل كذلك على السلطة التي [illegible] أصحاب الضياع على المزارعين حكاية المولى الشريف والسخي محمد بن خالد البرمكي، وهو من موالي هارون الرشيد، حيث جاء فيها: ((يوماً من الأيام انطلق للتجول إلى سوق بالقرب من [illegible] بأهل البادية، وعندما رأى الأسمال التي يرتدونها أشعرهم فقراء وقال: إن الفقراء المساكين؟ أعطوهم غذاء وصدقة ومن لم تسألوهم؟)) فقالوا له: ((إنهم أولئك الذين يحوز أهل الضياع [illegible] منهم))، فإذا به يقول: ((لا يجوز لأحد بأن يأخذ منهم شيئاً)) ولم يأخذوا ((إيتاتا)) منهم بعد ذلك وتركوهم على حالهم (٩٦، ص ١٠٧).

---

(٣) ص ٤٩ و ٧٩ و ٨٠ - ٨١ و ٩٨ و ٩٢ و ١٠٨ و ١١٨ و ١٢٤ و ١٣٠ و ١٣٩ و ١٤١ و ١٤٧ ، ١٤٨ و ١٣٩ [illegible]
١٨ : ٣٦٩ ص ١٤٢ - ١٤٣.

وربما تدل هذه الصحيفة على محاولات ((أصحاب الضياع)) لتوسيع مجال أراضيهم للأموال، من البديهي أن الحديث يدور لا عن المزارعين من الضياع بل عن الناس الذين خاضعين لأحد شخصيًا، وقد يكونون أيضًا مزارعين علمًا بأن عمل أهل البادية في نفس الزمن أيضًا، إن الرجل في سهل صنعاء كانوا تابعين في الشرق الملاصق في المناطق الأخرى لهذه القصة تجد عند الخزرجي ١٧٢، ص ٩١، بدلاً من مصطلح البادية عبارة سواد صنعاء أي المناطق الزراعية في ضواحي صنعاء وكانت تسمى أهل البادية العامة، أما هؤلاء الناس فيسمون بالرعايا، وهم يرتدون ملابس الشمال وغيرها بشرح تفسيرها بعبارة الملبس من الصوف الأسود)) الفلاحين كذلك بحسب الظرفين موالي المحرومين، استولى كل منهم في اليمن على قرية وفرض عليها ضرائب بالنبع الذي يهواه وأخذ يتحكم في أهلها كيفما يشاء، وباع الضعيف، وهو إبراهيم بن خلف جزءًا من أهالي القرى التي استولى عليها عوضًا إلى منطقة)) (٧٤، ص ١٩٧ ؛ ٩٩ ؛ من ١٠٦ ؛ ٣٠، ص ٢٠٩)

لقد كان من أهم منجزات الإسلام في عصوره الأولى المبكرة الدعوة إلى تحقيق الظهر الاجتماعي، والمعنى ذلك بعض الشيء في سياسة الحكام المسلمين المتبعة في أراضي الجزيرة العربية المفتوحة، وكان النضال ضد الاضطهاد عاملاً ذا شأن كبير في البلد في استمالة الجماهير إلى الإسلام، والحركات الإسلامية، على غرار الإسماعيلية والزيدية اتخذت لنفسها كذلك شعار الدفاع عن المظلومين واستعادة النظام العادل لتوزيع الخيرات الذي حث عليه وطبقه الإسلام في أيامه الأولى.

من البديهي أن قصص ((العدالة)) الاجتماعية لأوائل المسلمين في اليمن قد جرت محاولات جادة لتطبيقها إلا أننا لا نجزم نهائيًا بأن أعمال الحد من نشاطات المرابين قد طبقت حتى النهاية وأن العبيد الذين اعتنقوا الإسلام قد أطلق سراحهم أو دفعت عنهم فدية رغم أنه شجع إطلاق سراح العبيد بشكل واسع وأن الالتزامات الخاصة بالديون العائدة إلى العصر الجاهلي قد ألغيت الخ، ويؤكد على ذلك أيضًا بعض الأحاديث الشريفة وما أكثرها والتي تحث على عتق العبيد وما سيناله من أجر كبير من قام بذلك، وبإمكاننا أن نعرف من القصص المتعلقة بذلك، ولو أنها في الغالب

وأحيانًا وتقل الحشر ميتًا حي وقائع بسبب عدم استعداد ملاكي الأرض التعاطي مع مستغليهم، أن نعرف الحقيقة الدقيقة عن اليمن في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي الباكر، وإلى أي مدى لقيت الاستجابة لهذه المثل الإسلامية والأحاديث النبوية التي طالبت بتغيير مظاهر الظلم كالقول بأن الأرض لمن يزرعها الخ ومن ذلك التفسير الخاص بما جاء في إحدى رسائل النبي محمد ﷺ إلى الأعيان اليمنيين لقول الغير أحسن وقد ((رساله)) التي تدل على أنه كان في اليمن فلاحون تطبيق شراء المحاصيل بالزراعة من قبل التجار وبأسعار زهيدة ٤٩، المجلد ١، ص١٦٩، وقد اختلفت معاجم التفسير حول مصطلح اليمني الخاص ((المستعمر)) ((المخلق، المستعبد)) الذي يعود إلى الاسم اليمني القديم hmr حمر ((العبد)) وإلى الفعل hmr ((رهن)) ١٤٢، ص٦٩، يقال إن الناس التابعين في اليمن كانوا يحولون إلى عبيد وربما أن مثل هذه الأحداث لم يكن نادرًا إعلان الوالي الأول معاذ بن جبل، كما يقال، ما يلي: ((إذا استعبد أحد ما من القوم الذين كانوا في السابق أحرارًا أو جيرانًا مستضعفين فعليه أن يقاصر على من هو في يده))

إن عبارة ((الجيران المستضعفين))، وفقًا لما هو وارد في التفسير تعني ((المستأجرين)) الذين أصبحوا جيرانًا وطلبوا الدفاع عن ذاتهم وتحولوا من ثم إلى عبيد[١]

وقد كانت تواجه ممثلي السلطات الإسلامية بعض المسائل الخاصة بالعلاقات الاجتماعية في اليمن والتي كانت تمارس قبل الإسلام، ونحن على علم بأن نظام الاستغلال بالحصة ما يزال باقيًا حتى قرننا الحالي باعتباره الشكل الرئيسي للحصول على الريع من قبل كبار ملاكي الأرض في اليمن الوارد من العهد القديم.

ينقل عن معاذ بن جبل إنه أجاز بين اليمنيين استعمال الشركة ((أي الاشتراك)) في الأرض، ((وذلك حينما كان صاحب الأرض يقدمها لشخص آخر لقاء نصف المحصول

(١) المجلد ٢، ١٨٩ ؛ ٥٥، المجلد ٥، ٣٣٤٣ ؛ ٤٩، المجلد ٦، ص ٣٥٦ ؛ ٢٠٤، المجلد ١، الجزء ٢، ص ٨٠٨ ؛ ١٠٩، ص ٤٩

لو ثلثه والربع ...»(١)، وهكذا ابن فارس يتحول مباشرة إلى الشريك يعني العشر الثلثه يعني المستخدم اليمني أصلاً ١٠٨/١، ص ١١٥٢)، وأخذ مصطلح الشريك ... يستخدم على نطاق واسع في اليمن القروسطية من جراء ... للأرض، ومن اليمن، مثلاً قصة الفقيه المشهور من القرن السابع ... طيسان، الذي كان يملك أراضي كثيرة، ولم يعالج أرضه بنفسه وكذلك ... منها ضرائب ويؤجرها مقابلاً على جزء من المحصول وشكلها المستأجرين جزءاً من الجنوز ١٩٦، ص ٢٣٣)، وبعد فتح نجران تخلل جزء من أراضي اليهود والنصارى وكان الخليفة عمر يتقاضى المبالغ المفروضة عنها الأرض لتحسيد الشافعية الإسلامية (الطوق ونه الثاني) نصف المحصول أو ثلثه عن الزارع، والأربعة أخماس عن الشجر النخيل، والثلث عن الكروم ١٣٧١، ص ١٣، الملاحظة ٥٩).

وإجمالاً يمكن القول إنه بقدر ما كانت تعزز السلطة السياسية للإسلام بقدر ما كانت تجري إشاعة العدالة الإسلامية في العلاقات الاجتماعية، مقصوراً بعض نشاطها، وقد ساعد هذه التغيرات العناصر الجديدة من الشريحة الاجتماعية التي على مزاحمة الفئات الحاكمة التقليدية، وعلى العكس كلما ضعفت السلطة السياسية للإسلام تقهقرت العدالة الاجتماعية، فمثلاً النظام الإسلامي لجباية الضرائب، الذي كان له في بداية الأمر مظهر تقاسم المداخيل لصالح المجتمع كله بما في ذلك مصالح الدولة ككل، صار فيما بعد أداة ملائمة لإعادة توزيع الريع لصالح الطبقة السائدة محلياً وكانت فئة المجتمع تحصل بشتى الوسائل على الجزء الكبير من هذه الضرائب بواسطة الجهاز الإداري العسكري التي كانت هي نفسها جزءاً منه، وكان رؤساء القبائل والأعيان الإقطاعيون الأصليون (أصحاب الضياع) غالباً ما يجبون الضرائب بأنفسهم عن الأراضي الخاضعة لهم ومن الأشخاص التابعين لهم. وكانت هذه الضرائب عادة ما تصرف بمعظمها في اليمن ذاتها أي تبقى تحت تصرف أولئك الذين كانوا يجبونها والذين يحكمون البلاد.

---

(١) المجلد ١، ص ١٢٨؛ ٥٥، المجلد ١٢، ص ٣٣٩؛ ٢٠٥/١، المجلد ١، الجزء ٤، ص ١٥٩٢؛ ١٠٨/١، ص ١٥.

وتميز اليمن القروسطية المبكرة وبنيانها الاجتماعي بسواده في العهد ... عهد الإسلامي المبكر ... بالتعايش المتصل ... القرى المختلفة ... الشكل الوثيق لجميع المجالات الأساسية للحياة الاجتماعية، العهود ... المسيحي، والقبائل المتحضرة والمترحلة، ومشاعيات سكان المدن، وكانت لها الرابطة فيما بين بعضها البعض متعلقة بالأحوال الاقتصادية ... الإقطاعيين، والذين انخرطوا بصورة مضمرة في تشكيل جهاز الدولة ... في حياة المدينة والقبيلة.

لقد ظهر الإقطاع في اليمن في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، وفي عصر الأمر في عهد الصليحيين، ولكنه بلغ أوجه في عهد الرسوليين، وفي مرحلة القرون الوسطى المتأخرة تشكل هذا النظام اليمني التقليدي للمراتبية الاجتماعية الذي يسمى في بعض الأحيان بـ ((الطوائف)) وشكله النهائي معروف من العهد الحديث، ويقف في قمة هرم الطبقات ذات الزواج اللحمي السادة الذين يمت نسبهم إلى علي وفاطمة زوجته ... وبعدهم المشائخ (الأفراد العشائر التي تعتبر الحافظة الوراثية الفئة القبلية المشارية)، ومن ثم القبائل ((الأفراد القبائل المترحلة والمتحضرة))، وبعدهم الضعفاء المساكين (وهم سكان القرى والمدن الذين فقدوا صلاتهم بقبائلهم) وبعدهم العبيد (الرقيق والطلق سراحهم)، وأخيراً الأخدام (عمال النظافة والمغنون والخدم العاملين في الاحتفالات والمناسبات الدنيوية، وتكمن مصادر هذا البنيان في بنيان الهرم الاجتماعي للقرون الوسطى المتكررة في اليمن عن الوضع الخاص للقبليين الذي نتج عن تطور وتجاح قيم وتقاليد القبائل البدوية المترحلة وغلبتها على الشعوب المتحضرة، والمنشأ في الازدراء الشكلي للحرف والزراعة والأخذ بالثأر واتخاذ مواقف الاحتقار من الفئات الدنيا، وهو نفس ازدراء الحرف الذي صادفناه من القرون الوسطى المبكرة.

كما كان هناك العديد من الفئات الاجتماعية التي هي أخلاف أقطر المزارعين والمزاحين الأحباش وسواد المدن من العهد الحميري، أما الفئات العليا فإنها تعتبر وليدة التغيرات الجارية في قوام الطبقة السائدة والتي جلبتها معها ورسختها نظم الحكم المتعاقبة، وإجمالاً فإن كل هذا النظام هو حصيلة التاريخ الاجتماعي اليمني في مرحلة

القرون الوسطى، ويمكن عزو نشوئه التدريجي إلى فترة القرون الثاني عشر – عشر السادس عشر، الوقائع الأولى للنظام الدائل لانقسام المجتمع إلى طبقات ... السيرة الزيدية الملقاة إلى القرن الثاني عشر.

ملاحظات خاصة بالباب الخامس

١ – سمي بحوالي العطريين حكام سهل صنعاء الطريفيون ... الذين حكموا رغم ذلك تابعين لم شكليا (راجع مثلا: ٧٤، ص ١٥١) ... للمعتمد الأمير يعفر صنعاء في عام ٢٢٦ هـ / ٨٤١ – ٨٤٢ م ٨٢، ص ١٥٢ ... هناك في المعركة زهاء ألف من مواليه، وينبغي الاعتراض بأن أولئك ... أنما تابعين له عبادهم السيد الأعلى لحمل السلاح، وعددهم هذا كبير ... بالنسبة للعبيد أو العساكر الأجراء، وقد غادرهم. وعلى قول ابن الديبع: غلامه (أي عبده)، وأن هذا القائد بمثابة مؤسس آل الطريفيين ... ابن ثابت الذي سمي بالمولى في كتاب ((الغاية الأماني)) ٧٤١، ص ١٥٥ (طريف ... مع: ٥٣٠، ص ٢٠٩ ((١٩١)) (العبد)، التي أعتبر أن طريفا أيضا كان (المولى)) وليس عبدا ولذا تمكن أقاربه العديدون من الترقي بسرعة.

الباب السادس

قوام الفئة الحاكمة

لقد تكونت الطبقة الحاكمة العهد الجديد بالتدريج، شأنها شأن مجمل بنية المجتمع من خلال عدة مجالات، اقتصادية وثقافية أثر بعضها في بعض بشكل متبادل، والتماس بين هذه المجالات وخاصة في طبيعة العلاقة بين العدو واحتضر فيه عدد معين ومعا معينا لتكوين الفئة الحاكمة الواحدة، وعلى هذه الفئة بالذات يمكن أن نحكم انطلاقا من مصادرنا، على سمات التاريخ اليمني، وقد جمعت نشر الإسلام عناصر الأساسية بين شتى عناصر الفئة الحاكمة التي كانت تعكس السلطة الجديدة للتطور الاجتماعي.

يكان يقوم في قمة المجتمع الحميري الأقيال، وهم العنصر المميز والمحدد لسماته، والأقيال العائدون إلى القرون الوسطى المبكرة هم ((الأعيان المحليين)) المنحدرون من الأقيال الأصيلين القدامى أو من عساكر الجيوش الملكية، وكان يجري تعيينهم من قبل الموالي والإداريين، وأخذت عشائر الأقيال، المترقية في عهد حكم أبي كرب أسعد في القرن الخامس، تضطلع بدور كبير للغاية في مرحلة التشتت وغزوات الغرباء التي تلت ذلك العهد، وكانت هذه العشائر تؤلف الجزء الأساسي من الفئة الحاكمة وكانت تتحكم في جماهير أفراد الشعوب التابعين لها وفي العبيد والجيران والعساكر المحاربين وغيرهم، وأصبحت السابقة ((ذو)) من العلائم المميزة لهيئة الأقيال، وكانت في العهد القديم تعني الانتماء إلى الشاعبة، الشعب وأما في العصر الجاهلي فكانت تعني كذلك السلطة القائمة على إقليم معين وامتلاكه (مثلا: ذو الكلاع – (الحاكم منطقة كلاع))، ذو رعين – ((حاكم منطقة رعين)) وما إلى ذلك، وصارت سلطة أحد الأقيال القائمة على إقليم معين ذات طابع دائم في القرون الرابع – السادس

في حين أن الوارد في القرن الثالث ظلوا يلقبون بهذا الاسم ويقابل جمع شعب إلى الرا
تراجع بنية (حمير الأقيال) الواردة في هذا النقش

في مرحلة احتدام الصراع من أجل السلطة في حمير في أواسط القرن السادس كانت العشائر القبلية الرئيسية هي: ذو معافر، ذو ظلال (الظبيان)، ذو خليل، ذو جدن (الأصبح)، ذو يزن، ذو همدان، ذو تبع، ذو ترانيح، ذو مهدم، ذو سبأ، ذو قرنه، وتتحدث القصص الإسلامية عن الملوك ذو شعبين، ذو شوالين، ذو الذين حكموا البلاد في أواخر القرن السادس عندما كانت السلطة المركزية «الأقيال الثمانية» في واقع الأمر، وكانت أسماؤها موجودة في عدة صياغات وذات طابع متميز عشائر الأقيال العريقة جداً مع التوجه الخاص إلى إضفاء جذور حميرية على الأعيان الأصليين العائدين إلى القرنين التاسع والعاشر، ولا تتطابق هذه القائمة مع المعلومات الواردة في النقوش إلا جزئياً، غير أن واقع تقسيم ((الثمانية)) من أكبر الأقيال يتصل بالوضع السياسي العام كذلك بالمعطيات الخاصة وجود حمير بين الأقيال - الخاصة بفرز (أعظم الأقيال)، الأذواء إلخ. وقوام الثمانية هو: ذو سحر ((الصياغة الأخرى: ذو المرصد))، ذو ثعلبان، ذو خليل، ذو عثكلان، ذو جدن، ذو مرغم ((الصياغة الأخرى: ذو مناخ))، ذو سراوح ((الصياغة الأخرى: ذو فيشان))، ذو مقار.

وكان الأقيال يحكمون بالنسبة لمجمل مناطق اليمن الشمالية والسهوب والبوادي المتاخمة لليمن مثلما كان يتعامل من كان يسمى بالملك بالنسبة لمجتمع الجزيرة العربية الداخلية، ولذلك فإن كلمة القيل دخلت اللغة العربية في القرنين السادس والسابع بمعنى ملك عموماً، وصار التقليد العربي يسمي الأقيال باسم ملوك، الأمر الذي أدى بالتدريج كذلك في المصطلحات الواردة في النقوش؛ وبعد نشر الإسلام في اليمن وتعريب المصطلحات الاجتماعية جرى تبديل القيل على نطاق شامل بالملك وبهذا الاسم صاروا يسمون أولئك الذين كانوا يسمون بالأقيال في اليمن الحميرية، وزال مصطلح القيل تماماً ولكنه كان يصادف فقط في الأساطير والقصص الخاصة بالماضي.

في عهد نشر الإسلام واحتدام الصراع بين شتى القوى الخارجية والداخلية من أجل السلطة في جنوب الجزيرة العربية شغل الأقيال موقف الترقب المطوق من المسلمين دون

التدخل في شؤونهم ... صهلة وقيس بن المكشوح والأشعث ويبدو أنهم ظلوا بعيدين عن القوى الرئيسية في البلاد فإن هذا الموقف ساعد على انتصار المسلمين النهائي ... وبعد ترسيخ الإسلام في البلاد تلاشى دور الأقيال عن الأقاليم الرئيسية السياسية في جنوب ... الدولة المركزية الشبكة، وكان الجهاز الإداري ... الإسلامية في جنوب الجزيرة العربية مؤلفاً من العناصر الخارجين ... على أبناء الوسط المحليين وعلى قمة القبائل، وشاركت أكبر العشائر القبلية مع أقاربها وحلفائها والتابعين لها مشاركة نشطة في الفتوحات الإسلامية ولم تعد إلى اليمن بعد إلا أنها اندمجت نسبياً ضمن الأعيان الجدد في العراق وسوريا ومصر والأندلس.

في المناطق حيث كان في السابق يحكم كبار الأقيال فطن التواليهم الذين بقوا أو أسموا أصحاباً لأراض غير كبيرة، وأخذ هؤلاء يوسعون نطاق سلطتهم بالتدريج وصاروا شخصيات ملحوظة في الحياة السياسية، وفي بداية القرن التاسع اشتهر في اليمن ملوك ((أي أقيال)) ثلاثة هم: يعفر في شبام، وأبو إسحاق الجعفري في المذيخرة، والشراحي في وصاب، وحكم أولئك في الأراضي الجبلية التقليدية وتحدثوا بأنهم ذو منشأ حميري رفيع، وتوجد قصة تدل على وجود الأقيال الثلاثة في عصر واحد أوردها الهمداني في معرض حديثه عن يعفر بن عبد الرحمن، وهو مؤسس دولة اليعفريين يقول: (لقد تعب الخشنيون والحضارمة الأصليون من النزاعات الداخلية التي عذبتهم واضطهادهم) فقرروا التصالح، وكان يلزم لأجل ذلك التعويض عن كل الفرق في الديات المتبادلة لقاء دماء القتلى، وحصل أنه كان على الخشنيين أن يدفعوا للحضارمة ثلاثين قتيلة، والعشرة منها لقاء دماء الرؤساء، ولم يكن الخشنيون قادرين على إنجاز ذلك فقرروا اللجوء إلى مساعدة ملوك اليمن، وزار والدهم يعفر أولاً فاستقبلهم بكل ضيافة وأعطاهم ما يطلبون في هذه القصة التي أتى بها الهمداني نجد أسماء ملوك اليمن الثلاثة وهم: يعفر وأبو إسحاق الجعفري والشراحي ٢١-١٠، ص ٧٧، أبو إسحاق هو أحد الجعافرة المناخيين، ملوك كلاع في العهد الإسلامي ١٨، ص ١٧٧، أي حكام مناطق اليمن الجبلية المركزية والمنافسين الرئيسيين لليعفريين الأول، ويقصد هنا بالأحرى جعفر بن إبراهيم المناخي الوريث والد إبراهيم بن ذي

مكلى الراجح [١٩١]، ص ١٠٢ – ١٠٣، ١٣٥، ص ١٣٦ و ٣٣٢، ص ١٨٤، [illegible]

(٣) كان الشاعيون يتحدرون من القيل ذي مناخ، وهو قائد جيوش أسعد الكامل، وقد حاربوا طويلاً نشيطاً ضد اليعفريين ولكنهم هزموا على يد الإسماعيليين [illegible] علي بن الفضل الذي جعل من ممتلكاتهم، أي منطقة كلاع، مسنده الرئيسي. والشراحيون هم حكام وصاب، وهي الجزء الغربي من مناطق اليمن الجبلية، وكانوا كذلك يملكون جزءاً من تهامة وزبيد قبل مجيء الزياديين، وكانوا أكبر حكام المناطق الجبلية الغربية في القرن التاسع [١٢٩]، ص ١٩ و ١٠١ – ١٠٤)). وكان [illegible] مستندهم، وقبل حلول الإسلام كان سكان الحصن يعتنقون النصرانية. وفي عهد الخليفة عمر اشتكوا له على اضطهاد ملكهم لهم [١]، وكانوا يتحدرون من عشيرة الأقيال ذي رعين الأعلما بأن هنا صياغة أخرى بأنهم كانوا يتحدرون من مناخ [٢].

إن قصة سحطة ويعفر ربما تكون غير صحيحة تماماً ولكنها تلخص التصورات العامة السائدة في القرن التاسع ولا سيما بخصوص أنه من أكبر حكام اليمن ثروة وقوة، وأنهم كانوا القادرين على استعادة الوفاق بين القبائل بواسطة هيبتهم ووسائلهم المادية مثلما فعل ذلك ملوك الماضي الحميريون.

وكانت العشائر الثلاث كلها تدعي بانحدارها من أقيال ذي سحر وذي مناخ وذي رعين، وسلاسل النسب هذه تبدو مشكوكاً فيها إلا أن ممالكها كانت واقعاً في المناطق الجبلية الرئيسية (المخلافات: كلاع – عدين، وصاب)) التي كانت في غابر الزمان حقاً مسكناً للأقيال.

لقد أورد الهمداني اسم عشيرة حميرية أخرى كانت لا تزال محتفظة بثروتها في القرون الوسطى وذلك اشتهرت بسخاء الحكام المتحدرين منها.

---

(١) [١٢٩]، ص ٧٧ [illegible]، [١٩١]، ص ١٧٣.

(٢) [١٩١]، ص ٣٣٢؛ [١٥٨]، ص ٢٢٨ و ٢٢٩.

ذلك هي عشيرة السحطيين، حكام متعاقبين في القرنين التاسع والعاشر الذين قال عنهم الهمداني: ((ولا أحد من الحميريين يستطيع أن يقول إنه أشرف منهم من حيث النشأة وهم كانوا من أسخى الناس بين الحميريين، سواء منهم الرجال أم النساء)) [١٩١]، ص ٧١ – ١٧٦. وكانت هذه العشيرة تعتبر من الأخلاف المباشرين الذين يحملون الوصف الأسعدي، إلا أن عشيرة السحطيين، خلافاً لسائر العشائر التي كانت أقل شهرة وأدنى منزلة بسبب أقل أملاك، لم تبرز نفسها بالقدر الكافي في حياة اليمن السياسية ولذلك لا يمكن إسنادها إلى عداد العشائر الرئيسية.

إن عدد وأهمية مثل هذه العشائر، التي حلت محل الأقيال السابقين، تزايدا بالتدريج، وكانوا يتحدرون من (التبابعة) الملوك الحميريين السابقين وهم آل يعفر، الزنجيون، آل وائل، وآل مهدي، آل الكرندي، بنو مجيد، الشراحيون، أي تسمى من مجموعة جديدة من أشهر العشائر.

وأورد أسماء هؤلاء الأفراد ((التبابعة)) من الملوك الحميريين العاملين في العهد الإسلامي، مع الاستشهاد بنشوان الحميري، في كتاب (التاريخ وصاب) [١٢٩]، ص ١٠٢، أي أن هذه المعلومات تؤرخ بالقرن الثاني عشر للعشائر الواردة أسماؤها في الكتاب المذكور والتي كانت في غالبيتها نشيطة في القرنين التاسع والعاشر، ويمكن اعتبار هذه القائمة تفسيراً متأخراً للأوضاع القائمة خلال القرنين التاسع والعاشر.

وإن في تاريخ وصاب: قال الكلاعي إن الحواليين هم إحدى السلالات السبع التي تنافسوا مع بعضهم البعض من أجل الملك، وهم آل يعفر، الحواليون، الشاعيون، الوائليون، الكلاعيون، آل مهدي، الكلائيون، الأكرندي، السماميون، بنو مجيد، الخداميون، آل سلامة، الشراحيون [١٢٩]، ص ١٩.

وقال ((الكلاعي)) إن الشراحيين هم من الملوك السبعة من حمير، أما الـ[illegible] الباقون: آل يعفر، الحواليون، ((انقطع النص)).

قال نشوان بن سعيد: ((إنهم)) حكموا اليمن في العهد الإسلامي خلال ١٥٠ سنة وحاربوا سلطان العراق والخلفاء حتى ترأسهم محمد بن يعفر الذي أصبح ملكاً لحمير

موت واليمن كلها؛ ومن ثم ابنه إبراهيم الذي وضع مبنى جامع صنعاء، و[illegible]
آل وائل: الكلاعيون، آل مهدي، الكلاليون، آل الكرندي، [illegible] لهذا فقد
حلي، فبعث والسماعيون؛ قارن مع ما ورد أعلاه، ص ١٩، بنو مجيد، [illegible]
مطر، الثاغيون ١٩٦، ص ٢٠٩.

لقد دار الحديث عن ثلاثة من هذه السلالات أعلاه: العواليون هم [illegible] ١٢٠١، ص ١٩٨ - ١٩٢)، الجعفر هم الناجيون والشراحيون هم الشراحي، آل الكرندي هم سلالة حكام منطقة المعافر (الملوك المعافر) ١٢٠١، ص ٢٣٩، انتسبت نفسها إلى سلالة سيامة بن الأسود من ذي الكلاع ١٢٠١، ص ١٩٥٩، وآل [illegible] بن حمال الذي ١٢٩١، ص ٩٨ و ٢٠٨)، والذي وصل هذه المنطقة الجبلية لليمن الغربية من مأرب ١٢٠١، ص ٢٢٨ - ٢٢٩)، أما أقرباؤهم من بني سعامة فقد حكموا من صنعاء (راجع ٩١، ص ٢٦٢) راجع بصددهم كذلك: ١٢٩، ص ٩٠، ١٠٧، ص ٦١).

وكان بنو مجيد القضاعيون في القرن العاشر حكاما للمناطق الواقعة على ساحل البحر الأحمر، تقريبا من باب المندب حتى عطا، وتحدث أولئك بأنهم متحدرون من الحميريين، مرتبطين بحمير عن طريق سلسلتي النسب قضاعة وخيلان، أي عن طريق سلسلتي النسب الأكثر إبهاما وتعقيدا والتين استخدمتا ببعض التوثيق، مثلا، لأجل أنساب شتى القبائل، وحتى القبائل العربية الشمالية إلى عداد الحميريين. في واقع انتمائهم للنسب إلى عداد الحميريين متعلق بجلاء برغبتهم في أن تكون لهم سلسلة نسب حميرية، مثلما كان حال سائر ((الملوك)) [1]، وكانوا أحيانا ما يلقبون بهم السيطرة على كل ساحل جنوب اليمن حتى عمان ١٢٩١، ص ٢٠ و ٤٦)، أما آل وائل الكلاعيون فهم حكام حصن وحاظة بمنطقة كلاع [2] وحكام منطقة مخيرة وعمليا كلاع كلها ١٢٩١، ص ١٩، (رؤساء قبائل الكلاع)، لقد تحدث الهمداني عن الحصن

(١) راجع ١٢٨، ص ١٩٨، ١٩٨، ص ٩٣ - ٩٣ و ٢٠٩ - ٢٠٩، ٢٢٨ - ٢٧٧).
(٢) ١٢٩، ص ١٩، ١٠٧، ص ٩١ - ٩٢.

[illegible] لم [illegible] ثم هذه المناطق [1]، ووجد أيضا متعلقا بالعهد الصليحي، ومن [illegible] آل وائل حلوا محل المناخيين الإسماعيليين الصليحيين بوصفهم حكاما [illegible] صنعون، وتحدثت عمارة اليمني عنهم متهكما فقال: ((إنهم خشن [illegible] انحدارا من صميم أخلاف آلم ١٧١، ص ١٤٧، من هنا يمكن [illegible] شأنهم شأن سائر الملوك، تحدثوا بإصرار بالانحدار من الأصل [illegible] ((أي السبئي)).

أما آل مهدي الكلاليون فهم الحكام الوارثون لحصن عثمة الواقع في منطقة [illegible] ٢٠ بصدد وصف الحصن والأطراف القروية والمناطق الخاضعة له [illegible] ١٢٩، ص ٢٠ [illegible] بسلالة مهدي راجع: ١٢٩، ص ٩٣ - ١٩٥)، وقد تحدث [illegible] شأنهم شأن جيرانهم الأكثر شهرة، بأنهم متحدرون من السلالة الحميرية [illegible] من فرع عبد كلال وهو أحد التبابعة المقربين لأسعد الكامل ١٢٩١، ص [illegible] مع أفول سلالة عبد كلال الذين اعتنقوا الإسلام ١٢٩١، ص [illegible] وبنو الهمداني ببعض مشاهير الساسة من أخلاف عبد كلال دون أن [illegible] ١٢٠١، ص ٢٢٨)، وترقى آل مهدي في اليمن الغربية (وربما كان آل [illegible] الكلاليون) في العهد التالي للقرامطة، في أواخر القرن العاشر، ومن المشكوك فيه جدا أن تكون هذه السلالة متحدرة من أصلي رعين وعبد كلال في الغرب [illegible] من اليمن ولا سيما أن أخلاف عبد كلال، كما كتب الهمداني، لم يكونوا [illegible] في القرن العاشر في اليمن في واقع الأمر ١٢٠١، ص ٢٢٨).

يمكننا أن نضيف إلى هذه القائمة الحكام الأصبحيين في منطقة أبين، ولا سيما [illegible] الذي عاصر الإسماعيليين وكان عدوهم اللدود، وكانت السلالة [illegible] إلى أقيال ذي أصبح [2]، وكان أبناء السلالة الحاكمة، حالهم حال أفراد

(١) ١٣، ص ١٦٣ - ١٦٤.
(٢) ١٣، ص ١٦٣ - ١٦٤ و ٢١٧؛ في النقوش كتب راجع: ٣٥٨، ص ٥٠، والنقوش،

شهم العزيز [illegible] – في القرن العاشر – في العديد من مواقع اليمن الجنوبية(١)

أواسط القرن التاسع [illegible] بعض أفراد آل [illegible] من العراق إلى اليمن [١٢٠٦، ص ١٥-١٧].

[illegible] سلالة النسب [illegible] حكام العهد الإسلامي [illegible] هؤلاء الحكام استمروا على أن يكونوا مواصلي وأسلاف الأقيال [illegible] بهم [illegible] على هذا الأساس، حتى القبائل التي [illegible] في [illegible] حل النزاعات القبلية [راجع فيما أعلاه [illegible]] [illegible] واليعفريين، وكانوا يسكنون أساساً في المناطق [illegible] الأقيال [illegible] وحيث الطابع [illegible] باستقلالهم، [illegible] كوكبان لدى اليعفريين، والمنطقتان [illegible] ومخلاف [illegible] حجرية [illegible] لبعض الممالك. وظهر الملوك كذلك جزءاً من [illegible] من [illegible] وصنعاء.

اتخذ هؤلاء الملوك [illegible] الحصون المستحكمة مراكز لهم في وسط ممتلكاتهم الأساسية؛ فاليعفريون اتخذوا كوكبان، والشاوريون [illegible]، والشراحيون [illegible] [لتحديد وصف الحصن راجع: ١٢٩، ص ٨٧ – ٨٩]، وآل [illegible] [illegible] أيضاً [لتحديد الوصف راجع: ١٢٩، ص ٩٢ – ٩٤]، وآل [illegible] [illegible] [لتحديد الوصف راجع: ١٢٥، ص ١٤٢ – ١٦٢]، وكانوا يسكنون هناك [illegible] كانوا يسعون لإخضاع العرب الذين [illegible] لأنفسهم، فاليعفريون والشاوريون أخضعوا صنعاء والشراحيون [illegible] وغيرهم من ملوك [illegible] ومخلاف [illegible]. ويمكن تصوير طابع هذه الممتلكات السلالية على مثال وصف كوكبان: من ممتلكات اليعفريين الرئيسية [راجع: ١٢٩، ص ٢٢١ – ٢٢٢]. هذه منطقة شاسعة لها أراضيها ومستوطناتها مع الناس التابعين واستحكاماتها العسكرية ومواقعها [illegible]، وكان يقع في شاهرة(٢) ضريحهم السلالي وكانوا يتصدقون بالأراضي للمساجد من أملاكهم الواقعة في شاهرة [٦١، ص ٢٥٨ و٢٦٦].

---

(١) [راجع مثلاً: ١٢٥، ص ٢٦ و٣٩ و٦٠ – ٤٠٥].

(٢) شاهرة قرية تقع في منطقة [illegible] شمال [illegible] العاصمة صنعاء. المترجم.

[illegible] هؤلاء الملوك أساس استقلالهم السياسي وحدودهم، [illegible] العبيد المحاربين (المماليك)، والموالي – الناس التابعين [illegible] [illegible] من أهله، مثلاً، في نضال اليعفريين للاستيلاء على صنعاء [illegible] [illegible] الموالي)) [٤٦، ص ١٤٤ – ١٨٥، و ١٧٧]. [illegible] الزارعين التابعين [illegible] (العوامل)) والموالي، الذين برزت بينهم أسرة الطريفيين بشكل خاص، [illegible] على أملاك من الأراضي الواقعة في المناطق المختصة [راجع مثلاً ٤٣، ص ٢١٩] [illegible] على الثانية جعلوا من أنفسهم مستقلين، واضطر اليعفريون إلى التحالف [illegible] مع الإمام يحيى الهادي من جراء تمرد مواليهم [٢٤١، ص ١٨٨]، وحارب الإمام يحيى [illegible] في سهل صنعاء [٢٤١، ص ١٩٨].

[illegible] هؤلاء الأمراء والزعماء المشائخيون وأحياناً يسمون أنفسهم ملوكاً [illegible] صراعاً نشيطاً فيما بين بعضهم البعض مستخدمين في ذلك دائماً القوى [illegible] الخارجية (الفارن مع ما ورد أعلاه). السلالات [illegible] الذين تطامحوا مع [illegible] من أجل الملك ([٢٩٤]، ص ١٩]، وقد استمال الشاوريون، مثلاً، إلى [illegible] النضال ضد اليعفريين رؤساء القبائل، الذين تنازعوا معهم، وساعدوا في تقدم [illegible] إلى الإمام، ولم يتحالفوا مع ابن الفضل ضد الأصبحيين، وهم حكام [illegible] من جراء ذلك الطريق أمام الإسماعيليين إلى ممتلكاتهم التي استولوا عليها [illegible] أن يفوتوا الفرصة السانحة، وكان العداء المتبادل بين الملوك اليمنيين أحد أسباب انتصارات الإسماعيليين السريعة في اليمن الوسطى.

لا نكاد نعرف إلا القليل جداً عن جميع هؤلاء الملوك أو الزعماء المشائخيين الإقطاعيين، ولكننا لا نعرف شيئاً عن صلاتهم مع الجهاز الإداري العسكري. ويتميز الملوك الأصليون الذين نعرف عنهم أكثر، اليعفريون مثلاً، بأنهم كانوا يجمعون بين الاستقلال السياسي واستخدام تلك الوسائل لممارسة السلطة، التي كانت تسهم فيها مشاركة الخلفاء في حكم البلد، وبرز اليعفريون كذوي مناصب عسكرية، فكان يعفر، على سبيل المثال، قائداً عسكرياً لدى مولى الجُنْد، وسعى أولئك إلى الحصول على منصب الولي من الخليفة، الأمر الذي كان يعني الاعتراف بسلطتهم على اليمن.

وقد حصلوا فعلا على منصب مولى صنعاء (النظر لا على اليمن كلها) لمدة طويلة
نسبيا، وسعى اليعفريون لإقامة علاقات جيدة مع الخلفاء والوزراء، وكان ...
يحسبون الالتفات إلى اليعفريين.

إلا أن هؤلاء الملوك كانوا في نزاع دائم مع موالي الخلفاء ولم يرغبوا في الاعتراف بسلطتهم بأي حال من الأحوال، وكان الحصول على لقب مولى صنعاء الاستقلال القانوني شخصيا لتأكيد السلطة والنفوذ، لأن المولى عادة يكون ممثلا للخليفة والدولة المركزية التي تتحدى سلطة الحكام المحليين وتحد من نفوذهم، وتميز في هذا القرن ما وصفه الهمداني بحصن شبام أقيان، وهي المسند السلالي اليعفريين: ((إن شبام ... قرية حيث يقع مركز مملكة بني حوال، وإليها هرب يعفر بن عبد الرحمن الحوالي ومن ((التشير)) الذي يسميه الفرس باسم التشير وأصبان، ومن جعفر بن دينار بن العباد وعند هجومهم وشتاتهم)) [١٢٥١]، ص ٣٣١ - ١٢٣٣، وكتب نشوان بن سعيد في القرن الثاني عشر عن القاسميين [٨٨]، ص ١٦٧، قائلا ((إنهم هبوا ضد سلطات العراق وكذلك الحواليون ((اليعفريون)) فلم يخضعوا للخلفاء من القرشيين)) لقارن مع ١٢٩، ص ١٠٢ من العباسيين). ولم يعني المنصب المشغول في المراتبية الإدارية العسكرية لأنهم إمكانية الحصول على الأملاك والسلطة والتحول إلى حكام مستقلين، كما كان يحدث ذلك غالبا ما في دولة الخلافة (من المثال اليمني - الزياديون في تهامة) أن هيأها وجود المخططات الموروثة والناس التابعين، وهذا الأمر بالذات هو الذي جعل قاعدة استقلالهم وأساس تحديهم وإشغال منصب في المراتبية الرسمية، وقد تم سحق الملوك هؤلاء في معظمهم في أواسط القرن التاسع من جراء حركة الإسماعيليين، ومن ثم جرى اضطهاد وإضعاف اليعفريين، الذين انتصروا على الإسماعيليين، على يد الصليحيين والزيديين، وأما في أواسط القرن الحادي عشر فقد عادوا إلى حالهم السابق بوصفهم حكاما لحصن كوكبان وأطرافه، كما عاد الملوك الآخرون أيضا إلى حالهم السابق بوصفهم حكاما - أمراء إقطاعيين صغاراً، وقد انكمشوا في كيان الوحدات الاقتصادية المعزولة نسبيا - المشاعيات القائمة في الوديان، التي كانوا

يسيطرون عليها، كما ولا زال هؤلاء يؤلفون الجزء الكبير من الطبقة السائدة الإقطاعية ولكنهم كانوا يشغلون مكانا أقل في الطائفة الحاكمة.

وفي القرن الحادي عشر حصر هؤلاء الملوك المنافسة مع الأعيان الهمدانيين الجدد، ومع سائر المحيطين بالصليحيين الذين كانوا يعتمدون على الإسلام والعروبة وليس على التقاليد الحميرية وفي قوائم الحكام المتحالفين الذين احتفظ بهم علي الصليحي وكرههم ((أي كانوا ضمن فئة أكبر الحكام الإقطاعيين للأراضي التابعة الخاضعة لهم)) كانت لا تزال تصادف أسماء أفراد سلالات الملوك ((الحميريين)): ابن الكرندي وابن التبعي ووائل الوحاظي، وفي أوائل القرن الثاني عشر وردت في قائمة السلاطين اليمنيين، الذين طردوا المبعوث الفاطمي ابن نجيب الدولة وحكموا البلاد فعليا في عهد الملكة السيدة الحرة، وردت أسماء سلالة السخاسين يحكمون قوام القائمة بقليل، ومن ضمنها الهمدانيون والخولانيون الذين صاروا أعيانا بعد تزايد الصليحيين غير الأسلويين وبالتوازي معهم.

لقد نال أفراد سلالة الصليحي وأقرباؤهم من بني شهاب وقادتهم العسكريين حصصا من الأرض في شتى مواقع اليمن المتحدة تحت حكم الصليحيين، وكانت هذه الحصص قريبة من ممتلكات الأقيال من حيث نمطها - حصن وضاحية غير كبيرة ذات قرية أو قرى، وأزيح أصحاب الحصون السابقون، وأصبح الملك دائما على المركز الرئيسي في المجتمع وكان يجري صراع مرير من أجل امتلاك الحصون، وكان العديد من الحصون وحصص الأرض في بداية الأمر أملاكا مؤقتة اصطلاحية ولكن سرعان ما صار الأعيان الصليحيون (مثلا، صاحب حصن التعكر المفضل بن أبي بركات) أصحابها الكاملين المطلقة [1].

في واقع الأمر كانت أملاك وحصون الأعيان الصليحيين مرحلة في تطور الملكية الإقطاعية على النمط ((التيكي)) القائم على أساس الأملاك المستقلة لهذه الدرجة أو تلك والعائدة إلى الإقطاعيين المتوسطين الذين في بعض الأحيان، لا سيما في حال ضعف

[1] الرازي، ١١٧، ص ٤٦ و ٦٢ و ٧٠ - ١١٩، ١٠١ و ٣٦ - ٣٢٠ و ٣٢٧ و ٩٤ - ٣٥٠، ٩٤، ص ٣١٨ - ٣٢٩.

بعظمة(١٣٢١)، المجلد ٥، ص ٢٠٩، ١٨٠؛ المجلد ٤، ص ١٨٠ - ١٨٤؛ المجلد ٣، ص ١٣٢١ - ١٣٢٦). ولم يقبل معظم المذحجيين هذا، ولقد رأسهم حركة عبهلة الأسود بالتحالف فيما بعد، خاصة قيس بن المكشوح ضد عبهلة وضد المسلمين والأبناء فحاول طرح المحكم ليس على المذحجيين وحدهم بل وعلى اليمن كلها وانتهت مني بالفشل، وفي قصة النبي الكاذب ((عبهلة)) بالذات يمكن رؤية نوع خاص من الأعيان القبليين، لقد أصبح هذا المطامع، أي أحد أفراد الصفوة القبلية، زعيما سياسيا وتحلى بلقب الملك مقلدا الملوك الحميريين على الكشوف.

وكان زعماء الكنديين الحضرميين أيضا يسمون أنفسهم بالملوك، شأنهم شأن الحكام الحضرميين الأصليين وقادة الأقيال المحليين ((العباهلة)) وآل بن حجر، وفي الحجر الجاهلي برزت وسط الكنديين بشكل خاص سلالة قيس بن معدي كرب الثري والقائد الذي بجله الشاعر الأعشى، فكان ابنه الأشعث يحمل لقب صاحب مربع حضرموت، وكان ذلك يعني أنه زعيم عسكري معترف به.

لقد عكست قصة رحلة الأشعث إلى النبي محمد ﷺ النافسة القائمة بين الأشعث وسائر الرؤساء، وخلافا لما حدث بفروة بن مسيك فقد أكد النبي محمد ﷺ على حقوق ملوك حضرموت التقليديين، ورغم ذلك فقد وافق الأشعث في حينه على تزعم تمرد الكنديين على أوائل المبعوثين الإسلاميين بشرط أنه سيعترف به بوصفه ملك حضرموت، وجرت مراسيم التويجه ولكن التمرد مني بالفشل (٧١، ص٣٦)، وبعد قمع الردة غادر الأشعث والجزء الكبير من الكنديين وكذلك رؤساء المذحجيين، غادروا اليمن، كما غادرها، من المتوقع، معظم الكنديين لأن دور أعيانهم أصبح أقل بكثير من دور أعيان المذحجيين، ولكن، كما هو الحال مع الأقيال، بقي في البلد الأعيان والرؤساء بالقدر الكافي كي يواصلوا التقاليد والصراع من أجل مراقبة جميع شئون اليمن.

إن أعيان القبائل، المترحلة منها وشبه المترحلة، كانوا أقرب إلى الغرباء بالمقارنة مع الأعيان الإقطاعيين الأصليين -الأقيال- من حيث تقاليدهم الثقافية والاجتماعية وقد ظهر لدى هؤلاء الأعيان قبل حلول الإسلام سعي للتشديد دورهم السياسي في

السلطة المركزية، فكانوا يسيرون حكام البلاد الرئيسيين، فكانت السلطات والإمارات الصغيرة القائمة في جنوب الجزيرة العربية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين استمرارا لهذا النمط الإقطاعي.

لو سار تطور الدولة السابقة في هذا الاتجاه فقط لكان من الممكن التحدث عن أن الإسلام لم يغير بالكاد شيئا في القوام النوعي للفئة الحاكمة، لكن الأمر كان مخالفا لذلك.

لقد أصبح أعيان القبائل المترحلة في الجزيرة العربية، الذين كانوا موجودين في أطراف الدولة الحميرية، بمثابة أحد العناصر الرئيسية للفئة الحاكمة، إن لم نقل عنصرها الرئيسي، وذلك بحلول الإسلام، وفي القرنين الثاني والثالث للميلاد كان أعيان الرحل منفصلين عن مراتبية الدولة الوطنية، إلا كان الكبراء اليمنيون يقودون البدو الأعراب، وفي القرنين الخامس والسادس دخل أعيان القبائل في قوام مراتبية الدولة اليمنية وتلقبوا بالألقاب الحميرية فسموا بلقب ملك وقادة عسكريين أو ملوك - موال، وكانت حتى سلطاتهم التقليدية تشكل أحيانا كجزء من أجزاء نظام الدولة الحميرية، فمثلا، يزيد بن كبشة، وهو زعيم الكنديين في عهد أبرهة، كان موالي ملكيا في قبيلته بالذات.

وقبيل الإسلام عندما تشكلت القبائل المترحلة في شمال اليمن عموما، غدا رؤساؤها شخصيات عامة هامة في السياسة اليمنية، وفي مطلع القرن السابع عقدت في مذاب ((الجوف)) معاهدة تحالف بين رؤساء وأشراف بني خولان ومذحج والحارث بن كعب وآل عبد المدان المحافظة على كعبة نجران، وذلك ضد الفرس الذين استولوا على اليمن (٦١، ص ٣٦ - ٣٨).

وفي نفس الوقت تطور، داخل مجموعة مذحج، نضال من أجل تولي منصب الرئيس تصادم الشاعر عمرو بن معدي كرب، الفارس والشاعر المشهور المعترف به من قبل الأكثرية، ومنافسيه ((أحد الأعيان)) فروة بن مسيك وقيس بن مكشوح، حاول فروة أن يتزعم مذحج كلها، وبعد أن اعتنق الإسلام في المدينة المنورة نال من النبي محمد ﷺ المنصب المرغوب فيه ((أن يصبح موالي بني مراد وزبيد ومذحج)) أي قبيلة مذحج

الشئون اليمنية بالإضافة إلى سعيهم للانتماء إلى المراتب الاجتماعية في البلاد، الأمر الذي تطابق مع الميول الجذرية لسياسة الإسلامية القائمة على وحدة الأمة المسلمة العقيدة والهدف بدلاً من النعرة الإقليمية وحفظاً جعل اليمن جزءاً عضوياً في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والحضاري من الدولة الجيزية العربية الناشئة للعرب وفيما بعد الدولة الإسلامية الشاملة.

في واقع الأمر نجد أن تعزز مواقع أعيان القبائل أسهم في إشاعة الإسلام بأسرع على نطاق البلاد، ومن المميز أنه تم بلوغ قمع الحركات المحلية المناوئة للدولة المركزية فقط في حال انضمام قبائل الحدود الشمالية إلى فصائل الرسل المسلمين، وكان قبائلهم من نصرة وجموع العبيد من رؤساء القبائل هؤلاء فقد أصبحوا بالتدريج الدعامة الرئيسية للإسلام وأحد العناصر الرئيسية للمراتبية الإدارية العسكرية في العهد الإسلامي، وهذه المشاركة في السلطة الرسمية، من جهة، كانت تعكس شأنهم السياسي الواقعي وكانت تسهم، من جهة أخرى، في تعزيز سلطتهم ونفوذهم السياسي واستقلالهم.

في مجرى هذه العملية، بموازاة الاسم التقليدي للزعيم «السيد» أخذ يستخدم في مطلع القرن التاسع أكثر فأكثر لقب الأمير والسلطان اللذين يعنيان من حيث المبدأ منصبين إداريين عسكريين، وكان ذلك في الصياغة اليمنية بمثابة الاعتراف الواقعي بالسادة على أنهم ممثلون عن السلطات المركزية وقادة عسكريون يستعيضون في الواقع عن أية سلطة أخرى (٢٢٢، ص٢١٩). وقد أطلق المؤرخون اسم الأمراء والسلاطين على سادة القبائل.

وأول من برز منهم في العهد الإسلامي كان أعيان قبيلة الحارث بن كعب، هذه القبيلة (التي كانت تسكن منطقة نجران منذ زمن بعيد)، والذين اعتادوا التعايش مع السكان المتحضرين ومع سلطات الدولة قد غدوا معاونين «نواباً للموالي» الحجازيين والشوام، مزاحمين بالتدريج في هذه المناصب أوائل معاوني سلطان الخلفاء «الأبناء». وكان بعض الأسر المشهورة للقبائل العبد المدان من قبيلة الحارث بن

كعب وبنو شهاب من قبيلة كندة) الذين استقروا في صنعاء العاصمة عن طريق تولي مناصب الوالي (فيقلدوا فيها نفوذاً وثروة كبيرين).

في القرن التاسع، عندما تقوى الرؤساء القبليون للقبائل اليمنية الجبل الشمالي وضعفت ولاية الخلفاء على اليمن، برزت بعض الشخصيات الخطيرة وأتباع الذين في عداد أعيان القبائل التي تملكت كثيراً في الأراضي اليمنية واستقرت حولها واستحصدت مع السلطان الأساسيين. ففي بداية القرن التاسع عندما برز اليعفريون كقوة في سهل صنعاء أصبح سيد قبيلة بكيل همدان الدعام بن إبراهيم حاكماً فعلياً لحد كبير من الشمال (الجوف). وقد أدى تخلي الدعام عن تدعيم العون إلى السقوط الفعلي لإقليم اليعفري وإلى حرمانه من لقبه كحاكم الخليفة، وبسط الدعام لذا الصعيد سلطته كذلك على أملاك اليعفريين وأثبت موقعاً حتى في صنعاء ومن ثم أزيح من هناك من جراء الفعاليات المشتركة اليعفريين والموالي العباسيين ومناهضيه الرؤساء القبائل الأخرى). وحالت مقاومة الدعام دون تحرك الإمام الزيدي يحيى إلى صنعاء وعندما غير الدعام موقفه فتح الطريق أمام يحيى إلى عاصمة اليمن، فكان الدعام يؤيد اليعفريين في النضال ضد الإسماعيليين، وكان أحد الشخصيات الرئيسية في هذا النضال، وفي جوهر الأمر، فإن الدعام شارك في جميع الأحداث الأساسية الجارية في اليمن في القرن التاسع"[1].

وفي نفس الوقت كان يسند الدعام أحد رؤساء المذحجيين أبو العشائر أحمد بن رواية، لقد نزح المذحجيون إلى المناطق الشرقية من النجد اليمني منذ زمن بعيد نسبياً وكانت ممتلكاتهم تتخلل بمستوطنات الحضر وأراضي صغار الحكام، وكرس أبو العشائر نشاطه بالقدر الكبير لتوسيع وتكتيل الممتلكات المذحجية، الأمر الذي أسهم في زيادة نفوذه الشخصي وسط القبائل المذحجية.

[1] المرجع ١٣٣، ص ٦٧ و ١٧٩ – ١٨٠ و ٤٤٨؛ ١٦، ص ٢٣١ – ٢٤؛ ص ١٩٤ – ١٩٥ و ١٧١ – ١٩٠ و ١٨٤ – ١٨٥ و ١٩٦ و ١٩٩ و ٢٠٦؛ ٣٤٠، ص ٢٣٦ – ١٨١

وكان قد ساعد نجاح اليعفريين التحالف مع قبيلة مذحج ولا سيما مع القبائل ...
المتمركزة في مخلاف مذحج في الأراضي الصخرية الأسفلة الواقعة شرقي صنعاء ...
ثم أبو العشائر بالاشتراك مع الدعام ضد إبراهيم بن يعفر وبعد ذلك ...
العشائر مع الدعام، وساعد في طرده من صنعاء، عندما تقدم الزيديون ...
الهادي يحيى استطاع أبو العشائر كذلك بدور كبير، أنه تزعم ...
للمذحجيين التي ... الزيديين، وأصبح أبو العشائر وأعيان المذحجيين ...
مكانة ... القوى الرئيسية التي ... الزيدية والإسماعيلي علي بن الفضل
والمناسبات السياسية لأبي العشائر والتوافقة على ... شتى القوى ...
مع ... بالاعتراف بسلطته العليا على جميع الأراضي المذحجية التي كانت مرتبطة ...
على نطاق البلاد كافة، وقد ظل التحالف المذحجي وكان رمزا لوحدة القبائل ...
كانت تسير قبل الإسلام ... وراء رئيس واحد، أما رؤساء الحارث بن كعب فقد
ربطوا مصيرهم في القرن التاسع بوثوق مع الدولة الزيدية، وكان الجيش ...
جيش الإمام الهادي يتألف من القبائل ...، وبعد أن ضعف اليعفريون في أواسط
القرن العاشر أخذ رؤساء شتى القبائل يتنافسون بنشاط في النضال من أجل مدينة
اليمن الرئيسية - صنعاء، وبرزت بشكل خاص سلالة الضحاك (الأعيان من قبيلة ...
... الهمداني)، وأعيان خولان وزعامة ابن أبي الفتوح [1] في أواخر القرن العاشر
... رؤساء القبائل يتحدون تارة في النضال ضد شتى الأئمة الزيديين ويتصارعون مع
بعضهم البعض تارة أخرى، واشتد استقلالهم بقدر كبير، فإذا كانوا في القرن التاسع
متحالفين مع القوى السياسية الرئيسية رغم أنهم كانوا متنفذين ففي أواخر القرن
العاشر أصبحوا قوة مستقلة.

ولقد أخذت قبيلة همدان تحتل المرتبة الأولى بجلاء أكثر فأكثر، وهي القبيلة
التي اندفع منها السكان المترحلون النازحون والأفراد المترحلون المحليون للشعوب
العريقة قبل غيرهم، وهذه القبيلة المؤلفة من الرحل والحضر كانت دعامة هامة

---

(1) الراجع: ... ص ٤٢ - ٤٣، ... ص ١٣٩ - ١٤٠.

للأئمة. وكان بعض أفرادها يذكرون أكثر مما يذكرون رؤساء القبائل الأخرى ...
ويسمهم الآخر يذكرون ... الإقطاعيين المتحمسين على غرار الأقيال، أما
على الصليحيين ... قبيلة همدان إلا أنه لم يكن ينتمي إلى أعيان ...
الأقيال، ويرافق ترقيه السياسي بناؤه الهوية الاجتماعية أيضا، فقد برز ...
الدولة الإسماعيلية ... وفي بداية الأمر حصلنا على قطعة أرض على السائل ...
... المزارعون والقبائل ... في ضواحيه ... على هذا ...
الإقطاعي من النوع التقليدي، وبعد ذلك بدأ النضال من أجل صنعاء ...
الدولة الصليحية تحول الأعيان السلاطيون الهمدانيون إلى حكام إقطاعيين
أصحاب الحصون الآتي أن في جوهر الأمر تحول أعيان القبائل في هذا المثال إلى
إقطاعيين ...

إلا أن علاقاتهم بأفراد القبائل والتي قامت على أسس من التعاضد والتعاون
المتبادل - القبليين، كانت هي الرئيسية بالنسبة لعدد كبير من أعيان
القبائل، وفي أيام الملكة السيدة الحرة انتعش بشكل خاص أعيان قبيلة خولان الذين
استوطنوا في مخلاف جعفر، ومن جراء بعض حركات التمرد التي قامت بها عشيرة ...
الخولانية ضد الملكة ترقت هذه العشيرة إلى مقام أعيان الدولة الراقين، وهؤلاء
الأعيان أيضا فقدوا بالتدريج روابطهم مع القبيلة وأصبحوا أحيانا إقطاعيين ...
ذوي حصون وأملاك من الأرض.

وبموازاة هؤلاء الأعيان الخولانيين والهمدانيين اشتهرت في نفس تلك الأحداث من
تاريخ الملكة الصليحية أشخاص كانوا يسمون بوجوه القبائل وقد وصلوا بالذات
الاضطلاع بالدور الكبير وأحيانا الرئيسي في سهل صنعاء وفي شمال اليمن، واحتفظوا
بقواتهم العسكرية ونفوذهم على الجزء الأكبر من السكان وكانوا ممثلين من أفراد
قبائلهم المديدة في وجه شتى السلطات الخارجية ولذلك مارسوا تأثيراً كبيراً في مجرى
الحياة السياسية للدولة الصليحية والزيدية والرسولية.

كانت جميع الدول في اليمن القروسطية تعتمد بالقدر الكبير على مساندة رؤساء
القبائل وكانت تتبع لهم في الكثير من الأمور، وفي ظل مثل هذه العلاقات المتبادلة

الوظيفة مكان من المحتمل أن تنتج حصيلتان: في الحالة الأولى تتمتع (أسماء الإقطاعيين) الأعيان الإقطاعيون فكانوا فئة واحدة للطبقة السائدة الإقطاعية وتقمصوا بروابطهم مع مجموعاتهم القبلية، وعلى هذا الغرار جرت الأمور في دولة الصليحيين، فتشابه ذلك بقدر ما ((الإقطاعية الحميرية)) بين أعيان القبائل المرتبطة خلال القرنين الخامس والسادس، وفي الحالة الثانية انتهى ذلك بشكل أسطع في الدولة الزيدية)) فقد حافظ أعيان القبائل على أنفسهم بوصفهم ممثلين عن جماعاتهم العشائرية - القبلية، واستقروا في وضعهم بموازاة أعيان الجماعات الناشئة مجددا والذين نزحوا من الخارج وكانت حقوقهم تعلل وتبرر بالقدر الكبير بانتسابهم إلى التراتبية الإدارية العسكرية الإسلامية أو إلى الصفوة الدينية الإسلامية (آل النبي محمد ﷺ).

لقد استوطن النازحون منذ زمن بعيد في اليمن، وكان كل غزو عسكري في القرون الوسطى المبكرة يؤدي إلى حدوث تغيرات ديموغرافية، وبعد الفتوحات الحبشية لم يظهر في اليمن الموالي فحسب بل كذلك النازحون الأحباش الذين استوطنوا في تهامة بالمقام الأول، وأثار الفتح الفارسي نشوء فئة الأبناء وهم أبناء المحاربين الفرس الذين صاهروا اليمنيين، واستمر هؤلاء النازحون في الحفاظ لمدة طويلة جدا كجماعات اجتماعية - سلالية منعزلة إلا أن روابطهم مع موطن أسلافهم غالبا ما كانت تنقطع وأصبحت عائلاتهم وخصائصهم السياسية والثقافية ذات طابع يمني، والمثال على ذلك هو القائد العسكري الحبشي أبرهة الذي لم ينقطع عن الحبشة في القرن السادس فحسب بل كذلك صار ملكا حميريا وأصل التقاليد الثقافية والسياسية للدولة الحميرية.

وكان من نتائج انضمام اليمن إلى قوام الدولة الإسلامية في القرن السابع تدفق الموالي والإداريين والقادة العسكريين والجند وفقهاء الدين الناشئين من الحجاز إلى جنوب الجزيرة العربية، وأسهم نشاطهم العملي بالقدر الكبير في تغيير وتطوير الأمور الاجتماعية والثقافية وغيرها في اليمن، وكانوا يؤلفون الحلقات العليا لمراتبيتها الإدارية العسكرية وكان يتبعهم أعيان القبائل المحليون وأهالي المدن الوجهاء والإقطاعيون المحليون، وعلى امتداد المرحلتين الأموية والعباسية المبكرة غالبا ما كان هؤلاء الموالي

والزيدية يتمايزون ويتمتعون بمكانة في البلاد ما تزال قائمة دائما إلا أنها لم تكن لتنال من جهة خواصها)) جماعة عليا اجتماعية كبيرة تميزت بروابطها الوثيقة مع الدول السياسية الناشئة خارج حدود اليمن ومع التقديس الديني لسلطتها، وأحيانا ما كان يتقلد منصب الوالي ما يشبه الأسر (مثلا: السكاسكيون، وهم أشباه الحجاج، وبنو زياد وغيرها الذين كانوا مستقلين عمليا إلخ))، ومثل هؤلاء الحكام استقروا في البلاد لمدة طويلة، وكان يمثل معهم أقرباؤهم وأنسباؤهم والجند من مناطقهم، ورغم أن هذا الوسط لم يكن بكبير العدد فإن الارتباط الوثيق مع السلطة والحكم جعله عنصرا مهما بين عناصر الفئة الحاكمة، ولا سيما أن الكثيرين منهم يمتلكون الأملاك والأراضي والمصالح التجارية في اليمن.

وكان بمثابة فئة خاصة ممثلو وزعماء شتى الحركات السياسية الدينية الإسلامية الذين حاولوا أن يجدوا في اليمن دعامة لإقامة دولهم، وكان هؤلاء ممثلي شتى أنواع التيارات الشيعية وشبه الشيعية، وبالمقام الأول الزيدية، وكان وصول الإمام الزيدي يحيى إلى اليمن بمثابة حافز لأن ينتقل إليها عدد كبير من أفراد أسرة النبي محمد ﷺ الزيدية في مطلع القرن التاسع، وتبعتهم كذلك مجموعات أنصارهم من شتى أرجاء العالم الإسلامي ولا سيما من طبرستان حيث كانت قائمة أول دولة زيدية، وهؤلاء النازحون بالذات شغلوا المواقع الرئيسية في مراتبية الدولة الزيدية، وأصبح آل النبي محمد ﷺ ((السادة والشرفاء)) قضاة تحكيم في النقاشات الناجمة بين القبائل وتملكوا الأراضي بالتدريج ومارسوا التجارة، وفي القرون الوسطى المتأخرة كما في الشمال الزيدي وكذلك الجنوب الشافعي تكونت فئة عليا منعزلة ومتفتحة الثقافة من ذلك النظام المراتبي التقليدي من بين أفراد السادة (آل النبي محمد ﷺ).

كانت هذه الفئة الأرستقراطية الدينية تحصل في الدولة الزيدية على الجزء الكبير من الرسوم المجباة، مستقلة كذلك أن اقتطاع الخمس، وفقا للأصول الإسلامية المبكرة، مخصص لأجل إعالة أفراد أسرة النبي محمد ﷺ، وأقام الأعيان الدينيون الزيديون علاقات وثيقة مع أعيان القبائل التي أصبحت من أوائل حلفائهم، ونشأ نظام أصيل كانت تتشابك فيه التراتبية القبلية والتراتبية السياسية الدينية للدولة

الزيدية. ورغم أن الأئمة الزيديين سعوا حتى أواسط القرن العشرين إلى قمع استقلال رؤساء القبائل فإنهم بالذات ظلوا دائما يعتمدون عليهم، وأتاح هذا الأمر لرؤساء القبائل الاستقلال والتأثير على مجرى الأحداث السياسية، ذلك التأثير الذي لا سابقة له في العالم العربي.

تميز جميع البلدان الإسلامية من عهد دولة الخلافة واستقلاليا بوجود شكل الفئات السياسية المتنفذة، المتألفة من النازحين والمرتبطة مع القوى السياسية الخارجية والجزء النازح من الطبقة السائدة حمل معه ووسع في اليمن تلك التطورات التي جعلت شعوب الجزيرة العربية جزءا من العالم الإسلامي الواحد والتي ميزت بين اليمن الإسلامية واليمن الحميرية وكان لهذه التطورات أثرها الكبير في إزالة النعرة والتعصب إلى حد ما، حتى بعد الحكم الأموي فأثار تلك النعرات القبلية واستغلها لصالحه سياسيا، وانعكس ذلك فيما بعد على الساحة اليمنية وبصورة سلبية.

وكان ثمة جماعة من جماعات الفئة الحاكمة، هي نازحة في أصلها واصطبغت بالصبغة اليمنية ورغم ذلك فإنها أجنبية غريبة، وتنحصر مصادرها عند ظهورها حتى اضمحلالها التام تقريبا بعد الازدهار والترقي في مدى القرون الوسطى المبكرة، هذه الجماعة هي الأبناء الذين كانوا يؤلفون الجزء الكبير من قمة أهل اليمن قبيل نشر الإسلام وبعده، باسم الأبناء كان يسمى في اليمن نسل المحاربين الفرس الذين أخضعوا اليمن للساسانيين في أواخر القرن السادس وقد ارتبطوا باليمن أرضا وشعبا متزوجين بنساء من العشائر الحميرية المحلية[1] لقد كان الأبناء منذ تواجدهم الأول في اليمن الأداة الرئيسية للحكم الفارسي، وكانوا يشغلون المناصب الهامة في الشؤون الإدارية ويجبون الرسوم التجارية في صنعاء وعدن، وصاروا تجارا وأصحاب أرض، وقد كانوا بالذات يمارسون تنظيم استخراج خام الفضة ويملكون مناجم الفضة[2].

(1) [illegible] ص ٩ ، [illegible] ص ٢٣٩ – ٢٤٠ ، [illegible] ص ٢٢٩ ، [illegible] ص ٩ – ١٠ ، ٢٥٧.

(2) [illegible] ص ٢٢٦ ، [illegible] ص ٩٠ – [illegible] ، الوركاني ١٢٣ – ١٢٤.

وفي العصر العباسي تصادمت مصالح الأبناء مع مصالح معظم القبائل الشمالية المرتبطة بالسلطة [illegible] ذمار وبني زبيد وخولان والحارث بن كعب والنصرانيين ضد الفرس الذين تحالفوا مع بني همدان، وتحول النزاع إلى معارك بين الشهابيين والهمدانيين المحلية، وبعد [illegible] وظهرت حركة ((النبي الكذاب)) عبهلة الأسود استمرارا لهذا النزاع بقدر ما [illegible] الأسود ضد الأبناء الأنصار السلطة المسلمين، وكانوا قد خضعوا ظاهريا لسلطة [illegible] على صنعاء وتمكنهم بمساعدة اليمنيين المسلمين من [illegible] أعدموا واحتزوا رأسه على جبهة، إلا أن عليهم قيس بن المكشوح، وهو أحد رؤساء مذحج، سرعان ما انقلب ضد الأبناء وحاول طردهم من البلاد.

بعد بداية إقامة سلطة المسلمين أصبح الأبناء من أوائل معاوني الوالي وأحيانا كان يعين الوالي من عدادهم وكان نواب ((معاونو الوالي)) يعينون من عداد الأبناء إلا أن النفوذ السياسي للأبناء أخذ يضعف بالتدريج، وانعكست محاولتهم للحفاظ على تفوقهم في تلاشي الأبناء بسبب حقوقهم مع أهالي صنعاء في بداية النصف الثاني من القرن الثامن وفي ذلك الوقت ظهرت الشور في المرة الأولى ولربما كانت لديهم من أيام النبي محمد ﷺ، وهي شهادة تؤكد حق الأبناء في السلطة في المدينة، وأيد موالي الخليفة تعهدات الأبناء،[1] وقد حافظوا على مواقعهم بعد ذلك لمدة طويلة وفي نهاية القرن الثامن تدعم وضع الأبناء من جراء اشتداد نفوذ الفرس في دولة الخلافة، ولا سيما الوزراء البرامكة ((كان أحدهم موليا في اليمن خلال بعض المدة)).

إلا أنه قوي كذلك منافسو الأبناء ((العرب)) المستقرون في صنعاء بنو شهاب والأبناويون وسائر جماعات الأعيان الإقطاعيين وأعيان الدين الجدد. كان الوالي المصريون من القبائل يضطهدون أحيانا الأبناء بشكل سافر، وفي القرن التاسع انقسم سكان صنعاء إلى معسكرين: العرب الأصليين ((القحطانيين)) والعرب النازحين ((العدنانيين))، علما بأن الأبناء انضموا إلى الأخيرين ١٢٤، ص ٢٦٤ – ٢٦٥، ولا زالت باقية قصائد ((تعود إلى هذه الفترة من الزمن)) حيث يرد على لسان الهمداني أن

(1) ١٦٣، ص ٧٧ – ٧٨ ؛ ٥٢، ص ١٢٠ – ١٢١.

الأبناء الطاهرية دائما يتعاونون مع كل سلطان يصل من العراق ليحكمهم ويدعمون الوثائق ويمنحونهم شتى المقاطعات(١)، وإذا توطدت سلطة هذا السلطان كانوا يمدون أيديهم بالسلام ويتذكرون ما سبق من صداقة في التعامل عند الأجيال، فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير (الأحزاب: ١٩)، وكانوا يغيرون سلوكهم مجددا، ولم يكونوا يتخلون عن فعل ذلك (١٦٨، ص ١٦٨).

في عهد الرسوليين ضعف النفوذ السياسي للأبناء لدرجة كبيرة رغم أنه في أواخر القرن العاشر كانت ترد أسماؤهم في عداد القوى المتنافسة من أجل السلطة في صنعاء وانطلاقا من المعلومات غير المباشرة يمكن الافتراض بأنهم كانوا يؤيدون الزيديين (٢٦٦، ص ١٤٢). وفي أواخر القرن العاشر وفي القرن الحادي عشر زال الأبناء من الميدان السياسي، ورغم أنهم كانوا لا يزالون موجودين فيما بعد أيضا ولكن لا يمكن إسنادهم إلى عداد الفئة الحاكمة، وخلال القرنين التاسع والعاشر جرى استيعابهم السلالي والاجتماعي إلى حد كبير.

ورغم أن الأبناء كانوا في غالب الأحيان لشتى القوى السياسية في اليمن وغالبا ما يدعون بالغرباء ولكنهم في واقع الأمر كانوا مرتبطين باليمن ارتباطا وثيقا منذ العصر الجاهلي، فقد كانوا ينحدرون من أمهات يمنيات ولهم أقارب في الكثير من العشائر والقبائل واستطاعوا بسرعة ناصية الثقافة واللغة المحليتين وكذلك اللغة العربية في عداد الأولى في اليمن، والعديد من الأبناء مشاهير الشعراء اليمنيين وفقهاء القرآن الكريم، وعلماء التاريخ، واضطلعوا بدور كبير في جمع وإعادة صياغة الأساطير العائدة إلى الماضي العريق لليمن، وكان الأبناء في عداد أوائل مبدعي المؤلفات التي تبجل وتمدح القحطانيين وكان هؤلاء (اليمنيين) تماما، وكان الجمع بين شتى العناصر في ثقافاتهم يكتسب صبغة ودورا مختلفين في ظل مختلف الملابسات، وكانوا خارج حدود اليمن يمنيين سواء بالنسبة لأنفسهم أو للآخرين، وحتى كانوا دعاة نشطاء (للوطنية القحطانية)، وفي اليمن ذاتها إذا كانت النزاعات ناشئة على أساس التربة المحلية فإن

سلوكها الفارسية وكانت لا تزال بعد مرور نحو مائتين من السنين تكون موضوعا للتفاخر بالنسبة إليهم ومادة للنقد والتظلم من قبل سائر اليمنيين.

تشكل هو قوام الفئة الحاكمة لليمن في القرون الوسطى المبكرة، وكان هذا القوام متجانسا في جوهره في العهدين الحميري والإسلامي على حد سواء ولكن نقل بعد طرح المجموعات المميزة له، فالأعيان الإقطاعيون من العهد الحميري وجدوا أملاكهم وورثناهم في العصر الإسلامي، وبالإضافة إليهم حل محلهم الأبناء المثال الأبناء الذين كانوا يشغلون شتى المناصب الإدارية والعسكرية، وما زال قائما مبدأ الارتباط الوثيق بين الأعيان الحاكم وجهاز الدولة، وكان الانضمام إلى قوام الفئة الحاكمة يقترن بالشعور الكبير بالمشاركة بالذات في الحكم الإداري العسكري، وعموما فإن دور الأعيان التقليديين الحميريين في اليمن القديمة ضعف في العهد الإسلامي، نتيجة التغيرات في البلد وارتباط الأمة بالدولة المركزية سواء داخل اليمن أو خارجها، وظهور فئات جديدة.

ملاحظات خاصة بالباب السادس

١ - كان ينحدر من الحارث بن كعب بعض النواب والموالي المقتنين إلى اليمن الذي سلطة المبكرة ولا سيما في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل ٥٦١، ص ١١٩ - ١٢٢، وكان الكثير منهم من العشيرة الجرانية عبد المدان وقد استوطن افرادها في اليمن في العصر الإسلامي، كما كانوا ملاكي أراض كبار في المدن وكانوا متوترين ضد أبناء الفرس بالتشارك مع بني شهاب.

كما كان بنو شهاب قبل الإسلام يعتبرون حلفاء لخولان في المناطق المجاورة لصعدة ولكنهم كانوا ينسبون جذورهم إلى الكنديين ١١٨١، ص ٣٥٧ - ٣٦٢، وتؤكد الأسطورة الشهابية على أنهم ظهروا في اليمن الوسطى كمعاونين لسيف بن ذي يزن في النضال الجاري ضد الأحباش وأهديت لهم أملاك كبيرة من الأراضي كتعبير عن الشكر على المساعدة ١١٨١، ص ١٤٦، وهذا التفسير ناتج حتما عن النضال المعروف لبني شهاب ضد أبناء الفرس من أجل الأولوية في صنعاء، ويعتبر الموازي لتفسير أصل وحقوق أبناء الفرس الذين ظهروا فعلا واستقروا في اليمن من جراء نشاطات سيف ومساعدته. لكن لا شك في أنه كانت لهم أملاك كبيرة من الأراضي في صنعاء وضواحيها [٢].

كان الشهابيون من الناس الأكثر نفوذا وثراء في صنعاء، وكانوا يتنافسون في السخاء مع موالي الخلفاء مجتذبين نحوهم عواطف جماهير المدن [٣]، وكان يتوقف على سماح صاحب الأرض الشهابي عباد بن الغمر مدى نجاح إحدى الإجراءات الهامة للمولى محمد بن برمك، على حفر القناة الموجودة حتى أيامنا المعاصرة والتي تخلد ذكراه في صنعاء، وهذا الشهابي المشهور جدا تركه عام ٢١٨ هـ / ٨٣٣م واليا رسميا لصنعاء في حال غياب المولى، ومكث في هذا المنصب خلال سنتين ١١٨١، ص ٣٦٢ - ٣٧٣، ثمة خطأ في النص: التاريخ

---

[١] يقصد سيرها راجع: ١١٨، ص ٤١٣ - ٤١٤، ٣٣٣، ص ١١٦).

[٢] راجع مثلا: ١١٨، ص ٣٦٧ - ٣٧١ و ٣٧٢ - ٣٧٩).

[illegible] ولا من مالئين؟ وسواء هذا نفسه كان يعادي اليعفريين الذين حاولوا إخضاع [illegible]، وكذلك في الزنزانة اليعفرية ١١٨١، ص ٣٧٦ - ٣٧٧، وقام مقام المولى [illegible] آخر هو عباد بن محمد [٣٣٣، ص ١١٨.

[illegible] الشهابيون عشيرة عبد المدان بمجموعة واحدة ضد أبناء صنعاء، وتألف [illegible] في أواخر القرن السابع عندما قام أبناء صنعاء بإقاع مولى الخليفة الذي النص [illegible] على إعدام جماعة من الناس من الحارث بن كعب الساكنين قرب صنعاء [illegible] من أبناء صنعاء في نجران، وقد انضم الشهابيون في مجزرة دموية إلى [illegible] الحارثيين [١].

[illegible] من المعمر أنه في وطن الصراع القحطاني العدناني الجاري في الشام كان يحكم [illegible] ثم قربوا في اليمن، في ((وطن)) القحطانيين، العدنانيين - السكاكون، وهم [illegible] وغالبا ما الأقرباء الناشرون للحجاج - العدو اللدود للقحطانيين، علما بأنهم [illegible] بعد وفاته.

[illegible] تهامة هم المثال المميز على الأسرة التي تنامت من جراء تناوب الموالي، ومن [illegible] النموذجية فإنهم يطابقون الكثير من الأسر التي نشأت في شتى أرجاء العالم [illegible] في المراحل الأولى لاضمحلال دولة الخلافة.

[illegible] كان الموالي غالبا ما يصلون اليمن بعدد كبير من ((المرافقين))، مثلا، مع أحد الموالي الأولين، يعلى بن أمية، ظهر في البلاد أنصاره ((أهل البيت)) ومواليه؛ [illegible] بنشاط في حكم البلاد واستغلوا روابطهم مع السلطة لغرض الإثراء الشخصي [٢]، وكان اللايمنيون يتدفقون بأعداد كبيرة على حساب الفصائل العسكرية التي كان يأتي بها الموالي الجدد والتي كانت غالبا ما تبقى في اليمن [illegible] بعد مغادرتهم أو وفاتهم أمثال فصائل الزياديين الجفاتم - وهم الجند من [illegible] وهو أحد الموالي الأخيرين الذين حاربوا اليعفريين (راجع: ٣٣٣، ص ٢١٠).

---

[١] راجع: ١٣٣، ص ١٨١ - ١٦٠، ص ٣٣٦ - ٧٤، ص ١٦٤ - ٣٣٠، ص ١٩٧ و ١٩٣ و ٢٠٥ - ٢٠٧، ٢٠٩ - ٢٠٩ و ٢٢١.

[٢] ص ٣٦، ٣٢١، ص ١٧٤، ص ١١٨.

[٣] راجع مثلا: ١٧٤، ص المجلد ١، ص ٨٤ - [illegible] يقصد أهل يعلى.

الباب السابع

التوحيد والصراع بين المذاهب

إن اضمحلال الدين القديم في جنوب الجزيرة العربية هو إحدى سمات العهد الذي حل في القرون الوسطى، أي خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، السمات التوحيدية على نحو أسهل، لقد زالت المعبودات من النقوش وتختفي الصيغ التعبدية والتقادم المتكررة لتلك المعبودات، وفي معبد المقة بمأرب ((الواقع في أوام)) انقطعت النقوش في أواسط القرن الرابع، وكان قد سبق ذلك تطور معين للعقائد الدينية ينعكس في النقوش، إلا إن أحد الآلهة أخذ يبرز تدريجيا بوصفه الإله الرئيسي، وفي أوام زالت من التعويذات الأخيرة أسماء سائر الآلهة باستثناء المقة الذي أخذ يسمى أكثر فأكثر بسيد مؤلف النقش " وفي الصيغة الوثنية التقليدية بدأ يستخدم نعت الإله بدلا من أسمه: ((الرحمن)) ((rhmnn))، ((رب السماوات والأرض)) ((b'l / smyn / w'rḍn)) وظهرتهما بعد في النقوش، الإله الوحيد هو الإله رحمن إيلان، رب السماوات والأرض.

وعلى هذا النحو نشأ نوع من التوحيد اليمني الغامض الذي تعرض، بلا شك، لتأثير اليهودية والنصرانية، لقد كان وما زال الحكام اليمنيون في العهد القديم حتى العصر الجاهلي المتأخر محتفظين عن وعي بغموض هذا الدين ((ربما من جراء الدوافع السياسية)) وهم لم يرغبوا جهارا في الانحياز إلى أحد الأنظمة الدينية القائمة آنذاك في العالم عموما، لأن ذلك كان يعني الارتباط بقوى سياسية معينة خارج اليمن))

أما في القرن السادس فقد تغير الوضع تماماً، فاليهودية والنصرانية اللتان انتشرتا على نطاق واسع أزاحتا التوحيد اليمني، وساعد غموضه في الانتقال إلى النصرانية أو اليهودية بسهولة، وأخذ رجال السياسة يبحثون في ظروف الحزازات المتواصلة عن العون لدى القوى الخارجية، وأصبح إعلان هذا الدين أو ذاك بديلهم وسيلة لإقامة العلاقات مع

بيزنطة أو إيران، وبالتالي وسيلة للتعبير عن عواطفهم السياسية. وفي مثل هذه الظروف نشب الصراع بين اليهودية والنصرانية، وصارت اليهودية دين الدولة في اليمن لمدة قصيرة ظهرت اليهودية في جنوب الجزيرة العربية كدين لليهود النازحين، على الأقل خلال القرون الأولى من العصر الميلادي وكانت نجران أول مركز لهذا الدين ويمكن التحدث عن تحول جزء من الأعيان اليمنيين إلى اليهودية في القرنين الثالث والرابع وتأثير اليهود في البلاط الملكي

فقط في القرن السادس عندما اعتنق يوسف الأسعد (ذو نواس)) الديانة اليهودية جعلها راية عقائدية للنضال ضد التسلط الحبشي في البلاد، وأعلنها ديانة للملك والدولة وأدت هزيمة يوسف السياسية إلى الهزيمة العقائدية لليهودية، وزال الأعيان المتدينون باليهودية من المسرح السياسي وانتقل معظمهم على غرار الأقيال من سلالة يزن إلى النصرانية إلا أن التجمعات اليهودية، التي كانت كبيرة من حيث مقاييسها وأهميتها ظلت ولا تزال موجودة واعتنق جزء من أفرادها الإسلام واضطلعوا بدور لا يستهان به في تطوير علوم الدين والثقافة الإسلاميين وعلى مدى القرون الوسطى شغل اليهود اليمنيون مكانا بارزا في الحياة الاقتصادية، في المدن والقرى؛ وكانوا يمارسون أساسا التجارة والحرف ((الحياكة ودباغة الجلود والجواهرجية)). ونشأ في التجمعات اليهودية اليمنية ضرب أصيل من الثقافة اليهودية وبعد انتصار الإسلام لم يكن اليهود اليمنيون يضطلعون بدور سياسي كبير ولكنهم في بعض الأحيان كانوا يتأثرون بالنزاعات السياسية الحادة، وهكذا حتى مطلع القرن العشرين بالذات عندما قامت الأكثرية الساحقة من اليهود بالهجرة من اليمن [1]. لقد كان ظهور الديانة اليهودية في جنوب الجزيرة العربية، وفقا للأساطير اليهودية والنصرانية، قبل النصرانية بوقت كبير، وذلك ما تؤكده النقوش وجاء في أسطورة اليهود اليمنيين عن وجودهم في جنوب الجزيرة العربية في القرن الخامس قبل الميلاد، والدلائل الوثائقية تتيح التحدث فقط عن القرون الأولى من العهد الميلادي ٣٨٢، ص ٥ - ٧، قارن مع: ٢٢٣.

[1] ١٩٨١، ١٩٧، ٢٩١، ١٠٩، ٢٢٣، ٣٧٩، ٢٤٩١، ١٩٨، ٢٨١، ٢٣٣، ٢٣٠١، ص ٨١ - ٨٣.

[illegible]

١٨١ - ١١٨٧) وطريقان فقط تمكن النازحون اليهود من الوصول بهما إلى اليمن من فلسطين عبر الحجاز ومن ما بين النهرين عبر يمامة، راجع ٢٤٩، ص ٥٠ - ... كانت مكانا بالتمام في نجران، وبالنسبة لأوائل النازحين اليهود فكان طبيعيا أن يستقروا في هذا المركز التجاري بالذات.

والأحداث التالية الجارية في القرن الرابع في عهد يوسف أسعد تشير إلى أن اليهود، الذين لم يكونوا نموذجيا بالنسبة للديانة اليهودية عموما، كان مميزا بالنسبة للمذهب اليهودي اليمني ويجري التأكيد على تهود الأعيان المحليين على أساس النبأ الخاص بوجود الديانة اليهودية في حواشي الحكام الحميريين في أواسط القرن الرابع والذي يتضمنه مؤرخ فيلوستورج بصدد بعثة ثيوفيلوس الهندوسي إلى اليمن.

إن النقش اليهودي الأول حتما والمؤرخ بعام ٤٩٣ / ٣٧٨ تقريبا كان جزءا من جدار منزل في ظفار، عاصمة الحميريين، وصاحب المنزل الذي نصب الجدار - يهودا يكوف - يحمل اسما يهوديا واسما يمنيا عريقا. والنقش مكتوب بلغة جنوب الجزيرة العربية القديمة الألفاظ اليمنية ولكنه يتضمن عبارات يهودية بيانية ومسهبة. جاء فيه ما يلي: (ليمون وتأييد ربه الذي خلق نفسه، رب الأحياء والموتى، الرب في السماء وعلى الأرض، الله الذي خلق كل شيء، وبصلوات شعبه - إسرائيل)) واسم المؤلف مذكور كذلك في التذييل المكتوب بالآرامية [1].

في هذا النص ((الثنائي اللغة)) ورد اسم الملك ذو آيمن، الذي كان أخوه أبكرب يعد أحد أشهر الحكام الحميريين. وباسم أبكرب ترتبط أسطورة اعتناق اليمنيين الديانة اليهودية. ووفقا لهذه الأسطورة نجد أنه أثناء غزو الحجاز اهتدى الملك بالديانة اليهودية على يد حاخامين حجازيين جاءا فيما بعد مع الملك إلى وطنه، ونشرا هناك ديانتهما، وبنصيحة منهما دمر الملك المعبد القديم في ريام (المعبد ثعلب المشهور)، وفي نفس الوقت دمر موحي المعبد الذي أخرجوا منه، حسب ما يزعم، كلبا، فكان بدائه مصدر الأصوات التي كان الكهنة يقدمونها بوصفها جوابا للمعبود الوثني.

[1] ١٩٨١، ١٣١، ص ٤٣ - ٤٨، ٣٧٤، ص ٣٩٤ - ٣٩٥، ١٥١.

فيما بعد بقوة اسم الملك [illegible] من المصادر (المستقاة [illegible])
[illegible] والمصادر اليهود [illegible] التي يطلق اليمنيون [illegible]
[illegible] وهي [illegible] الوثنيين وتكافلوا لم [illegible]
[illegible]

اليهود الذين [illegible] على [illegible]
[illegible] اليمنيين اعتنقوا الديانة اليهودية بعد ذلك
[illegible] من ذلك وحتى أنهم اختلقوا الملك الذي [illegible]
[illegible] من [illegible] التاريخ كله إلى [illegible]
[illegible] ص ٩١ - ١٣٣ والتي استطعت [illegible] السياسية حتى في
[illegible] من القرن [illegible] عندما فتح المسلمون اليمنيون القبر الذي دفن أسعد به
[illegible] في الأسطورة [illegible] وذلك بغية تكذيب التأكيد على يهوديته [illegible]

[illegible] هذه الأسطورة التي تتضمن وقائع بعيدة عن [illegible]، مثبتة على أساس
[illegible] ذات التاريخ [illegible] والعائدة إلى أيام أسعد. إلا أن هذه النقوش [illegible]
[illegible] الأسطورة النصرانية بصدد أن [illegible] أسعد اعتنق الديانة
النصرانية [illegible] النقوش [illegible] بدور الاستنتاجين سواء بسواء.

إن الأسطورة لا تقدم التفصيلات، في واقع الأمر، للتحدث عن النفوذ الفعلي للملك
[illegible] النفوذ الكبير للديانة اليهودية وسط هذا المجتمع اليمني
[illegible] ما يقصد التطاول على المقدسات الوثنية، ويدل على
[illegible] في البلاط [illegible] وليس على اليهودية الرسمية للمملكة والملك الحديث
عن [illegible] في عهد الملك شراحيل [illegible] (الشرحبيل يكف) في الاستشهاد
(انظر القارن مع ١٩٨، ص ٤٣٦ - ٤٤٠).

[illegible]

ومن ذلك على انتشار الديانة اليهودية وسط اليمنيين في القرنين الرابع والخامس
النقوش اليمنية المصطلح الخاص fIslwmfl (السماوات) (الرحمن / الرحمان)
أو ذكر اسم قوم إسرائيل ١٦٧، العدد ٧
Ry 515 (Raydan)) انتشرت الديانة اليهودية في القرن السادس بمواجهة خوض النضال ضد النفوذ
[illegible] النقوش النصوصية من قبل رعايا الملك اليهودي نجد صيغا توحيدية عامة
[illegible] في النقوش Ry 513، وفي الاثنين منها يجري التصريح عن الديانة اليهودية بجلاء
Ry 515 Ja 1028)) ١٨٥، ص ٨٣.

بعد مقتل يوسف أسعد أخذت الديانة النصرانية تنتشر في البلاد على نطاق واسع،
ولم يبق بعد ذلك نقوشا يهودية. غير أن هناك ما يدل على بقاء بعض مواقف الديانة
اليهودية في الكتاب الذي كتبه الأسقف الأرثوذكسي غريغنتيوس الوفود إلى أبرهة
في وسط القرن السادس بعنوان، (النقاش مع أربان) وهو جدال مع يهودي في قضايا
الدين. ومثل هذا الشكل للمؤلفات الدينية كان مقبولا، وليس ثمة مبررات لأن نرى
فيه تسجيلا لجدال واقعي إلا أن اختيار مثل هذا الشكل بغرض الدعاية إلى الديانة
النصرانية الأرثوذكسية يدل بشكل غير مباشر على انتشار الديانة اليهودية في اليمن
راجع كذلك النقش من بيت حاضر ٣٤، ٣٥، ١٥٣، ١٥٥).

من المعبر أن كبار الشخصيات الدينية اليهودية ذات النفوذ خارج الجزيرة كان
لهم موقف ازدرائي من اليهودية في الجزيرة العربية (٥٣٤، ص ٥٠، ٥١) هذا الأمر
مرتبط خاصة بانتشار الأفكار الطائفية والهرطقية وسط يهود الجزيرة العربية بشكل
عام ويهود اليمن بشكل خاص (قارن مع: ١٨٠، ص ٤٣٤ و ٤٥٤).

في الأحاديث والقصص الواردة عن نشر الإسلام في اليمن يكاد لا يجري أي ذكر
لليهود، وبقيت المعاهدة المعروفة مع النجرانيين في صيغتها النصرانية، ولا ترد أسماء
اليهود رغم أنه من المنطقي الافتراض بأنهم واصلوا الحياة والعيش في مركزهم القديم
إلا أنه يرد في عدد من المصادر بعض الروايات غير الواقعية يذكر فيها اسم اليهود، من
ذلك مثلا أن القرشيين طلبوا النصيحة من اليهود عن الطريقة التي يمكن أن تساعدهم
على تحييد النبي محمد ﷺ في عملية الصراع، كما جاء في تفسير القمي وذكر اسم

[illegible] ص ١٢٦) وكذلك القول بأنه يوجد [illegible]
[illegible] محمد ﷺ الرسالة إلى اليهود اليمنيين، ولكن لا يمكن [illegible]
[illegible] التي عثر عليها لدى نصارى نجران وهي معاهدة الرسول ﷺ
[illegible] ص١١ – ١٦٧) وفي نهاية القرن التاسع عشر عندما استولى الإمام الزيدي على نجران كان اليهود لا يزالون موجودين فيها (٥٣٩، ص١٨٩) [illegible]

ونحن نعرف من الأثر المخطوطة العائدة إلى القرون الوسطى المتأخرة أن طائفة يهودية كبيرة كانت موجودة دائما في اليمن رغم أنها كانت في حالة العزلة، وحدود تاريخها أن بعض المهن والحرف أصبحت من نصيب اليهود، منها: التجارة والحياكة ودباغة الجلود والصياغة والحياة الداخلية للطائفة كانت نشيطة، وقد قدمت للثقافة اليهودية القروسطية غير القليل والشيق من الأساطير والمؤلفات الفولكلورية والأدبية، والأفكار والشخصيات اللاهوتية (راجع، مثلا ٢٨٢، ١٧٢، ٤١٠).

واليهود اليمنيون الذين اعتنقوا الإسلام بعد انتشاره في اليمن اضطلعوا بدور لا يأس به في تطوير الثقافة والفكر الديني الإسلامي، واليهودي المهتدي إلى الإسلام كعب الأحبار كان أحد رواد علم التاريخ العربي الإسلامي والأدب الروائي واضطلع اليهود اليمنيون بدور كبير في نقل القصص اليهودية النصرانية والمواضيع الأسطورية واليهودي اليمني عبد الله بن سبأ اعتنق الإسلام فأصبح أحد الرواد المفكرين للشيعة وغير ذلك نلاحظ أن الرأي الرائج في الأدب الاستشراقي يسند المنشأ اليهودي لعالم إسلامي آخر من اليمن، وهو وهب بن منبه، لا نجد إثباتا له في المصادر المبكرة أبوه كان فارسيا وأمه حميرية من عشيرة ذي خليل، والمواد التي نقلها هي أقرب إلى الأسطورة النصرانية السريانية اللغة منها إلى المصادر اليهودية.

وقد عاش اليهود في اليمن في هدوء على مدى القرون الوسطى علما بأن هناك حديثا شريفا ينص على تطهير الجزيرة من جميع اليهود. لكن بين الفينة والفينة كانت تثار مسألة شرعية وجودهم في هذا البلد الإسلامي أو ذاك وانعكست هذه النقاشات مثلا، في مبحثين، من تأليف فقهاء زيديين عائدين إلى القرن الثاني عشر، كرسا خصيصا لمسألة حق اليهود في العيش في اليمن.

[illegible] المحدث المغربي يعتبر أن قول النبي محمد ﷺ لا يسري على اليمن أما إبراهيم [illegible] العطار بالعكس أنه يسري (راجع النصوص ١١١) وفي القرن الرابع عشر [illegible] المسألة مجددا)، وانتهت المناقشة بين علماء الدين بالاستنتاج بأن النبي محمدا ﷺ [illegible] الحجاز وحدها. وأعلن الإمام شرف الدين والقاضي محمد بن عبد الله [illegible] في ذلك الزمن أن بإمكان اليهود أن يبقوا في اليمن على حالهم السابق [illegible] الذمة ٧٤١، ص ٣٨٥).

ظهور الديانة النصرانية باليمن

والنصرانية هي الأخرى وجدت لها طريقا إلى اليمن في غضون القرون الأولى من العصر الميلادي، ووصلت إليها مع التجار وعن طريق الروابط التجارية وكانت منذ البداية مرتبطة ببيزنطا التي حمت التجار النصارى وتحول جزء من مشاهير الأعيان إلى النصرانية، ولا سيما أقيال سلالة عبد كلال وفي القرن الخامس قويت علاقات هؤلاء الأعيان السياسية مع بيزنطا والحبشة؛ ويتعلق هذا كذلك بالدور الذي أخذت اليمن تضطلع به في الصراع بين الدولتين الكبيرتين "بيزنطا وإيران" في الطرق المؤدية إلى الهند.

منذ بداية القرن السادس استوطن نجران بعض النصارى من أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة المطرودين من بيزنطا والذين لفظهم زاحموا النسطوريين فيها وعزز ذلك العلاقات السياسية التقليدية القائمة بين نجران والحبشة وأصبح مشاهير الأعيان النصارى وأفراد القمة التجارية النصرانية اليمنيون مناصرين للنفوذ الحبشي ولم يكن الملوك الحميريون من أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس (لا سيما معدي كرب يعفر)، كما تؤكد على ذلك المصادر النصرانية، بمثابة صنائع مباشرين للأحباش ولكنهم كانوا في حالة تبعية سياسية واقتصادية كبيرة للنصارى خاصة أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة.

وكانت الحركة المعادية للأحباش موجهة ضد هذا المذهب، وأخذ مهمة قيادتها على عاتقه يوسف الأسعد الذي اعتنق الإسلام وأيد النسطوريون إجراءاته وقد بعث

الرهبانية التي كان يترأسها سيمون البيت أرشامي لصالح مذهب الطبيعة الواحدة في مرتبطة في الاضطهاد الذي لحق بهم في اليمن، كما ورد في مؤلفات (الرسائل ... الحميريون) اليمن جراء الغزو الحبشي على اليمن واحتلاله ... في نسبي مذهب الطبيعة الواحدة المتداخل الشمالي المنشأ.

ولما تبين للاعتبار بأنه في عهد أبرهة، المنشق عن الحبشة، سادت السلطات في أواسط وأواخر القرن السادس تحمي الأرثوذكسية القديمة رسميا إلا أن المذهب الوحدطبيعي تغلب مجددا بعد أبرهة، علما بأنه لا زال باقيا فيه تأثير الحركة اليوليونية الذي كان يتميز به الوحدطبيعيون التجرانيون الأوائل، وأسهم الغزو الفارسي في دعم النسطوريين الذي لم يدم، بالرغم من ذلك، مدة طويلة. فكان الانتشار الواسع النطاق للنصرانية في اليمن ناتجا عن الغزو والاحتلال الحبشيين في العشرينات من القرن السادس.

إن ((التاريخ الكنسي)) لفيلوستورج يتضمن حديثا عن كيفية وصول ثيوفيلوس الهندوسي رسول الإمبراطور قسطنطيوس في أواسط القرن الرابع إلى اليمن ويعزى هذا الحديث، كما يبدو، إلى التقرير القصصي لثيوفيلوس نفسه الذي فاز، كما يزعم، في النقاش بصدد ديانة اليهود المحيطين بحاكم اليمن. حمل ثيوفيلوس إلى الحاكم المحلي ((الحاكم العشائري)) الهدايا من الإمبراطور قسطنطيوس ونقل إليه طلب سيده بخصوص السماح بتشييد كنيسة ((للرومانيين)) الوافدين إلى اليمن.

والحاكم نفسه وكأنه استميل إلى ((التدين)) شيد ثلاث كنائس بدلا من الواحدة، ليس بأموال الإمبراطور التي جلبها المبعوثون بل بالنقود التي جاء بها هو من داره ((البكل سرو)) وشيدت الكنائس في العاصمة ((ظفار)) وفي محل ((سوق الرومانيين)) في عدن، حيث كانت عادة ما ترسو سفن ((الرومانيين)) الواصلة إليها، وعند ((سوق الفرس)) ((عادة تفهم بمعنى عمان)) ٢١٧، ص ٣٢ - ٣٤.

ادعى ثيوفيلوس بأنه قام بدعوة الحاكم الحميري إلى التدين بالنصرانية. ونرى أنه لايمكن أن يكون ذلك صحيحا، بسبب أن الملك كرب أبا أسعد الكامل لم يكن معاصرا للإمبراطور قسطنطيوس. إن نقوشه تتضمن فعلا صيغا توحيدية ولكنها ذات

طابع شخصي والثقافة اليهودية أكثر مما تشابه النصرانية. كما لم تكن في هذا الوقت تبسط أبدا سلطة أي من الحكام الحميريين إلى عمان، حيث عادة ما كانت توجد ((سوق الفرس)). وينبغي قول نفس الشيء بصدد مبالغات بموصول الامبراطور وإنشاء الكنائس وتكوينه الخاصة وليس بالنقود الامبراطور فكان بالأحرى يعني ليس إلا بيانا إياها ما تأكيداً لاستقلاله الشخصي أما الكنائس فقد شيدت، كما يتضح من النص، لأجل البيزنطيين الرومانيين الذين كانوا يقيمون في الأراضي الحميرية ويمارسون التجارة فيها.

لقد أرسلت بعثة ثيوفيلوس بقصد تأمين المصالح الاقتصادية والسياسية للتجار البيزنطيين في الطرق المؤدية إلى الهند. والحديث عن البعثة يشير إلى كيفية تغلغل الديانة النصرانية إلى اليمن، بواسطة التجار وعبر الطرق التجارية. ونقاش المبعوث مع اليهود أمر محتمل تماما ((أجرى الحديث أعلاه عن نفوذهم الكبير في اليمن في القرن الرابع)) والكنائس ربما كانت قد شيدت فعلا بالأحرى من قبل التجار البيزنطيين لنفسهم ولأجلهم هم حيث أن في ذلك الزمن لم يكن يوجد في اليمن نصارى آخرون، وإنما الخاص بدعوة ((الحاكم العشائري)) إلى التدين بالنصرانية قد يكون صحيحا إذا أخذنا بعين الاعتبار ليس الملك ملك كرب بل أحدا من كبار الأقيال الذين كان بالإمكان أن يسميهم البيزنطي ((حكاما عشائريين)) كما كان بدو الجزيرة العربية يسمونهم ملوكا.

وكان من الممكن أن يكون أحد أفراد سلالة عبد كلال بمثابة ذلك الحاكم، والقصة الإسلامية العائدة إلى القرن السادس تتحدث عن القيل عبد كلال من القرن الخامس بأنه ((أصر على النصرانية الأولى))، وأخذه إلى التدين بها شخص من قبيلة غسان جاء من بلاد الشام ١٣٥، المتسلسل ١، ص ٨٨١، ١٨٥، ص ٣٠٩، إن هذه العبارة تفصل شيئا ما بين نصرانية عبد كلال، والنصرانية التي كان معترفا بها آنذاك رسميا في بيزنطا))، كانت سلالة عبد كلال سلالة كبيرة، وقد استولت على السلطة الملكية في القرن الخامس، وهذه السلالة كانت مشهورة كسلالة نصرانية قبل الإسلام، وكان النبي محمد ﷺ قد أرسل رسله إلى الأخوين عبد كلال وأصبح

عبد كلال كذلك شخصية من شخصيات الأسطورة الشعبية فلا سيما مع بعض الأشخاص الآخرين ٤٢٩.

إن التطابقات الزمنية والإشارة إلى اعتناق القيل عبد كلال للنصرانية والشيوع الواسع النطاق في الأسطورة، كل ذلك يجعله المدعي المحتمل دور ((المبشر التشاوري)) الذي هداه فيمليوس إلى التدين بالنصرانية، ولا زال باقيا نقش على […] كلال وعائدا إلى عام ٤٢٢ / ٤٦٨، وهو النقش 6 CIH، ويسمي الإله فيه باسم رحمن، ويدل ذلك على التوحيد فقط ولكنه لا يتيح تدقيق طابعه، وفي الحديث […] إلى أوائل القرن السابع بصدد الأخوين عبد كلال يقال إنهم كانوا يستخدمون […] أقمشة ذات ألوان مختلفة، إن هذا هو رمز الثالوث وربما رمز أحد […] يدقق طابع نصرانيا سلالة عبد كلال. المجلد ١، الجزء ٢، ص ٣٢.

إن الدلائل الوثائقية الشحيحة بصدد ظهور الديانة النصرانية في اليمن ((الصليب / القبور والنقوش ورسوم الصلبان)) في ضواحي نجران ((النقش: يعرف بن مالك عبد المسيح)) وفي حضر موت ٣٦٧، ص ١٨ و ٤٩ و ٥٣ – ٥٤ هذ لا تؤرخ بتاريخ ما قبل أواخر القرن – الخامس – القرن السادس، ونفس الشيء يخص كذلك النقوش النصرانية الحبشية، التي عثر عليها في اليمن، والنصوص النصرانية اليمنية المعروفة ٣١٧، ص ٤٧ – ٤٨، إلا أن نجران قد أصبحت في أوائل القرن السادس مركزا نصرانيا حيث كان النصارى يؤلفون غالبية النخبة التجارية في المدينة.

وثمة عدة قصص أسطورية عن إدخال الديانة النصرانية إلى نجران في القرن الخامس الميلادي تقريبا، وكلها تتحدث عن شخص غريب هدى النجرانيين إلى التدين بالنصرانية. وتوجد عدة صيغ لقصة أسطورية تعزى إلى أسطورة النساطرة في الجزيرة العربية ٤٣٦، وجميع هذه الصيغ، التي احتفظ بها التقليد العربي، تحمل البصمة الجلية للاستعادة ((الأدبية)) التي جرى إنشاؤها على غرار النبذ الأخرى الخاصة بالقديسين ولها علاقة قليلة بالوقائع النجرانية وبالتاريخ الفعلي لنجران.

إن ((الاستشهاد الأكثر عراقة)) المتبقي في صيغته الحبشية يتضمن قصة أخرى عن تاريخ نشر الديانة النصرانية في نجران، ويوجد فيها عدد أكبر بكثير من الوقائع

الحقيقة مع ما هو في الأولى (الإيصد اسم الملك وأسماء القبائل وأسماء المواقع الجغرافية […] ٤٢٨، ص ٢٤٢)) والأعداء الرئيسيون للمبشر الأكثر هم اليهود كما في […] كذلك في نجران حيث استشهد أكثر ٣٢٠، ١٥٠، ١٨٥، ص ٦٣.

[…] وأخيرا، توجد قصة أخرى يتضمنها ((المبشر سمرشا)) النصراني الأصل والمؤلف […] حيث يبدو أن حنان هو مبشر النصرانية، وقد اعتنقها في الحيرة […] المجلد ١، ص ٢١٨ – ٢١٩، وبهذه القصة أيضا ربما يرتبط نبأ ظهور النصرانية […] ((المطالب المحببين)) ٢٩٠ ص ٢٧٥.

إن التقليد الخاص بالجزيرة العربية يعرف الحكيم والحكم العاقل للعديد من القبائل ومنهم قس بن ساعدة الذي كان كذلك أسقفا نجرانيا في السابق.

إن جميع هذه المعلومات الأسطورية تعكس عملية توطد البيزنطيين في الطرق التجارية عبر اليمن، وعملية نشر الديانة النصرانية في أحد المراكز التجارية الرئيسية في اليمن، وفي أواخر القرن الخامس، كما يبدو، نشأت الكنائس النصرانية في ظفار العاصمة وعلى ساحل البحر الأحمر (في مخا وجزر فرسان) وبصدد إحراق هذه الكنائس يذكر في نقوش القادة العسكريين يوسف أسار[1] ((R 508, Ry 507)) وهذه الكنائس كانت مخصصة بالأحرى للأجانب الذين كانوا يقطنون على ساحل البحر الأحمر وفي ظفار، واحتفظ التقليد النسطوري بالكثير من القصص الخاصة بظهور الديانة النصرانية في نجران، وإحداها تتحدث عن اعتناق النصرانية من الديانة الحيرة، المركز النسطوري، ولذلك فمن البديهي أن نفترض أنه في بداية الأمر كان النسطوريون يؤلفون الأغلبية في نجران.

وبسبب الوجود السياسي الحبشي نالت النصرانية في اليمن صبغة سياسية جلية، وأسهم في ذلك اشتداد المذهب الوحديطبيعي في نجران، وفي مطلع القرن السادس استوطن فيها أتباع المذهب الوحديطبيعي الذين طردهم الإمبراطور يوسطينوس من بيزنطا ١٥٢، المجلد ٢، ص ٥٠ – ٥٢، ٣٠٨، ٣٧٨، إن المذهب الوحديطبيعي النجراني

[1] إن هذا هو الاسم الحقيقي كما هو وارد في النقوش / المترجم

مقال وتميز، على ما يبدو، بالميل إلى التيار اليولياني (الأفتارتي الاعتدالي)) وقد يعد سيمون البيتار شامي بمخاطبة لطرفه ٢٣٣، ص ١٠٨، وكان الاستقلال الكنسي عن ظهر التيار المتمثل في المذهب الوحدنطبيعي، ظهر أتباع الأسقف سيفير سيويرخت ولكن فيما بعد أيضا تميز النصارى النجرانيون بتمسكهم بالمذهب اليولياني، وأن يختلف الشامي عن حكم الأسقف اليولياني في حمير (أو الأحرى في نجران)) الذي دام ثلاثة سنوات، وفي القرنين الثامن والتاسع اعتبر البطريرك النسطوري تيموثيوس أن النصارى النازحين من نجران إلى العراق مستمسكون بالهرطقة اليوليانية ١٩٨، ٤٥٢.

لقد خاض يوسف أسار ضد الأحباش وحلفائهم السياسيين والمتعصبين لأتباع المذهب الوحدنطبيعي النجرانيين ١٩٨، ص ٤٥١ – ٤٥٢، واضطهد يوسف أسعد النساطرة بل وحتى استخدمهم في إجراء المفاوضات مع النجرانيين، وأثناء ذلك سمي في (الكتاب الحميري)) بـ ((النصارى فقط بالاسم))[1] وفي خطابات يوسف أسعد الموجهة إلى أهل المدينة والتي احتفظت بها الأسطورة النجرانية النصرانية، نجد أنه أدان المذهب الوحدنطبيعي بالذات عندما ناداهم للتخلي عن مثل هذا التأليه للمسيح والذي طالما تخلى عنه سائر النصارى (أي النساطرة) وحتى الإمبراطور الروماني (أي يوسطينوس الذي اضطهد أتباع المذهب الوحدنطبيعي)).

لقد جرى استقصاء تاريخ اضطهاد وإعدام النصارى النجرانيين في العلم مرات عديدة[2] ولا حاجة إلى التوقف على تفاصيلها بصدد الفرضيات الجديدة الخاصة ببعض الاضطهادات المتتالية الجارية في أيام شتى الملوك والتواريخ الجديدة للأحداث راجع: ٥٠٥، ص ٥٩ و ٦٨.

من جراء الغزو الاحتلالي الذي قام به أكسوم ضد اليمن ترسخ المذهب الوحدنطبيعي على ساحلي البحر الأحمر، وانتشرت الديانة النصرانية على نطاق جنوب الجزيرة العربية كلها واعتنقها الأعيان الحميريون، وللمرة الأولى ظهرت في النقوش

[1] ٩٨، الوثيقة ١٧، ٣٠٨، ص ٢٨٢، ٢٨٨، ص ١٢٦.

[2] ٩٧، ١٩٨، ٣٠٨، ص ٢٢٨ – ٣٠٤، ٢٨٨، ص ٣١ – ٥٢.

النصرانية علانية، وتشكل التقليد الروائي بصلب المسيح، الذي تزعم الحكاية أنه ... يوسف أسعد، وتم تعميده في الحبشة ونسب ملحقا يمنيا من قبل الأحباش، ... منذ بدايته وخالفته على النحو التالي: ((... الروح القدس)) القسم ... المسيح الأقدس ...)) ٢٢٢، ٤٩١٠، RES 3904.

... وجدت التعبير عنها كذلك خارج النطاق الثقافي النصراني، في ... الأحداث النصرانية ... ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ... ٤٨٠، والمفسرون والباحثون، سواء الأوروبيون منهم أم المعاصرون، ... في فهم هذه الآيات ٣١٥، ص ٥٠٥ – ٥٠٦.

إنما نعرف ... القصص النسطورية المتعلقة بالأحداث النجرانية ٤٣٦، ولربة وصف ما ... لترجمة كبيرة ولا يوجد في الوصف ذاته توتر طبقي، فلا نرى فيه ... من مجال الصراع الديني السياسي، وهنا ينبغي البحث عن مصدر أو مصادر يكون أقرب إلى المحالين الوحدنطبيعي أو البيزنطي.

إن انتصار أكسوم كان كذلك انتصاراً بيزنطيا سياسيا، ولكن النفوذ البيزنطي بقي ضعيفا من الناحية الدينية، وفي بداية عهد حكم يوسطينيانوس طرد الحميريون الأسقف الذي عينه البطريرك الاسكندراني الذي خان المذهب الوحدنطبيعي ٣٠٨، ص ٦٩، ٩٦، ص ١٢٨ – ١٢٩ (علما بأنه كان من الممكن أن يكون ذلك ليس احتجاجا على نشر الأرثوذكسية بل تعبيرا عن الانشقاق الجاري داخل صفوف المذهب الوحدنطبيعي فيما بين أتباع الأسقف سيفير سيويرخت وأتباع يوليانوس).

وفي عهد أبرهة قويت العلاقات الدينية بموازاة توطد العلاقات السياسية مع بيزنطا، وجرى إنشاء الكنيسة الكبيرة في صنعاء، وفقا للقصص، بمشاركة البنائين البيزنطيين الذين أرسلهم الإمبراطور، ووفقا لبعض القصص نجد أنه أرسل من بيزنطا إلى أبرهة الأسقف غريغينتيوس الذي كتب لأجل الحميريين عددا من المؤلفات التي

تفسير أبو أصول الديانة النصرانية الحقة وقواعد الحياة المطابقة للمسيحي [١] ...
غريغنتيوس بشلفة في الإثيوبية (التكس قارن مع: ٤٩٨، ص ٤٤٢)) وكذلك ...
الاعتراض بأن أبرهة اعتنق الأرثوذكسية رسميا ٩٨١، ص ١٢٢، في ...
يستدل على يحتمل نصارى نجران إلهم تمسكوا النحلين الملك بصريح ...
الاختلافات في أمورهما) ٥٤، ص ٤١٤، ٤٠٥-٤٠٦، ص ٤٠٣، أن هذا الأمر ...
بدو، ويعكس التقارب بين النصارى اليمنيين والأرثوذكس البيزنطيين ...
مع: ١٩٨، ص ٤٥٢)).

إن النقوش العائدة إلى عهد أبرهة تتضمن صياغات للديانة النصرانية تختلف ...
هو في نقش سميفع أشوع، وهذا الاختلاف في ظل الصراعات والثبات الاجتهادي ...
النقوش في الجزيرة العربية يدل على وجود تغيرات جوهرية.

في بداية النقش المنصوب عند سد مأرب CIHS 4 نجد ما يلي: ((بحول وقوة
ورحمة الرحمن ومسيحه وروحه القدس)) والنقش المتعلق بالغزو ضد الجزيرة العربية
يبدأ بما يلي: ((بحول الرحمن ومسيحه)) وينتهي بما يلي: ((بحول الرحمن)) ونقش آخر
من عهد أبرهة نشره عبدالنبي مشهورون في مأرب (545- 544- Ja 547) يتضمن
الصيغ التالية: ((الرحمن)) و((باسم الرحمن رب السماء والأرض)) و((باسم الرحمن
الملك)) [٢] إن ميولر يرى في هذه النقوش أصداء أسلوب صياغة رسائل بولس
الرسول ٤٦٥، وقد يدل كل هذا رعاية أرثوذكسية رسمية، إلا أنه في عهد أبرهة وبعده
واصلت الطائفة النصرانية في اليمن المطالبة من القسطنطينية تعيين أساقفة
لاخلقيدونيين، وعلى مدى خمس وعشرين سنة بقيت نداءاتهم بلا جواب ولكن في نهاية
المطاف عندما كان عام ٥٦٠ تقريبا بدأ يشعر بنفوذ أتباع المذهب اليوليانوسي في
أوساط الإمبراطور يوستنيانوس، فأرسل أسقف أفسس اليوليانوسي إلى الحيرة وفيها
بعد إلى حمير سرقيوس الذي توفي في اليمن بعد أن عاش فيها ثلاث سنوات ٤٢٤، ص

---

[١] ٢٣، ٣٠٩، ٤٠٨، ص ٢٤٦ – ٢٤٧ و ٣١٥ – ٣١٦.
[٢] ١٩٨، ص ٣٢٨ – ٣٢٩ – ٣٦٧ ص ٨٨.

... ١٢٠١، وأخذ من عماد السكان الحلويين خليفة له يدعى موسى من المحتمل أن
النسطورية لفمنه هو وهي محفوظة عند ديونيسيوس الكاتب التيلمحلاوي ١١٩، ص
١٢١، ص ١٢٩، فجاء فيها أن الحميريين لم ينتظروا مجيء الأسقف القلسيس
٩١ ... أو ما اختاروا أسقفهم هم.
... كان النصارى اليمنيون، شأنهم شأن جميع اليمنيين، صلات مع الحجاز
وفي مرحلة نشر الإسلام وكان النصارى يؤلفون، كما يبدو، قوة سياسية كبيرة،
وفي شخص البطنات نجد الأخوين مستقلال بارزين من حيث نصرانيتهما، وكان قسم
من نجران في وصانة مسلما كبيرا للنصارى قبيل انتشار الإسلام ١٢٩، ص ٤٨،
والمعاهدة المعقودة مع النصرانيين كذلك تدل على أهمية النصارى في اليمن، هذه
المعاهدة أمر واقعي، رغم أن النص الموجود حاليا هو من صياغة نصرانية حيث لا يرد
ذكر سكان نجران اللانصارى (والذين كانوا موجودين)) وبقيت المعاهدة في الأوساط
النصرانية وتحولت بعض صيغها من معاهدة محددة إلى معاهدة شاملة ١٠٥، ص ٣٦ –
٣١) وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب طرد جزء كبير من نصارى نجران إلى العراق،
واتهموا في مخالفة تحريم الربا، وقد نشأت في العراق مستوطنات للنصارى النجرانيين،
الذين كانوا مضطرين على مدى زمن طويل إلى دفع الضرائب المحددة بموجب المعاهدة
المعقودة مع المسلمين ٢٨، ص ٩٠، ٩٢.
إن نبأ ابن النديم اكتسب صدى واسع النطاق في مؤلفات علم الاستشراق وهو
يتعلق بأن راهبا من نجران زار الصين في القرن العاشر على أساس طلب البطريرك
النسطوري ((٥٦، ص ٤١٣، ٢٧١، ٦، المجلد ٤، ص ١٤٥ – ١٤٦، قارن التصحيح الزائد
لنص المؤلف في الترجمة الروسية مع: ٤٦١، ص ٢٦٧، الترجمة ص ٢٣٣ وملاحظة
٢٠)) إلا أن ابن النديم لم يحدد أي نجران يقصد، فمن المعروف أنه بهذا الاسم أيضا
كان يسمى الدير الواقع بجوار بصرى في الشام ١٩٧، المجلد ٢، ص ٧٠٤، وتعتبر
الأكثر احتمالا أن منشأ هذا الراهب المبعوث هو هذا المكان حيث أن الحادث يعود
إلى القرن العاشر ((قارن مع: ٤٨٥، ص ٩٥)).



لقد واصل النصارى الإقامة في اليمن، وعقدت معاهدة الإمام الهادي يحيى بن [illegible] القرن التاسع مع أهل الذمة "يهود نصارى نجران"، ويسمو النصارى المقيمين في جزيرة سوقطرة يقول عنه الهمداني ما يلي: "(ويقع في جزيرة سوقطرة الناس من جميع مهرة، وهذه الجزيرة طولها ثمانون فرسخا، وكلما يجري [illegible] عليها [illegible] شجر النخيل ويلي (الأبحر)) إليها بالطير وفيها (الصبغة)) (دم الأخوين))، ولا [illegible] المهري: إنا نستكري!! قوله بغضب.

لقد قال: إن السقطريين هم من الروم، من أبناء الروم الذين أقاموا فيها والدمسيرا مع سلالات قبيلة الشحر من مهرة وهم معروفون جميعا، وقال إن هناك ١٠ آلاف عندي وفيها مسلمين كانوا نصارى ويحدثون أن كسرى طرد إليها أهل الروم وقد استقروا هناك ما دام أن قوم مهرة لم يعبروا إلى هناك ولم يقهروا إياهم والجزيرة (الكاشفة)) ١١٨، ص ١٩٦ - ١٩٧.

في عهد نشر الإسلام كانت علاقات المسلمين مع النصارى، كما تصورها، أفضل مما كانت عليه مع اليهود، والدليل على ذلك معاهدة نصارى نجران مع النبي محمد ﷺ التي كانت مريحة إليهم[1]، إلا أن الخليفة عمر الذي قلق من ازدياد عدد وبأس النصارى النجرانيين طردهم إلى العراق[2]، ورغم ذلك فحتى في القرن العاشر كان النصارى لا يزالون يقيمون في نجران وتهامة وجزائر فرسان وربما في جزيرة سقطرة[3]، ولكن بالمقارنة مع اليهود كان دورهم أقل شأنا ولم يكونوا متحدين واعتنقوا الإسلام بالتدريج، وبعد القرن العاشر وحتى ظهور البرتغاليين في القرن الخامس عشر لا تنوه المصادر عمليا بالنصارى اليمنيين.

وعلى مدى قرابة العهد الحميري كله خلال القرون الوسطى كان في اليمن أشكال ثلاثة أو أنواع ثلاثة للتوحيدية هي: المذهب الوحديطيمي الغامض واليهودية

---

[1] (راجع: [illegible]).

[2] ([illegible])، ص ٩١ - ٩٢.

[3] ([illegible])، ص ٧٢، ([illegible])، ص ١٩٦ - ١٩٧.

البحر فيها، والنسبة المطلوبين من الحميريين وكذلك بالنسبة للمطلوبين من سكان الجزيرة الوثنية الداخلية المجاورة كانت معرفتهم التدريجية بتصورات ما عامة تختلف عن التصورات الوثنية بصدد الإله والقدر والحياة الأخرى، ومارست الأوضاع الدينية اليمنية تأثيرا معينا في الجزيرة العربية الداخلية إجمالا وفي الحجاز خاصة، وتصادف في بعض المصادر الإخبارية أسماء غير قليلة للحياة الدينية في اليمن سواء في القرون الوسطى المبكرة أو في القرون القديمة، واليمن العائدة إلى القرون الوسطى المبكرة، المرتبطة بصورة مباشرة مع بقية الجزيرة العربية، كانت بمثابة الجزء الهام من تلك التربة الثقافية والمعطى، وتلك الأوضاع السياسية الثقافية، ومن اليمن وعن طريق اليمن أتت إلى المصادر العربية عموما تصورات وبواعث ومصطلحات نصرانية كثيرا وبعض تصورات اليهودية.

كان في أساس التصورات الدينية الوثنية القائمة في الجزيرة العربية في غضون القرون الخامس - السابع تقع المعبودات الخاصة بشتى الأراضي والاتحادات القبلية، وكان بعض هؤلاء الآلهة يكتسبون أحيانا أهمية خاصة فيصبحون آلهة لعموم الجزيرة العربية، وكان في عداد هؤلاء الآلهة اللات وعزى، وكان هؤلاء الآلهة معروفين كذلك للبدو اليمنيين، ومنهم، على الأرجح، صدرت أسماؤهم في النقوش اليمنية.

لقد كانت الأديان المحلية في الجزيرة العربية الجاهلية تربط بين بعضها البعض أراضي الحرام وكعباتها وهذه المواقع المحرمة كانت خالية من سريان مفعول العادات القبلية وكان يحرم سفك الدماء فيها وكانت مواقع لمناقشة النزاعات ومراكز للتجارة والحج، وعلى غرار كعبة مكة كانت الأماكن المقدسة الأخرى غالبا ما تصبح معابد مكرسة للكثير من المعبودات أو معابد عموما دون الارتباط بمعبود معين.

وفي نجران اليمنية كان ثمة كعبة أيضا، وأورد الشاعر الأعشى أسماء أصحابها [illegible] ١٩٧٧، المجلد ٢، ص ٢٠٣] اثنان منهم - يزيد وعبد المسيح - انحدرا من سلالة عبد المدان من قبيلة الحارث بن كعب القائمة في نجران وضواحيها، ومثّل يزيد أهل نجران في اللقاء رؤساء القبائل في [illegible] ٩١، ص ٣٧، وكان عبد المسيح يحمل لقب العاقب وهو إحدى الشخصيات الرئيسية في قصة بعثة النجرانيين الموفودة إلى النبي

محمد ﷺ (٨٤، ص ٤١٦)، وصاحب الكعبة الثالثة - قيس بن معدي كرب - من
الكنديين التي مدحه الأعشى مرارا وتكرارا وقد يكون الثويه به بوصفه صاحب
الكعبة شكلا من أشكال مدح الرئيس الحضرمي - حامي الناس والمضيف - وفي
المستقبل الذي يقصد علاقة الكنديين الحضرمية بالمقدس النجراني[3].

كان عبد المسيح أمين الكعبة في العصر الجاهلي، ويحمل هذا الواجب الشرف
يعود طبقا لنقل الرواة نفس سلالة عبد المدان، ووفقا للأسطورة تم تأسيس الكعبة
النجرانية على يد الديان بن عبد المدان، وكانت عبارة عن خيمة مخيطة من ٣٠٠ قطعة
من الجلد (أيضا من جلود الثيران) فكان قطر الخيمة الذي يبلغ زهاء ١٠ - ٢٠ مترا،
وكانت الخيمة قائمة على ضفة نهر يعود بدخل يبلغ ١٠ آلاف دينار، (وكانت الكعبة
تبتلع الدخل كله) وفي أرض الكعبة كان ينال ((الخائف أمنا والباحث حاجته))
١٩٩٦، المجلد ١، ص ٢٣٦) واقتضى ذلك إنفاق مبالغ طائلة؛ وحتى في أواسط القرن
العشرين كان المناصب ((أمناء الأراضي المقدسة في حضرموت)) ملزمين بصرف مبالغ
غير قليلة على إعالة أولئك الذين وصلوا لحسم دعاويهم وعلى مصالحة القبائل المتعادية
وهنا توجهات بأن أمناء الكعبة النجرانية يقومون بوظائف قضاة
التحكيم وكانت القبيلة تسمى بعبد المدان، غير أننا لا نجد في المصادر معبودا أو
صنما باسم مدان، وبالإضافة إلى ذلك فقد أشار ابن الكلبي إلى أن الكعبة النجرانية
كانت تخدم لغرض ((احتشاد الناس وليس للسجود)) ١٩٨٦، ص ٤٥) أي أنه لم تكن
هناك أصنام، وقد تعني كلمة مدان (المكان) حيث تجري ((المحاكمة)) ويحتمل أن
كلمة عبد أضيفت فيما بعد إلى الاسم، كما جرى ذلك إزاء عبد الدار المكي[3]،
واسم مؤسس الكعبة - الديان - أيضا تعني ((القاضي)).

[1] الراجع: ٤٦٨؛ ٣٧٥؛ ٥٠١؛ ٤٩٩؛ ٥٠٢؛ ٥٠٤؛ ٥٠٨؛ ٥٠٨؛ ٥٠٥؛ ٣٣٠؛ ٣٥٩؛ ١٥٤، ص ٣٣ - ٤١ و ٤٨ - ٦١؛ ٢٧٣؛ ٢٣٢، ص ٨٠ و ١٠٥ - ١٠٦ و ٢٤٣ و ٢٩١؛ ٥٥٤)).

[2] قارن مع: ٤٠١، ص ٦٠ و ١٩١.

وهكذا نرى أن الكعبة النجرانية هي مقدس أسبق في الجزيرة العربية، وهي جزء
من نظام الأراضي المقدسة في الجزيرة العربية، حيث كان يجري قضاء التحكيم،
وتعتبر الكعبة الخطورة الأعلى لهذه الظاهرة قديمة العهد، ويمكن العثور على موازيات عديدة لها
في التاريخ الساميّ القديم.

من المميز أن الكعبة النجرانية لا تذكر في القصص المتعلقة بنشر الإسلام في
اليمن، ولا نجد أية كلمة في أي مكان عن إزالتها رغم أنه يجري الحديث المفصل
مثلا عن تدمير ((الكعبة اليمانية)) أخرى هي مقدس ذي الخلصة[1]، ومن المحتمل جدا أن
الكعبة النجرانية لم تكن موجودة حين وصول المسلمين.

في ((المعجم البلدان)) لياقوت نجد في فصل (دير نجران) وصفا مغايرا بعض الشيء
للكعبة النجرانية، فهذا المبنى يشبه كعبة مكة، ويجري الدخول إليه بالسلام، ويرد
ذكره في أشعار الأعشى وهو يرد ملكيته لسلالة عبد المدان وتبع إليه الحارث بن كعب
وخثعم وغيرهما من القبائل العربية

فيما بعد يدور الحديث عن أن اللخميين والغسانيين وأعيان قبيلة الحارث بن كعب
كانوا يتنافسون فيما بين بعضهم البعض في تزيين معابدهم، وكانوا يشيدونها في
المدائن ويزينون جدرانها بالفسيفساء، وسقوفها بالزخارف ذات النقوش الذهبية
والصور، وكان الناس يجتمعون في مثل هذه الكعبة في أيام الآحاد وهم يرتدون ألبسة
نفيسة، وبعد إقامة واجب الصلاة كانوا يخرجون إلى الحديقة ويصل إليها الضيوف
والشعراء، وهناك كانوا يشربون الخمر ويستمعون إلى الأغاني ويتسلون[2].

يشير عنوان الفصل والمصطلحات وطابع الوصف إلى أن الحديث في هذا الحال يدور
عن دير نصراني ما في نجران، كان مركزا دينيا ومكانا يقيم فيه الولائم أعيان البدو،
أصدقاء وحماة الأعشى، وفي قصة الخيمة - الكعبة توجد كذلك تلويحات بالروابط
بالنصرانية، ويقال إنه كان يوجد لدى الكعبة النافلة ذو عمائم وقد اشترك بعضهم في

[1] الراجع مثلا: ١١٠، الورقة ٤٨ أ؛ ٣٢٩، ص ٥٣)).

[2] ١٩٧، المجلد ٢، ص ٧٠٣.

بين النصرانيين الموفودة إلى النبي محمد ﷺ ويجري وصف هذه البعثة في القصة بشكل ونرتبط بها بعض التوجيهات الواردة في القرآن الكريم بصدد النصارى (... ٤٢٩). واسم الأمين الأخير للكعبة اسم نصراني هو عبد المسيح.

على هذا النحو يحتوي في المصادر التنويه بالأوصاف المتشابهة للكعبة الوثنية والكعبة النصرانية. ويحتمل أن الكعبة النصرانية نشأت في محاكاة مقدس بصورة أو ربما في نفس الأرض المقدسة، وبذلك يمكن تفسير حج قبائل العربية إليها ... وربما في أعلمهم بعض وظائف الكعبة القديمة وعبادتها. وعليه فإن نجران كانت تلك المكان حيث تعايشت الوثنية من أصل الجزيرة العربية واليهودية والنصرانية مع الأديان اليمنية في تماس مباشر، ويحتمل أن من هذا الاقتران تولد شكل آخر للتوحيد اليمني. دعوا وحركة ((النبي الكذاب)) عبهلة الأسود من القبيلة المذحجية عنس. فكان عبهلة أحد الشخصيات المتشابهة نموذجيا والتي ظهرت في شتى أماكن شبه الجزيرة في أوائل القرن السابع و وعظت بالتوحيد. وفي عداد هؤلاء كان مسلمة ((مسيلمة)) الكذاب في يمامة، وطلحة ((طليحة)) في نجد، وسجاح في البوادي المتاخمة للعراق.

لقد كان عبهلة مشهورا ككاهن قبل الإسلام، وفي حينها مدحه الشاعر الأعشى الذي تقبل منه الهدايا(٧٩).

وكان لعبهلة كذلك لمسلمة ((مسيلمة)) ولطلحة ((طليحة)) وسطاؤه في نقل الإلهام، والأسطورة تسميهم تارة بالشياطين وتارة أخرى بالملائكة تبعا لتحيز المصدر(٨٠). كان عبهلة المعبر عن مطامح جزء من القبائل الشمالية التي أصبحت قوته الأساسية، إلا أن أهالي مدينة نجران أيضا أيدوه.

وفي جوهر الأمر فإن ذلك نموذجا للتطور الديني الذي كان يجمع في طيه بين نزعتين دينيتين: النزعة المحلية اليمنية، التي نهضت من أحشاء المجتمع القديم والنزعة

---

(٧٩) المجلد ٨، ص ٣٢.

(٨٠) المجلد ٩، ص ١٦٦، ١٨٢، المتسلسل ١، ص ١٨٤٧.



الإسلامية بجموع الجزيرة العربية والشتلة في اليمن بالبدو، وكان هذا النموذج يجمع في ديناميته الإجابة على أماني ومصالح ومتطلبات الرحل والحضر، القيام الأول أهل ... على حد سواء.

لقد راح الإسلام التوحيد العيهلي والتنصر عليها وتم إعداد سهولة اعتناق الإسلام من قبل اليمنيين، الذي تمزوه القصص الإسلامية وإنما لا تطالب الحقيقة في هذا ... إلى تعرف اليمنيون على الأديان التوحيدية وأفكار التوحيد على ثلاث قرون من الناحية الأيديولوجية ثم يطالبهم الإسلام بالتخلي عن شيء عزيز عليهم ومقدس باحترام الأجداد، وكانت فيه أشياء كثيرة معروفة ومفهومة لليمنيين، واستطاع الإسلام بسهولة من جميع أشكال التوحيد القائمة حينئذ في اليمن وحظي بالعطف ... وعن معظم اليمنيين.

وفي اليمن جرى للمرة الأولى تجريب العديد من مبادئ تسيير الحكم من قبل الدولة الإسلامية، وبالاستشهاد في غالب الأحيان من قبل اليمنيين، بالتجارة اليمنية القديمة فكانت تقدس فيما بعد القواعد والمبادئ الناجمة مؤخرا لفرض الضرائب، وكما سبق أن وضحنا، والكثيرون من عداد الذين بدأوا نشاطهم السياسي في اليمن سواء منهم اليمنيون أم ((الحجازيون)) اضطلعوا بدور كبير في قيام الحكومة الإسلامية في الشام ومصر والعراق وإيران (مثلا، معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري و الأشعث بن قيس وغيرهم).

إلا أن نشر الإسلام والتعليم الديني الإسلامي كانا لا يزالان مقيدين إقليميا لمدة طويلة في بعض مناطق اليمن نتيجة لصعوبة الاتصال، وكان بسط الإسلام في الكثير من المجالات لا يزال ذا طابع شكلي في الشمال والبوادي والمناطق الجبلية حتى القرنين التاسع والعاشر، وبدأت الحركات السياسية والدينية للزيديين والاسماعيليين دعوتها في جعل سكان المناطق غير المركزية نسبيا والواقعة في شمال البلاد وجنوبها أكثر فهما للإسلام وتعاليمه.

وفي عداد الناس الذين هاجروا من اليمن في غضون السنوات الأولى للإسلام كان عدد كبير من أولئك الذين اضطلعوا بدور لا يستهان به في تطوير العقيدة الدينية

الإسلامية (مصلًا)، وكذلك كطريق مدارس علماء الأحاديث النبوية – الشافعية في مصر، وأصبحت بمثابة الأساس لتطوير علم الأحاديث النبوية – وكذلك حاولوا لتطوير علم التاريخ في مصر والأندلس، واستطاع بدور كبير في قيام علم التفسير اليمنيان كعب الأحبار (توفي عام ٣٦هـ / ٦٥٦م أو عام ٣٤هـ / ٦٥٤م) ووهب بن منبه (توفي قرابة ١١٠هـ / ٧٢٨م)، وباسم الأخير يرتبط نشوء علم السيرة النبوية لراجع ٢٢٢) لقد أدى جمع الأحاديث النبوية إلى أن تقوم في اليمن مدرستها الخاصة بها، ويعتبر طاووس بن كيسان مؤسسها (توفي عام ١٠٦هـ / ٧٢٠م)[1]، وتحتل رواية اليمن للرواية الأحاديث النبوية الكثير من جامعي الأحاديث النبوية، ومن بينهم أحمد ابن حنبل، وفي كتابه ((المسند)) نعثر على عدد غير قليل من الأحاديث النبوية التي ترتبط مواضيعها باليمن[2]، وزار اليمن كذلك الشافعي[3]، وأصبح المذهب الشافعي فيما بعد أحد المذاهب الرئيسية المنتشرة في اليمن، كما أصبح فيما بعد المدرسة الزبيدية القائمة في منطقة كحلاء عدين ((مخلاف جعفر)) والمدرسة النبوية في زبيد تهامة، وكانت تتكون شافعية على نطاق شامل تهامة، وعدن، والمنطقة الساحلية من عدن وأبين، وحضرموت التي تم تحريرها في القرن الحادي عشر من حكم الخارجيين إن التقلبات الأساسية الجارية في التاريخ الديني الخاص بالعصر الإسلامي مرتبطة بالتيارات العلوية، وكتب ابن رستة في القرن العاشر يقول:

بين أهالي (صنعاء) وبقية اليمن يسود التشيع، والشيء الرئيسي في إيمانهم هو القول: الحق لأمير المؤمنين علي (١٩٢١، ص١١٢)، وكانت ثمة عوامل حددت قوة الميول الناصرة للعلويين بين اليمنيين، كما كانت بالنسبة لليمنيين اعتيادية التصورات بخصوص نقل السلطة إلى بعضهم البعض في أطر الأسرة الواحدة وأفكار قبلية

[illegible] ص ٦١ و ٦٠٩؛ ٢٢، المجلد ١، ص ٣٣٣؛ (٤٣) المجلد ١، ص ٣٣٣؛ ٤٣، المجلد ١، ص ٣٦٠ – ٣٦١ و [illegible] المجلد ٢، ص ٩٨١، ٦٩.

[illegible] المجلد ١، ص ٣٢ و ١٩٦ و ١٥٩ والمجلد ٤، ص ٦٦ والمجلد ٥، ص ٣٧٤.

[illegible] ٩٩٥، ص ٣٠ – ٣٩؛ ٧٩، ص ١٤٤ – ١٤٦؛ ٩٧، ص ٢٣٨.

التي كانت تلائم الأساس الاجتماعي والثقافي القديم، ومن جهة أخرى على شكل الدعامات وبدت منتشرة في العراق، أي في المستقر العلوي، أثناء الصراع بين علي ومعاوية، وذلك ما مارس تأثيره على مواقف مواطنيهم اليمنيين في وطنهم اليمن. وتحمل من حصائل الإجلال الخاص لعلي تأليف عدد كبير من الأساطير اليمنية عن التاريخ الواقعي والتي تخصص لعلي الدور الرئيسي في قبول جنوب الجزيرة العربية الإسلام، وفيما بعد قامت على أساس هذه الأساطير رواية شعبية هي الرأس الغولة تتحدث عن مغامرات بطولية تنشر على الإسلام في اليمن(١٩٣٢).

لقد حاول زعماء الشيعة في العراق واليمن مرارًا أن يستغلوا تعاطف اليمنيين مع العلويين ويتوسطوا في جنوب الجزيرة العربية[1]، وفي القرن التاسع كان من شأن مثل هذه المحاولات التي قام بها التياران العلويان الكبيران ((الإسماعيلية والزيدية)) أن حددت طابعًا للتاريخين الديني والسياسي لليمن.

اختار قادة الدعوة الإسماعيلية اليمن مكانًا حيث ينبغي أن يظهر الإمام "المستتر" بأن يؤسس الدولة الإسماعيلية وقد بدأت ((الدعوة)) الفاطمية، في جوهر الأمر، من نشاط الداعين المرسلين إلى اليمن، وهما علي بن الفضل اليمني وابن حوشب الفارسي (الذي لقبه منصور اليمن)، فأنشأ في المناطق الجبلية من اليمن دعائم لنفسيهما وجمعا من المخلصين لهما ولم يبدءا يعملان على المكشوف فقريا الأراضي لصالح الإمام الفاطمي الذي قال إنه سيظهر باليمن وفي مطلع عام ٢٩٣هـ / ٩٠٥م اقترب ابن حوشب، الذي دعمه الإقطاعيون من المناطق الجبلية لجنوبي غربي اليمن، من صنعاء ومن الجنوب اقترب منها واحتلها علي بن الفضل الذي كان يعتمد أكثر ما يعتمد على قبائل وفلاحي السهول وجزئيا على قبائل وفلاحي الجنوب الجبلي الراجع البلدة الخاصة بـ((الحركة الإسماعيلية الأولى))[2].

---

(١) الراجع: ٥٦، ص ٨٦؛ ٧٤، ص ١١٧ و ١٣٩؛ ٢٤٤، ١٢، ٣١]].

(٢) ستجد تفصيلا لذلك في الجزء الثاني التابع لهذا الفصل. المترجم.

إلا أنه في عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م كشف الإمام الفاطمي عن نفسه للناس [illegible] الدولة ليس في اليمن بل في بلدان المغرب حيث كان يعمل كذلك الدعاة الإسماعيليون بنجاح، ومن جراء تغير مكان قيام الخلافة المتوقعة نشأت خلافات في الدعوة الإسماعيلية و[illegible]، وهو أحد قيادة الحركة، إلى اليمن وتخلى عن الاعتراف بالإمام عبيد الله المهدي الذي في المراجع المذهبية الإسماعيلية بوصفه المهدي الحقيقي في اليمن لم يعترف علي بن الفضل هو الآخر بعبيد الله وأما ابن حوشب، وهو الداعي الرئيسي، فقد بقي أمينا للقيادة الإسماعيلية.

وإجمالا فإن حركة علي بن الفضل تتميز بما يلي: إنكار أصالة المهدي الفاطمي في بلدان المغرب وإعلان علي بن الفضل إماما [illegible]، التأكيد، أكثر مما كان عند ابن حوشب، على الدوافع الاجتماعية المطلوبة لتلبيتها من طرف الدعاية الإسماعيلية، ميول «الوطنية اليمنية» والرغبة في الاحتفاظ لليمن بشرف أن تكون البلد حيث سيظهر المهدي الحقيقي.

إن خصائص حركة علي بن الفضل تحتل مكانا معينا كذلك في الانشقاق العقائدي الإسماعيلي العام، وفي أواخر القرن التاسع برز تياران في الإسماعيلية، كان أحدهما، الذي سمي فيما بعد التيار الفاطمي، يعترف بالطابع الإلهي لجميع الأئمة «المستورين» و«المكشوفين»، وكان ثانيهما لا يعترف إلا بـ«إلهية» القائم الذي ينبغي أن يعود من الغيبة، وهو محمد بن إسماعيل؛ وهذا التيار بالذات سمي فيما بعد بالتيار «القرمطي»، وكان بمثابة الأساس الفكري لحركة علي بن الفضل وحركة القرامطة الذين اتهمهم الدعاية المعادية كذلك بالإلحاد والكفر؛ وأصبحت كلمة «القرمطة» تعني في المؤلفات الإسلامية «الكفر – الزندقة» (٨٩)، ص [illegible] القرامطة = الزنادقة، وبهذا المعنى بالذات استخدمت في المصادر ليس للدلالة

على حركة علي بن الفضل فحسب بل كذلك على الإسماعيليين اليمنيين عموما [illegible] في الإسماعيلية: «القرمطي» و«الفاطمي».

[illegible] الدعاية الإسماعيلية تجري سرا وتجري تحضيرا لظهور الإمام الأخير – [illegible] فلم تكن هنا أهمية كبيرة لمسألة الاعتراف أو عدم الاعتراف [illegible] «المستورين» بوصفهم أصحاب «الفضيلة» «النص»، ولكن عندما هب الإمام [illegible] على المكشوف أثار ذلك شكوكا كثيرة من الناحيتين المذهبية والسياسية سواء بسواء. وكان المهدي المكشوف معروفا للكثيرين كأحد مساعدي عبد الله بن ميمون القداح أو كطالب له ولكن ليس كعلوي. وفي ظل النظام [illegible] للعقيدة في استمرار استخدام الأئمة لأسماء مساعديهم وإعلان للاحتذاء [illegible] بآبائهم وما إلى ذلك كان من المحتمل أن تقوم بواعث جديدة للشكوك [illegible] من الخلافات العميقة داخل الفرق الإسماعيلية السرية المتناحرة، وكان الكثير من [illegible] الخلافات يتضح عندما كان ينبغي الاعتراف أو عدم الاعتراف بالإمام–المهدي بصورة علانية ونشأ هذا الانشقاق الإسماعيلي الأول في اليمن بشكل جلي جدا.

كان علي بن الفضل، وهو نائب ومساعد الداعي الرئيسي ابن حوشب، يعلنها [illegible] إزاء إعلان المهدي في بلدان المغرب الطيبة بالنسبة له؛ ولا سيما أن تلك كانت خيبة [illegible] لأولئك الذين أنهضهم هو للكفاح. ولننوه هنا بأن حركة علي بن الفضل كانت تتمتع بشعبية أكبر من حركة ابن حوشب. وقد أقام علي بن الفضل دولة ذات [illegible] كبيرة وأحل أو كان سيحتل حتما صنعاء في الوقت الذي أعلنوا فيه أن المهدي المنتظر ليس هنالك بتاتا حيث كان يلزم عليه أن يظهر بموجب الإرشادات التي أنجزها [illegible] بدأب ومثابرة خلال تلك السنوات كلها؛ وكان من الطبيعي من طرفه ألا يعترف بالمهدي المعلن عنه. وإن ذلك يعني الانضمام إلى التيار غير الفاطمي في الإسماعيلية.

(٨٩) راجع: ٧٢، المجلد ١ ص ١٦٨؛ ٣٤ ص ٦١ – ٦٣ والترجمة ص ١٦٤ – ١٦٦؛ ١٤٣ ص ٤ – ٤١؛ [illegible] ص ٣٠٤

(٩٠) للمقارنة راجع: ٣٣٩ والنبذة الواردة في هذا الكتاب

إلى دور المراجع الفاطمية في توضيح حركة علي بن الفضل قد جرت على يد علماء التاريخ ويظهر ذلك جليا من كتاب «كشف أسرار الباطنية» للحمادي [illegible] الذي [illegible] منه معلوماتهم جميع علماء التاريخ المحدثين تقريبا.

ويستشهد الحمادي في أحاديثه عن علي بن الفضل مباشرا بمؤلفات ابن حوشب ومن هناك جاءت الأحاديث عن أعمال الوحشية والتعصب التي قام بها أنصار علي في صنعاء، إلا أن كتاب «سيرة الإمام يحيى» وهو المصدر المعاصر لحركة الإسماعيليين المنظورين والمعادي لهم غاية العداء، لا يحدثنا بشيء عن أعمال القتل والتخريب الجارية في صنعاء، رغم أن ثمة أحاديث مفصلة عن مقاطع الزيديين ضد الإسماعيليين عموما.

لقد قيل إنه بعد عام ٩١٠م أعلن علي بن الفضل على الملأ عن مبادئه «الإلحادية والفاسدة» [illegible] وتورد المصادر بهذا الصدد نص القصيدة التي نطق بها، علنا [illegible] علي شخصيا أو أحد المقربين منه من على منبر المسجد في الجند أو صنعاء (١١٤، ص ٩٠٩-٩٢؛ ١٩٩٠، ص ١٩٥) ولم يكن ممكنا أن تعود هذه القصيدة لعلي [illegible] أصل إسماعيلي، ولا سيما أنه لم يكن ممكنا أن ينطقوا بها من على منابر المساجد [illegible] وفي مؤلفات علماء التاريخ جرى تشويهها [illegible] الإسماعيليين ونشروها في المدن التي يسيطرون عليها، والقصيدة [illegible] ذاتها، ورغم أنها [illegible] على جميع الشهادات عند إسماعيلي علي بن الفضل إلا أنها قد [illegible] «الملحدة» [illegible] ويجب النظر إلى هذه القصيدة لا باعتبارها من مؤلفات [illegible] الإسماعيليين [illegible] بعد أن [illegible]

[illegible] ولا سيما القصائد التي تتحدث عن ماضي اليمن [illegible] وهي الطريقة التي تتصف بها قصائد عربية [illegible] فالقصيدة تبدأ بعبارة: «[illegible]» والقصيدة الأسطورة القحطانية؛ التي من بني هاشم: فقد جاء نبي بني يعرب» أي النبي اليمني. وكذب الأعداء عن أن

عليا أعلن نفسه نبيا، وكان ذلك إنكارا تاما لمبادئ الإسلام الرئيسية، ولا يجوز تصديق مثل هذا التصريح بدون حيازة دلائل وثيقة، غير أن عليا، وهو ينكر حقوق الإمام المهدي في بلدان المغرب، فكان بإمكانه أن يعلن نفسه زعيما للحركة التي [illegible] محمد بن إسماعيل من الغيبة، ومن المعروف أن الإسماعيليين السوريين القريبين من القرامطة أعلنوا أنفسهم يمثل هؤلاء الأئمة (١٩١، ص ٩٠-٩٤) ووفقا لما [illegible] السيرة منصور «كان قد هرب من اليمن وأراد عندئذ أن يعلن نفسه إماما» (١٩، ص ١٩٥).

ورد في «التاريخ ومشاهد» أن عليا أعلن نفسه الأمير المهدي ودعا أنصاره إلى حلق رؤوسهم كدليل على الخضوع والاعتراف بسلطته (١٢٩، ص ٢٨؛ قارن مع: ١١٠، ورقة ٢٦) «الإمام المهدي»، ويعتبر ذلك بمثابة الصياغة الصحيحة للشكل الذي [illegible] «الدعوة» الإسماعيلية على عاتقه، وأخذ ابن حوشب بعين الاعتبار [illegible] اليمانيون فمثل نفسه لهم كذلك بوصفه مهديا، [illegible] = منصور اليمن، بما أن منصورا كان يعتبر في اليمن بمثابة المهدي المنتظر[1].

كان ذلك أمرا محتملا في ظل الأفكار الفاطمية القياسية، وكان لقب القائم لقب الإمام «المستتر» المنتظر (٩١، ص ٣٢ والترجمة ص ١٦٨) وكان على المهدي أن يعد ظهور القائم وكان بإمكانه ألا يكون علويا، وعلى هذه الحساسية [illegible] بين الخليفتين الفاطميين الأولين: عبد الله المهدي والقائم، وفي رأي [illegible] أن عبد الله كان إماما قائما من سلالة قداح التي حولت فيما بعد السلطة للإمام العلوي الحقيقي = القائم (٤٣١، ص ٣٢ و ٤٤-٤٥) ولعل من جراء ذلك يجري التأكيد في الأسطورة الإسماعيلية اليمنية في أن المهدي المغربي كان ابن عم الإمام المستتر السابق وليس ابنه[2]، وبعد أن قطع علي بن الفضل علاقاته مع المهدي

(١) ٤٣، ص ١٠٣؛ قارن مع ٢٦١، ص ٧٧٠-٣٣١.
(٢) ٤٣١، ص ٦٢؛ ٢٢٧، ص ٢٣٣؛ ١٩٩٠، ص ٢٠-٣٣.

الفاطمي ومنصور اليمن الشمالي استطاع أن يعلن نفسه مهدياً، وكان لابد من أن تتحول الدعاية الفاطمية لصالحه هذه إلى النبوة كاملة.

وعلى أساس مثل هذا التفسير يبدو السطر المأخوذ من القصيدة مشوقاً والحق ليس كذلك مطلقاً، والفكرة المشحونة فيه والخاصة بتقديم الخمس يعود إلى مكان الصدارة لمجلس الدول ((الوطنية)) للمؤمنين والحكي ذلك، وهنا تحل هذه الدول صحيحة تماما إلا أن الانشقاق جرى حقا من جراء أن اليمن حرم من الحق في أن تدعو بعد المهدي.

إن السطر القائل بأن الطفل نبي أي شرعة وها هي شرعته هذا النبأ يتطابق تماما مع النظرية الإسماعيلية بصدد أن كل نبي – ناطق يأتي بشريعته لمستوى الناس، وفي الوقت المعني الذي ينسب إلى ابن حوشب ذاته انطلق هذه العبارة على النحو التالي: الانطلاق السبعة ويسلا ناطقين بشرائعهم (راجع: ١١٨، ص ٥٠ و ١٠٦، الملاحظة ٣٢).

ومن هذا المبدأ والثابت تنجم التصور بأن الإسماعيليين، الذين لم يكونوا يحترمون الشعائر الخارجية للحقيقة الدينية أمرا ذا شأن في واقع الأمر، منعوا بكل ما هو محرم والغوا أداء الصلوات والصيام.

وفيما يخص تلك الأسطر التي تتهم الإسماعيلية بالتحلل مع النساء وما في ذلك المحارم، وهي في ارتباطها بالاتهام الاعتيادي للإسماعيليين بالعربدة الجنسية، قد تكون كذلك مصدر التهمة الأخطر نسبيا بين الناس في الفرق الإسماعيلية حيث التقارب الروحي كان يعتبر أهم من التقارب الجسدي.

وبعد ذلك نرى في القصيدة عبارة: ((ليس الحق لمن يقطعه)) وكان يمكن أن يمثل هذا السطر شعارا اجتماعيا وإجمالا فإن الإسماعيلية تتميز بالتحدد الفعلي أو الاحتمالات التفسير.

وأخيرا، فالقصيدة تختتم بالسماح بشرب الخمر ((ماء السموات)) وذلك أيضا هو نقلا من تقاليد الإسماعيلية علما بزعم وكان يمكن أن يكون ذا شعبية كبيرة في

عن حيث العقيدة فكان هناك إحدى الزرادشتية الرئيسية وحيث كانت توجد طقوس الجنسية مشروعة[1].

وهكذا نرى أن السمات الواردة في هذه القصيدة والخاصة بمذهب علي بن الفضل تقع تماما في إطار العقائد والتقاليد الإسماعيلية الواقعية، ومن خصائص حركة علي بن الفضل اصطباغها بصبغة يمنية معينة.

بعد هزيمة علي بن الفضل وابن حوشب كانت لا تزال بعض الفرق الإسماعيلية موجودة في اليمن بشكل غير علني وكان انتعاشها في عهد دولة علي الصليحي، وأصبحت اليمن إسماعيلية من الناحية الرسمية وجزءا من العالم الفاطمي من الناحية السياسية، وتم في تلك الفترة تأليف الجزء الكبير من مؤلفات الإسماعيلية الفاطمية وينحدر من اليمن العديد من مشاهير أعلامها، وأصبحت اليمن مركزا هاما للنشاط الدعوي والفكري، فأنشئت فيها المدارس والمكتبات الإسماعيلية، وفي خزائن المكتبات اليمنية الخاصة والعامة ما زال باقيا الكثير من التراث الإسماعيلي الذي هذا في مصر، وشدت اليمن مصدرا وقاعدة للدعاية الإسماعيلية الناجحة في بلدان حوض المحيط الهندي.

وقد اكتسبت الملكة الصليحية الشهيرة السيدة الحرة أروى في التقاليد الإسماعيلية اليمنية مجدا مبالغا فيه بقدر ما، فمنذ أحد كبار رجال الدين وإنشاء الدعوة، فنالت لقب الحجة، وفي عهدها جرى عام ١٠٩٤م الانشقاق الإسماعيلي الثاني؛ بحروب أنصار الإمام نزار المقتول في مصر إلى اليمن، ولكن اليمن مع ذلك بقيت مستعلية[2]، وبعد وفاة الخليفة الآمر عام ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م انشقت الأمة الإسماعيلية في

[1] أنا نختلف مع المؤلف في هذا الاستنتاج حيث تؤكد جميع مصادر الإسماعيليين على محاربتهم للخمر وعدم تناوله رسميا.

[2] نسبة إلى الخليفة الفاطمي المصري المستعلي. المترجم



اليمن إلى المصريين ((الحافظيين)) و((الطيبيين))[1]، ولقد الطيبيون يتطلعون على نطاق واسع في العالم الإسلامي عن طريق اليمن، وفي الأسطورة الطيبية صارت السيدة الحرة ملكة بحسب الإمام الطيب الشرعي المختفي(راجع: ١٥٢٢، ٤١٧).

إن التعاملات التي أحرزتها الإسماعيلية هي إحدى السمات المميزة للقرون الوسطى المبكرة الإسلامية في اليمن.

ومن العناصر المميزة الأخرى للأوضاع الدينية في القرون الوسطى المبكرة في اليمن كانت الحركة الزيدية.

لقد تمت دراسة التاريخ الزيدي وأيديولوجيتها بشكل مفصل لدرجة كبيرة، ولذلك من المعقول أن نتوقف هنا على بعض النواحي الأساسية وحسب.

إن الإمام يحيى الهادي إلى الحق، الذي نحن على علم جيد جدا بصدد حياته ونشاطه بفضل سيرة حياته المخطوطة والتي كتبها أحد معاصريه(١٨، ١٥٣) لقد استطاع من الدول الهمدانية ... الانشقاق في اليمن وكذلك مشاعر العطف الموالية للعلويين، وتمكن من أن يستميل إلى جانبه كذلك قبائل الشمال الذين كانوا يتطاحنون بعد أن أصلح شأنهم، وكان الجمع بين السياسة والدين في نشاطه يجري عن وعي بحيث ... ومن خلال ما أضافه إلى لقبه الإمام لقب ((أمير المؤمنين)) وأعار هذا الإمام اهتماما كبيرا لقضايا التنظيم الشامية الإسلامية أو بيت المال، وتتضمن كتاب ((السيرة الإمام يحيى العلوي)) أمثلة عديدة على تصحيح أصول فرض الضرائب ومكافحة العادات ((الوثنية)) التي وأشيع الأمر العادات العشائرية - ((القبلية)) وفي صدد تكوين متن المخطوطات لا يزال باقيا مؤلف الإمام يحيى الهادي ((الأحكام في الحلال والحرام)) (٤١٧، ص ١٢٥، ٢٢٣، ص ٢٠٧) وظلت قضايا الفقه خلال مدة طويلة موضوعا لانتباه العلماء الزيديون الرفيع، ولا سيما أن الاختلافات الناجمة في شؤون الفقه تؤلف تباين

---

(1) الطيبيون نسبة إلى الطفل الرضيع الطيب ابن الإمام المستعلي الذي قتل على يد الفرقة النزارية سنة ٥٢٤ هـ وضاع ابنه الطيب بعد قتله وقالوا إنه سيظهر من جديد. المترجم.

اليمن الزيدية ((القاسمية)) عن فرعها الطبرستاني (الحسنية)(١٥، ص ٤٦١، ٢٧١، ٤٣٧٠).

إن انطلاق الزيديين بالحق في الاجتهاد كان ناتجا عن الواقع أكثر مما كان ناتجا عن النظرية، واجتهادات الإمام يحيى الهادي المعروفة لنا تتعلق بتحديد ((الصحيح)) العلاقات مع أهل الذمة، فقد طلب، مثلا، من الذميين إعادة الأراضي التي حصلوا عليها من المسلمين وأقر إجباريا اقتداء اليهود المسلمين الذين كانوا يملكون ملكا لليهود والنصارى(٢٤٣؛ ص ٣٢٨، ٢٢٩).

إن قضيتي الإمامة وقانون الدولة كانتا دائما في مركز انتباه المنظرين الزيديين (٤٥١، ٤٥٦، ٢٣٠) ويتعلق ذلك، مثلا، بخاصية المذهب الزيدي بصدد الإمامة، بموجبه فإن بإمكان كل من أبناء علي وفاطمة أن يصبح إماما إذا كانت تتوفر عنده مجموعة معينة من الخصائص اللازمة للإمام الحقيقي والموصوفة بالتفاصيل في مؤلفات منظريهم.

وتميزت الزيدية في اليمن في القرون الوسطى المبكرة بتقبل الأفكار التي كانت تعتبر اعتزالية، ولا سيما، مبدأ ((حرية الاختيار و العزيمة)) والزيديون واصلوا لتعاون المتين بسهولة كبيرة، والفقه الزيدي إجمالا يعتبر قريبا من الفقه الشافعي.

إن الزيدية أعقبت الإسماعيلية باعتبارها إيديولوجيا علوية وأصبحت قمة لتجسيد مشاعر العطف اليمنية الموالية للعلويين.

من العلائم المميزة للزيدية: الاعتراف بالاجتهاد، والمطالبة بأن يكون الإمام منحدرا من سلالة علي، ومبدأ ((انتخابية)) الإمام، وإنكار ثقته بـ((العصمة الإلهية)) ولا زالت باقية في الفقه الزيدي مبادئ عديدة من علم المصادر الإسلامية الأصيلة الخاص بالعهد الإسلامي المبكر، ولذلك ففي بعض الأحيان يجري تشبيه الزيدية بالمعتزلة، رغم أنه ينبغي التحدث على الأرجح عن إيديولوجية الشيعة الموالية المعتدلة في العهد المبكر(قارن مع: ١٦٤، ٢).

من المحتمل أن الاحتفاظ بالسمات الروحية المبكرة للعقيدة الإسلامية أسهم في نجاح الزيدية لأنها بفضل ذلك كانت تتطابق مع الواقعين السياسي والاجتماعي في

المناطق حيث كانت تتسلط القبائل اليمنية، ومن جهة أخرى كان بمقدور ((الديمقراطية)) الزيدية أن تساعد على حفظ ذلك الوضع السياسي الذي اشتملت القبائل في ظله بدور هام كبير في حياة الدولة وكذلك على الاحتفاظ بالعديد من سمات العلاقات العشائرية - الأبوية.

لقد نوهنا أعلاه مرارا بانتشار الأفكار المهدية في اليمن، والوجود الواسع النطاق للتصورات الخاصة بمجيء الرسول المهدي هو ما يميز عموما القرون الوسطى من قيام الإسلام، وفي اليمن ذاتها وخارجها تكون حينئذ الإيمان بالمهدي المنتظر (الكيساني) والذي كان اسمه - مصطلح يعني خاص، هو منصور، وسارت في اليمن حركات سياسية عديدة تحت الشعارات المهدية واستغلها زعماء العديد من التيارات السياسية والدينية الكبيرة.

إن الاستعداد الفكري لليمنيين للمشاركة في شتى الحركات الدينية كان يعكس وجود فئات اجتماعية عديدة ومختلفة في البلاد والتي كانت لها مصالح شتى، وتميز المجتمع الإسلامي العائد إلى القرون الوسطى المبكرة والذي كانت النزاعات فيه متوفرة، تميز عموما بمثل هذا ((الاستعداد)) للجماهير وجزء من أفراد الفئة إلى القيام بالقتال. وكان ابتعاد اليمن عن مراكز العالم الإسلامي الأساسية يجتذب الكثيرين من زعماء الحركات السياسية والدينية الذين كانوا يبحثون عن دعم لتحقيق مثلهم العليا الدينية والاجتماعية، ويعتبر الخوارج قريبين من الاسماعيليين والزيديين في هذا المعنى، وكانت سيطرتهم في حضرموت هي الأخرى من السمات المميزة للأوضاع الدينية القائمة في اليمن في القرون الوسطى المبكرة.

لقد نالت اليمن في العالم الإسلامي العائد إلى القرون الوسطى سمعة بلد النزاعات الدينية والعصيان، وجاء التعبير عن هذا الرأي بصدد اليمنيين على لسان أبي العلاء المعري على النحو التالي: ((إن اليمن كانت دائما، طالما هي موجودة، مصدرا لأولئك الذين يثورون من الدين ويحصلون على التأخيل بلا شرف متسترين بالخير والكرم)) (٩٢، ص ٤١٤).



وهكذا نرى، فإن الحياة الدينية لليمن في القرون الوسطى المبكرة كانت تتميز بتنوع التأمل الفكري التي كانت بمثابة أشكال مختلفة لإيديولوجية القرون الوسطى، وكانت تعكس، بالصورة المسفرة، جزءا كبيرا من التاريخ الديني للشرق الأوسط العائد إلى القرون الوسطى، كما كان قيام الأيديولوجيا القروسطية يجري في التقاليد الحميرية والإسلامية من مراحل التاريخ اليمني، والأفكار التي كانت منتشرة في العهد الحميري، لا زالت باقية في جوهر الأمر على حالها في العهد الإسلامي وتتجلى بالأشكال الجديدة.

ملاحظات خاصة بالباب السابع

١ - إن الغزو الفارسي عاد على اليمن بطراز ديني آخر هو الزرادشتية، التي كانت معروفة في الجزيرة العربية بنحو جيد، يدل على ذلك أصداء المعتقدات الزرادشتية وبعض الشخصيات الزرادشتية ((المجوسيات)) في القرآن الكريم ومنها المفهوم الزمن - ((القدر)) وكانت المعابد الزرادشتية موجودة في النواحي الواقعة في شمالي الجزيرة العربية والجزيرة العربية الداخلية وحيث كان يقطن الفرس (٦٧٢، الورقة ٦١٦) وثمة معلومات مبهمة بصدد انتشار العقائد الزرادشتية في شرقي الجزيرة العربية التي كانت واقعة خلال ما بين القرن السادس وبداية القرن السابع تحت النفوذ الفارسي[1].

وكان بديهيا أن يتوقع نفس الشيء في اليمن ولكن ليس معروفا تقريبا شيء آخر عن ذلك باستثناء المعلومات المتناثرة (راجع، مثلا: ٢٨، ص ١٩٣) وربما تفسر هذه الظاهرة بخاصية غياب المصادر، ولكن يمكن اعتبارها كذلك دليلا على أن الزرادشتية كانت منتشرة، احتمالا، فقط بين الغزاة الفرس، والفرس اليمنيين وأبنائهم - الأبناء، الذين كان، بلا شك، موجوداً بينهم كثير من الزرادشتيين الذين اعتنقوا الإسلام بنحو سريع وسعوا إلى أن يحافظوا على مآثرهم أمامه، ولم يكن لصالحهم أن يتذكروا بماضيهم الزرادشتي، وربما لم تتصادم القبائل اليمنية القاطنة في الشمال مع الزرادشتيين القاطنين في العواصم والمدن التجارية الواقعة في وسط البلاد وجنوبها، والمعلومات الأساسية المتعلقة بفترة أواخر القرن السادس تنجم من هاتين المجموعتين الاجتماعيتين - التابعتين، ومهما كان الأمر فإن الزرادشتية لم تؤثر على العمليات الأساسية للحياة والصراع الفكريين في اليمن العائدة إلى القرون الوسطى المبكرة.

٢ - لقد اضطلعت التجربة اليمنية بدور كبير في تطور الإسماعيلية الفاطمية، واجتاز مرحلة الإعداد في اليمن الداعي أبو عبد الله الشيعي، وهو مؤسس الدولة

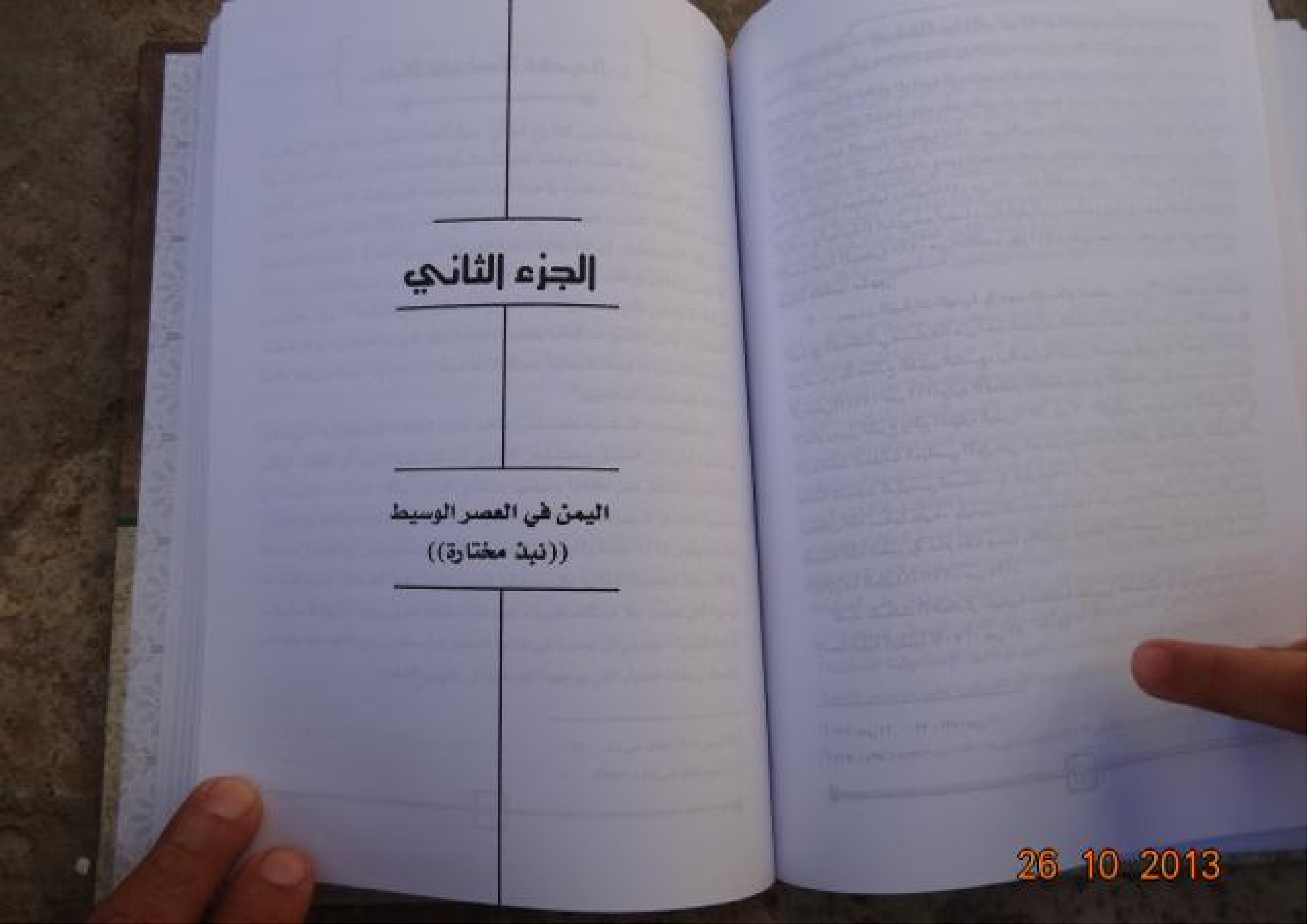
[1] ٤٨، ص ١٣٧؛ ٩٩، المجلد ١، الجزء ... ص ١٩؛ ٨٠، ص ٣٧ - ٣٨؛ ٨٢، المجلد ١، ص ٥٥؛ ١٩٣، ص ٢٠٥ - ٢١٦. [illegible]

الإسماعيلية في بلدان المغرب (قارن مع: ٥٢٢، ص ٣٢٤) وفي اليمن اجتاز اختبار العديد من مبادئ الإسماعيلية: مراتبية الإدارة وتنظيم الدعاية على يد الإسماعيليين، وعندما انتقل المغرب [illegible] نسخة لنظام المراتبية الإسماعيلية (بكل دقائقها وتفاصيلها)) والذي أصبح [illegible] على النطاق الشامل فإنه كان أقرب إلى التجربة اليمنية منه إلى التجربة الفارسية [illegible] الدعاية السرية المبكرة ١٨١، ص ٩١) وبروج التقاليد اليمنية تم تأليف الإبداعات الأولى للمؤلفات الإسماعيلية، ومنها ((كتاب العالم والغلام)) الذي ينسب إلى ابن حوشب ويحمل طابعا [illegible] (٤٢٨، ص ١٢ - ١٨ ((العدد رقم ١٠)) النص ٣٧) و((كتاب الرشد والهداية)) الذي هو أيضا من تأليف ابن حوشب ويعتبر أحد أشهر المؤلفات الإسماعيلية المبكرة ٤٢٨، ص ١٨ ((العدد رقم ١١)) وكان جعفر، وهو ولد ابن حوشب، مؤلفا فاطميا مشهوراً[1].

٢ - بصدد التيارات المهدية في عهد الإسلام المبكر راجع[2]، وكانت فكرة المهدي القحطاني مستوحاة من أحد شعارات انتفاضة عبد الرحمن بن الأشعث في خراسان في مطلع القرن الثامن، وفي بداية القرن السابع ظهر في اليمن ((المهدي الرعيني)) (٧٤، ص ١٩٩) وترد الأفكار المتعلقة بالمهدي القحطاني في وصف سيرة حياة الإمام يحيى لشرح واقع اختياره اليمن (٥٣٠١، ص ٢ - ٦٠) وليس عرضيا أن الطالع المهدي لإرادات الخليفة العباسي الأول أبي العباس ربما جاء أكثر في النقش [illegible] على [illegible] المسجد الرئيسي لصنعاء: ((لا قول فيه... أمر المهدي، عبد الله وأمير المؤمنين، [illegible] الله [illegible] عليه، بترميم المساجد وبنائها على يدي الأمير علي بن الربيع، [illegible] الله الخير في عام مائة وستة وثلاثين، ليعظم الله نصيب المهدي ويوفق شؤونه ((الإرادة الطيبة)) (٣٦١، ص ١٢٤).

لقد شغلت الأفكار المهدية مكانا كبيرا كذلك في إيديولوجية ودعاية الإسماعيلية اليمنية (٥٠٩٤ أ، ص ٨٩ - ٩٠).

[1] ٢٨، ص ٢١ - ٢٢؛ ١٩٦؛ ص ١٠.
[2] ٥٦٩؛ ٣٣١؛ ٣٦١.



الجزء الثاني

اليمن في العصر الوسيط

((نبذ مختارة))

١- الحركة الإسماعيلية الأولى...

من القبول في علم تدوين التاريخ اليمني، سواء أكان الخاص بالقرون الوسطى أم الحالي، وفي غالبية مؤلفات علم الاستشراق المتعلقة باليمن، من المقبول تسمية الحركة الإسماعيلية المبكرة في هذا البلد بالحركة القرمطية، إلا أنه من الأصح تسمية الحركة المنتشرة فيها فيما بين أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر بمجرد الحركة الإسماعيلية، أن ثمة عبارة واحدة تنوه بها علي بن الفضل وربطته بالقرامطة في اليمن والعراق فقد قيل بأنه صرح بأن يحتذو حذو أبي سعيد الجنابي وحمدان قرمط في رفض حقوق ميمون بن القداح وابنه على تولي الإمامة(1)، وإذا كان من المحتمل أن بعض التصورات العامة بصدد الإمامة تربط علي بن الفضل مع القرامطة، فإن هذه التصورات ليست قرمطية صرفا إلزاما نسبة إلى حمدان قرمط بل إنها عائدة كذلك للفاطميين المبكرين(2).

إن المعلومات الأساسية بخصوص عقائد أفراد الطائفة الإسماعيلية التي كان يروجها علي بن الفضل وبخصوص الأصول المستندة فيها تعزى إلى التقليد الموالي للتعبير والتعلق بمن كانوا يحيطون بمنصور اليمن، مثلا، العبارات المقتبسة من (سيرة منصور اليمن) في الكتاب الذي ألفه هذا الحمادي ذي الطابع المعادي للإسماعيليين ١١٥، كما وأعيدت معالجة هذا التقليد المعادي لعلي بن الفضل كذلك في الأوساط اليطرية المعادية للإسماعيلية عموما وشمل بهذا الشكل جميع المؤلفات اليمنية التي تعتبر، بلا استثناء تقريبا، سياقات مختلفة لنفس رواية تاريخ الإسماعيلية الأولى اليمنية، وينبغي أن ينسب إلى عداوة المصدر جزء كبير من الاتهامات بالكفر والفساد وسفك الدماء التي يوجهها المؤرخون إلى علي بن الفضل

(1) ص ٩٦١؛ ١٤٤، ص ٤٨ – ٤٦.

(2) راجع ١٤٤، ص ٤٨؛ ٤٥٧.

إلا أنه لا زالت باقية آثار تقليد آخر يتضمنها ((التاريخ وصاب)) للحبيشي (من القرن الرابع عشر) (١٣٦)، في هذا النص يغيب المصطلح ((القرمطي)) ولكن يوجد المصطلح ((الزنديق)) وهنا نبأ بأن علي بن الفضل أعلن نفسه ليس نبيا بل مهديا أو أميرا مهديا وذلك ما يتطابق مع الوضع الواقعي، أكثر من الاتهامات الفاطمية بـ ((التنبؤ الطائفي)) (١٢٦)، ص ٦٢ - ٣٥٠.

إن ازدياد العواطف الموالية للعلوية في اليمن منذ أواسط القرن السابع والتي شخصتها شتى ضروب الدعاة الشيعيين وجد التعبير الأعلى عنه في نجاح الداعيين الإسماعيليين اللذين كان نشاطهما تجليا للفعالية السرية الواسعة النطاق للإسماعيليين الذين استغلوا التخمر الروحي والاجتماعي الذي شمل دولة الخلافة في أواسط القرن التاسع فهيأوا التربة لإعلان السلطة السافرة لإمامهم ((المستور)).

في المؤلفات السنية تعزى المبادرة إلى اختيار اليمن مكانا للثورة السافرة إلى عبد الله بن ميمون القداح، ولكن إذا أخذنا بعين الاعتبار أنه مشكوك فيه عموما بوصفه زعيما للحركة الإسماعيلية[1] فينبغي أن نربط ((الصياغة اليمنية)) بالأحرى مع الداعي الرئيسي فيروز الذي ناضل من أجلها بحماس ونشاط[2].

لقد عين أبو القاسم بن حوشب العراقي زعيما للدعاية الإسماعيلية في جنوب الجزيرة العربية، وكان يخضع له الشاب اليمني علي بن الفضل الذي كان منحدرا من منطقة أبين بجنوب اليمن وكان ينسب أصله إلى الأعيان اليمنيين المحليين، إلى عشيرة حمير[3]، وكان وفيا للعلويين بتعصب كبير للغاية وقد انتبه له الإسماعيليون في العراق واستمالوه إلى حركتهم وأرسلوه إلى اليمن دون إطلاعه مدة طويلة اعتباطيا على جميع

[1] (١٣٦) ص ٢٣١ ، ١٥٩.

[2] (١٩٦) ص ٢٤٣ و٢٤٤ ، ٢٤٥ - ٢٥٠ ، (٧٠) ص ١٤٠ ، (٧٨) ص ١٥٥.

[3] (١١٥) ص ٢٠١.

تستدعيهم السرية بسبب مكانة هذين الشخصين في تاريخ الدعوة الإسماعيلية واليمن[1].

وصل الداعيان زهاء عام ٢٦٨هـ/ ٨٨١ - ٨٨٢م عن طريق الحجاز إلى ميناء غلافقة أو ((الغلافقة)) حاليا الواقع على ساحل البحر الأحمر، توجه ابن حوشب إلى الجبال المخصصة له في ((سلامية)) فمكث في الجند وعدن أبين ثم وصل مع قافلة حجاج إلى شعب لاعة في الجزء الجبلي الشمالي الغربي من اليمن، في منطقة حجة، وابن الفضل هو الآخر زار الجند وأبين، التي كان منها، ومن استقر في منطقة يافع الجبلية (١١٥)، ص ٢٠١ - ٢٠٥ وكان الوضعان المختاران من قبلهما متشابهين جدا بعضهما لبعض من حيث الظروف الجغرافية ((الجبال)) ومن حيث قوام السكان الفلاحون المتحضرون في الجبال والقبائل والمترحلة في الهضاب والوديان».

كان المتكتمان المنتهجان من قبل الداعيين أيضا متشابهين بعضهما لبعض، فهما في بداية الأمر لم يكشفا عن ولائهما للإسماعيلية وعاشا في أماكن موحشة يتظاهران بالتبتل وصليا كثيرا وصاما، وشيد ابن الفضل مسجدا على قمة الجبل ولم يكن ينزل منه إلى القرى حيث الناس، كما يزعم، لم يكونوا متبتلين بالقدر المطلوب، ولم يكن يأكل بصورة ظاهرية شيئا مما كان يجلبه إليه سكان الأنحاء المجاورة (٤٢)، ص ١٨٠.

في المناطق النائية والمنعزلة عن المدن كان القليلون ملمين بأمور الدين، وكان الزاهدون المتبتلون، المتضلعون جيدا في العلوم الدينية، ينالون شهرة كبيرة بشكل سريع، وكان الناس يفدون من الأقاليم المجاورة في بداية الأمر لمشاهدتهم ثم يطلبون النصيحة أو حل النزاعات، وأصبح ابن حوشب شخصا ذا شعبية في جبال الشمال الغربي وابن الفضل في يافع وأبين.

[1] (٢٦) ص ٢٣٣ - ٢٤٠ و٣٦٨ - ٣٩١.

والتوطيد التدريجي للسلطة كان بمثابة المرحلة الثانية، فأخذ الداعيان يجمعون ويوزعان الزكاة في الأراضي المجاورة حتى يجنيا محتلين عنها لجباية العشر[2]، وعلى هذا النحو أصبحا زعيمين لمنطقتين غير كبيرتين.

وفيما بعد أصبح أبو القاسم بن حوشب أول من ارتقى، فأحاط نفسه بتحصين مطلقين له وشيد حصن عين محرم (العبر محرم) وتنازع الثر مع جزء من القبائل التي تستقر في أراضيها وكذلك مع الوالي اليعفري لمنطقة جبل مسور[3].

حاولت الجيوش اليعفرية القضاء عليه ولكنها طردت بمساعدة المتحالفين المحليين الذين أيدوا أبا القاسم بن حوشب. ثم تلت سنوات النضال ضد القبائل العاصية وضد ولاة اليعفريين وضد صغار الحكام المحليين (مثلاً، ضد أبي إسماعيل من الشوار) وتمكن ابن حوشب من أن يضم جميع الجهات بالتدريج واستولى على الأراضي المجاورة بشكل واسع.

احتل ابن حوشب قلعة ذات اليعفرية وأعاد إنشاءها وحصنها وجعلها عاصمة له عوضاً عن مسور، وبعد ذلك أعلن زعماء عام ٢٨٥هـ على الملأ أنه يعتبر ممثلاً عن الإمام المستور، المهدي، الذي يجب أن يظهر للناس عن قريب(١١٥، ص ٢٠٥ - ٢٠٦). وظهرت فضائل ابن حوشب منطقتي لحج والشوار الجبليتين وغيرهما وخرجت فيما بعد زعماء عام ٢٩٥هـ/٩٠٢م إلى سهل صنعاء، واحتلت ونهبت شبام اقيان، عاصمة اليعفريين الأصلية، إلا أنها سرعان ما طردت منها، ورغم ذلك فإن النجاحات كانت واضحة العيان، وأرسل ابن حوشب لزعمائه بعثة بهدايا وفيرة وتقرير عن الأقاليم المقهورة للمهدي.

أما علي بن الفضل فقد اعتمد على طائفة تسرائه وكذلك شيد لنفسه ((حصنا)) في يافع وأعلن منها الجهاد الحربي ضد الطائين ((الكفار)) حكام الأقاليم المجاورة.

---

(2) [illegible] ص ١٧٩.

(3) [illegible] ص ١٧٩، [illegible]، ص ١٧٥.

(4) [illegible] ص ١٨١ - ١٨٢، ١١٥، ص ٢٠٩.

أرسل الجيش الأول على أراضي محمد بن أبي العلاء من عشيرة أصبح، الذي كانت عاصمته خنفر.

واستطاع علي بن الفضل لحج وأبين وعاصمتها خنفر. وشارك في القتال ضد جيوش جعفر بن إبراهيم المناخي المتحالف مع علي بن الفضل، والذي كان يحكم أراضي جبلية شاسعة شمالي يافع وغربيها، وبعد أن نقل علي بن الفضل جزءاً من الغنائم أعلن الحرب التي على حليفه أيضاً بعد أن عاد بجيوشه من يافع واندفع منها إلى الشمال الغربي نحو إقليم معافر، وحتى ذلك الزمن انتشرت انتصارات علي بن الفضل على نطاق اليمن كافة وانضم إليه الناس كثيرون من القبائل المترحلة وشبه المترحلة – مذحج وزبيد وغيرهما.

لقد تعطلت فصائل علي بن الفضل في بداية الأمر عند عمير بردان؛ إلا أنها عادت مجدداً واقتحمت قلعة المظيهر في منطقة المذين، عاصمة جعفر المناخي، وعلى غرار سرو العاصمة لابن حوشب فإن قلعة المظيهر أصبحت عاصمة لعلي بن الفضل، وحاول جعفر المناخي استعادة ممتلكاته ولكنه قتل في المعركة الثانية[1].

على هذا النحو فقد أصبح علي بن الفضل حاكماً للجزء الجنوبي من اليمن بعلاقة مباشرة مع اليعفريين، أقوى الحكام المحليين، وبعض المصادر تبين بأن علي بن الفضل أعلن على الملأ في ذلك الزمن في الجند عن الجوهر الحقيقي للمذهب (القرمطي) (١١٥، ص ٢٠٩)، ومعظم المؤرخين ينسبون ذلك إلى الزمن التالي لاحتلال صنعاء، والأصح أنه حدث في بداية الأمر، قبل احتلال صنعاء، مثلما في شأن ابن حوشب. الإعلان المكشوف لمهمة علي بن الفضل الأولية، إقامة سلطة المهدي القبلي، وتجلت خصائص حركة علي بن الفضل وأعلنت على الملأ فيما بعد، بعد عام ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م.

تحرك علي بن الفضل من منطقتي المجرية وأبين نحو صنعاء عن طريق وادي يحصب ودمر مدينة ملكات، والتقل إلى جانبه بشكل شامل سكان المدن والقرى وحتى بعض ولاة اليعفريين، وهرب أسعد بن إبراهيم اليعفري من صنعاء إلى الجوف.

---

(1) ص ١٧٣ - ١٩٤؛ ١١٥، ص ٢٠٧ - ٢٩.

وسلم للإسماعيليين بدون معركة المدينة الرئيسية لليمن، وهي رمز السلطة العليا على جنوب الجزيرة العربية، ودخلت جيوش علي بن الفضل صنعاء في العاشر من شهر محرم عام ٢٩٣هـ/٩٠٥م[1].

عندما دخل علي بن الفضل صنعاء استولى ابن حوشب على شبام أقيان، وجرى في شبام أقيان لقاء بين الزعيمين الإسماعيليين اللذين قهرا معظم اليمن وحطما أعداءهما الرئيسيين، واقترح ابن حوشب (الأكثر تعقلا ربما من ابن الفضل) التكلف عن الغزوات التوسع في الأقاليم المقهورة، وتشير المصادر التي تنسب إلى التقاليد الإسماعيلية الفاطمية، بأن ابن حوشب كان مضطربا جدا بالثقة الذاتية لابن الفضل وغطرسته وعزمه على الزحف غزوا على تهامة[1]، ص ٢١٠.

ثم تلو الاتفاقية، زحف ابن الفضل نحو تهامة ولكن جيوشه توقفت في الجبال واقتتلهما فصائل ابن حوشب، وبعد مرور سنتين زحف ابن الفضل مجددا نحو الغرب عن طريق حراز وحطم جيوش حاتم المهجم وخرج إلى تهامة واقتحم زبيد ونهبها وعاد بعد ذلك إلى المذيخرة قلقا على الغنيمة الكبيرة التي كان يمكن أن تلهي الجنود عن الحروب المقدسة، والإجراءات التي أثارها هذا القلق وجدت التعبير عنها في أسطورة تتحدث عن كيفية أمر ابن الفضل جنوده بأن يقتلوا جميع البنات اللواتي أسروهن في زبيد[2].

وفي عام ٢٩٦هـ/٩٠٩م انقطعت العلاقات نهائيا بين ابن الفضل وابن حوشب، وكان ذلك استمرارا للانشقاق الواقع في الطائفة الإسماعيلية بمجملها، وكذا من جراء النشاط الناجح للواعظ الإسماعيلي أبي عبد الله الشيعي، الذي كان في بداية الأمر مساعدا لابن حوشب في اليمن، حيث أعلن عن ظهور الإمام المستتر عام ٢٩٧هـ/٩٠٩م في بلدان المغرب ومن ثم انتقل إلى مصر وسمي أمير المؤمنين.

---

(١) ص ١٩٦ – ١٩٧، ٢١٥، ٣١٠؛ ... ص ٧٧، ٣٢٩.

(٢) ص ١٩٧ – ٢٠٠، ٢١٥، ص ٢١٠ – ٢١١.

لذا يلاحظ الكثيرون من الإسماعيليين الاعتراف بعبيد الله باعتباره المهدي المنتظر، ولقد غامض كثيرا من أحداث تلك السنوات، فقد شك البعض في أن هذا الشخص بالذات كان خلف محمد بن إسماعيل والبعض الآخر لم يعتبره جديرا بأن يرأس الهيئة المهدية والبعض الثالث كان غير راض على نقل مركز الحركة الإسماعيلية إلى مكان جديد، وحصل انشقاق في صفوف الإسماعيليين[1].

وبعيد ذلك فقد هرب الداعي الرئيسي (الشخص الثاني في التراتبية الإسماعيلية بعد الإمام (المستتر)) فيروز من مصر إلى اليمن إلى ابن حوشب وحاول أن يحرض الإسماعيليين في اليمن ويدعوهم إلى التمرد، لكن ابن حوشب ظل وفيا للإمام عبد الله وأعلن به على الملأ بوصفه المهدي، وانتقل فيروز من ثم إلى ابن الفضل الذي كان ...[2]، وأعلن ابن الفضل في المذيخرة أنه لا يعترف بعبيد الله المهدي إماما وأصر على ذلك رغم محاولة ابن حوشب لثنيه عن ذلك.

بعد ذلك الانشقاق إلى صراع مسلح، فقد استولى ابن الفضل على شبام أقيان بجيش يتكون من ١٠ آلاف جندي ويتألف من فصائل قبائل يافع ومذحج وزبيد وغيرها، ووصل إلى لاعة وحاصر في نهاية المطاف ابن حوشب في مسور، ودام الحصار مدة طويلة ولكنه لم ينجح في الاستيلاء على القلعة، وعقدت معاهدة صلح، وأخذ أحد أبناء ابن حوشب الذي أطلق سراحه بعد مرور سنة واحدة رهينة.

بعد أن عاد ابن الفضل من مسور عن طريق سهل صنعاء استولى مرة أخرى على صنعاء المتنقلة من يد إلى أخرى، وفي نفس الوقت عقد معاهدة صلح مع أسعد بن إبراهيم اليعفري الذي تخلى عن العباسيين وعين لقاء ذلك واليا لابن الفضل في صنعاء، إلا أن أسعد بن إبراهيم استغل الفرصة السانحة الأولى لكي يتخلص من عدوه القديم، تقول بعض المصادر إنه جاء إلى أسعد بغدادي ما، ذو مهارة في الطب، وعرض عليه أن

---

(١) ص ٩٤، ٢٤٤؛ ص ٤٠ – ٤١ و ٣٦٧.

(٢) ص ٩٣ و ٢٩٤ – ٢٢٥، والشعر العربي ص ٤٠ – ٤١؛ ص ١٥٠؛ ص ١٨٨ – ... وسقط منه اسم (فيروز).

يطلبه من الزعيم الإسماعيلي لقاء محالفتنا، وتم عقد الصفقة وغادر البغدادي إلى المظيهرة حيث سرعان ما اشتهر بعقاقيره ومهارته في فصد الدم، وفي وقت ما استدعي إلى ابن الفضل، وتمكن من تسميمه واضعاً شعره بالسم وجاز موساه عليه فقصد دم المريض، وتوفي ابن الفضل بعد انقضاء بضع ساعات، وحدث ذلك عام ٣٠٣ هـ/ ٩١٦م[1].

وعندما علم أسعد بذلك جمع للتو جيشاً كبيراً وتحرك نحو المظيهرة، واحتل قلعة المعسكر بسرعة ولكنه ظل محاصراً للمظيهرة مدة سنة كاملة تقريباً، لقد دافع المحاصرون عن أنفسهم بصمود ولم تدخل الجيوش اليعفرية القلعة إلا بعد أن تم تحطيم الاستحكامات الدفاعية جميعها بواسطة أجهزة المنجنيق، وبعد ذلك أخذ أسعد بالقضاء على الإسماعيليين على نطاق البلاد كلها، وذلك بالتحالف مع زياديي تهامة والإمام الزيدي في صعدة، وكانت الجهود الرئيسية موجهة ضد مسور، عاصمة ابن حوشب الذي توفي قبل موت ابن الفضل بسنة واحدة، وهب ابن الحسن للنضال من أجل السلطة عند الزعيم الجديد للطائفة وتخلى عن الإسماعيلية وساعد في القضاء على أنصار أبيه، وسرعان ما قتل الحسن أما خليفته والمتمرد عليه فقد انتقل أيضاً إلى جانب السنيين واعترف بسلطة الزيديين وأمر بأن تذكر أسماء الخلفاء العباسيين في الخطب[2].

بالرغم من الحزازات والاضطهادات الداخلية فإن بعض الطوائف الإسماعيلية قد عاشت في جبال حراز وفي منطقة مسور[3]، وبصرف النظر عن أنها كانت مشتتة فقد حافظت على روابطها فيما بين بعضها البعض وكان لها دائماً زعيمها المشترك، كما ظلت روابطها قائمة مع مصر الفاطمية، وعلى هذا النحو استمر الأمر حتى أواسط القرن الحادي عشر عندما تمكن الإسماعيليون من استعادة السيطرة على اليمن بأنفسهم بقيادة علي الصليحي نشيط الهمة.

---

(١) ص ٢٠٤ و ٢١٨؛ (١٥) ص ٢٢٣ – ٢١٨.

(٢) (١٥) ص ٢١٨ – ٢٢٠؛ (٩٤) ص ٢٠٧ – ٢٠٩ و ٢٢٣ – ٢٢٩.

(٣) (١٥) ص ٢١٦ – ٢٢١.

في ظل الطابع المتناقض والمتقطع للمعلومات المتعلقة حتى بالتاريخ السياسي للإسماعيليين في اليمن من الصعب للغاية القيام بالوصف الصادق للطابع الاجتماعي للحركات الدينية، إلا أنه ينبغي القول إن الأفكار السياسية الدينية للإسماعيلية والحقيقة أن أهم الحركات المختلفة بعضها البعض من حيث طابعها الاجتماعي وأن الإسماعيلية استغلت فيما بين أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر لأغراضها الاستياء الواسع النطاق للجماهير من وضعها، ولهذا السبب نرى أنه في أحوال ملموسة يمكن تشبيه النضال الإسماعيلي من أجل السلطة في العراق والبحرين والشام واليمن مع الحركات العفوية للفئات الاجتماعية الدنيا وفي المقام الأول الفئات الفلاحية (قارن (٩٤)، ص ٣٦٠ – ٣٦١).

إن الدعاية الإسماعيلية لم تجد تأييداً كبيراً لها في المدن حتى في أوج الحركة الإسماعيلية في اليمن، وكانت تستمد لنفسها أنصاراً في المناطق الجبلية وسط الفلاحين والرحل، وكانت حركة علي بن الفضل ذات طابع جماهيري، الأمر الذي يتبع من المعطيات المتكررة وباستمرار في المصادر والخاصة بالعدد الكبير لأفراد جيوشه التي كانت تكاد تجابهها دائماً فقط فصائل الحكام المحليين والحاميات الكبيرة (١٤)، وبين أنصار علي بن الفضل يكاد لا يوجد أعيان محليون، فقط بعض الحكام أصبحوا حلفاء له لمدة قصيرة وذلك انطلاقاً من الاعتبارات التكتيكية الصرف.

كان علي بن الفضل يخوض دعاية مستمرة معلناً، مثلاً، الكفاح ضد الاضطهاد وأعمال التعسف، فالغزو ضد جعفر بن ابراهيم المناخي، مثلاً، كان انتقاماً من التنكيل القاسي الذي قام به ضد السكان القرويين (٣٤، ص ١٩١). وكان نظام الحياة الجماعي القائم لدى الإسماعيليين اعتيادياً ومفهوماً لأفراد القبائل الفلاحية، وكانت أفكار التكتل الداخلي والاستخفاف بمشاعر الطقوس الشكلية تروق للفلاحين والرحل، وهكذا رفع شعار أن: ((الفلاة تعود ملكاً لمن يزرعها))[1]. وكان

---

(١) – ص ١٩٨.

(٢) (١٤) ص ١٩٧ و ٢١٠، ١١٠؛ الورقتان ٢٢٩ أو ٢٩ ب؛ قارن مع: ص ١١.

لهذا المعتقدات، بنديها، طابع ديني مجرد وليس اجتماعيا والحق كان يعتبر مجموعا على أشكال مختلفة فالأعداء، كانوا يفسرون هذه المعتقدات تفسيرا تقلاميا إلا أنها في إدراك الجماهير كانت تفسر باعتبارها أعداء لأمانيهم الاجتماعية المهمة التي لم يكونوا يعون بها دائما.

لقد تميزت حركة علي بن الفضل بالمشاركة الواسعة النطاق أمام القبائل الشاكة في السهول: مذحج وزبيد وعك، وبعكس ذلك فإن ابن حوشب لم يتمكن من استمالة القبائل إلى جانبه، وفي القصص الخاصة بنشاطه تبرز القبائل كخصوم أو خاضعين بالقوة، والأمر الأخير هو ما اليجري التشديد عليه بشكل خاص)).

لقد كان أعداء علي بن الفضل أعداء له، وطالبين بالنسبة للجزء الكبير من المنتقل الثروي، وغالبا ما كان الأعيان المحليون – أخلاف الأقيال الحميريين – أعداء للإسماعيليين بالمقام الأول، وكان اليعفريون وجعفر المناخي وغيرهم من الممثلين البارزين لهذه الفئة.

وإجمالا فإنه لا داعي للمبالغة في شأن التناقضات الطبقية القائمة في هذه الحركة، فإنها كانت في الحالة الجنينية ولم تتجل بالشكل الواضح، وكان الوعي الذاتي الطبقي يحل في ذلك العهد بالإحساس الديني الحاد حيث كانت النزوع الطائفية للفلاحين المحليين والرحل تندمج مع المثل العليا الإسماعيلية ذات الجوهر والشكل الطائفيين والخاصة بالصفاء والعدالة والتطلع [1] ».

____

[1] بعض الفصل الخاصة بالتاريخ الداخلي للإسماعيلية

المراجع: ٢٢١، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٤

لقد أصبح سد مأرب مرارا موضوعا لدراسات العلماء، وأثار اهتمام الرحالة [1]، وعلى أساس أحدث الفحوص والمسح الجوي يمكننا أن نقدر تقريبا مساحة الأراضي التي كان يرويها سد مأرب والسدود الصغيرة المجاورة له (السد جفينة وغيره)، وهي تعادل ١٠ آلاف هكتار أي ما يقل عن ٠٫٢ ٪ من مساحة الأراضي المزروعة في اليمن (المساحة الإجمالية للأراضي الصالحة للزراعة تعادل زهاء ٥ ملايين هكتار [2]). ولكن، فبالرغم من ضخامة شكله الخارجي ((الفاصل الترابي الرومي الهائل وطوله نحو ميل واحد، وأبراج الهويسات المبلطة بالكتل المنحوتة والمعطية إلى ارتفاع حتى ١٠ أمتار، والتروش والمصليات المقدسة حولها)) فإن هذا السد كان منشأة ري محلية فقط ولم يكن أساسا لمنظومة الري في جنوب الجزيرة العربية، كما كانت تعتبره الأسطورة القروسطية.

ورغم ذلك فإن هذا السد برز من نواح كثيرة وسط سائر منشآت الري، وكانت تقنيتها ودقة تصنيع مواد البناء تفوق كل ما نعرفه عن منشآت الري في اليمن من العهد القديم والقرون الوسطى المبكرة ((كانت تلك المنشآت مشيدة أساسا بالحجر الخشن))، وكان هذا السد قائما بجوار مدينة عاصمية عظيمة (مأرب) وكان الطابع منه يشتد بفعل بهاء هذه العاصمة، وبالإضافة إلى ذلك فإن واحة مأرب كانت واقعة على حافة صحراء الربع الخالي، وكان التباين الحاد التباين الحاد بين الخصوبة الناجمة عن مفعول السد وجدوبة البادية هو الآخر ينعكس في وعي أولئك الذين كانوا يفدون إلى مأرب مع القافلات التجارية، وكان في عدادهم كثير من سكان واحات

____

[1] (٣٢) ب، ص ٩٠

[2] (٢١) ص ٦٣

الجزيرة العربية وبدو محاربون من القبائل المترحلة، وهؤلاء بالذات [illegible] مأرب على نطاق الجزيرة العربية ثقافة وفيما بعد انهيار دماره.

ولم يتميز سد مأرب من حيث مقاييسه فحسب بل كذلك من حيث طابع عمله. ونستنتج من وفرة الرواسب الغرينية في السد أنه كان يستخدم لأجل تخزين المياه وليس لأجل توزيعها فقط كما كان شأن معظم منظومات الري في جنوب الجزيرة العربية ([illegible] ٢٥٩، [illegible]). وعلى ذلك يدل أيضا الوصف العائد إلى القرون الوسطى والذي [illegible] ما من شبام كوكبان، إذ جاء فيه ما يلي: ((إن سد مأرب يقع بين ثلاثة جبال حيث تتجمع مياه السيول في مكان واحد وحيث كان لهذه المياه مخرج واحد فقط. إن الأوائل سدوا هذا المكان بالحجارة الصلبة [illegible] بهذا الصدد قارن مع الآية ٤ من سورة [illegible] القول في القرآن الكريم حيث ترد كلمة مجازا بالجمع [illegible] والرصاص، وكانت المياه تتجمع هناك من الينابيع مع ما يتسرب من مياه السيول، وكانت هذه المياه [illegible] فيما وراء السد كالبحر، وعندما كانوا يريدون إرواء حقولهم كانوا يفتحون في هذا السد، حسب احتياجاتهم، أبوابا محكمة ومركبات مهندسة ويروون بالقدر اللازم ثم يحبسونه إذا أرادوا ذلك))[1].

كما توجد قصة أخرى تعزى إلى أبناء الفرس اليمنيين وتصف كيفية الجمع بين [illegible] مياه السيول ونقل الأسمدة إلى الحقول: ((العرمة وهي (المسناة) بالفصحى [illegible]، وكانت هناك تسد العجز الواقع بين جبلين وكانت المياه تتجمع فيما وراء السد، وفتحت فيه أبوابا أحدها فوق الآخر، وكان أمامه بركة كبيرة ذات ١٢ منفذا وفقا لعدد الأنهار، وعندما كان يحل موسم الأمطار كانت مياه السيول تتجمع فيما وراء السد، وبعد إصدار أمر كان المنفذ الأعلى يفتح والماء يسيل إلى البركة، ثم كانوا يلقون البعر[2] ويلقون به إليها وكانت شتى قطع البعر تندفع من البركة بمجموعات مختلفة، وهي بدورها أيضا كانت تبطئ جريان المياه في الأنهار، وكانوا

[1] ١٩١، المجلد ٤، ص ٢٣٣.

[2] البعر كما هو معروف من مخلفات الجمال وكانوا يستخدمونه كسماد للأرض. المترجم.

[illegible] البعر إلى الماء بحيث إنه يخرج بشكل معتدل مع المياه. هكذا كانوا يزرعون [illegible] وحل بهن من النعم ما حل بسليمان))[1].

[illegible] القرآن الكريم يتصورون واحة مأرب بشكل جنات بساتين حيث كانت [illegible] تسقط بنفسها إلى سلال المارة[2]. ووصف الهمداني أنقاض مأرب فتحدث عن جذوع أشجار النخيل التي عثر عليها هناك (١٣١، ص ١٩٧). إن معارفنا بخصوص [illegible] في اليمن القديمة وكذا بخصوص طابع الزراعة المعاصرة في الجزيرة العربية [illegible] والواحات الواقعة على حافة البوادي تدل على أن الجزء الأساسي من الأراضي التي كانت ترويها مياه سد مأرب كانت تشغله أحراج النخيل، وكان في ظلال النخيل، كما هو الحال في أيامنا الحاضرة، تستنبت شتى أنواع الغلال والفواكه والخضروات.

وفي الآيات القرآنية الكريمة نجد وصف واحة مأرب بشكل ملموس، فيرد فيها الحديث عن حالها بعد دمار السد ((الآية ١٦ من سورة سبأ)): ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ (سبأ، ١٦). إن جميع المفسرين يجمعون على أن الأكل الخمط هو الأراك أي شجيرات كانت تستخدم علفا للجمال، والأثل هو شجيرات ذات أحجام كبيرة ومتوسطة والسمان والطرفة وغالبا ما تصادف في المناطق السهبية من الجزيرة العربية، والسدر هو أشجار ضخمة عادة ما تسمى في اليمن نبق النبق أو عبل (قارن مع: ٢٣٨، ص ١٨ - ٤٩)) وهي تنبت في المناطق السهبية حيث تفيض مياه السيول، وثمارها النوم التي تؤكل وتطفئ الظمأ جيدا ويستخدمها أهل اليمن في الطعام على نطاق واسع، وأشجارها ذاتها تؤلف السمة المميزة للمناظر الطبيعية في الجزيرة العربية، على هذا النحو. فإننا نرى أن في هذه الآية يجري تعداد النباتات المذكورة بقدر تناهي مقاييسها ووصف المناظر الطبيعية التي تتميز بها، في أيامنا الحاضرة أيضا، مناطق اليمن القاحلة والتاخمة للصحراء (مأرب والجوف وأطراف حضرموت)). إن هذا الوصف القرآني

[1] ١٠٣١، المجلد ٢٢، ص ٥٤.

[2] ١٠٣١، المجلد ٢٢، ص ٥٣.

الصيد والقنص، شأنه شأن سائر الأوصاف الواردة في القرآن الكريم، يدل على حسن
ومعرفة الواقع في الجزيرة العربية وعلى الطبيعة في البادية اليمنية
إن الجنتين المذكورتين في القرآن الكريم والذين حظيت بنعم فيهما سبأ (البلاد
سبأ) هما أيضاً محددتان، إذ إنه يمكن التمييز بوضوح بين مجموعتي المزارع
والحقول الواقعتين على جانبي الوادي الأساسي في مأرب والمرتبطتين بهويسي السد
المخصصين لتوزيع المياه (إن بقايا هذين الهويسين لا تزال مرئية جيداً في أيامنا
الحاضرة أيضاً))[1].

إن الدراسات الجيومورفولوجية القريبة العهد لواحة مأرب لتسلط الأضواء على
دواعي الطابع المحدد الطارئ للوصف الوارد في القرآن الكريم، فقد تم اكتشاف آثار
التكسر الأخير لسد مأرب، ولم يعد إنشاؤه بعد ذلك، ووفقاً لطابع الرواسب يمكن
تحديد تاريخ حدوثه بعام ٥٨٠ م، أي أنه حدث في أيام طفولة النبي محمد ﷺ، وبقي
حيناً في ذاكرة جيله، ويؤكد على ذلك القرآن الكريم، واستمرار
القصص السائدة له[2].

إن هذه التفاصيل المحددة تتشابك مع المعطى الخلقية المميزة لأسلوب القرآن
الكريم حيث يقال إن هلاك الحضارة القديمة (في هذا الحال هلاك أهل أو بلاد
سبأ) هو بمثابة عقاب من الله على كفر الناس وإتباعهم بنعمتهم الشخصية، إذ جاء
في سورة سبأ (الآية ١٥): ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا
مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ
وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَٰلِكَ
جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥ - ١٧].
إن الآية القرآنية الكريمة تتضمن اسم السد - العرم - الذي يتطابق مع
المصطلح ZmRm الذي استخدم في النقوش للدلالة على الفاصل الترابي الأساسي لسد

[1] ٣٩٧، ص ١٣١ - ١٩١٠.
[2] الزاجع ٣٩٧ ب، ص ١٧٣ - ١٩١٤.

مأرباً وأيضاً ...) مثلاً[1] فكان المفسرون يفهمون ذلك كدلالة على السيل ولكن لربما
كان أيضاً ... إذ أن مصدر الكلمة قد يكون معنى الفعل: ((القى بقوة))
((القى بقوة))[2]. إن استخدام ال التعريف يدل على أن في التقليد المتبع في الجزيرة
العربية كانت الكلمة تفهم كاسم علم للسد أو كاسم للسيل.
إن الأسلوب العام للآية القرآنية المتعلقة بسبأ والذي يفسر دمار السد كعقوبة
حلت إلى هلاك الشعب (على غرار ما هو متعلق بعاد وثمود) ليس مجرد حصيلة
مجموعة الأساطير الجاهلية عن مأرب والمواضيع القرآنية المعالجة له، ولقد ورد في
مؤلفات المؤرخين والمفسرين عدد من الأساطير الخاصة بسقوط سد مأرب التي تقع
تاريخ بعد نزول القرآن الكريم، وتسرد هذه الأساطير بوصفها تاريخاً لنزول القرآن أو
شرحاً للآية القرآنية، وقد أعيدت صياغتها بالقدر الكبير بتأثير القرآن الكريم
ولكن توجد فيها تفاصيل عديدة لا علاقة لها بالقرآن، الأمر الذي يتيح لنا أن نرى فيها
(التشخيص) القرآني بمصير الحضارة القديمة ((إن الصياغات الأساسية للأسطورة
الواحدة الخاصة بتكسر السد واردة في كتاب ((التفسير)) للطبري))[3].
إن هذه الأسطورة تنسب دمار السد إلى الجرذ ((الفأر)) الذي أرسله الله خصيصاً
لكي يعاقب أهل مأرب، هذا الجرذ، الذي لم يستطع التغلب عليه لا الحراس
بالقطط ولا ...، لقد حفر الفأر الجزء الأسفل من أساس السد وانهار السد بعد
الفيضان الأول فوراً، وينبغي التنويه هنا أن حجة الجرذ ليست خيالية جداً، فحقاً إن
الجرذان عدوة السدود الترابية وكان من الممكن أن تؤلف قصة الجرذ ((الجرذان))
جزءاً من الأسطورة البدائية، بصدد انجراف تربة السد[4].

[1] ول السطر ١١، ١٩٩، ص ١٠، Ja 541 و CIH 540.
[2] ١٢، ص ١٩؛ ٣٦٤، المجلد ٦، ص ١٠٦.
[3] ١٨٦، ص ٣٦ - ٣٧.
[4] ١٠٣، المجلد ٢٦، ص ٥٤ - ٥٧ بصدد الصياغات الأكثر إسهاباً راجع: ٢٠٧، المجلد ٣، ص ٣٦٩ - ٣٧١؛ ٣٦٤، ٩، ص ٣٣٣ - ٢٨٠؛ ١٩٧، المجلد ٤، ص ٣٣٣ - ٣٨٥.

والحجة الواهنة الأخرى لهذه الأسطورة ليست مرتبطة بالقرآن مطلقاً، وهي تقدم النزوح الجماعي للقبائل اليمنية نحو الشمال من جراء تحطم السد، وبحسب الصياغة الأشهر انتشاراً للأسطورة يقال إن رئيس إحدى القبائل الأزدية التي كانت تقطن بجوار مأرب، وهو عمرو بن مزيقياء، تنبأ بأن السد سينهدم، وبتأثير الحلم الذي رأى فيه الجرذ يحفر جلاميد السد الضخمة بسهولة أو بتأثير التنبؤات الجديدة التي جاءت بها أخته المتبصرة، غادر عمرو مع قبيلته بلدة مأرب خفية ولكنه باع مقدماً جميع الأراضي العائدة له ولأقاربه بشكل مربح[1].

إن الأسطورة القحطانية الخاصة بأواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن تربط بهذا النزوح واقع في بلاد الشام والعراق ظهور ((القحطانيون))، القبائل والعشائر التي جاءت، حسب ما يزعم، من اليمن، إن هذا العرض ليس صحيحا من الناحية التاريخية بمجرد أنه لم يكن من الممكن أن يحدث الدمار التام للسد قبل النصف الثاني من القرن السادس أما القبائل القحطانية المزعومة ((لخم وكلب وجذام وغيرها)) فقد كانت موجودة حقا في بلاد الشام والعراق وشمال الجزيرة العربية منذ زمن بعيد جدا، ومن جراء أحداث دمار السد المؤقتة وأعمال ترميمه والعمليات الحربية الجارية في المنطقة المحيطة به كان من الممكن حقا أن تحدث شتى نزوحات القبائل وحتى النزوحات الكبيرة على نطاق المقاييس المحلية[2]. وكان من الممكن أن تعتبر أساسا لأجل شتى الروايات المحلية وروايات البدو اليمنيين، إلا أن تحول التاريخ المحلي إلى رواية عامة بصدد ظهور القبائل القحطانية في الشمال لهو ظاهرة جرت في وقت متأخر وناتج عن عمل الأدباء من العصر الإسلامي الذين حولوا التاريخ الأسطوري اليمني إلى تاريخ المرحلة السابقة لتاريخ جميع العرب.

---

(1) [illegible]، ص ٢٢٨ - ٢٢١، ٦٠، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(2) قارن مع: ١٧٩، ص ٣٢٩ ما يخص عدد نزوحات القبائل الوارد في النقش CIH 450، السطرين ٩ - ١٠؛ وقارن مع: ١٩٨، ص ٤٢٧، الملاحظة ٢٥، ما يخص العلاقة بين نزوحات القبائل وأحداث الدمار الواقعة في القرن الرابع والرواية في النقش).

إن التطابق التاريخي للأساطير الأولية النسيج بقدر كبير بتأثير الأساطير القحطانية إذ المعتقد لم يرو أية سد مأرب لأغراض الوعظة والعبرة قد جاء أولا على لسان الشاعر من القرن السادس – أوائل القرن السابع، وهو الأعشى، عن أحد أحداث السد في الشعارة، وقد زار اليمن وكان مطلعاً جيداً على مشاهير الناس فيها ولا الزعيم الكندي قيس بن معدي كرب الذي كرس الأعشى له قصيدة تنتهي بسد مأرب، حيث جاء في البيت ٦٢ ((إن في ذلك موعظة لطالب الخير، ومأرب طغط بقايا العرم، ٦٨ ولم يسقط الرخام الذي شيده أهل حمير لأجلهم مياههم ((من الفيضان))، ٦٩ إن مياههم، حينما وزعوها، كانت تروي حقولها وكرومها ((أي حقول وكروم مأرب)) ٧٠ وهكذا كانوا في نعم ويسر ولكن جاء إليهم الخاطف والمنتصر، ٧١ واندفع الأقيال وزوجاتهم إلى الغابة التي تملأها السرابات، ٧٢ وهربوا بسرعة كبيرة لدرجة أنهم لم يستطيعوا أن يشربوا ولو جرعة ماء تكفي الطفل المنزوع من ثدي أمه))[1].

---

(1) المجلد ١، السطر ٦٧ - ٧٢، ١٢٢، ص ٩٨ و ١٧٦؛ بصدد الصياغات الأخرى راجع: ١٩٧، المجلد ١، ص ٣٧٧ - ٣٨٨؛ ١٩٩، ص ٣٣٥.

موتوا كراما بأسيافكم

وللموت خير لمن ناله ... إذا المرء أمته لم تدم

ففي ذاك للمؤتسي أسوة ... ومأرب عفى عليها العرم

رخام بنته لهم حمير ... إذا جاء ماؤهم لم يرم

فأروى الزروع وأعنابها ... على سعة ماؤهم إذ قسم

فعاشوا بذلك في غبطة ... فجارهم جارف منهزم

فطار القيول وقيلاتها ... بيهماء فيها سراب يطم

فطاروا سراعا وما يقدرون ... منه لشرب صبي فطم

هذه القصيدة من ديوان الأعشى / المترجم.

نلاحظ أن في هذا القصيدة، التي لا مبرر في أن نعتبرها تأليفا منحولا بعد الإسلام، تستخدم كلمة القرم بدل التعريف ويمكن فهمها، كما هو الحال في القرآن الكريم، على نحوين: كمقاييس السد وكمقاييس السيل (أتيها الكاتبية فهم عمل مختلف (سيل)) أو الأول (مرتبطا فقط أثر)) (قارن مع: ١٦٢، ص٩٦، الملاحظة ٣٠).

إن الأعشى يجمع بين المتعلقات بصدد السد والوضع الاعتيادي المتطابق مع روح إبداعه: موضوع القدر وسطوته وثقافة مساعيه حياله، والآية القرآنية تورد عمليا نفس المعنى إلا أنها تصحح مفهوم (القدر) الجاهلي بالقدرة الإلهية كما كان يجري ذلك في أحوال كثيرة أخرى.

ثالثا- الوقائع اليمنية الواردة في شعر الجاهلي ووصف صناعة الحرف اليمنية في العهد الإسلامي

كانت الوقائع اليمنية تؤلف في الشعر الجاهلي للجزيرة العربية الداخلية عنصرا كبيرا من عناصر النظم المجازي وملهما للخيال، فإن الذكريات القائلة العهد عن الممالك والملوك اليمنيين الهالكين كانت جزءا لا يتجزأ عن المتعلقات بصدد القدر وسطوته؛ وكان الملوك اليمنيون والقبائل والحواضر المأهولة يعتبرون بمثابة الفضل الزائل على الجبروت، إذ كان يرد ذكرهم في قوام انتصارات زعيم أو رئيس ممدوح وكانت آثار إقامة القدماء تقارن بالرموز الكتابية اليمنية الزائلة إلخ.. إن كل ذلك يشهد على الروابط الوثيقة بين سكان الجزيرة العربية واليمن في القرنين الخامس والسادس. ومن الأنواع الخاصة لمثل هذه الشهادة تعتبر تنويهات المواد المصنوعة من قبل الحرفيين اليمنيين، وهذه المواد تذكر بالمقام الأول في المقارنات بوصفها أشياء معروفة جيدا ولذلك بإمكانها أن تمنح الشاعر القدرة على نقل أحاسيسه وأحواله النفسية إلى المستمع.

كان الاسم العربي التقليدي للرداء "البرد" يعني في بداية الأمر الرداء المخطط اليمني [1]، وفي الشعر، حتى في العهد الإسلامي، كان مصطلح (يمني) يعزى بالمقام الأول إلى الرداء (ذو الرمة، راجع [2]) وكانت الأقمشة المخططة تعتبر في الجزيرة العربية الجاهلية سلعة يمنية أصلية وتتميز فيما بين بعضها البعض من حيث أماكن صنعها وضروب زخارفها، ومنها: أتهمي [3]

---

1 قارن مع: ١٥٩، ص الفهرس؛ ٢١١، المجلد ٢، ص ٨١ و ١٠١.

2 ١٦٠، العدد ٧٧، السطر ٩.

3 امرؤ القيس (راجع: ٦٨، العدد ٣، السطر ٤، الشطر أ؛ راجع: ٧٢/١٧، ص ٣٧)؛ المخطبلة (راجع: ٧٢، ص ٢٦٣)؛ عوف بن عطية (راجع: ٢١١، العدد ٢٤)؛ وشريحة الأعشى (راجع: ١٧٠، العدد ١، السطر ٢٣؛ والعدد ٧٧، السطر ٨)؛ ١٩٧، المجلد ٣، ص ٢٢٨؛ وجبلنية عبيد بن الأبرص (راجع: ١٥٩، العدد ١٥، السطر ١٤)؛ والكثير غيرها (راجع: ٤٨١، ص ٦١ - ٥٣).

غالبا ما كانوا يغطون الرحال بالأقمشة اليمنية (٢١١، العدد ٧٦، السطر ٩

٦، ص او ٥٧٣)، وكذلك الهوادج(٢١١، العدد ٧٦، السطر ١١)، وكانت تقدر

شكل وقع الأقمشة الموشاة الرابطة (ذو الرمة) (راجع: ١٦٠، العدد ١٤، السطرين

٩ او ٢٠)، ومن الأصباغ الرئيسية المستخدمة لصبغ الأقمشة باللون الأحمر كان

العندم وهو عصير شجرة العندم السقطرية (٢١١، المجلد ٢، ص ٣٦١، الملاحظة ٥٣)،

وأحيانا ما كان يمكن أن يصبح اسم القماش اليمني بشكل صفة تعريفا لنوع آخرين

الأقمشة صنع كذلك في اليمن، مثلا اليمني مشرعب، والذي يجمع بين نوعين من

الأقمشة هما اليمني وشرعبي ((امرؤ)) القيس (راجع: ٦٨، العدد ٣، السطر ٤٨) يصدد

قائمة أسماء الألبسة والأقمشة اليمنية راجع: ٣٤٣، ص ٥٥

كان يجري التشديد على صنع الأقمشة في اليمن وحضرموت وعمان بشكل

خاص في الأشعار لذو الرمة، راجع: ١٦٠، العدد ٥٥، والسطر ٧، ١٩٤، المجلد ٥، ص

٣٨٣)، وكانت تذكر كذلك أسماء تجار الأقمشة اليمنيين (الحطيئة، راجع: ١٣٠،

ص ١٨ امرؤ القيس، راجع: ٦٨، ص ٨٠، ٣٢، العدد ٢٢٨

لقد كانت البعثات الوافدة من اليمن إلى النبي محمد ﷺ تحمل الألبسة كهدية

٤٨١، ص ٥٢)، وكثيرا ما كان يجري الحديث عن بهاء ألبسة الوافدين من اليمن،

الأمر الذي كان يثير عنايات النبي محمد ﷺ (راجع، مثلا: ١٩٤، المجلد ١، الجزء ٢،

غالبا كانت الأقمشة اليمنية عادة ما ذات خطوط حمراء وسوداء الوصف، الحطيئة، (راجع

٢٣، ص ٣٧) وذات لون أحمر للزان رقم وطل المثقب العبدي (راجع: ٢١١، العدد ٧٦، السطر ١١

عمرو بن الطفيل (راجع: ٢١١، العدد ١١٦، السطر ١٠) وذات لون أبيض (أسحل / سحل) طرفه بن

العبد، (راجع: ٦٩، ص ١٨٨ زهير (راجع: ١٨، ص ٣٢٩، النابغة والذبياني (راجع: ٨٦، ص ٩٣، ٤٨١،

ص ٩١ - ٩٥) وكان تبرقش الألبسة يعتبر من السمات المميزة للحميريين، وعندما وصف

الحطيئة بروعة زهر قال: (أطانا حميرين يلتبان بعضهما مع بعض على حوافها وأطرافها

١٣٠، ص ٣٣) ولا وصف صبيح بن خاتم كيف كشف القطر الزهور إلى الدار قال: ((إن الحجارة

تسقط من الجدران (أفعل القطر) وإنما هو فتاة مشبطة في الصباح بالرحال الحميرية (٢١١، العدد

١٢٣، السطر ١٩) بحسب الأوصاف اللائقة للقطر راجع: ٧٧، ص ٨٠، ١٧٢، العدد ١٠، الأسطر ٩ - ١٥.

فالنبي محمد ﷺ كان يرتدي بردا حضرميا ١٩٤، وحسب ما يروى

ص ٢٩، ١٨٨، الجزء ٢، ص ١٠ و ١٥٣)، وكان كفنا النبي محمد ﷺ والخليفة أبي بكر

المجلد ١، الجزء ٢، ص ١٩٤١، المجلد ٢، ص ٤٣ : ٢٠٤، ص ١٢، والترجمة، ص

مصنوعين من القماش اليمني وفقا للاتفاقية المعقودة بين النبي محمد ﷺ ونجران كان أهلها يدفعون سنويا

ألفي حلة (١)، وكان معاذ بن جبل مأمورا بأن يجبي الجزية من غير المسلمين في اليمن

بالأقمشة المصنوعة في معافر (٢) بصدد صنع الأقمشة الموشاة في أيام معاوية راجع: ٧٣،

ص (٣) بصدد خياطة كسوة الكعبة على يد اليمنيين راجع: ٢٢٣، ص ٢٠٤

إن الانتشار الواسع النطاق للنسيج يفترض توفر المادة الخام، لقد ظهر القطن في

الجزيرة العربية في القرن الثالث قبل الميلاد، ومنذ العهد الهلنستي أخذ القطن والأنسجة

القطنية تورد إلى مصر أساساً من الهند عن طريق اليمن ٣٤٥، ص ١٣٠ - ١٤٧)،

وهكذا كان من الممكن أن يدخل نبات القطن إلى جنوب الجزيرة العربية، والقطن

اليمني ذو اللون الأصفر الفاتح قليلا ربما كان معروفا جيدا في دولة الخلافة العربية،

وعندما وصف ابن حوقل قطن طبرستان قال إنه يشبه قطن صنعاء وصنعاء (٣) بصدد

قطن الجوف راجع: ٣٤٢، ص ٥٣ : ١٢٠، ص ٢٢٨، والملاحظة ٨٣٩ بصدد قطن

(عتب) الجزء الساحلي من حضرموت راجع: ١٢٥، ص ٢٠١)

والسلاح أيضا كان يتهيأ للشعراء الجاهليين مرتبطا باليمن منذ الأزمنة القديمة،

وكانوا يسمونه بالسلاح العادي - نسبة إلى عاد - رشيد اليشكري (راجع ٢١١،

العدد ٦٨، الأسطر ٥ - ٩)، وكانوا يسمون الرماح المشهورة بالرماح اليزنية باسم

السلالة القبلية الأصلية ذي يزن مثلا أبو ذعيب، الرازي (راجع: ٢١١، ص العدد ١٢٦،

السطر ٥٩)، والمزرودات بالزرود التبعية (من كلمة تبع - ((ملك حميري))، المزرد بن

ضرار، راجع: ٢١١، العدد ١٧، السطر ٣٨) أبو ذعيبا راجع ٢١١، العدد ١٢٦، السطر

(١) ٢٨، ص ٨٧ - ٨٨.

(٢) ٤٨١، ص ٥٣.

(٣) ١٨٩، ص ٣٢٣ ، ١٩٠ ص ٣٨١.

٩٥)، النابغة الذبياني، راجع ٨٦، ص ٩٨؛ وكانوا يربطون السلاح كذلك باسم لزم الأسطوري لزهير راجع: ٤٥، ص ١٤٨)، وكانت السيوف اليمنية مشهورة بصورة خاصة (عنترة بن شداد، راجع: ٢٠، ص ١٤٠؛ ٢١١، المجلد ١، ص ٥٦٢ و ٦١٩)،

وقد واصل الحرفيون اليمنيون في العهد الإسلامي صنع النصال ورؤوس الرماح والمزاريق (٣٣٦، ص ٢٠٦)، وكتب الهمداني عن صنع الحلي من أحجار الترصيع في الشمائل لأجل الخناجر والسيوف مثلاً، إن الحلي المشابهة لم تصنع كذلك في الهند فقط (٢٥٤، ص ٢٦٤ – ٢٦٦).

كما كانت الجلود المدبوغة في اليمن تشتهر بجودتها العالية طرفة بن العبد (راجع ١٩، ص ٣٠)، وكانت مشهورة المواد الدابغة اليمنية الخاصة المزرد بن ضرار، راجع ٢١١، العدد ١٥، السطرين ٢٥ – ٢٦)، وفي الأشعار تذكر سرارا السيور وأحزمة السرج المصنوعة من الجلد اليمني مثلاً زهير، راجع: ٤٥، ص ٣٥٤)، وكانت من المراكز الأساسية لتصنيع الجلود نجران وصعدة وجرش، واستمرت حرفة صنع الجلود في الازدهار في العهد الإسلامي أيضاً [1].

(١) ١٩٦، ص ١٣٩ – ١٤٠؛ ١٨٩، ص ٣١؛ ١٩٠، ص ٣٩؛ ١٩٣، ص ١١٢.

في بداية الأمر كان القيل qyl (جمعه أقيال qwl)، فرداً من أفراد العشيرة الرئيسية في الشعب، ومنذ القرنين الثاني والثالث الميلاديين أخذ يسمى بالأقيال أكابر الإقطاعيين الوظيفيين (المتكبون الذين كانوا يحكمون الشعوب، أي الأعيان الإقطاعيون[1]، وقد تذكر الأقيال في النقوش العائدة إلى القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد، وكانوا يقودون جيوش المشاعيات وقبائلهم وقبائل الملك Ry 207، Ry 508، 1028، Ja. وكان بإمكان القيل أحياناً أن يملك اللقب الإداري والعسكري (١٩١، الجزء ٥، ص ٢٤١٧)، لقد احتفظت الأسطورة في الفترة المتأخرة بذكرى الأقيال باعتبارهم قادة عسكريين بالدرجة الأولى، والمصطلح قيل يفسر في القصص الإسلامية العربية أحياناً كقائد (الوقائد عسكري) (٢٣٥؛ المشتمل ١، ص ٥٨). وفي الأسطورة أسعد الكامل يتمثل أسلاف السلالات القبلية الشهيرة بوصفهم قادة عسكريين لهذا الملك[2].

إن نقوش أقيال شعب ردمان ((القرن الثالث ميلادي)) من المضمل) عن أنه بالإمكان تعيين نفس الأشخاص أقيالاً في مختلف الأماكن وفي مختلف الشعوب بأمر صادر عن الملك، فمثلاً، هذيان أوكن، هو مؤلف النقش مصل ٥، كان قيلاً في مختلف وثم في مقرا بعد ذلك قيلاً على ردمان وخولان في عهد الملك ياسر يهنعم[3]، وقد انعكس نشوء السلالات القبلية من الأعيان ((المختصين)) التابعين للملوك الحميريين في النقوش العائدة إلى العهد الإسلامي حيث جاء أن الملك عين موسى سلالة ذي الكلاع قيلاً على مجموعة من المشاعيات الحميرية (في النص – القبائل)، وفيما بعد أصبح أخلافه حكاماً ورثاء لمنطقة كلاع[4].

(١) ٢٠، ص ٣٩ و ٩٦ – ٩٣.
(٢) ٢٩٤، ص ١٨؛ ١٨٩، ص ٣٣٣ – ٣٣٧؛ ٢٨٢، ص ٢٦٩ – ٢٧٠.
(٣) ٢٠، ص ٢٤٨ – ٢٤٩.



إن القيل كان زعيما وحاكما للشعب، وكانت أسماء الأقيال عادة تسير مع شعوبهم، وكان الأقيال يقودون قبائل الشعوب وينظمون الأعمال المتعلقة بترميم منشآت الري وتشييد الحصون، والمعاجم العربية تفسر كلمة قيل بوصفها تشتق من مصدر (القال، يقول)) فهو يقول ما يريده، وذلك يتحقق)) [٥٤، المجلد ١٣، ص ٥٦٩]. وبالإضافة إلى أفراد الشعب كان يخضع للقيل كذلك أصناف من الخدم معفيون من الحرس وخدم(١). إن الأسطورة تتحدث عن الآلاف الأشخاص الخاضعين للقيل ذي الكلاع: ١٢ ألفا من الأعبدان(٢) و ٤ آلاف من أهل البيوت(٣) ومن العبيد والرقيق والغلمان الخاضعين له، والرقمان الواردان هنا يدلان، طبعا، على القليل بحد ذاتهما وكلاهما يعكسان التصور العام عن العدد التقريبي للأشخاص الذين كان من الممكن أن يخضعوا للقيل الكلاعي، مثلا، قال إن لكل قيل كان ١٠ آلاف من التابعين [٢٣٩، التسلسل ١، ص ١٨٠] ولا حظنا من خلال الأرقام فيجب أن نأخذ بعين الاعتبار الجنود والفلاحين التابعين سواء بسواء، ومن المحتمل أن ظهور مصطلح (أشاعبة الأقيال) بوصفهم متميزين عن الشعوب عموما كان يشير في القرن السادس إلا أن جزءا من الشعوب الخاضعة للأقيال كان تابعا لهم مباشرة وفورا [٢٨٤، ص ١٠٨].

وثمة معلومات غير واضحة تماما بصدد الممتلكات الخاصة للأقيال الهمدانيين: الأراضي، والمنازل لأجل عقد اجتماعات الشاعبة، والبيت(٤)، ومقر القيل(٥)، وثمة أسطورة بصدد أن ذا الكلاع شيد مصنعا وصالة في منطقة أب(٦)، ووفقا لبعض القصص والأساطير كان الأقيال والشاعبات القيلية يمتلكون الأراضي والأشجار

(١) Ry 3904، ٢٨١، ص ١٠٥.
(٢) (mrbd, syd, mr) ((العبد)) و((السيد)) و((المرء)) Ry 507, RES 3904) (gz).
(٣) ٣٢، المجلد ٢، ص ١٥٣.
(٤) ١٢٥، المجلد ٢، ص ١٦٩.
(٥) ٢٨١، ص ٨٩.
(٦) (mgwh) ٢٣١، ص ١١٠.
(٧) ٢٣١، ص ٢٢٩.



والبساتين ومنشآت الري والعبيد، واحتفظ المعجميون العرب المسلمون بالتعريف التالي لمصطلح قيل الذي ينسب لأبي عبيد: ((إن القيل، كان يحكم قومه ومخلافه ومحجره))(١). القوم هو الشعب الخاضع للقيل(٢)، المخلاف هو اسم وحدة إدارية خاصة للتقسيم الإداري (الإقليمي) العائد إلى القرنين السادس والسابع، مقاطعة، منطقة(٣)، أي من أجزاء الدولة الحميرية حيث كان الملوك يعينون الأقيال - الموالي، والمحجر ((المكان المسور)) كان ربما يعني الملك الشخصي للقيل ((قد يكون حصنه أو قلعته)) إن هذا التعريف كان يعكس تماما ذلك الجمع بين السلطة على الأرض ((المخلاف)) وجماعة البشر ((الشعب)) والملك الخاص ((المحجر)) الذي كان يميز عهد القرون الوسطى الحميري وكان يؤلف أساس قوة الأقيال وبقائهم على قيد الكيان.

إن الأقيال كانوا خاضعين للملوك ويتبعونهم في قيادة الجيش ويطلبون تعليماتهم وأوامرهم ويسألون التعيينات منهم، ولذا فإن المعجميين العرب يوردون كلمة وزير كأحد التفاسير للمصطلح قيل، فكتبوا عن القيل ما يلي: ((من يتكلم مع الملك والملك يسمع حديثه حتى النهاية ولا يتكلم مع شخص آخر إلا معه)) [٦١، المجلد ٢، ص ٧١]. وفي مرحلة ضعف السلطة الملكية كان مستشارو ومعاونو الملوك الرئيسيون هؤلاء يفرضون إرادتهم، وقد جاء في الأسطورة أن الأقيال طلبوا من عمرو بن أسعد الكامل أن يسقط ويقتل أخاه حسان، ولم يوافق أحد الأقيال، وهو ذو رعين، على ذلك ولكنه لم يجرؤ أن يخوض ضد الرأي العام على المكشوف، وعبر عن شجبه لسلك عمرو بالشعر وقدم نصه للملك الجديد في حقة مقفلة.



(١) ٢٨١، ص ٤٠٥.
(٢) قارن مع: قحطان و ٣٩٤، ص ١٤٩.
(٣) في النقوش احتمالا hhh ٢٧٨، ص ١٩، ٢٨٣، ص ١٩٦.

وبعد مرور بعض الوقت أخذ عمرو يندم على قتل أخيه ويتهم مستشاريه فأخرج لو رغين هذه الحقة ... وألقى أشعاره على الملك [1]. وبصرف النظر عن درجة صحة هذه القصة فإن الملابسات الموصوفة فيها كانت ميزة للعهد القروسطي الحميري.

لقد كان بإمكان الأقيال أن يعارضوا أو يتقلقلوا عليهم، فمثلاً كانوا في بداية الأمر يؤيدون السياسة المعادية للأحباش التي انتهجها يوسف الأسعد ولكنهم خانوه فيما بعد عندئذ، الأمر الذي أصبح سبب هلاكه، وعلى خلاف ذلك فإنهم في بداية الأمر لم يقبلوا أبرهة فحرضوا على العصيان جزءاً كبيراً من البلد ولكنهم تصالحوا معه فيما بعد، الأمر الذي ساعده في البقاء على العرش على مدى سنوات عديدة.

وكان الأقيال أحياناً يصبحون ملوكاً، ووفقاً للأسطورة فإن ذا الشناتير اغتصب السلطة في عداد الأقيال وفي واقع الأمر كان سميفع ملكاً بين الأقيال وقد حل محل يوسف أسعد، إننا نرى مما يرد بدقة في النقوش العائدة إلى القرن السادس (مثلاً - CIH 54) من أسماء الأقيال، سواء كانوا متحالفين مع مواليها أم معادين لهم، فقد كانت كبيرة مكانتهم في الدولة.

وغالباً ما كان الأقيال بالنسبة للجزيرة العربية ذوي هيبة لا تقل عن هيبة الملوك الحميريين، كما كان الكثيرون منهم مرتبطين بالقبائل والسياسة القائمة في الجزيرة العربية، وهناك قصة معروفة عن قيل ساعد امرأ القيس عندما حاول الأخير أن يستعيد سلطة الكنديين في الجزيرة العربية الداخلية (قارن مع: ٢٨٤، ص ١٥٦؛ وفي المعاجم أحياناً يربط المصطلح قيل بالفعل قال وهو مرادف لفعل احتكم «حكم حل النزاعات»، وحتى يتماثل معناه بمعنى المصطلح حكم (٥٥، المجلد ١٣، ص ٩٤)، أي أن في تصور البدو، «القيل» من يحكم ويتخذ القرار، وكانت نقاشات الرؤساء في الجزيرة العربية تجري في حضور الأقيال [1] وهذا الأمر يعكس الجانب الهام للدور السياسي للأقيال وهيبتهم كقضاة تحكيم.

---

(١) ٢٥٥ (التسلسل ١، ص ٩١٤ - ٩١٦.

(٢) ٧٧، المجلد ١، ص ٧٣؛ قارن كذلك مع: ١٢٠، ص ٣٦٩ - ٣٧٠.

لقد كان سكان الجزيرة العربية يعتبرون الأقيال اليمنيين ملوكاً، ولكن ليس أولئك الملوك الذين يقومون بغزوات كبيرة على الجزيرة العربية بل كملوك وتلك الذين كانوا بين الفينة والأخرى يظهرون بين أعيان القبائل في الجزيرة العربية، ووفقاً لتعريف أبي عبيدة القيل هو الملك ولكن ليس الملك الأعظم ملك باليمن الأعظم [1] واتخذ الأقيال يسمون بـ«ملوك اليمن»[2]، والدلالة على الأقيال - الحميريين كان يستخدم المصطلح أملوك («جمع ملك») ١٤٢، المجلد ٢، ص ... قارن مع: ١٢٠، ص ١٥٥)، إن هذه هي الصيغة اليمنية الحقة وتصادف في النقش العائد لسميفع أشوع والراجع للعهد الحميري المتأخر [3]، إن الملوك الحميريين هنا هم الأقيال الحميريين، وكان سميفع أشوع سليلهم بقدر لا يقل عن كونه صنيعة الأحباش.

إن كلمة قيل كانت في القرن السابع تعني في الجزيرة العربية كذلك «الملك» بصورة صرفة وليس من الضروري بتاتاً أن يكون يمنياً، فهكذا كان يسمي الملك التغلبي «عمرو بن كلثوم»، (راجع: ١٩، ص ٤٠١؛ معاهدة بن شقيان، راجع: ٣٢، المجلد ٢٩١)، وكانت تعني «الملك» عموماً (١٧٠، ص ٢٧٣)، وفيما بعد سمي الملك المهدي «هارون بن موسى») (راجع: ٢٠٧، المجلد ٢، ص ٤١٥.

ويمكن أن نجد داخل فئة الأقيال مراتبية معينة، فهذا الأقيال كان يوجد «الولد» خاصة («إذا كان النقش مقروءاً على نحو صحيح»)، «صغار الأقيال» إننا نعرف في الأسطورة التي ألفت مؤخراً ثمانية ملوك («أي أقيال») - «الثماني ...» قسمت السلطة الملكية في اليمن فيما بينها بعد ذي نواس(١٢٠، ص ٢٧١ - ٢٧٥ يجري التأكيد على الوجود الواقعي لمثل هذه الجماعة العليا من الأعيان على أساس ما

---

(١) ١٩، ص ٤٠١؛ ٤٤، ص ١٢٧.

(٢) ٣٢، المجلد ١، ص ٥٤ - ٥٥.

(٣) Jatanbub 7608.

(٤) mkkn/ ihmym («قارن مع: ٢٢٢، ص ٩٨؛ الملاحظة ١٩)).

جاء في كتاب ((الشهادة عازفنا)) بصدد أقارب الملك السبيعة (٣٠٨، ص ٣٥٧)، وفي ((القصيدة الحميرية)) لنشوان الحميري نجد تنويها آخر بصدد التقسيم الجاري داخل الأقيال، إذ جاء فيها أن أخلاف القيل ذي سحر هم الأذواء (٨٨، ص ١٥٨)، وخلافا للأذواء يرون في مرتبة دنيا ضمن الهرم المراتبي: فأبناء الأقيال يعتبرون مشابهين شيئا ما لـ ((صغار الأقيال)) الواردة أسماؤهم في النقوش، كما نجد في الأسطورة أيضا المصطلح أذواء التي تبدأ أسماؤهم بكلمة ذو ((المحتشام)) هو الاسم العام للأقيال القدامى، سواء منهم الواقعيون أم الخياليون، إن المصطلحين ذو وقيل مترادفان لراجع مثلا: (٢٠، ص ١٦٥) القيل ذو مقار، القيل ذو يحمر، والمصطلح ذو موجود كذلك في النقوش الحميرية إلى جانب أسماء الأقيال ((ولكن ليس دائما)) و ((المرادف)) أيضا للمصطلح قيل. فمثلا، في النقش CJH 541 ((السطر ١٨)) يرد الاسم العام ((أقيال)) ((gwlm)) وبعد ذلك يتبع متسلسل من الأسماء القبلية مع الكلمة ذو، وهذا المصطلح ذو الذي كان يعني في الماضي العريق الانتماء إلى مكان أو قبيلة غير معناه في العهد القروسطي المتأخر، في القرنين الخامس والسادس (شأنه شأن المصطلح قيل) وأصبح في معظم الأحوال يعني شيئا يعود ملكا لشخص ما (٣٧٨، ص ١٥ – ١٦).

إن قائمة الأسماء الواردة سابقا في هذا الكتاب تقوم على أساس الأسماء الواردة في النقش CJH 541 المكرس لعقد معاهدة الصلح بين أبرهة والأقيال الذين قاموا ضده في بداية الأمر، والسرد الدقيق لأسماء جميع الأقيال يؤكد على أهمية الحدث من جهة، ويدل من جهة أخرى على أن تلك كانت أيضا من أكبر السلالات، ونحن نصادف الكثيرين منهم مرات أخرى كذلك في سائر النقوش الحميرية، إننا نعتبر أن ما فهمه له رويين من الاسمين المرافقين بالمصطلح ذو كجزئين فقط للقيل عادل ذي فيش وعليم ذي يزن غير صحيح، ففي هذا الحال فإن اليمن كلها تقريباً كانت تحت سيطرة عادل ذي فيش(١٨٢، ص ٨).

كانت سلالة ذي هي السلالة الأكثر شهرة للأقيال في اليمن خلال القرنين الخامس والسادس وكانت ممتلكاتها الأساسية واقعة في جنوب اليمن منطقة نصاب – ميفع – كندة، على الطريق التجاري الكبير المؤدي من المنطقة إلى عاصمتي

وقتبان وكانت سلطتها في القرن السادس تنتشر أحيانا إلى الشمال حتى الجوف وإلى الشرق حتى ظفار؛ وجزيرة سوقطرة ربما أيضا كانت في مجال نفوذهم[1]، وكان اليزنيون، وهم من كبار ملاكي الأراضي، شخصيات سياسية بارزة، وكانوا الدعامة الأساسية ليوسف أسعد، وهم ورعاياهم قد قاموا فعليا بكتابة جميع النقوش الحميرية التي نحن نعرف منها عن كفاح يوسف أسعد ضد الأحباش[2]، والمصدر المنقوش الرئيسي بصدد تغير موقف الأقيال وانقاضهم على يوسف أسعد هو النقش على صخرة في قلعة ماوية اليزنية ((CJH 621))، وهو منقوش باسم القيل اليزني أشوع الذي أصبح ملكا لليمن فيما بعد، ومن النقوش اليزنية الشهيرة النقشان 5085 RES و 4069، وزهاء خمسين نقشا للأقيال اليزنيين ورعاياهم موجودة على الصخرة القائمة في شعب يعبوق بمنطقة نصاب – ميفع[3]، ووفقا للأسطورة نجد أن اليزنيين معدي كرب ذا يزن وابنه سيف بن ذي يزن قادا الكفاح ضد الأحباش واستقدما الفرس إلى اليمن

في التعلق الخاص بـ ((القصيدة الحميرية)) لنشوان الحميري جاء ما يلي: ((إنهم يحلون بمكانة الحميريين، لم يكن من اليسير حكم أي من الملوك وإذا قرروا إسقاطه فكانوا يسقطونه))، في نص القصيدة ترد الأسماء التالية: ذو ثعلبان وذو خليل وذو سحر وذو جدن وذو صرواح وذو مقار وذو حزفر وذو عثكلان (٨٨، ص ١٥٧)، وثمة بعض القصائد التي تنسب إلى علقمة ذي جدن وحيث هذه الأسماء ترد بأشكال مختلفة: ١ – ذو خليل وذو سحر وذو جدن وذو مناخ وذو ثعلبان وذو عثكلان وذو مقار وذو صرواح[4] ٢ – ذو خليل وذو سحر وذو جدن وذو حزفر وذو ثعلبان

[1] CJH 621؛ ينبوق ٤٧، ص ٨٨ ؛ ١٤٠١، ٣٥. Ry 507 و 508 / 512 -513 - 515
[2] الراجع: ٨١، ص ٣١ – ٣١ ؛ ٤٩١ ؛ ٣٦٩ ؛ ١٤٠ ؛ Ear)).
[3] ص ٣٧١ ؛ قارن مع: ٨٨، ص ١٥٧ ؛ ب.
[4] ص ٣٧١ – ٣٧٢ ؛ ج.

وذو عثكلان وذو مقار وذو قيفان(1) ٣ ـ ذو عثكلان وذو حليل وذو مقار وذو ثعلبان وذو سحر وذو قيفان وذو حزفر وذو بدعن ١٢٠، ص ٢٧٢.

في القوائم كلها توجد الأسماء التالية: ذو سحر وذو ثعلبان وذو حليل وذو عثكلان وذو بدعن وذو مقار (الاسم الأخير لا يوجد في قائمة الهمداني ولكن فيها سبعة أسماء فقط) ذو صرواح أبدل مرتين بذي قيفان، وذو حزفر أيضاً مرتين بذي مناح. إن أكثرية هذه السلالات واردة كذلك في النقوش (راجع الملحق ٣٥٨) وتجدر الإشارة بصورة خاصة إلى ذي حليل وذي حزفر، فإن هذين الاسمين كانا يخصان أهم الشعوب والعشائر في عهد القريين عندما كانوا يتمتعون بالحق في تعيين ممثليهم في أهم مناصب الدولة ٢٧٣ أ، الجدول ٣٥، ٢٧٨، وفي القرن السادس كانت عشيرة ذي حليل بين المشتركين في الانتفاضة ضد أبرهة CJH 541 وكانت أم العالم اليمني المشهور من القرن السابع وهب بن منبه تنتسب إلى عشيرة حليل ٩٩، ص ٣٧١، وفي القرنين التاسع والعاشر كانت عشيرة ذي حليل تسكن في المناطق الجبلية غربي صنعاء ١٢٥، ص ٢٤٦، أما عشيرة ذي سحر فهي الأخرى فقد انتفضت ضد أبرهة، وفي النقش CJH 541 يجري الحديث في بداية وصف الانتفاضة، في عداد المشتركين فيها، عن ((أقيال سبأ الحميريين))، وهم: مرة وسمامة وحنش ومرصد ويحتل مرصد (مراصد) مكان ذي سحر كذلك في إحدى صياغات القائمة ((الثامنة)) الواردة في كتاب (الشمس العلوم) لنشوان الحميري ٢٢٦، ص ١٦؛ قارن مع: ١٤٠، ص ٢٤ ـ ٢٥. أما عشيرة ذي بدعن التي اندمجت في الأزمنة الغابرة مع سلالة ذي يزن فإنها تحتل المكان الثامن في الأسطورة أحياناً كثيرة، الأمر الذي ربما يعكس بقاء ذات الفرع من اليزنيين بعد سقوطهم في أواخر القرن السادس، ويجري ذكر ذي عثكلان في النقش Fa 74 كما أن سلالة ذي مقار كانت موجودة أيضاً في الواقع ٣٥٨، ص ٤٥٨. في النقوش تغيب عشيرة ذي ثعلبان ولكن يجري ذكرها في سائر أحاديث الأسطورة، ولا سيما المتعلقة بكيفية انطلاق أحد أفراد عشيرة ذي ثعلبان إلى الحبشة

(1) المسلة، مسلة حمود، مسلة في العبدل.



قبل المولد عند يوسف أسعد، واسم عشيرة ذي صرواح الغالب في النقوش، يحمله اسم الزعيم السياسي والديني العريق المعروف جيداً في اليمن الشرقية ويعني إحدى العشائر القديمة من منطقة صرواح، وعشيرة ذي مناح تنتسب في الأسطورة إلى أحد ملوك ذي الكلاع (قارن مع: ٢٣٠، ص ١٩٦) وكأنها تحل في القائمة مكان هذه العشيرة التي كانت تعتبر من العشائر الأكثر نفوذاً في العهد القروسطي الحميري، ولا يزال من العسير حتى الآن تفسير إحلال اسم عشيرة ذي قيفان الذي يحل مكان ذي صرواح في القائمة، ووفقاً للأسطورة نجد أن هذه السلالة حكمت اليمن إبان القرنين السادس والسابع في صنعاء وتمت الإطاحة بها على يد الهمدانيين ١٢٠، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨، ومن المحتمل أن الكلمة قيفان مرتبطة بالكلمة السبئية.

كما نرى فإن القائمة تعكس الواقع القديم وتنسب إلى المعارف الفعلية عن الأعيان الحميريين، إلا أنها تتضمن كذلك شيئاً كثيراً من عدم التطابق مع المعطيات الواردة في النقوش، ولا توجد فيها أسماء العديد من العشائر المشهورة (مثلاً، ذو قيل)، وتظهر أسماء مرتبطة بصفوة المجتمع من العهد القديم وليس من العهد الحميري (حزفر). والقائمة بمجملها تعتبر حصيلة جمع شتى المعطيات وربما انتقاء من قائمة كبيرة للأسماء القبلية المعروفة في الأساطير(1)، ووقع في أساس هذه القائمة التصور عن وجود مجموعة من الأقيال الأعلين في اليمن الجاهلية (وهذا هو العنصر الأصح في كل الأسطورة الخاصة بـ ((الثامنة))، والأسطورة تنقل إلينا بدقة جزءاً من أسماء الأقيال الأعلين وجزء منها مأخوذ من الأساطير المختلفة والنقوش المفهومة بشكل سيء.

بإمكاننا أن ندقق طابع بعض الإضافات، إن وجود بعض الأسماء في القائمة العائدة إلى العصر الإسلامي مرتبط بالأوضاع القائمة في القرنين التاسع والعاشر عند استغلال الأعيان اليمنيين (والأصح، جزء من الأعيان اليمنيين) عن منشئهم الحميري لتبرير حقهم في السلطة، وكان اليعفريون المشهورون ينسبون أنفسهم إلى عشيرة ذي

(1) ٨٨، ص ١٥٦ ـ ١٦٩.

مقار[1] وقد شغلت شخصية سيف بن ذي يزن مكانا متميزا في القصص المتأخر على عهده والقائلة بأنه نطق بأحد النبوءات المتعلقة بظهور النبي محمد ﷺ. وأصبح في العهد الوسيطي المتأخر بطلا في الرواية الشعبية (سيف بن ذي يزن ١٣٢٨)، إلا أن اسم سلالة يزن لا يذكر نهائيا في تاريخ نشر الإسلام في اليمن، وذلك ربما بسبب أنها فقدت جزءا كبيرا من سيرتها ونفوذها بعد أن تم إسقاط سيف بن ذي يزن على يد الفرس، لقد ورد الهمداني في القرنين التاسع والعاشر في المناطق اليزنية السابقة بمجموعة الأيزون وهي بقايا الشعوب الداخلة ضمن الاتحاد الخاضع لليزنيين (١٣٥، ص ١٤٧ و١٧٩ و٢٠٠ و٢١٠ و٢١٦، ص ٨٨ -١٨٦)، لقد غدا تاريخ سلالة ذي يزن وسلسلة نسبها موضوعا للدراسات إلا أن الكثير فيها لا يزال غامضا حتى أيامنا الحاضرة[2].

من سائر السلالات القيلية الأكثر شهرة من العهد الحميري سلالات ذي خليل وذي رعين وذي ثواتع، وهذه السلالات، شأنها شأن سلالة ذي يزن، معروفة جيدا من النقوش والأساطير على حد سواء، وفي تاريخ الفتح الإسلامي نجد بعناية أكثر العائلات القيلية من هذه السلالات بالذات وكذلك بعض الأخوة من سلالة عبد كلال الحميرانية التي نكاد لا نصادف في النقوش ولكنها، على أساس الأساطير، تعتبر ذات علاقة (وربما ثمة مبررات لذلك) بالاغتصاب القيلي للسلطة الملكية في فترة الفتنة بعد أسطرب أسعد (بصدد الدراسات الأساسية المتعلقة بالأقيال راجع[3]).

إن الأسطورة التاريخية - اللغوية القحطانية تعرف أسماء الكثيرين من الأذواء - الأقيال، وأسماء بعضهم مدونة كذلك على النقوش وأسماء الأخرين غير مستقصاة نهائيا بعد، وأما أسماء البعض الثالث فيجب اعتبارها خيالية تماما[4].

---

(١) ١٤٨، ص ١٦٨ - ١٦٩؛ ٢٩، ص ٣٧.

(٢) راجع: ٨٨، ص ٢٩ - ٣١؛ ١٩١؛ ٣٦١؛ ١٤٠؛ ٤٣٠.

(٣) ٢٣٦؛ ٢٣١، ص ٤٤٩ - ٤٤١؛ ٣٠٨، ص ٣٣٣ - ٣٣٩؛ ٢٨٤، ص ١٠٤ - ١٠٧؛ ٤٠٥، ص ١٨١ - ١٨٢.

(٤) ٢١٩، ص ٣٦؛ ٣٣٩؛ ١٨٨، ص ٧٩ - ٨٢؛ ٣٩٠، ص ٣٩.

(٥) ٣٢٠، ص ٩٢ - ٩٧.

وبفضل اكتشاف النقوش الجديدة تتزايد قائمة الأسماء المستقصاة للملوك والأقيال المذكورين الواردة في الأسطورة[1].

إن الأسطورة تتحدث بشكل خاص عن مكانة الأقيال، وهم الحكام الرئيسيون في اليمن ما قبل الإسلام في علة التفتت السياسي، وقد عرف الهمداني هؤلاء ((الثامنة)) الذين هم ثمانية أبيات تقاسمت فيما بين بعضها السلطة الملكية بعد ذي نواس) وأورد أسماء الثانية ((السبعة وليس الثمانية)): ذو سحر وذو ثعلبان وذو خليل وذو جدن وذو مناخ وذو سروح (١٢٠١، ص ٢٧٦).

وهذا ما يفسر الوجود الدائم لاسم مؤسس عشيرتهم في جميع صياغات القائمة وفي النقوش العائدة لهذا الشخص الذي لم يتميز بشيء خاص، وذو مقار، الذي حل مكان ذي حرفر، كان يعتبر سلفا للناقسي اليعفريين - المتأخرين (الخلفاء ذي الكلاع) راجع مراصد - كان يعتبر سلفا لسلالة مشهورة أخرى للإقطاعيين اليمنيين، وكان مثوان الحميري ينتمي إليها ٨٨، ص ١٥٨ -١٥٩)، إن ذكر أسماء ذات هذه السلالات يشير لنا النزعة السياسية لقائمة ((الثامنة))، فإن هذه القائمة كانت تعبر عن الماضي القديم والقرنين التاسع والعاشر على حد سواء، وهي كذلك تذكر عن عظمة الأقيال إبان القرون الخامس - السابع وعن بعث عظماء الأقيال إبان القرنين التاسع والعاشر.

إن الأقيال الجبابرة الذين كانوا يجلسون الملوك على العرش قد احتفظوا بسلطتهم كذلك بقدر كبير في مرحلة سيطرة الفرس، حيث كانت سيادة الولاة الساسانيين قائمة في المدن، والجزء الكبير من البلاد كان تحت التصرف التام لسلالتها الحقيقيين - الأقيال، وقبيل لحظة اعتناق الإسلام كان الأقيال يؤلفون القوة السياسية الأساسية في اليمن، والأحاديث العديدة بصدد روابط النبي محمد ﷺ مع الأقيال وبصدد البعثات والرسائل المرسلة إليهم ربما تعكس الأوضاع العامة، إذ إن المسلمين الوافدين إلى اليمن كانوا يأخذون الأقيال بعين الاعتبار ويسمون إلى

---

(١) قارن مع: ٣٢٠، ص ١٩٠، الملاحظة ١١).

استمالتهم إلى جانبهم، والأحاديث الخاصة بنشر الإسلام تتضمن تفاصيل لا يطريه تؤكد على الجبروت السياسي والاقتصادي للأقيال اليمنيين.

ومن الأقيال الأكثر شهرة في ذلك الزمن كان ذو الكلاع وذو مران وذو زود وذو ظليم وذو يحوف والأخوة عبد كلال.

وعندما تبوأ عيهلة عرش البلاد احتفظ الأقيال بالإخلاص للإسلام ولكنهم لم يهبوا ضد (النبي الكذاب) على الكشوف ١٢٤، المسلسل ١، ص ١٨٥٧)، لكن بعد ما قضى أبناء الفرس على عيهلة توجه أبو بكر، الذي أصبح خليفة في ذلك الزمن، إلى الأقيال يطلب منهم تقديم العون لأبناء الفرس، كما أن عدو الأبناء قيس بن مكشوح قد دعاهم أيضا إلى خوض النضال، إلى جانبه، ضد الأبناء الغرباء، إلا أن الأقيال لم يؤيدوا أيا من الطرفين[1]، الأمر الذي أسهم موضوعيا في انتصار المسلمين[2].

في عام ١٢هـ/٦٣٣م طلب أبو بكر من اليمن تقديم مساعدة عسكرية لأجل فتح الشام، ووصلت إلى المدينة المنورة فصائل القبائل اليمنية وكذلك الأقيال اليمنيون مع أفراد حرسهم وأقاربهم والأشخاص التابعين لهم[3]. وفي ذلك الزمن ربما اعتنق بعض الأقيال الدين الإسلامي ممن لم يكن قد أسلم بعد، واتجهوا إلى الجيوش التي كانت تقوم بالفتوحات، وذلك للبرهان على إخلاصهم له.

أما عن مصائرهم بعد ذلك فقد كانت متشابهة جدا لبعضها البعض، ونحن نعرف بشكل أكثر تفصيلا عن مصير سميفع ذي الكلاع، وبعد قدوم الفصائل اليمنية إلى النضال لفتح بلاد الشام حدث انعطاف فاصل إلا أن المسلمين كانوا يهاجمون باستمرار، وقد برز أفراد الحرس اليمنيون في معركة اليرموك[4] مما أثر في سير

(١) ١٣٥، المسلسل ١، ص ١٩٨٩ - ١٩٩٠.

(٢) راجع: ٢١٨ ؛ ٢٢٦.

(٣) ١٣٥، المسلسل ١، ص ٢٠٩٤ - ٢٠٩٧؛ المجلد ٤، ص ١٧٨ ؛ ٩٤ ؛ ص ٨٠.

(٤) ١٣٥، المسلسل ١، ص ٢٠٩٤ ؛ ٦٣، المجلد ١، ص ١٨٣.

المعارك لصالح المسلمين، وأثناء فتح دمشق[1] ولا سيما فتح حمص[2] استوطن في مدينة حمص التي هاجر إليها كثير من السكان اليمنيين ولا سيما الكلاعيون، وأصبحت حمص في واقع الأمر عاصمة اليمنيين في الشام ومركزهم السياسي، واضطلع السكان الحمصيون، وبالمقام الأول الكلاعيون، بدور كبير في عملية تضامن القبائل العربية اليمنية والشامية وإنشاء ((الحلف القحطاني))[3].

إن سميفع ذا الكلاع الذي صار زعيم القحطانيين الشوام اشترك في الحياة السياسية بنشاط[4] وكان معاوية بن العاص يشك في سميفع ذي الكلاع بسبب مناصرته لعلي بن أبي طالب سرا[5] إلا أن سميفع ذا الكلاع اشترك في معركة صفين إلى جانب الأمويين وهلك[6] وشرحبيل، ابن سميفع، كان كذلك خادما مخلصا للأمويين وقتل في معركة ضد جيوش المختار، العراقي العلوي، عام ٦٦هـ/٦٨٥ - ٦٨٦م[7].

لقد استوطن الكثيرون من الكلاعيين في مصر، وكان لهم في الفسطاط حي خاص (١٨١، ص ٢٣٦ - ١٥٢٨)، ولكن بدءا من الجيل الثاني للنازحين من اليمن زالت سلالة ذي الكلاع من المسرح السياسي رغم أن أفرادها كانوا يصادفون أحيانا في التاريخ اللاحق للعالم الإسلامي.

(١) ١٣٥، المسلسل ١، ص ٢٠٨٥ و ٢١٥٩.

(٢) ١٣٥، المسلسل ١، ص ٢١٥١ ؛ ١٨٤، المجلد ٢، ص ٣٨١.

(٣) ١٣١، ص ١٤٧ ؛ ١٢٥، المسلسل ٢، ص ٨٠ ؛ ١٣١، ص ٢٤٩ ؛ ١٨١، المجلد ٢، ص ٣٣٦ ؛ ٣٤٨.

(٤) ١٣١، ص ١٣٣ ؛ ٦٣، المجلد ٢، ص ١٨٣.

(٥) ١٨، المجلد ٢، ص ١٤٣ - ١٤٤ ؛ ٤١، المجلد ٤، ص ٣٨٩.

(٦) ١٣٥، المسلسل ١، ص ٣٣١٢ - ٣٣١٤ والمسلسل ٢، ص ٣٣١٧ ؛ ١٨٤، المجلد ٢، ص ٢٩٦ ؛ ١٣١، ص ١٩٠ - ١٩١ ؛ ١١٤، المجلد ٢، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٧) ١٣٥، المسلسل ١، ص ٣٣٧٦ و ٣٦٨٣ و ٣٦٨٦ ؛ ١٣١، ص ٢٠٨ و ٢٠٩ - ٢١٠ و ٢١٩ - ٢٤٠ و ٢٦٨ و ٢٩٩ ؛ ٢٠٧، المجلد ٥، ص ٢٢٢ - ٢٣٣.

وحدثت نفس الشيء تقريبا لسائر الأقيال، إلا أنه لم يظهر في الشام الأقيال من سلالتي ذي رعين وذي ظليم وبعض أفراد سلالة ذي أصبح (الوصي ضمنهم سعيد حسين الشام، النضر بن يريم بن الصباح (١٢٠١، ص ٤٦:١٥٣، المجلد ١، ص ٧٠) وأفراد سلالة ذي يزن ١٢٠، ص ٢٤٢ – ٢٤٤) والأقيال سلالات ذي لعوة ٢٣، ص ١١٤ وذي المشر نقصران وغيرها (راجع: ٣١٥؛ ٤٤٥؛ ٤٤٦؛ ٤٤٩).

أما في العراق فقد كان عدد السلالات اليمنية المشهورة فيها أقل، وكان قد نزح إليها أساسا جماعات كبيرة من أفراد قبيلة همدان، وظهر فيها من الأقيال أفراد سلالة أصبح وقيل حضرموت وائل بن حجر ٢٨١، ص ٣٨٢) واستوطن الكثيرون من الحميريين في مصر، وعدا أفراد سلالة ذي الكلاع ظهر فيها كذلك أفراد سلالة ذي رعين مع الأشخاص التابعين لهم[1]، وكان يتمتع فيها أقيال سلالة ذي أصبح بمكانة خاصة، وقد نزح جزء من ((الناقلين)) مع الأقيال، ونشأت في حمص والفسطاط مدارس لأئمة الأحاديث النبوية والتاريخ متمثلة ببضعة أجيال من اليمنيين، كما نزح مع الأقيال كذلك الشعراء – مداحو حواشيهم (راجع: ٣٢٠، ص ١٧ – ٢٥).

وفي اليمن ذاتها لم يبق سوى جماعات غير كبيرة من أفراد السلالات الأصلية، وغالبا ما بقايا الشعوب الخاضعة لهم، وفي القرنين التاسع والعاشر سجل الهمداني البعض منهم: أفراد سلالات ذي الكلاع[2] وذي جدن ١٢٠١، ص ٣٧٦) وذي حليل ١٢٠١، ص ٢٩٣ – ٢٩٤)، إلا أنهم لم يضطلعوا بدور كبير في الحياة السياسية، وأخذ يضعف بسرعة الدور السياسي للأقيال كذلك في البلدان المفتوحة، وفي أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع انقرضت أكثر سلالات الأقيال الحميريين تماما.

وقد لعب الدور الكبير في انفصالهم عن اليمن عدم التخلي عن مصالحهم الخاصة وتطرسهم السياسية، وتعارض مصالحهم مع النظم الإسلامية الجديدة التي حاولت رفع الجور والظلم الاجتماعي وفي قصة حرب الردة في اليمن ورد نص رسالة الخليفة

[1] ١٩٩، المجلد ٢، ص ٣٣٦؛ ١٩٧، المجلد ٣، ص ٩٠.
[2] ١٢٠، ص ٢٣٦ وذي رعين ١٢٠، ص ٣٢٨؛ ١٩٥، ص ١٨.

من يخطر حيث أمر بإقصاء المتمردين عن البلاد في حال التسوية السلمية للنزاع إلا قال الناس أن يطلب الناس الذين صنعوا ذلك في ديارهم، وليعرفوا أنهم أساؤوا وليذوقوا وبال ما على جزء مما عملوه)) (٤٥٦:١٣٥، المتسلسل ١، ص ٢٠٠٨).

وبموجب هذا الأمر طرد من اليمن رؤساء القبائل الذين تزعموا حروب الردة، ولقد كان الخليفة ولاته في الأقيال خطرا دائما على سلطة الإسلام المركزية، وكانت مرحلة الفتوحات الإسلامية العامة، التي تطلبت توفر قوى جديدة وجديدة، حجة ملائمة للتخلص منهم.

وفي عهد الولاة (أي أواسط القرن السابع وفي القرن الثامن) لم يكد يذكر الأقيال الحميريون في الأخبار المفصلة لحد كبير للأحداث، لربما ادعى بحير بن ريسان بالقرابة مع سلالة ذي الكلاع، وأصبح خلال مدة قصيرة واليا على اليمن أو وعولا لواليها في عهد يزيد بن معاوية ولكنه اختتم حياته في مصر ١٢٠، ص ٢٥٦ في أواسط القرن الثامن قمع معن بن زايدة، والي الخليفة المنصور، الانتفاضة التي تزعمها أحد رؤساء منطقة صعدة والذي أعلن نفسه خلفا لسيف بن ذي يزن، وتمكن هو فيما يزعم، من إرغام الوالي على مغادرة البلد والنصر على منافسيه – بني حرب من خولان[1]، إلا أن الحديث يجري بالأحرى عن انتفاضة قبلية عادية، ولا دخل للأعيان في ذلك، والاستشهاد بسيف بن ذي يزن أمر مقلوب للغاية، لقد كان تمرد الهيثم بن عبد الصمد ذي حليل في بداية القرن التاسع أحد الدلائل القليلة على النشاط السياسي لأفراد عائلات وموالي كبار الأقيال، المتبقين في اليمن[2].

وقد ذكر الهمداني بشكل خاص أنه خلال القرنين التاسع والعاشر بقي في اليمن عدد قليل جدا من الأعيان الحميريين، وصعب على أخلاف الأقيال المتبقين أن يعثروا لأنفسهم على شركاء للزواج متكافئين معهم من حيث المنشأ، والسلالات الأصيلة المذكورة في هذا المجال، لعوة ومران وسليمانيون وآل حيوان والمعديون وبنو دمام

[1] ٨١، المجلد ١، ١٦٣ – ١٦٤.
[2] ٢١، ص ١٣١ – ١٣٢؛ ١٢٠، ص ٢٩٣ – ٢٩٤؛ ٢٠٣، المجلد ٢، ص ٤٩٨ – ٤٩٩.

[illegible] أبي عبد [illegible] اليمدانية في مكان آخر عن الفارسي سنة ١٢٨ عهد مكان الرخص الحميرية التي سكن أطلالها في وادي شبهن، إلا أنه حتى أيام الهمداني لم يبق من هذه السلالة سوى ولد واحد، وكان هو وأمواله في معقد [illegible] سلالته [1]، وانتقلت أموال السلالة أساسا إلى الصعاليك، وكان الهمداني يحول أموالهم هناك إلى مواليهم، [illegible] وهم الدمم، والنعيم [illegible] على أموالهم [illegible] عليهم، وهي أموال وظيفية ١٢٠٦، ص ٢٢٨، وعموما فقد تطورت على الشرح أسر وأعيان عشائرية جديدة على أنقاض السلالات الحميرية القديمة وأنه مهما يبدو أن لهم أموالا [illegible] إلا أنهم ما كانوا غير قادرين على الصمود أمام التطورات والتغيرات الجديدة.

[1] ١٢٣، ص ٣٩، ٢٢٢، ص ٩٠٩ – ٩١٠.

إن التقليد التاريخي العربي في داخل اليمن وخارجها يطلق عبارة أو مصطلح الأبناء على أخلاف المعاصر الفرس الذين استوطنوا في جنوب الجزيرة العربية بعد الفتح الساساني.

ومصطلح ((الأبناء)) يستخدم كذلك في المؤلفات المتعلقة بعلم الأنساب للدلالة على بعض الجماعات القبلية ((مثلا، من تميم))، وعلى خلاف المصطلح بنون يستخدم أبناء في اللغة العربية الكلاسيكية للإشارة بقدر أكبر إلى الانتماء إلى جماعة ما من الناس أكثر مما يستخدم للإشارة إلى النسابة المباشرة، وكان أحد معاني المصطلح أبناء في اللغة العربية القروسطية هو ((الجيل الثاني لفئة ما من الناس)).

إن التفسير الاعتباري لمصطلح أبناء بوصفه الصيغة المختصرة لعبارة أبناء الفرس ((أخلاف الفرس)) أمر بديهي ومنطقي تماما، ولكن تلك الوفرة الغزيرة التدقيقات والشروحات التي تورده المصادر العربية العامة واليمنية بصدد هذا المصطلح تشير إلى أن مثل هذا الشرح لم يكن يفهم كأمر بديهي بحد ذاته.

وكان من الممكن أن تكون على هذا الغرار إحدى الصياغات الواردة مثل عبارة أبناء الأحرار [١٣٥، المبرد، ص ١٣٤]، وأبناء الدهاقين أولاد الرؤساء [١٨٣، ص ٦]، والمثال الآخر على المصطلحات والألقاب الاجتماعية الإدارية المستخدمة للدلالة على السكان الدخلاء هما المصطلحان أساورة ومرازبة، هكذا كان يسمى الأعيان الإقطاعيون العسكريون في عمان في مطلع القرن السابع، لهذا الصدد راجع: [٥٣٦، ص ٩٩].

وعليه فإن المصطلحين أبناء وأبناء الأحرار غالبا ما كان يقصدان حتما في الأوساط اليمنية الفرس أنفسهم الذين استوطنوا في اليمن، وفيما بعد ربما كذلك الجيل الثاني، من أبنائهم من المتزوجين باليمنيات ووفقا لأسطورة الفتح الفارسي كان بين المقاتلين، الذين أرسلهم الشاهنشاه إلى اليمن للمحاربة كذلك متمردون من أصل

الأعيان، وبعد ذلك فإن جميع المشتركين في الغزو أطلق سراحهم مختضا فإن الدلالة عليهم بالمصطلح أحرار بالمعنى العام (الأحرار) وبالمعنى الأكثر تحديدا (الأبناء) لم يبقى تماما، واستخدام المصطلح الاجتماعي الفارسي أو ترجمته بلغ في منتصف واحد مع عواقب الفتح الفارسي من أمثال تطبيق النظام الفارسي لجباية الضرائب وقياس المسافات بالفراسخ الفارسية وغير ذلك. فكان الأبناء من العصر الجاهلي بالنسبة للعرب يماثلون عمليا الحكام الفرس وكانوا تجسيدا للسيطرة الأجنبية في اليمن

بعد نشر الإسلام في اليمن وتعريبها صار هذا المصطلح تعني أخلاف الغزاة، ومع ذلك فقد يسعون إلى التأكيد على الفرق بين الأبناء والفرس وحتى بعد عالم العهد الإسلامي المبكر طاوس بن كيسان قيل إنه كان من الفرس وليس من الأبناء (المجلد ٥، ص ٣٩٦)، وفي القرنين التاسع والعاشر رفض أبناء فرس صنعاء الاعتراف بالنازحين من خراسان بمثابة ذويهم فسموهم بالموالي وليس الأبناء (٩٦، ص ٣١٢).

إن الأبناء تعمنوا بسرعة، أمهاتهم كن يمنيات وكان أقرباؤهم اليمنيون غالبا ما يصيرون مدافعين عنهم (مثلا، فيروز الديلمي، الذي اضطهده قيس بن مكشوح أخفاه أنسباؤه من عشيرة خولان وقد ساعدوه في القضاء على قيس (١٣٥، المسلسل ١، ص١٩٩)، وكانت أم المؤرخ وهب بن منبه منحدرة من عشيرة حليل الحميرية (٩٩، ص ٣٧١)، وفي العهد الإسلامي ظهرت سلاسل نسب كانت تنسب مشاهير الأبناء إلى الأسلاف العرب الوعن فيروز الديلمي ذاته كانوا يحدثون انه من أخلاف عربي من بني ضبة فر يوما من الأيام من الجزيرة العربية إلى الديلم (١٣٥، المسلسل ٣، ص٢٣٦٧ - ٢٣٦٨) واندماج الفرس اليمنيين، وفقا للأسطورة، كان السبب في أن الملوك الساسانيين صاروا يعينون بمثابة ولاة في اليمن أشخاصا من إيران ذاتها وليس من عداد الفرس المحليين (٢٥٧، ص ١٢٤).

لقد انخرط الأبناء في اليمن بسرعة في الحياة الثقافية للمجتمع الإسلامي، ومن بين الأبناء خرج أوائل الشعراء اليمنيين الذين ألفوا وكتبوا باللغة العربية، ومنهم وضاح اليمن المشهور، وبواسطة الأبناء اليمنيين الشعراء ربما وصلت تأثيرات الشعر الفارسي إلى الشعر العربي العائد إلى العصر الجاهلي والعقود الأولى من العصر الإسلامي،

واصطلاح الأبناء بدور ملموس في جمع الأساطير المتعلقة بالماضي العريق لليمن، ونشأ من بينهم المؤرخ والفقيه المشهور وهب بن منبه، كما ونشأ من بين الأبناء أوائل جامعي القرآن الكريم في اليمن (٦٢، المجلد ٦، ص ٣٢٣)، وحافظوا على شتى أساليب تلاوة القرآن الكريم من أمثال عبد الله كثير وعبد الله الصنعاني (٩٦، ص ٢٩٨ و ٣٠٠) إن قضية اعتناق الوالي الفارسي باذان للإسلام قد تعرضت للكثير من النقاش، إلا أنه لا يشك في أن الأبناء الذين لم يكن لهم سند متين في اليمن بعد أن انقطع ارتباطهم مع الدولة المستعمرة قد حظوا بعد إسلامهم بعين العطف من قبل المسلمين وأصبحوا حلفاء لهم لمنو

بعد أن ترسخت سلطة الدولة الإسلامية في اليمن أصبح الأبناء في بداية الأمر أوائل حلفاء المسلمين، وكان غالبا ما يجري تعيين الوالي من عدادهم (مثلا، سعيد بن ذويح والضحاك بن فيروز) (١١١، ص ١٦)، وتم تعيين ابن الضحاك عام ١٠٥ هـ/ ٧٢٣ - ٧٢٤م واليا لليمن كلها في أيام الخليفة هشام (٧٤، ص ١١٩)، وفي أوج المنافسة فيما بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان انتهج الأبناء في صنعاء النزعة العلوية في بداية الأمر ولكن بعد أن أعدم القائد العسكري الأموي بسر بن أبي أرطاة ٧٢ شخصا من الأبناء فقد ((ارتدوا عن التشيع منذ ذلك الزمن وحتى أيامنا الحاضرة)) (١٣٣، ص ٦٦)

وكان الولاة الأمويون يعتمدون في أمور كثيرة على الأبناء، وكان فيروز الديلمي نائبا للوالي معاوية بن العاص على مدى ثماني سنوات (٧٤، ص ٩٧)، وكان نفوذه كبيرا في المدينة، وعندما اقتربت جيوش معاوية من صنعاء لم يتمكن والي علي بن أبي طالب - عبيد الله بن العباس - من الاحتفاظ بها لأن فيروز والأبناء رفضوا تقديم العون له، لقد كان الأبناء وخاصة أصحاب صنعاء منهم يشكلون نفوذا كبيرا، وحتى المنحدرون من العشائر المعادية للأبناء، كانوا يأخذونهم بعين الاعتبار، وعندما حل العباسيون محل الأمويين تعاون الأبناء معهم أيضا، وأسهم تولي محمد بن برمك لمنصب الولاية ((نهاية القرن الثامن)) في ازدهار الأبناء، وجرى تبجيله في الأسطورة الأبناوية بوصفه واليا عادلا عمل الكثير لتعمير مرافق مدينة صنعاء وتزيينها، والشاعر اليمني من

الأبناء أبو الصلت الهروي، مثلاً، أنفق عليه بالنقود والعقار في صنعاء لقاء أنه يعمل
البرامكة جيداً (٢٦٥)، ص ١٨٦.

والأبناء بالإضافة إلى كونهم أساساً سكان مدن، فكانوا من كبار التجار وملاك الأراضي بالمدن وكانوا في العصر الجاهلي يراقبون التجارة اليمنية بوصفهم ممثلي سلطة الشاه وبوصفهم تجاراً ذوي امتيازات، ولهذا السبب احتشدوا في المدن التجارية الرئيسية وبالمقام الأول في صنعاء، وكان الأبناء الأثرياء في صنعاء يملكون قبل الإسلام، عقارات كبيرة في حدود أطر المدينة، وفيما بعد شيدت المساجد والمصليات في هذه الأراضي، وتم تشييد مسجد صنعاء الرئيسي في بستان كان يعود ملكاً للوالي باذان، والجربة العائدة ملكاً لأبي حمال الأبناوي خصصت لجبانة مع مصلى (٩١، ص ٩٠ و ٢٦٥ و ٢١٦)، وكان أبناء صنعاء يملكون منجم الرضراض لخام الفضة، وكانت عدن مسنداً آخر للأبناء في العصرين الجاهلي والإسلامي وقد كتب المقدسي في القرن التاسع أن معظم سكانها هم ((الفرس الناطقون بالعربية)) أي ربما نفس الأبناء (٢١٠، ص ١٩٦)، وفي قاع اليون كانت موجودة في القرنين التاسع والعاشر عقارات للأبناء، كما كانت جماعات من الأبناء تسكن في الأرياف (٢٥١، ص ٢٤٤، وكان نفر منهم يسكنون في ذمار (٢٥١، ص ١٧٩)، وبيت من الأبناء في صعدة (٢٥١، ص ٣٤٩)، وكان قسم من الأبناء، الذين كانوا، سكاناً قرويين، داخلين في أحلاف وتحالفات مع سائر جماعات شتى القبائل، مثلاً في اتحاد برسم (١١٨، ص ٢٩٤)، ويمكن تحديد بعض أماكن استيطان الأبناء انطلاقاً من أسماء المواقع الجغرافية (مثلاً، قريتا الفرس والأبناء في منطقة بني حشيش وقرية بني بهرام في بيت بوس) (١١٨، ص ٤١٦ - ٤١٧، والملاحظة ٢)، ومن المحتمل أن اسم مدينة منكث ذو أصل فارسي.

لقد كان الأبناء الصنعانيون إبان القرون السابع - التاسع من أغنى أشخاص المدينة، وبرزت بينهم بشكل خاص عشيرة جريش بن غزوان التي تزعمت جميع أبناء صنعاء (٩٤، ص ٣١٢)، وكان سكان صنعاء يعتبرون سلالة غزوان أغنياء مقدرين أملاكه بمبلغ ٤٠٠ ألف دينار (٩٤، ص ٩٢ - ٩٣)، وفي صنعاء الإسلامية اضطلع

... كبير جداً، إذ ... والأبناء، وأساطير حفظتها تاريخ صنعاء، كانت تنقل من جيل إلى آخر في عائلات الأبناء (راجع ٩١، ص ١٦٩ - ١٧١)، وفي القرن العاشر نذكر أن عدداً من الأبناء الصنعانيين كانوا من ذوي النفوذ في الخلافة سواء مكان الموقرون منهم - التجار - أم المحتقرون - الصناعيون والحرفيون والفلاحون (راجع: ١١٨، ص ٣٨١)، وعندما تزايدت فئة الأبناء من حيث العدد أخذت تفقد روابطها مع السلطة السياسية بالتدريج، وسقط جزء كبير منها سواء في قوام الفئة الحاكمة أم من قوام الطبقة العامة.

إن تاريخ الأبناء هو كذلك بالأخص تاريخ نضال سائر التكتلات القائمة داخل الفئة الحاكمة، وفي العصر الجاهلي كانت القوة الأساسية المناهضة للفرس قبيلتي مذحج والحارث بن كعب اللتين خاضتا نضالاً عنيفاً ضد الفرس وحلفائهم - الهمدانيين أخذت العشيرتان الصنعانيتان المنحدرتان من القبائل: عشيرة عبد المدان ((الحارث بن كعب)) وعشيرة بني شهاب ((كندة وخولان))، تصبحان بالتدريج المنافستين الرئيسيتين للأبناء، وتحول النقاش فيما بين الأبناء وسائر سكان صنعاء من أجل الحمى المخصصة لرعي الماشية في الرحبة إلى تصادم خطير، وكان الحميري الأصل علي بن ثمامة من العشيرة التي كانت تقدم العرفاء للصنعانيين الأصليين، في حين كان يمثل الأبناء إبراهيم بن فارس الذي كانت لديه شهادة من النبي محمد ﷺ تؤكد حقوق الأبناء في الملكية، وقد رفض علي بن ثمامة أن يصدق أصالة هذه الشهادة، وعوقب لقاء ذلك على أساس أمر صادر عن الوالي وتلقى ٧٥ ضربة بالسوط.

إلا أن نفوذ الشهابيين أخذ يتزايد بالتدريج على حساب الأبناء، بعد اغتيال بعض الحارثيين الذي نظمه الأبناء، وقام الوالي يزيد بن جرير القسري الذي أرسله الخليفة المأمون عام ١٩٥ هـ/ ٨١٠ - ٨١١م، وكان يزيد متحيزاً قام باضطهاد الأبناء وحظر تزويجهم من النساء والفتيات العربيات وفسخ الزيجات المعقودة[1].

---

(1) ١١٣، ص ٧٧ - ٧٨؛ ٥٢، ص ١٢٠ - ١٢١.

وفي مطلع القرن التاسع لم يبلغ الشهابيون الأغنياء مكانة مادية رفيعة فحسب بل كذلك عطف الولاة عليهم فظهروا تحالفا نشيطا ضد الأبناء، فكتب عنه الهمداني (١١٧)، ص ١١٨)). وقد انقسمت صنعاء إلى معسكرين، في أحدهما الأبناء ومن معهم من العرب الشماليين ((النزاريين))، وفي ثانيهما، بنو شهاب وجميع من كانوا ينسبون أنفسهم إلى عداد العرب الجنوبيين الأصليين ((القحطانيين)) (٢٣٥، ص ٢٦٤ - ٢٦٥). وقد فقد الأبناء مواقعهم في صنعاء في ذلك الزمن، وفي أواخر القرن العاشر نشب نضال حاد من أجل السلطة، وكان الأبناء أحد التكتلات المتزاحمة لا غير، لقد كتب ابن الديبع عن ذلك الزمن فقال: ((كان الصراع من أجل صنعاء يدور بين همدان وخولان وحمير والأبناء وبني شهاب؛ وكان كل شهر يظهر هناك أمير أو حاكم جديد، ولكنهم كانوا يسقطونه باستمرار)) (٥٦، ص ٢٢٦) ((بصدد التعاون المحتمل فيما بين الأبناء والزيديين راجع))[1].

---

[1] ٧٩، ص ١٧٩؛ ٨٦، ص ٩٨.

إن المخططات القديمة الإسلامية تقسم جميع العرب إلى ((شعبين)) أحدهما هم أخلاف عدنان الذين يعزون من حيث المنشأ إلى إبراهيم وثانيهما هم أخلاف قحطان ويرتبط الأولون من الناحية الجغرافية بشمال الجزيرة العربية وثانيهم بجنوبها.

ومن الأحداث المطابقة لمثل هذا التقسيم والتي جرت في زمن الخلافة العربية - الصراع السياسي فيما بين القحطانيين والعدنانيين في سبيل السلطة على مدى كل تاريخ الأمويين وكذلك الأسطورة التاريخية القحطانية ((العربية الجنوبية))، ولم يدع القحطانيون بمجرد السلطة فحسب بل بالحق على أن يعتبروا ورثاء للحضارة القديمة لليمن سواء أكان من الناحية السياسية أم الثقافية، ولذلك من الشيق دراسة بلدان هؤلاء وروابطهم الداخلية وخصائص نشاطهم.

ينبغي أن تقتصر الدراسة في المرحلة الأولى على بلاد الشام في عهد الأمويين التي تجلى فيها بالذات انقسام العرب بشكل واضح في ذلك الزمن، وهذا التقسيم مسجل وثائقيا على نحو جيد كفاية فيما يخص ذلك الزمن.

كان القحطانيون يُعتبرون دائما قوما متجانسين غير أنه ينبغي في واقع الأمر أن نميز بينهم مجموعتين وهما اليمنيون الذين نزحوا إلى الشام في أيام فتحها على يد المسلمين، واليمانيون أي القبائل التي كانت تدعي بانحدارها من اليمن واستوطنوا في الشام منذ زمن بعيد قبل الإسلام.

وبغية إيضاح التناسب بين هذين القومين ينبغي النظر إليهما كلا على حده يمانيو الشام هم بالأساس أهل قضاعة وقبيلته الرئيسية من عهد الأمويين - قبيلة كلب وكان ينحدر من قضاعة جزء من التدمريين، ومن المحتمل ملوكهم أيضا، وحكمت قبيلة صالح القضاعية في الشام حتى عهد الغسانيين، وقبل الفتح الإسلامي كانت معظم قضاعة نصارى ولا زالوا نصارى حتى بعد الفتح وحاربت الجيوش الإسلامية في الشام وضد البيزنطيين وضد العرب الشوام وحطم ونهب خالد بن الوليد، أثناء عبوره

التعبور من العراق إلى الشام، العديد من القطبيين وقتل بعض زعمائهم فهبت قبائل قضاعة إلى جانب البيزنطيين [1]

بعد أن فتح القطبيون بلاد الشام بقوا فيها بصفة سكان مسلمين ولكنهم لم يبنوا تأثيرا على السياسة، ولم يستطع اليمانيون في معركة صفين بدور جوهري تجاه بعلها، وتغير وضع القطبيين بصورة ملحوظة بعد أن توطدت سلطة معاوية الذي أحسن إليهم وبسبب المشورة الحاكمة للقبيلة عشيرة بهدل وصار رئيس قطبيي الشام والي عم يزيد الأول — حسان بن بهدل حاكما للأردن ونشأ بعد وفاة يزيد نقاش حول توارث العرش وظهر في سياقه عدد غير قليل من الأدعياء بمنبر الخلافة، وكان ابن بهدل من بينهم فكان هـ. لامنس يشك في صحة حديث ابن عساكر بصدد أن ابن بهدل أعلن خليفة [2] إلا أن ذلك يثبت بعدد من التلميحات ليست في الأشعار التعميين للشعراء اليمانيين فحسب بل كذلك في أنباء المصادر الخالية من المصالح السياسية وتؤكد صحة هذه الأنباء كذلك على أساس المواد غير المباشرة ويحكل طابع العهد حينما لم يكن لقب الخليفة في غير متناول السلسلة الأكثر مكانة [3]

حلف اليمانيون اليمين عام ٦٤هـ / ٦٨٣-٦٨٤ لابن بهدل بوصفه خليفة وبعد أن نال ابن بهدل هذا اللقب وصل إلى الجابية للقيام بالمفاوضات مع الأمويين، وتوصل في سياق هذه المفاوضات إلى الحصول من مروان بن الحكم على وعد بتوفير الدور القيادي في الدولة لليمانيين، وهكذا، ظل ابن بهدل خليفة خلال ٤٠ يوما لا غير هذه المدة ليست كبيرة ولكن الواقع ذاته يدل على أن آمال اليمانيين ((القحطانيين)).

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٥٣ – ١٤٩، ١٨٨.

2) H. fammenes, favamement des marvanides et le caliphate de marvan I- er, Beyroutl, 1924, pp. 84- 85.

(3) انظر الملاحظة رقم ٢ في أسفل ص ٨ من هذه الترجمة م ب بيوتروفسكي خليفة يماني لمدة ٤٠ يوما الآثار المخطوطة وقضايا ثقافة شعوب الشرق المضمون المختصر للتقارير المقدمة إلى الدورة السنوية الخامسة لفرع لينينغراد لمعهد الاستشراق لدى أكاديمية العلوم السوفيتية.

في إحراز السلطة العليا في الدولة لم تكن بدون أساس وقد دارت بعد الجابية معركة مرج عام ٦٤هـ حيث ناصر اليمانيون مروان وناصر العدنانيون عبد الله بن الزبير، وانتصر مروان واشتد التناحر بين اليمانيين والعدنانيين منذ ذلك الزمن والتاريخ السياسي اللاحق لبلاد الشام هو تاريخ الصراع بين القحطانيين والعدنانيين في سبيل السلطة، الذي استمر حتى إسقاط الأمويين والذي فيما بعد في أسبانيا حيث نزح إليها القحطانيون من العرب من الشام

وما يخص اليمنيين فإنهم وصلوا إلى الشام من اليمن حيث جرى اعتناق الإسلام بسرعة كبيرة ولكن عندما استولى النبي المحلي الأسود العنسي على السلطة في اليمن أرسل رسل غاضبون من المدينة لخوض النضال ضده، وكان عليهم أن يستميلوا شيوخ قبائل اليمن إلى طرف الإسلام وتمكنوا من استحصال وعد تحريري بالتأييد من بعض الأمراء ((الأقيال)) الحميريين ((سميفع ذو الكلاع وحوشب ذو ظليم وغيرهما))، وتم قتل الأسود بمساعدتهم وبعد مرور بعض الزمن نشب عصيان جديد، وأصبح انتصار المسلمين مؤمنا مرة أخرى بمساعدة الأقيال الحميريين الذين توجه إليهم أبو بكر برسالة خاصة وانضم فيما بعد هؤلاء الأمراء إلى أبي بكر الذي أرسلهم إلى الشام ((ذو الكلاع وذو ظليم وذو مرّان)) [1]

وشارك هؤلاء في معركة اليرموك وشاركوا فيما بعد بصورة نشيطة في المعارك من أجل حمص واستوطنوا في هذه المدينة وغدت حمص مركزا لليمنيين في الشام، واستوطنت فيها القبائل الحميرية من منطقة كلاع ((يحيلة والزنجيع)) [2] مع أفراد قبيلتهم القبلية ذي الكلاع وكانت هذه القبيلة تعزي منشأها إلى قائد جيش الملك أسعد الكامل [3] وكان لها إله قبلي من عداد الآلهة الرئيسية للحميريين وهو الإله

---

1) Amales gues mrifiti cripsti Alia eja' far mahammde ilen fgarir at - talaride. De i gaege fagdami Batavarum 1979- 1901, I, pp. 1854, 1989, 2882.

(2) الهمداني، الإكليل، المجلد ٢، القاهرة ١٩٦٧ ص ٦

(3) المصدر السابق ص ٢٦٤ و٢٦٦.

حمص (1) وكانت تقطن في حمص كذلك قبائل حميرية أخرى هي: عمرو بن قيس والأحبوسا من سعد بن عوف وقبيلة ذو يزن (2) واستوطن في حمص كذلك عدد ما من الكلاعيين ولكن بما أن قسما كبيرا من هذه القبيلة كان موجودا في العراق فالكلاعيون من الزراعيا للشهورين انتقلوا إلى هناك وكان بين الفاتحين للشام كذلك عساكر قبيلة مذحج ولاسيما بطلهم المشهور والشاعر عمرو بن معدي كرب (3) ولكن مذحج لم يكن كثيرا ولم يضطلعوا بدور جوهري بعد الفتح

وعليه، فإن اليمنيين في الشام كانوا بالأساس متمثلين بالقبائل الحميرية، علما بأنه انتقلت معهم كذلك القبائل القبلية الأساسية للحميريين، وبالمقام الأول ذو الكلاع وشارك الحميريون وأتباعهم في معركة صفين إلى جانب معاوية وبعد معركة مرج راهط انتفض كلاعيو حمص ضد العامل الزبيري النعمان بن بشير وخلعوا لمروان (4)

وفيما بعد يجري التنويه ببعض الأقيال الحميريين كقادة عسكريين للجيش الأموي، وكانوا يتمتعون بالاحترام في البلاط ولكنهم لم يكونوا يشغلون مناصب هامة ولم يسهموا بتأثير محسوس ما ولكنهم، مع ذلك، كانوا دائما وحتى قبل معركة مرج راهط يخوضون مع اليمانيين في العديد من النقاشات المتعلقة بالتفوق والتي كانت تجري في البلاد وكانوا يذودون في هذه النقاشات عن المصالح السياسية العامة التي كان يعبر عنها، مثلا في المطالب الخاصة بتعيين القحطانيين في المناصب الأكثر أهمية ودخلا، وفي الدفاع عن حرية وأملاك القحطانيين دون تطاولات إدارة الخليفة لم يكن اليمنيون نشطاء في السياسة ولكنهم كانوا يتميزون في مجال آخر من نشاطهم وهو أنه يتعلق بهم اختلاقا وتدوين الأسطورة التاريخية الملحمية العربية الجنوبية

---

(1) الشهرستاني، الملل والنحل، المجلد ٢، القاهرة ١٩٦١، ص ٢٣٧.
A. Grahmann, Arabien, manchen, 1963, S. 246.

(2) الهمداني، الإكليل، المجلد ١، ص ١٠٤ و١٩٦ و٢٢٣ و٢٩٠.

(3) النعمان عبد المتولي، شعر الفتوح الإسلامية، القاهرة ١٩٦٥، ص ١٩٧ – ٢١٨.

(4) The Ansal al ashraf of al- Baladhuri., ed. S. g. f. Gotein Jerusalem, 1936, p. 147.

القحطانية)) وهذه الأسطورة متمثلة بعدد من مسلسلات القصص الخاصة بحكم الملوك اليمنيين ((التبع)) وغزواتهم البعيدة (إلى آسيا الوسطى والتبت والصين والمحيط الأطلسي) ((وبناسيس سمرقند على يد الملوك اليمنيين، وبلقيس، وملكة سبأ، والملك شمر يرعش)) الذي كان يملك سبعة قصور وبتعمير سد مأرب، وبالمدن الثرية والقصور الشامخة من أيام اليمن القديمة وأسهم في الشهرة الواسعة النطاق للأسطورة أيضا شعرائها على يد الشعراء القحطانيين في الشعريين الشمريين (الفخر) (الرثاء) وكان الشعراء يتحدثون عن الماضي ويرثون هلاك الممالك القديمة وكانوا يختتمون كل ذلك بتحميل ذويهم القحطانيين بوصفهم وارثي تقاليد الماضي المجيد وبالتأكيد على عدالة مطالبهم إزاء مكانتهم الرائدة في المجتمع

وكان علقم بن ذو جدن أحد أشهر شعراء القحطانيين وكان يحمل لقب ((النواحة)) بما أن المضمون الأساسي لأشعاره هو النواح على الجبروت الهالك ولكن قصائده تتميز كذلك بالتأكيد على فكرة أن أخلاف الناس العظماء هم عظماء من حيث ديارهم وأشعار علقمة وثيقة الارتباط بالأقيال والملوك وأسماء ووصف القصور (1) وكانت وقائع ووصف الأنقاض تحتل مكانا أقل في إبداع قحطاني مشهور آخر هو يزيد بن مفرغ، بل كانت أساس أشعاره القصص عن الأفعال المجيدة للملوك القدماء والتي كانت تتمتع بشهرة كبيرة في بلاد الأمويين وكان نشاط بن مفرغ الشاعري يقترن بنشاطه السياسي المرتبط وثيق الارتباط بمصالح ونضال القوم القحطانيين (2)

كانت تشغل مكانا خاصا في الأسطورة القحطانية ((العربية الجنوبية)) السلسلة الشعرية النثرية للأحاديث المتعلقة بالملك أسعد الكامل الذي، كما يزعم سعد الكعبة والذي تنبأ بظهور النبي محمد ونشر الدين اليهودي في اليمن

---

(1) M. Warred alqama iln di fadan al Himyari, fissertation, jvr Eilangung des Philasehen foktorgrades and der jeopeld- franjaens- Vaivereslta, Jnalruek, 1959.

(2) حمزة الأصفهاني، كتاب الأغاني، مطبعة التقدم، القاهرة، عام ١٢٨٥، المجلد ٢٧، ص ٤١ – ٣٠.

وكانت الأسطورة القحطانية أحد مصادر تطور الأدب العربي القروسطي وظهرت أساطير وقصص عديدة تختلف فيها المواضيع والصيغ وكانت هذه الأسطورة أحد الآثار الأولى لعلم تدوين التاريخ العربي وحددت في نواح كثيرة موقف العلماء المسلمين من التاريخ الجاهلي وأصبح أحد اليمنيين وهو كعب الأحبار المشهور الشخص الرئيسي بالنسبة للعهد اللاحق كله في مجال المعلومات المتعلقة بالأنبياء القدماء وبفضله وبفضل بعض المؤلفين الآخرين غدت الأسطورة القحطانية إحدى العقد التي ربطت الثقافة الإسلامية بالعالم الثقافي اليهودي والنصراني.

إن الأسطورة القحطانية مرتبطة بشكل وثيق للغاية باليمنيين[1] فكان علقمة بن ذي جدن وابن عفرع حميريين ويصادف أفراد القبائل الحميرية الكلاعية وسعد الذين نقلوا الأشعار من السلسلة المتعلقة بأسعد الكامل[2].

وكان كعب الأحبار منحدرا من القبيلة الحميرية ذي رعين وعاش في حمص[3] وكتب القيل اليمني ابن حوشب ذو ظليم وهو الذي عاش في الشام أشعارا كانت تمجد اليمنيين[4]

((أحاديث عبيد ابن شرية)) وهي إحدى المجموعات الأساسية للأحاديث تتعلق من حيث منشئها بالشام وانتشرت وتغيرت الأسطورة على يد يمنيي الشام الذين كانوا حميريين بالأساس وبفضل هذه الأسطورة أصبحت كلمة حمير نعتا لليمن القديمة بدلا من مصطلح ((سبأ)) الذي كان يستخدم في أيام النبي محمد ﷺ وأساس الأسطورة هو تاريخ الملوك من قبيلة حمير والبطل المركزي للأسطورة هو أسعد الكامل، ذلك القائد بالذات الذي كان الأقيال الحميريون يعزون قبائلهم إلى قادته العسكريين، وبالتمام الأول قبيلة ذي الكلاع القبلية الحميرية، ذات الشهرة الأكبر في الشام وفي مجموعة

---

(1) W. Caskel, (Gamharat an- nasab) des Hisam ibn muhammad al- Kalbi, Leiden, 1966, I, SS. 34-35.
(2) الهمداني، الإكليل، المجلد ٢، ص ٣٣١.
(3) المصدر السابق، المجلد ١، القاهرة ١٩٦٣، ص ٥٥، والمقرئان ج ٢، ص ٣٥٦،
(4) المصدر السابق، المجلد ٢، ص ٢٠٦ - ٢٠٨.

الأساطير ((كتاب التيجان)) يجري بصورة دائمة مدح الحميريين وليس اليمنيين عموما ((الحميريون مثل المصباح في الليل المظلم))[1] وعلى هذا النحو فيمكن التأكيد على أن الأسطورة القحطانية حظيت وانتشرت على يد يمنيي الشام وتقع في أساسها أسطورة الحميريين وكانت هذه الأسطورة تواجه في النقاشات والحوارات الجارية في بلاط الخليفة وفي قصور المقربين منه بالأساطير القبلية لبعض قبائل البدو ((أيام العرب)) والأسطورة القحطانية تختلف من حيث النمط عن ((أيام العرب)) وهي أقرب من الأدب الروائي وتعتبر، أكثر مما تعتبر أسطورة متعلقة ((قبلية)) وليست أسطورة قبلية. فكانت الأسطورة القحطانية تروق لعرب الشام ((اليمانيين)) وكانت القصص عن الممالك العظيمة الهالكة قريبة ومفهومة لهم الذين عاشوا مدة طويلة من الزمن على الحدود مع بيزنطة وعدا ذلك فكانت قريبة من اليمانيين الفكرة التي كان بعضها اليمنيون المتعلقة بالحقوق الخاصة التي كان ينبغي أن يتمتع بها الأعيان الجاهليون في الدولة الإسلامية ومن الطبيعي أن اليمانيين كانوا لا يعارضون ضد ضم أنفسهم إلى السلسلة النسبية اليمنيون وماضيهم وأن يتحدوا معهم في الحاضر

إن التاريخ السياسي لدولة الخلافة العربية يدل على أن مثل هذا التوحيد بين اليمانيين واليمنيين قد جرى ونشأ بنتيجة ذلك تجمع قبلي أصبح قحطان رمزا واسما قبليا له ولذلك سيكون مشروعا أن نسمي هذا التجمع ((التحالف قحطانيا)) ولم يتشكل التحالف على الفور وينبغي تحديد زمن نشوئه بفترة وقوع معركة مرج راهط تقريبا وقد انعكست عملية الاتحاد نفسها في عدة سلاسل من الأحاديث وانعكست مرحلتها البدائية في قصص قبيلة قضاعة[2] ويكمن جوهر جميع صيغ القصص في أن بعض أفراد قضاعة يطالبون بأنسابهم رسميا إلى العدنانيين وبعضهم الآخر يزعمون بأنهم حلفاء قحطان وتعزى إلى هنا كذلك سلسلة من الأحاديث النبوية حيث ترد الخلافات النسبية بصدد قضاعة والتي وقعت كما يزعم في أيام النبي محمد والسلسلة

---

(1) وهب بن مُنَبِّه بن هشام، كتاب التيجان في ملوك حمير، حيدر آباد، عام ١٣٤٧ هـ، ص ٦١.
(2) الهمداني، الإكليل، المجلد ٢، ص ١٨٤ - ٢١٦.

الأخرى عبارة عن قصص على غرار تاريخ (ذي قيفان)(1) حيث يتناقش الخليفة مع ممثلي اليمنيين واليمن بحسم قوما ويغلب العدنانيين وفي هذا المجال يجري سرد جميع الشمائل القحطانية اليمانية واليمنية منها ويرغب الخليفة في أن يعاقب الشخص المهرج والمغني ممثلي اليمنيين واليمانيين يدافعون عنه على حد سواء بشكل حازم وهذه القصص ليس أكثر من ذلك الزمن عندما كان التحالف القحطاني قائما وكان يعمل التحالف والقوى السياسية والعسكرية في هذا التحالف كانت في أيدي اليمانيين أما اليمنيون فكانوا بدون اليوم محل الثقافة وكانوا يمثلون ((الإيديولوجيا)) التحالف.

إن دوافع الاتحاد تحتاج القيام بدراسات خاصة ولكنه ينبغي الافتراض بأننا نتناول هنا قضية اتحاد مجموعتين متعارضتين لبعضهما البعض، إذ كان اليمانيون واليمنيون يعارضون النظام الجديد الإسلامي بما أنه كان ينبغي على اليمانيين أن يتقاسموا أراضيهم الأملاك الخاصة بهم وما تحويه وأما اليمنيون فكان يجب عليهم أن يتنازلوا عن السلطة للنخبة اليمانيين.

لابد هنا من أن نؤكد على ذلك الدور الخاص الذي لعبته الأسطورة التاريخية في التحالف القحطاني وكانت لها أهمية لأجل تعليل الادعاءات بخصوص السلطة بوصفها صيغة تاريخية فلسفية معتمدة تؤكد على حق ممثلي ((الأقلية الإبداعية)) للحضارة المتخلفة في الإدارة في تكوين الحضارة الجديدة وعدا ذلك فكانت للأسطورة وظيفة أخرى أيضا وهي وظيفة تعزيز التحالف القحطاني وفي هذا التحالف حيث العوامل الثانوية لم تلعب دورا كبيرا، وما هو الرئيسي، دورا دائما فإن عامل الماضي التاريخي العام اكتسب دورا خاصا وكانت اليمن القديمة مملكة الحميريين بمثابة المجموعة المرجعية بالنسبة لكل يماني وكل يمني وكان انتساب الشخص لنفسه بالتضمين إلى هذه المجموعة وتطبيق نشاطه الشخصي مع مصالح هذه المجموعة يضمنان وحدة التحالف القحطاني.

---

(1) المصدر السابق ص ٩١٠ - ٩١٢ و ٩١٨ - ٩٢٢ و ٩٢٦ - ٩٣٠.

على هذا النحو، كان ((التحالف القحطاني)) اليمانيين واليمنيين كان ظاهرة هامة في الحياة السياسية والثقافية للأمويين بالشام وكانت المصالح السياسية لهذا الاتحاد تساعد على احتفاظ ونشر وتثبيت الأسطورة القحطانية ((العربية الجنوبية)) وهذه الأسطورة القديمة مادة هامة لأجل دراسة التاريخ القديم لجنوب الجزيرة العربية وهي تعتبر المصدر الأسطوري الوحيد الذي يعرض الأول بشكل متسلسل من الأسطورة التاريخ التعاقب لليمن القديمة وأن استخدام هذه المادة لأجل الدراسة التاريخية يصطدم بالمقام الأول بطابعها القصصي وبالإضافة إلى ذلك فإن الأسطورة القحطانية كانت تنعكس في شكلها الأولي كل تعقد الروابط الثقافية للجزيرة القديمة وكانت تتضمن في اشتمالها كثيرا من أساطير وقصص سائر الشخصيات ولذلك فيجب أن يجري قبل أي استخدام للمعلومات التاريخية الواردة في هذه الأسطورة التحليل الدقيق لخصائصها الداخلية وللتأثيرات الخارجية التي تعرضت إليها.

لقد توصلنا أعلاه بأن في الزمن الإسلامي، في زمن تدوين الأسطورة لم تكن الأخيرة مجرد تراث ثقافي فحسب ولعبت الأسطورة القحطانية دور العامل الموحد الذي مكن من ظهور اتحاد راسخ على مستوى أعلى ((التحالف القحطاني)) ضمن خليط القبائل العربية وقدمت الأسطورة للقحطانيين كذلك صيغة تاريخية فلسفية تتعارض مع فكرة تفوق العدنانيين باعتبارهم ((الشعب مصطفى)) للنبي.

لقد مارس الدور النشيط للأسطورة في الحياة السياسية للشام الأموية تأثيرا كبيرا على اختيار المواد التي وصلت إلينا وعلى مضمون وشكل بعض الأحداث الواردة فيها ولابد من أن تؤخذ هذه الخصائص بعين الاعتبار بالمقام الأول كما في حال دراسة كل الأسطورة بمجملها وكذلك في حال البحث في كل قصة من القصص التي تؤلفها

القبائل العربية في أسطورة الملك اليمني أسعد الكامل

في مجرى دراسة المواد التاريخية الملحمية الخاصة بالماضي القديم للجزيرة العربية نرى أن إحدى المهام الأساسية هي تحديد تاريخ الصيغ القائمة وتبيان التقاليد الأقدم فيها وقد تتكون من العناصر الهامة لأجل إنجاز مثل هذا التحليل هو تنويهات القبائل العربية التي تصادف مراراً في مؤلفات العرب النثرية والشعرية ، وفيما بعد سنقوم بمحاولة تحليل تنويهات القبائل العربية في الأشعار الشبيهة المتعلقة باسم الملك الحميري من القرن الخامس الميلادي وهو أبو كرب أسعد الكامل ؟

غالبا ما تحتوي الأشعار على السرود المفصلة للقبائل التي حسب ما يقال أنها كانت في عداد جيش أسعد وكانت متحدة بالانحدار المشترك من قحطان ، وعلماء النسب المسلمون يفرزون هذه القبائل في الفرع القحطاني للعرب الذي يواجه فرعهم العدناني ((العرب الشماليون)) وينسبون منشأهم إلى جنوب الجزيرة العربية.

وبإمكاننا أن نفرز بين القبائل القحطانية المذكورة في الأشعار إلى أربع مجموعات تتميز بمدى احتمال مشاركتها الفعلية في غزوات ملك جنوب الجزيرة العربية :

١ - اليمنيون الأصليون أي معظم أهل اليمن القديمة السكان المحليون الأصليون لممالك جنوب الجزيرة العربية الذين احتفظوا بالتقسيم القبلي هذه القبائل هي الهان، أكبر، ((الكلاع))، معافر ، حضرموت، همدان، خولان، حمير)).

٢ - قبائل البدو الذين قطنوا جنوب الجزيرة العربية ، أي العرب في طود وتهامة الذين ظهروا في اليمن في مجرى عملية ((الشاعة البدوية)) ((خلال القرون الثاني الخامس الميلادي)) واضطلعوا بالدور الرئيسي في تعريب البلاد هذه القبائل هي : مذحج، زبيد، كندة، مذحج، مراد ، سعد ((العشيرة))، السكاسك، السكون، الحارث بن كعب

٣ - القبائل الذين ثبت انحدارهم إلى الأصل اليمني عن طريق الأساطير النسبية فقط وهذه القبائل هي : الأزد، أوس، بجيلة، خزرج، خثعم

٤ - القبائل العربية الشمالية التي تدرج نفسها إلى المجموعة القبلية القحطانية ، ولا توجد براهين على سلالتهم المباشرة باليمن ومع ذلك فحسب المصادر التاريخية والأدبية يمكن تتبع كيفية تولد وتعزز الأساطير تدريجيا بصفة انحدارهم اليمني وقد وطد هذا التزييف النسبي التحالف السياسي فيما بين اليمنيين والعرب الشوام ضد الأعيان المكيين وقبائل وسط الجزيرة العربية ، وهي غسان، جذام، كلب، قضاعة ((الحيدان))، كخم، طيء إلى أننا لم نذكر إلا القبائل اليمنية التي اضطلعت بدور سياسي نشيط في العصر الإسلامي أيضاً والى جانبها القبائل التي كانت تدخل في عداد ((التحالف القحطاني)) في عهد الخلافة العربية المبكرة ولكنها لم تكن مرتبطة فقط باليمن الجاهلية وعليه، فإن طابع سرد القبائل العربية في الأشعار الخاصة بأسطورة أسعد يعكس ميول المناهضة القحطانية العدنانية ، الأمر الذي يتيح تحديد تاريخها بالزمان حينما كان الصراع بين القحطانيين والعدنانيين أكثر حدة ، أي بالنصف الثاني من القرن السابع النصف الأول من القرن الثامن.

إن مثل هذا التحديد التاريخي يؤكد على أساس :

أ - طابع التنويه بالقبائل العدنانية ((التطابق التام مع سلاسل النسب الإسلامية)).

ب - الاستعمال الواسع النطاق لمصطلح ((قحطان)) الذي أصبح يسمى به العرب ((الجنوبيون)) في القرن السابع فقط.

غير أن بعض التفاصيل تشير إلى وجود التحالفات والعلاقات بين القبائل العربية في زمان أبكر من ذلك ، في العصر الجاهلي

١ - بالإضافة إلى التنويه بقبيلة الأزد الواحدة تذكر بصورة منفصلة قبيلتان هما أزد عمان وأزد شنوءة ، الأمر الذي يتطابق مع الوضع الواقعي في العصر الجاهلي

٢ - أحد الأسماء المشتركة بالنسبة لجميع العرب ((الشماليين)) ، وهو معد ، جرى استخدامه ليس بمعناه المتأخر هذا فحسب بل كذلك بصفة اسم أحد الاتحادات

السلالية في وسط الجزيرة العربية وقد سجل هذا النص الجاهلي المصطلح في النقوش العائدة إلى القرنين الخامس والسادس والمصطلح الآخر بالنسبة للعرب الشماليين، وهم نزار؛ استخدم بعهدة الجاهلي مصطلح اسم إحدى القبائل في جنوب ما بين النهرين.

٢- يشغل الاتحاد القبلي ربيعة (العدنانيون) وضعاً متوسطاً بين القحطانيين والعدنانيين في الأشعار أهل ربيعة هم أنصار القحطانيين، وأما في حالة واحدة فتنقل عن ربيعة منضمة إلى عداء الجيش الحميري ومثل هذا الوضع أقرب إلى الظروف السياسية القائمة في القرن الخامس حينما كان أهل ربيعة داخلين في قوام المملكة الكندية الخاضعة للحميريين.

وعلى هذا النحو، توجد في الأشعار الخاصة بأسطورة أسعد الكامل عناصر تعكس حقاً التاريخ الجاهلي للجزيرة العربية ومثل هذه الذكريات عن الماضي والمعلومات من التقاليد التاريخية القديمة التي غدت مادة لتأليف الأسطورة القحطانية المتميزة في أواخر القرن السابع أوائل القرن الثامن.

١- قد تكون بمثابة الأساس لمثل هذا التحليل الاستنتاجات والمواد التي تتضمنها المؤلفات:

٢- أخبار عبيد بن شرية وهب بن منبه بن هشام كتاب التيجان حيدر آباد، عام ١٣٤٧، ص ١٢٩، ١٣٨، الهمداني الإكليل المجلد ٨ بغداد ١٩٣١، ص ٢٩٠، ٢١٣؛ نشوان الحميري ملوك حمير وأقيال اليمن القاهرة، عام ١٣٧٨هـ، ص ٨٤، ١٣٦.

	١	٢	٣	٤
أما لا أنام	حميرا خولان همدان معافر الأشعر حضرموت	السكاسك السكون مذحج سعد ((العشيرة))	بجيلة الأزد	قضاعة ((الحيدان)) طيء جذام لخم
أم أمير	حمير همدان الأشعر	كندة السكون السكاسك مذحج مراد، عنس زبيد الحارث بن كعب	الأزد بجيلة خثعم	طيء | عنز
أيها الناس	همدان خولان	مذحج	الأزد أزد عمان	غسان تغلب
وصية	حمير همدان ألهان كهلان	كندة السكون مذحج	أزد شنوءة أزد عمان خثعم بجيلة	قضاعة غسان
الأرق	حمير	سعد ((العشيرة))	الأزد أوس خزرج	لخم جذام

26 10 2013

"تُبَّع" القرآن الكريم
والملك الحميري أبو كرب أسعد

إن مواعظ القرآن الكريم تثبت جبروت الله فغالبا ما تأتي بالأمثلة من التاريخ الجاهلي للجزيرة العربية ومنها بالأخص ما يتعلق بجنوب الجزيرة: تاريخ مملكة سبأ (س ٣٤: ١٥ - ٢١)، وخراب سد مأرب (س ٣٤: ١٦ - ١٩)، وملاحقة النصارى في عهد ذي نواس (س ٨٥: ٤ - ١٠)، وحملة الفيل (س ١٠٥) ويتحدث الاستشهاد لقد التوبة بمعنى باسم تبع ان كلمة تبع المستعملة في القرآن ويبدو إلى مثل هذه معروفا في الأدب العربي كذلك كلقب لملوك جنوب الجزيرة العربية من السلالة الحميرية (خلال القرون الثالث – السادس ميلادي) ولا تحتوي النقوش من جنوب الجزيرة العربية عليها. ولم تتلخ بعض المطولات الخاصة بتفسير كلمة (تبع) على أساس المصادر اليمنية القديمة على خلاف ذلك ففي شمال الجزيرة العربية كانوا في القرن السادس يعرفون تبع الملك وقد تحدث شعراء الحجاز في القرنين السادس والسابع عن الغزو (التبعية) وانتظروا النصر اهل يثرب على شخص ما باسم تبع إلا أن هذه المواد لا تحتوي على أية دلائل تخص حاكما يمنيا ما معينا.

لقد تجسد التصور الجاهلي الأكثر عمومية عن الملك القديم تبع في القرآن حيث جاء في الدخان: ٣٧ ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ الدخان: ٣٧.

وفي سورة ق (س ٥٠: ١٢ - ١٤) ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ ق: ١٢-١٤ يبدو قوم تبع هنا كأحد مجموعات البشر الذين أهلكهم الله لقاء خطاياهم وعصيانهم. لا يحتوي النص القرآني على تقدير أخلاقي وخلقي جلي لتبع نفسه فكان يمكن أن يروا فيه نبيا لم يستمع البشر لإرشاداته (يشبه قوم تبع بقوم نوح وإخوان لوط)، أو مجرما تمرد مع أتباعه ضد الله (يشبه قوم تبع بـ فرعون وقومه).

إن مثل هذه التفسيرات تدل على أن تقدير تبع كان في بداية الأمر موضوعا للخلاف، ومن جراء ذلك عمت بين المفسرين فكرة بأن الله حكم على تبع نفسه بل على قومه.

وبموازاة الرموز تبع سعى المفسرون إلى تشبيه بحاكم معين من جنوب الجزيرة العربية وجرى تشريه تبع في وقت مبكر كتابيا، بالملك الحميري من النصف الأول للقرن الخامس ميلادي أبو كرب أسعد بن ملك كرب وقد تلا ابن إسحاق المتوفي عام ١٥٠هـ حديثا مفصلا أن تبع "أسعد حاصر يثرب (المدينة)" وأراد تدميرها إلا أن حبرين يهوديين صرفا الملك عن فعل ذلك كاشفين له أن المدينة ستصبح في المستقبل ملجأ للنبي العظيم ومن ثم حاول أسعد غزو مكة ولكن الله دافع عن المدينة المقدسة بالعجوبة فآمن الملك بالله الواحد وخضع له وسجد للكعبة وغطاها بالكسوة وبعد أن عاد أسعد إلى موطنه جعل التوحيد (اليهودية) دينا رسميا للحميريين فهلك فيها الكهنة الوثنيون وأما الأحبار فقد أسلموا.

إن أبا كرب أسعد الواقعي هو الملك الذي بدأوا في عهده استعمال الصيغ التوحيدية للتوجه إلى الله. إن طابع هذه التوحيدية ليس واضحا ولكن واقع الانتقال إلى التوحيد لا يثير أي شك ويتضمن الحديث عن تطبيق التوحيد في البلاد عددا من السمات المعيشية الواقعية اليمنية التي تدل على أنه نشأ في جنوب الجزيرة العربية وقد بقيت في النصوص التي وصلت إلى أيامنا بقايا الصيغة الأدبية الأصلية للأسطورة على غرار سفر دانيال ((دوافع معاملة الملك الظالم والتعذيب بالنار وأمراض الملك التي أنزلها إله الرؤى))، ومن هنا يتبع أن في أساس قصة غزو الأسعد للحجاز تقع أسطورة اليهود اليمنيين.

وتعرضت هذه الأسطورة في العصر الإسلامي لتغيرات محسوسة فأضيفت إلى موضوع اعتناق التوحيد الأسطورة الحجازية بصدد حصار يثرب الذي كان معروفا من القصائد الجاهلية وشبه بطلها المبهم بأسعد وسهل التشبيه من جراء أن في النص الماثل كانت القصائد تذكر كذلك بصاحب نفس اسم أسعد، وهو أبو كرب بن جبل الغساني – سلطان فينيقول (أواسط القرن السادس).

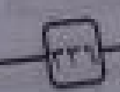
و...كة هو الآخر قصة حجازية بمثابة صيغة من صيغ الأسطورة المعروفة عن الفيل، أي الهجوم اليمني على الحجاز في القرن السادس وتتطابق أهداف الغزو والإعمار الأصعوبي للمدينة والدور التحريضي للهذليين" إلا أن الملك ليس حبشيا هنا كما هو العادة، بل بأسعد.

وعليه، فإن تبع وفقا لما سبق بطل من أبطال أسطورة عائدة لشمال الجزيرة العربية ولكنه خال من ملموسية تاريخية، وقد شبهوه في سياق تفسير القرآن بأبي كرب أسعد الذي كان، بدوره مشبها بالأبطال اليمنيين للقصص الحجازية المحلية.

لقد جرى هذا النشاط الإبداعي في المدينة في النصف الثاني من القرن السابع في وسط مروجي الأساطير اليمنيين ((كعب الأحبار)) والسكان الأصليين.

زد على ذلك المنافسة الناشئة في أواسط القرن السابع فيما بين القحطانيين القبليين القحطاني ((العربي الجنوبي)) والعدناني ((العربي الشمالي))، وقد سعى القحطانيون في سياقها إلى تمجيد ماضيهم بكل ما لديهم من إمكانيات فأعلنوا أسلافهم حكاما جبابرة وزهادا لله.

إن الصيغة المقترحة من قبلنا بصدد نشوء أسطورة الملك أبي كرب أسعد من جراء اندماج الأساطير الجاهلية لشمال الجزيرة العربية وجنوبها مع بعضها البعض كما وأنها دليل ملموس على استيعاب المسلمين مؤخرا للتراث الثقافي للجزيرة العربية الجاهلية.



خاتمة

طرق تطور جنوب الجزيرة العربية في القرون الوسطى المبكرة

إن الدولة الحميرية التي نشأت في القرن الرابع بلغت أوج جبروتها السياسي في مطلع القرن الخامس، ولكن منذ أواسط القرن الخامس بدأ اضمحلالها التدريجي الناتج، من جهة عن اشتداد بأس الأعيان المحليين ((الأقيال)) ومن جهة أخرى، عن ازدياد النفوذ السياسي للدولة الأجنبية في اليمن، وأدى سعي المشاركين في النزاعات المحلية لحلها بمساعدة شتى القوى الخارجية إلى مجرد احتدام هذه النزاعات ومن ثم إلى الغزو الحبشي (في أوائل القرن السادس) والفارسي (في أواخر القرن السادس).

إن علاقات الدولة الحميرية مع الاتحادات القبلية في الجزيرة العربية الدائرة في مسارها، وكان الحميريون يشنون الغزوات البعيدة إلى أعماق الجزيرة العربية وينشئون فيها تكوينات سياسية موالية لهم، والبدو كانوا يشنون الغارات على اليمن ويتغلغلون إلى أعماق أراضيها ويستقرون فيها فيضيفون إليها الحزازات الداخلية.

واليمن المشتتة في أوائل القرن السابع اعتنقت بسرعة كبيرة نسبيا الإسلام الذي وجد فيها أنصارا وحلفاء عديدين له، وأصبحت البلاد إحدى ولايات الدولة الإسلامية الآخذة في الاتساع، وفي حينه بالذات غادر جزء كبير من اليمنيين جنوب الجزيرة العربية ونزحوا إلى الأراضي التي فتحها الإسلام.

كانت أعمال القوى السياسية الطامحة تلتقي بالميل العام نحو التحلل من دولة الخلافة وانفصال ولاة الخلفاء وكذلك بظهور شتى التيارات السياسية الدينية في الدولة الإسلامية والتي كانت تسعى إلى الاعتزال السياسي، وإبان القرنين التاسع والعاشر نشأ في اليمن عدد من الاتحادات السياسية المستقلة التي كان يتزعمها الأعيان ((اليعفريون والمناخيون وغيرهم)) والولاة المنفصلون عن دولة الخلافة ((الزياديون)) وزعماء الحركات السياسية الدينية ((الزيديون والعباديون والإسماعيليون))، في نهاية

[illegible]

[illegible] بطل من أبطال أسطورة عالقة لشمال الجزيرة العربية والحكاية [illegible] في سياق تفسير القرآن بأبي كرب أسعد الذي [illegible] بالأبطال اليمنيين للقصص الحجازية المحلية.

لقد جرى هذا النشاط الإبداعي في المدينة في النصف الثاني من القرن السابع في وسط مروجي الأساطير اليمنيين (كعب الأحبار) والسكان الأصليين.

زد على ذلك المنافسة الناشبة في أواسط القرن السابع فيما بين التكتلين القبليين القحطاني (العربي الجنوبي) والعدناني (العربي الشمالي)، وقد سعى القحطانيون في سياقها إلى تمجيد ماضيهم بكل ما لديهم من إمكانيات فأعلنوا أسلافهم حكاماً جبابرة وأبطالاً.

إن الصيغة المقترحة من قبلنا بصدد نشوء أسطورة الملك أبي كرب أسعد من جراء اندماج الأساطير الجاهلية لشمال الجزيرة العربية وجنوبها مع بعضها البعض كما وأنها دليل ملموس على استيعاب المسلمين مؤخراً للتراث الثقافي للجزيرة العربية الجاهلية.

خاتمة

مسار تطور جنوب الجزيرة العربية في القرون الوسطى المبكرة

إن الدولة الحميرية التي نشأت في القرن الرابع بلغت أوج جبروتها السياسي في مطلع القرن الخامس، ولكن منذ أواسط القرن الخامس بدأ اضمحلالها التدريجي الناتج من جهة عن اشتداد بأس الأعيان المحليين (الأقيال) ومن جهة أخرى عن ازدياد النفوذ السياسي للدولة الأجنبية في اليمن، وأدى سعي المشاركين في النزاعات المحلية لحلها بمساعدة شتى القوى الخارجية إلى مجرد احتدام هذه النزاعات ومن ثم إلى الغزو الحبشي (في أوائل القرن السادس) والفارسي (في أواخر القرن السادس).

إن علاقات الدولة الحميرية مع الاتحادات القبلية في الجزيرة العربية اتّزت في مسارها، ، وكان الحميريون يشنون الغزوات البعيدة إلى أعماق الجزيرة العربية وينشئون فيها تكوينات سياسية موالية لهم، والبدو كانوا يشنون الغارات على اليمن ويتغلغلون إلى أعماق أراضيها ويستقرون فيها فيضيفون إليها الحزازات الداخلية.

واليمن المشتتة في أوائل القرن السابع اعتنقت بسرعة كبيرة نسبياً الإسلام الذي وجد فيها أنصاراً وحلفاء عديدين له، وأصبحت البلاد إحدى ولايات الدولة الإسلامية الآخذة في الاتساع، وفي حينه بالذات غادر جزء كبير من اليمنيين جنوب الجزيرة العربية ونزحوا إلى الأراضي التي فتحها الإسلام.

كانت أعمال القوى السياسية الطامحة تلتقي بالميل العام نحو التحلل من دولة الخلافة وانفصال ولاة الخلفاء، وكذلك بظهور شتى التيارات السياسية الدينية في الدولة الإسلامية والتي كانت تسعى إلى الانعزال السياسي، وإبان القرنين التاسع والعاشر نشأ في اليمن عدد من الاتحادات السياسية المستقلة التي كان يتزعمها الأعيان (اليعفريون والمناخيون وغيرهم) والولاة المنفصلون عن دولة الخلافة (الزياديون) وزعماء الحركات السياسية الدينية (الزيديون والعباديون والإسماعيليون)، في نهاية

[illegible] لوحدة اليمن المشكلة سياسيا من تحت سيطرة [illegible] وفيما بعد في أواسط القرن الحادي عشر أخضعت الأسرة [illegible] خلال مدة طويلة جزءا كبيرا من جنوب الجزيرة العربية [illegible] مصر الفاطمية

في الحياة الاقتصادية لليمن التي انحطت في بداية الأمور بالعديد من المسائل [illegible] علما بأن المتكونات المستقلة نسبيا والواقعة في [illegible] على مدى العهد القروسطي المبكر ككله بوصفها الطليعة [illegible] وخلال القرون أخذت تتدهور بالتدريج الاستثمارات الزراعية [illegible] والواقعة في المناطق المتاخمة للجبال والتي تم إنشاؤها على منظومات الري الضخمة التي كانت الدولة تحافظ على استمرار عملها بالشكل اللائق، وتحول جزء من هذه الأراضي تدريجيا إلى مراعي الرحل وأشباه الرحل، إلا أن [illegible] لا زالت باقية في أطيانها منطلقا للفلاحة المتحضرة، القائمة على أساس منظومات الري المبسطة، وتربية المواشي المتحضرة حيث كانت الأبقار تحتل نصيبا نسبياً كبيراً

[illegible] بالتدريج ونهائيا بالتقريب تصدير المواد العطرية، وفي العهد القروسطي المبكر بدأ الاستثمار المكثف لمناجم الثروات الطبيعية في اليمن، ولا سيما خام الفضة، إلا أن استخراج هذه الثروات قد خمد في مطلع القرن العاشر.

إن تجارة المرور التي كانت تقليدية بالنسبة لجنوب الجزيرة العربية ضعفت بعض الشيء خلال القرنين الخامس والسادس من جراء مزاحمة التجار البيزنطيين والمصريين والفرس، وجاء بعض التعويض عن ذلك ازدياد العلاقات التجارية داخل الجزيرة العربية حيث كان اليمن يشترك بنشاط ساعيا إلى وضعها تحت رقابتها.

إبان القرون السابع - العاشر اتسع نطاق الروابط التجارية مع شتى ولايات دولة الخلافة بما فيها العراق، وفي القرن الحادي عشر انتعشت العلاقات الفعلية مع مصر.

لقد أصبح من السمات الهامة للمجتمع في جنوب الجزيرة العربية خلال القرون الوسطى المبكرة ازدياد عدد الرحل وأشباه الرحل، الذين تسربوا بالتدريج من الجزيرة

[illegible] الداخلية إلى الأراضي حيث كان يقيم في السابق فقط الفلاحون المتحضرون، [illegible] دورهم في حياة المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولا زال جزء منهم [illegible] الرحل في أشباه الصحاري وفي الأراضي التي تحولت إلى أشباه صحاري بعد دمار منظومات الري الضخمة، واستقر جزء كبير من الرحل في الأرض واندمجوا مع السكان الأصليين بل وفرضوا عليهم بنيانهم القبلي وتأصيلاتهم وعاداتهم وتقاليدهم

لقد تعرضت العلاقات الاجتماعية الخاصة ببداية العهد القروسطي المبكر لترقي الأقيال - في قوام الطبقة السائدة، وحول الأقيال إدارة شتى المناطق التي منحتهم بها الدولة، إلى إدارة مستقلة خاصة بهم ومن ثم إلى امتلاك للأرض وإخضاع السكان المحليين، وبعد حلول الإسلام زال المصطلح قيل وغادر جنوب الجزيرة العربية جزء كبير من كبار الأعيان الأصليين المنحدرين من الأعيان المحتكين إلا أن أخلافهم وورثائهم استعادوا بالتدريج أملاكهم، ونفوذهم في المجتمع

ومنذ العهد الحميري تزايدت أهمية الأعيان القبليين وما أن غدا رؤساء القبائل الشركاء الرئيسيين للحكام المسلمين حتى نالوا سلطة سياسية على العديد من المناطق وكانت هذه السلطة وراثية وتسري كما على أفراد القبائل المترحلة وشبه المترحلة وكذلك على الشاغليات الزراعية التابعة لهم

وفي العهد القروسطي المبكر كانت الفئة الحاكمة من الطبقة السائدة تضم في قوامها العديد من اللايمنيين (مثلا، الأبناء أحفاد الغزاة الفرس، الذين كانوا يؤلفون الجزء المتنفذ من الإدارة المدنية في أيام الفرس وفي بداية العهد الإسلامي، وكذا التجار وملاكي الأراضي الذين فقدوا حتى مطلع القرن العاشر نفوذهم الاقتصادي والاجتماعي))، وممثلو سلطات دولة الخلافة وشتى الحركات الدينية السياسية (مثلا، الأئمة والشرفاء الزيديون)) استقروا في اليمن وغالبا ما كانت بواسطتهم تجري جباية الريع العقاري وإعادة توزيعه (بواسطة نظام ضرائب الدولة والضرائب الدينية)) وكانت جميع فئات الطبقة السائدة تنال القسط الكبير من الضرائب عن طريق اعتراف الدولة بمكانتها في الجهازين الإداري العسكري

إن العهد القروسطي المبكر كله كان يتميز بنمو الملكية الخاصة الكبيرة للأرض، وكانت الإقطاعات الكبيرة من الأرض تعود ملكيتها للأقيال والمشايخ الإقطاعيين - الأعيان المحليين، وكانت شتى مجموعات الأعيان المحليين تبسط نفوذها على الأرض والقرى الموجودة فيها كما كانوا يستأثرون بحق جباية الأتاوات ومحاكمة السكان وحتى التصرف بمصائرهم، وكان ((أصحاب الضياع)) يؤلفون فئة خاصة يستثمرون الفلاحين المجاورين والعاملين الموسميين، وكانت الإقطاعات الكبيرة من الأرض تعود ملكيتها لسكان المدن الأغنياء، واخذت تظهر تدريجيا كذلك الأشكال البدائية لتقسيم حصص الأرض لقاء الخدمة.

وكان يتطور موازيا لذلك نظام الاستئجار بالمحاصة ((في العهد الإسلامي - المزارعة)) الذي تميز به الشرق الأوسط كله في العصر القروسطي.

لقد كان الفلاحون يشتغلون في أراضيهم وفي الأراضي المستأجرة وكذلك في ضياع الأعيان فيدفعون قسطا من المحصول والضرائب، وفي بداية العهد القروسطي كان يوجد في اليمن بقايا مظاهر نظام الرق الذي ما زال ساريا على مدى العهد القروسطي كله بشكل الرق المنزلي وامتلاك الجنود العبيد.

وقد كانت المدن في القرون الوسطى المبكرة وثيقة الارتباط بالإدارة السياسية العسكرية وتعتبر بالتالي رمزا للسيطرة السياسية على أراضي البلاد، وكانت جميع القوى المتنافسة في اليمن القروسطية تخوض النضال من أجلها.

مثلما كان يقيم في المدن القديمة التجار والحرفيون الذين غالبا ما كانوا يملكون الأراضي في حدود المدينة وخارجها، وكانت لسكان المدن، على الأقل في صنعاء، تنظيماتها ((التي ليست معروفة لنا جيدا جدا)) والتي كانت تتيح لهم خوض النضال السياسي بوصفهم قوا مستقلة.

إن بداية العهد القروسطي المبكر كانت تتميز بالتدهور التدريجي للطوائف الدينية اليمنية القديمة وبارتقائها بعض الشيء نحو مذهب التوحيد وذلك بتأثير الديانتين التوحيديتين المنتشرتين في البلاد - اليهودية والنصرانية، وكان تغير

الاسترشاد بنزعة دينية ما يؤدي إلى الاسترشاد بنزعة سياسية معينة أخرى، وكان للطوائف الخاصة بالجزيرة العربية الداخلية بعض الانتشار.

إن نشر الإسلام في مجاله السياسي جرى بشكل سريع، وأسهم تنوع النزعات السياسية داخل البلاد في أنه ترسخ في جنوب الجزيرة العربية العديد من التيارات المذهبية - من الشافعية السنية إلى الإسماعيلية والخارجية، والإسلام ذاته حفز تعريب الحميريين والذي كان قد بدأ منذ القرنين الخامس والسادس من جراء توسع العلاقات مع الجزيرة العربية الداخلية.

إن كلا من الظاهرتين الموصوفتين أعلاه مرت عبر مرحلتي العهد القروسطي المبكر - مرحلة ما قبل الإسلام ((الجاهلية)) والمرحلة الأخرى التي تليها، ومصادر المحلية السمات النموذجية للمجتمع الإسلامي كانت تتجلى في اليمن

إن ذلك هو من أحد شروط قيام المجتمع الإقطاعي، ويدل على ذلك نمو الملكية الكبيرة للأرض وتطور نظام الاستئجار بالمحاصة واشتداد تبعية الفلاحين الشخصية وتبعية المشاعيات للأعيان، ولا سيما الأعيان ((المستكين)) وظهور بوادر الإقطاع الاصطلاحي المراتبي والميل نحو التشتت السياسي، وكل هذه السمات وجدت مثيلا لها في مجتمعات سائر بلدان الشرق الأوسط في مرحلة ظهور الإقطاعية - حتى القرنين الحادي عشر والثاني عشر.

ويدل على الطابع والجوهر الإقطاعيين لتطور اليمن في العهد القروسطي المبكر كذلك حصيلة الواقع خارج الأطر الزمنية لموضوع دراستنا والذي جرى وصفه باقتضاب في الباب الأول من الكتاب الحالي، لقد تكون إبان القرون الحادي عشر - الثالث عشر في جنوب الجزيرة العربية مجتمع إقطاعي مماثل لتلك المجتمعات التي من المقبول وصفها باعتبارها النمط الشرقي للمجتمعات الإقطاعية المتطورة[1].

[1] لقد سبق أن ف. ناقشت رأي المؤلف حول هذه النقطة وبينت فيها الخلاف ووجهة النظر معه، يمكن الرجوع إليها في أول الكتاب. المترجم.

خلال القرون الخامس – العاشر جرت على نطاق الشرق الأوسط كله عملية تعمق التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية الإقطاعية، وكان تطور المجتمع اليمني جزءاً من العملية العامة. ويمكن تحديد مشاركة جنوب الجزيرة العربية فيها انطلاقاً من مبدأي ((الترابط التاريخي)) و ((البيئة الخارجية للتشكيلة)) واللذين كان قد سبق أن صاغهما المؤرخون السوفييت (راجع، مثلاً: ٣٦٣، ص ١١٩ – ١٢٣).

ومن بشكل جلي في التطور الإقطاعي المبكر لليمن مرحلتان يفصل بينهما نشر الإسلام الذي غير الكثير من السمات الخارجية للمجتمع الحميري الإقطاعي المبكر السابق.

إن تغلغل الرحل إلى اليمن واستيطانهم فيها كان يجري في العهد الجاهلي في ظل الغالبية اليمنية وعلى الأساس الحميري، والبدو الذين كانوا قد استوطنوا أصبحوا أو يحاولون أن يصبحوا أفراداً للمجتمع الحميري، وكانوا يخدمون في الجيوش الحميرية وينالون الألقاب الحميرية ويكتبون النقوش باللغة اليمنية القديمة ويعبدون المعبودات الوثنية اليمنية التي كانت ترمز إلى الثالوث الشمس والقمر والزهرة، وكانوا أحياناً ينضمون إلى قوام المشاعيات – الشعوب العشائرية – القبلية.

إن اشتداد الدور السياسي للقبائل في الجزيرة العربية الداخلية قد غير الكثير من الملامح، ورغماً عن أن النازحين من الجزيرة العربية الداخلية استوطنوا في الأرض فإنهم حافظوا من الآن فصاعداً ليس على لغتهم فحسب بل كذلك تماماً، وتقريباً على بنيانهم العشائري – القبلي وعاداتهم، وعلاوة على ذلك كانوا يفرضونها على جيرانهم، وصار الفلاحون الأصليون يسمون مشاعياتهم بقبيلة واستوعبوا الكثير من القيم الاجتماعية لمجتمع البادية وعاداته، وحل ((التعريب)) اليمنيين محل ((التحمير)) البدو.

إن تكوين البنيان الاجتماعي الإقطاعي كان كذلك يسير في بداية الأمر بشكل يطابق تطور الواقع الحميري، والعنصر الرئيسي في الفئة الحاكمة كان يحتله المنحدرون من الأعيان الأصليين و ((المتحكمين)) الحميريين، وكانت المشاعيات – الشعوب الحميرية تابعة لهم، وبعد حلول الإسلام أخذ الأعيان التقليديون ((الأقيال)) يضطلعون بدور أقل ثقلاً، وصار رؤساء وأعيان القبائل والأعيان ذو المنشأ غير اليمني

والحصون، خلال القرون السابع – التاسع، الأعيان اليمنيون الأصليون، أخلاف الأقيال.

وأخيراً، فإن الانتصار التدريجي للمذهب التوحيدي بشتى أشكاله، والذي تميز به العهد الحميري، قد تكلل بالظفر التام للإسلام، وانتصرت شتى أشكال الوعي الديني الإسلامي على سائر أنواع الديانات الأخرى.

كان التطور الإقطاعي لليمن في بداية الأمر إجمالاً على الأساس الحميري، من ((المصادر الداخلية))، واستمر ذلك بعد اعتناق الإسلام على أساس اندماج العمليات المحلية التهيئة مع ما تم جلبه من الجزيرة العربية الداخلية في البداية وفيما بعد من شتى أرجاء العالم الإسلامي الشاسع والمتنوع ولكن الواحد في ذات الوقت.

إذا ما ميزنا بين مرحلتي التاريخ القروسطي المبكر لجنوب الجزيرة العربية فإننا نعتبر أنه من الأدق ألا نتحدث عن مرحلتي عهد واحد فحسب بل كذلك عن الطريقين المحتملين لتطور الإقطاعية في اليمن والمتجسدين فيهما لأن هاتين المرحلتين تتمايزان عن بعضهما البعض من الناحية النموذجية.

ثانياً ما نستوعب المرحلة الحميرية بوصفها استمراراً للتاريخ القديم للبلاد، من الناحية النموذجية تشابه هذه المرحلة ذلك الطراز لنشوء وتكون الإقطاعية الذي يميزه علماء التاريخ السوفييت و ((الذي تغلب فيه أسس الحضارة القديمة بشكل جلي)) أي لا تزال باقية عناصر كثيرة للتراث الاجتماعي الاقتصادي القديم[1].

إن الطريق ((الحميري)) لنشوء وتكون الإقطاعية كان يتأثر إلى درجة ما بالعمليات الجارية إبان القرون الخامس – السابع في مجتمع الرحل وسكان الواحات في الجزيرة العربية الداخلية حيث تهيأت أشكال جديدة عن المجالات السياسية والاقتصادية وللأيديولوجيا تطورت فيما بعد في ظل الإسلام وتعاليم النبي محمد ﷺ.
وإذا تحدثنا على وجه التقريب وبتحفظات، طبعاً، فيمكن اعتبار الجزيرة العربية الداخلية الجاهلية ذات المرحلة ما قبل الإقطاعية والإقطاعية البدائية من مراحل التطور

[1] ٣٢٥، ص ١٠ ((العدد ٣))، ٣٢٥ج، ص ١٩، ((العدد ٢)).

الاجتماعي الثاري مع ٣٦٧ أو ذلك النوع من أنواع الإقطاعية التي تولدت مباشرة من أنقاض النظام العشائري – القبلي[١].

وكانت عناصر طريق التطور (الخاص بالجزيرة العربية) موجودة في جنوب الجزيرة العربية في المرحلة الحميرية أيضا، وتجسدت في الاشتداد العام لدور الرحّل وفي التعريب. وبعد انتصار الإسلام أخذ هذا الوجود يتمثل بالجمع بين الميراث الحميري، الذي أصبح ذا طابع إقطاعي مبكر، وما تولد في الجزيرة العربية وما تطور داخلها وخارجها – في العالم الإسلامي، وصار للمجتمع اليمني بطريق التجميع بين العناصر الحميرية والعناصر الخاصة بالجزيرة العربية والعهد الإسلامي المبكر من عناصر التطور الإقطاعي، ومن الناحية النموذجية كان أقرب إلى ذلك النموذج لنشوء وتطور الإقطاعية الذي تتوزع – على بعضها البعض بنشاط في ظله – العناصر الناشئة من المجتمع القديم والعلاقات التي أدخلت من الخارج ونشأت في ظروف النظام المشاعي – العشائري أي ما قبل الإقطاعي[٢].

إن مؤسسي كلاسيكي النظرية العلمية قاموا بوصف القضايا العامة لمثل هذا التطور عن جراء التجميع بين شتى الطرق[٣]، والعلماء السوفييت صاغوا هذه القضايا تطبيقا على أوروبا القروسطية وبيزنطا[٤]، وقد جرت محاولات لوصف مجتمع العهد القروسطي الإسلامي انطلاقا من وجهة النظر هذه ٣٢٨ ب.

إن السمات النموذجية للمجتمع اليمني القروسطي المبكر (التي ظل تتوفر الخصائص الملموسة التي جرى فرزها ووصفها في الأبواب السابقة من هذا الكتاب) ليست فريدة من نوعها، ومن الناحية النموذجية العامة يمكن إدراج التاريخ القروسطي المبكر للمجتمع اليمني في ثلاث دوائر مركزة للمقارنة مع سائر مجتمعات الشرقين

(١) ٣٣٩ ج، ص ٩ ((العدد ١)) ٣٣٩ ج، ص ١٩ ((العدد ٣)).

(٢) قارن مع ٣٣٢ أ، ص ١٠ ((العدد ٩)) ٣٣٩ ج، ص ٩ ((العدد ١)).

(٣) الراجع ٢، ص ٣٣ – ٢٢٩، ٨، ص ١٢٦ – ١٨٨، ١، ص ٢٢ – ٢٣، ٥، ص ٣٦٠.

(٤) الراجع ٢٤٣، ص ٢٦٥ – ٢٤٦ و ٢٦١ – ٢٧٧، ٣٢٥ – ٣٣٥، ٣٢٨، ٢٩٧ – ٣٦١، ٦، ص ٣٣٣)).

الدائرة الأوسط، والدائرة الأقرب – تاريخ العراق والشام ومصر حيث التطور المماثل للمجتمع القديم من ((المصادر الداخلية)) تبدل بالجمع الذي كانت الفتوحات الإسلامية بمثابة عامله الرئيسي.

الدائرة الثانية للمقارنة – التطور الإقطاعي للمجتمع البيزنطي، حيث العامل الخارجي كان أقل شأنا ولكن حيث يمكن مشاهدة سمات متشابهة كثيرة للتطور الاجتماعي. إنما نعتبر أن التاريخ الاجتماعي البيزنطي لهو أكثر تشابها لطريق (الحميري) من ناحية النموذجية، ومن مثيلاته الأخرى – إيران الساسانية وأكسوم. وقد مارست إيران والحبشة بعض التأثير المباشر في طابع تطور المجتمع الحميري في القرن السادس عندما كانت اليمن خلال فترات زمنية طويلة الأمد في حالة تبعية سياسية لهاتين الدولتين.

وأخيرا، الدائرة الثالثة للمقارنة – نشوء وتطور الإقطاعية فيما وراء القفقاس وفي الأقاليم الشرقية من إيران وفي آسيا الوسطى حيث يلاحظ التشابه المماثل، وفي بعض المجالات، للجمع بين العهد القديم والعناصر الدخيلة حيث تجري، في ظل ظروف مغايرة بعض الشيء، وعمليات مشابهة لتحول الأنواع القديمة لملكية الأرض إلى ضياع إقطاعية وتحول الأعيان القدماء إلى أعيان إقطاعيين قروسطيين. وعلى أساس مادة أخرى يمكن أن نشاهد في هذه الحال مظاهر مشابهة لدور الرحّل في نشوء الإقطاعية وما إلى ذلك[١].

إن الأشكال الملموسة التي تجسدت بها في الأرض اليمنية ميول التطور الإقطاعي القروسطي، التي تعتبر مشتركة بالنسبة للعملية التاريخية العالمية عموما وبالنسبة للشرق الأدنى خصوصا، تؤلف الخاصية المميزة لتاريخ اليمن وفرادته الأكيدة رغم تشابهه الداخلي مع تواريخ البلدان الأخرى، ولا داعي للمبالغة فيه ولكن لا يجوز استصغاره أيضا. وبصرف النظر عن عمق البون الاجتماعي والثقافي الإيديولوجي بين اليمن الحميرية الإسلامية فإنه يربط بينهما أواصر وثيقة للتتابع التاريخي، ولم تتلاش اليمن القديمة، إلا أنها مرت عبر اليمن الحميرية فأصبحت اليمن الإسلامية.

(١) الراجع ٢٩٨، ص ١٢٢ – ١٢٥، ٢٩٨ أ، ص ٢٤٤ – ٢٤٥)).

إن العهد القروسطي المبكر لم يكن مرحلة طبيعية للتطور التاريخي لجنوب الجزيرة العربية وحسب، والعديد من سماته ما زال قائما حتى قرننا العشرين، وفي العهد القروسطي المبكر بالذات توسع الاستقلال الاقتصادي لشاعيات الفلاحين مقابل فرض النظام العشائري - القبلي للقبائل، الأمر الذي أعطى القبائل الحالية في اليمن قوتها السياسية والعسكرية، وتهيأت في العهد القروسطي المبكر السمات المميزة لنشء مجموعات الأعيان الإقطاعيين الذين ظلوا لا يزالون باقين في أواسط قرننا العشرين بشكل الأئمة الزيديين، وشيوخ قبائل الشمال وسلاطين الجنوب، وفي ذلك العهد بالذات وضعت أسس تقسيم المجتمع إلى أفراد القبائل و ((الضعفاء))، وتولد منه النظام اليمني القروسطي المتأخر للمراتبية الاجتماعية التي يمكن مقارنته أحيانا مع الطوائف الاجتماعية عند الهندوس، والمذهب اليمني بشكليه الزيدي والإسماعيلي ما زال محتفظا بالعديد من عناصر وسمات المراحل المبكرة لتطور العلوم الإسلامية، وفي القرون الوسطى بالذات تهيأ الوعي الذاتي الأصيل لليمنيين، ((الوطنية الحميرية)) التي يجمع بين العروبة و ((الحميرية))، وبين الإسلام والاعتزاز بالماضي القديم، والخاصية التقليدية لجنوب الجزيرة العربية المعاصرة مشروطة بالحفاظ على الآثار وعناصر التراث الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الخاص بالعهد القروسطي المبكر في حياة البلاد.

ريدان/٥٠٩

غزوات الحميريين في الجزيرة العربية النقش

في الوهدة الصخرية الواقعة في وادي الموصل يوجد النقش المخدوش RY447 الذي يتضمن اسم ايكرب أسعد ٥٠٣١، ص ٢٣٢٢ وأجراء بالأحرى أحد محاربي الملك ولكن من المحتمل أن يكون الملك نفسه، ونقر بجواره النقش الكبير نسبيا = 546 RY509، ونصه ما يلي:

أبكرب أسعد وابنه حسن يهأمن ملكا سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت، وطود، وتهامة٣، ابنا حسن ملك كرب يهأمن ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت نقروا هذا النقش ((؟)) في وادي٥ مأسل جمحن عندما غزوا واحتلوا أرض٦ معد وجاءوا ((إلى هنالك)) مع مشاعيهم - شعبيهم من٧ حضرموت وسبأ ومع بني مأرب ومع٨ أقيالهم الصغار ومع ((شاغليهم)) ((sglm)) و((جميع)) مقتواليهم وفرسانهم٩ ومع ((صياديهم)) ((syd)) ومع ((مستأجريهم)) ((erh)) ١٠ كندة ((الكندة)) وزعمائهم وولاتهم ((؟)) و..

إن الترجمة تراعي بمجملها تفاسير ج. ر. ريكمانس، في هذا النقش، كما هو الحال في النقوش الأخرى، ورد اسم أسعد مع اسم شريكه في الحكم، في هذه الحال مع اسم ابنه حسن، وقد يفهم ظهور عدد كبير من الشركاء في الحكم في القرنين الرابع والخامس كأحد أساليب ترسيخ وراثة السلطة عندما كانوا يعلنون الأبناء شركاء في الحكم حينما كان الأب لا يزال على قيد الحياة، إلا أن ذكر عدد كبير من أسماء مثل هؤلاء الشركاء في الحكم في النقوش Rassi 24 ،ja 520 ليوندين ١٠، (راجع[١]) الافتراض بأن الحديث لم يدر دائما بصدد الأقرباء المباشرين، من المحتمل

[١] ٥٠١، ص ٩٤٣ - ١٩٨٠،٢٥٠، ص ١١٧ - ١١٨، ٨٢، ص ١٣ - ١٥.

أنه مقابل بالإمكان أن يكون الملوك التابعون والأقيال – الموالي بمكانة شيوخ مقامة في الشمال إلخ.

إن النقش RY509، شأنه شأن سائر النقوش، يدل على أنه لا يعني دائما القرابة المباشرة بين الأب والابن وقد تسمى بأسماء أبي شخصين النقو 608 Ja، وقد يسمى الأب والابن باسم شخص واحد (Ja 630)، وفي هذا النقش أيضا سمي الأب والابن باسمي ملك كرب الذي هو أب أحدهما وجد الآخر منهما.

بصدد تحليل نص ومضمون النقش Ry 509 و Ry445 فإن التاريخ المحتمل لإجراء النقش هو العشرون سنة الأولى من القرن الخامس.

النقش Ry 510 ((القرن السادس))

النقش وارد في الترجمة التي تأخذ بعين الاعتبار وتقبل تفاسير أ. ج. لونديـن التي تختلف عن تفاسير ج. ريكمنـز وف. كاسكـل وأ. بيستون، ونصه ما يلي:

معدي كرب يعفر، وملك سبأ وذي ريدان وحضرموت؟ ويمنت وبدوهم في طود وفي تهامة؟، نقر ونصب هذا النقش في مأسل جمحن ((على شرف)) الغزوات على سول فتح عندما نادأهم بدوهم، وعاياهم، بعدما هجم عليهم ((المنذر))، وقد حاربوا مع مناطقهم – شعوبهم سبأ وحمير ورحبة؟ وحضرموت ويحن ومع بدوهم كندة ((الكندة)) ومذحج ((المذحج)) ومع بني ثعلبة، وعقد معاهدة ((الصلح)) مع (الأنج الأدنى) في شهر ذي قيظان سنة ٦٣١ ((السنة ٥١٦ الميلادية)).

يمكن الافتراض بأن هذا النقش كان يعتبر رمزاً يفصل بين مجالات نفوذ (ممتلكات الحميريين واللخميين).

بصدد هذا النقش راجع: ((٢٢١، المجلد ٤٠، ص ٢١٠، ٤٩٥، ص ٢٢٩ – ٢٣٠، ٢٨٨، ص ١٠ – ١٢،٢٧٧، ص ٢٩٥ – ٢٩٦، ٢٧٦، ٢٨٤، ص ٢٣ – ٢٥، ٥١٨، ص ٤١، ٤٦٠- ٣٠٦، ص ٧٣ – ٧٥، ٣٦٨، ٤٦٦.

النقش Ry 506 ((القرن السادس)) ((وسم عليه))

بحول الرحمن ومسيحه، الملك أبرهة زيبمان ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وبدوهم في طود في تهامة نقر هذه الأسطر عندما قاموا بالغزو الرابع؟ عند معد في شهر ذي سبتان (ذو) لمرة جميع بني عمر عمروم، ١ وعندئذ قبل الملك أرسل أب جبر مع كندة وعل وبشر بن حصن سبعة سعدهم، وتصارع وتحارب القائدان المستعريان عند بني عمروم – كندة وعلية، ومقابل... مرادم وسعدم في الوادي عند ذي تربان، وقد قتلوا وأسروا وغنموا الغنائم بالقدر الكافي.

وحارب الملك في حلبان، وخضع ٧ – فرسان معد قدموا الرهائن، وبعد ذلك عقد معهم الصلح عمرو بن منذران، ٨ – وأعطاهم ابنه رهينة، وهو (المنذر) عينه واليا – حاكما على معد، وقد عادوا من حلبان ٩ – بحول الرحمن في شهر ذي ال(السنة) ٦٦٢ (السنة ٥٤٧ الميلادية)).

إن هذه الترجمة تقبل النواحي الأساسية لتفسير أ. بيستون، ولكن يتهيأ لي أنه من الأبسط والأصح أن نرى في السطر أعلاه من نص النقش كلمة ((الرابع)) وليس كلمة ((ربيع)) (قارن مع: ٥٠٧، ص ٤٩٤). لقد قام م. كيستر بالتحليل المفصل للوقائع الخاصة بالجزيرة العربية والواردة في النقش، ولكنني لا أستطيع الموافقة على تشبيه سعد الوارد في هذا النقش بسعد تميم، إن سعداً ((سعد العشيرة)) قبيلة مذحجية مشهورة، والمذحجيون يردون مرات عديدة مع كندة في النقوش اليمنية، وفي هذا النقش أيضا يرد سعد إلى جانب كدة ((كندة)) ويوحدان في فصيلة واحدة مع مراد التي هي أيضا قبيلة مذحجية.

إن م. كيستر يشبه رئيس الكنديين أب جبر ((أبا جابر)) بطل الأسطورة بصدد الرئيس الكندي من الفرع الجنوبي للجون، الذي بحث في بداية الأمر عن العون من الفرس لأجل استعادة سلطته والذي توجه فيما بعد إلى اليمن لنفس الغرض، إن مثل هذا التشبيه يؤكد الافتراض بأن أبرهة قصد استعادة المملكة الكندية أو إنشاء

مثيلها، إن [illegible] لم يجد بشر بن حصن في أي مكان في المصادر ولكنه يعتبر أن اعتراض [illegible] بصدد النشأة [illegible] لبشر أمر قليل الاحتمال، بمخالفة الواقع على ذلك بما أن بشر يتزعم في النقش قبيلة مذحجية أما في أواسط القرن السادس فقد كانت المنطقة المشتركة لجلدة ومذحج قد مضت منذ زمن بعيد.

إن هذا النقش يلفت نظرا كبيرا باعتباره تأكيدا محتملا لـ (غزو الفيل) المعروف من القصة العربية وحدها، وفي رأيي أنه لا لزوم لربط هذين الحادثين ببعضهما البعض، إن الغارات الموصوفة في النقش لم تقصد الحجاز ومكة[1].

---

[1] بصدد هذا النقش راجع: (٥) ص ٣٣٦ – ٣٤١، (٣٨) ص ٣٧١ – ٣٧٣، (٥١٨) ص ٤٣٥ – ٤٣٧، (٣٧١)، (٣٣)، المجلد ٦ ص ٢٩١ – ٢٩٨، (٤٤) ص ٧٣ – ٨١، (٤٣٨)، (٣٠٩) ص ١٠٢ – ١٠٤، (٣٦٨) ص ١٨٠؛ بصدد الأسماء القريبة [illegible] راجع: (١٢٠) ص ١٦٠ – ١٦١.

٢- نص المعاهدتين
الاتفاقية المعقودة بين الهمدانيين والفرس اليمنيين
((بداية القرن السابع))

هكذا كان الأمر:

في عهد كسرى بن هرمز اجتمعت حفنة من الرؤساء الذين تشاوروا فقرروا معا محاربة باذان بن ساسان (الوالي اليمن)، اجتمعوا في مناب بالجوف، وكان بينهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي وعبسة بن زيد الخولاني والحصين بن كنانة الحارثي ويزيد بن عبد المدان وشهاب بن الحصين مع جماعة من الفرسان والأشراف.

نصبوا مخيما كبيرا وجمعوا ثقلا كبيرا واستقروا على الأرض، متوقعين أنه سيكون معهم ولكنه رفض.

سمع باذان عن ذلك وخاض ضدهم من صنعاء بأساورة فرس، وخرج الهمدانيون للانضمام إليهم وكان عندهم عشرة آلاف شخص جنود وأساورة وشاة مسلحين تسليحا جيدا، وكانوا آنذاك من أقوى اليمنيين وأكثرهم تعدادا وأفضلهم تسليحا ويتفوقون على الجميع من حيث الجرأة والصمود.

إن عمرو بن الحارث الحصين الشكري وعمرو بن يزيد بن الربيعة الحاشدي كانا رئيسي القوم واقترحا على باذان المساعدة والحلف، وسر لذلك وسارع إلى القيام وعقد حلفا معهما ووقع المعاهدة.

في ذلك اليوم اجتمع رؤساء الهمدانيين ووجوههم وفرسانهم، وكان ذلك يوم أمر عظيم وعواقب كبيرة، يوم منظر بديع واحتشاد نفر كثير.

عندما اجتمعوا لعقد الحلف نهض خطيباهم، خطيب من كل جانب، وصارا يلفظان خطابين أعداهما، بديعين ونفيسين يمدحان الحلف والوحدة ويشجبان الانشقاق والانفصال، وكل الناس كانوا يرغبون ذلك وسر الجميع لذلك واتفقوا على ذلك فرحين بالأرواح وهادئين بالقلوب لهذه الوحدة في شؤونهم، وواصل الهمدانيون العطف إلى جانب الأساورة الفرس ويساعدونهم.

عندما قاتل العرب ... كانوا يبدؤون شهاداتهم بعبارة ((باسمك، يا الله)) أما الفرس فبعبارة ((يا رب الرحمن والصراط المستقيم))، وعندما اجتمعوا لعقد ((المعاهدة)) وضعوا النصين واحدة نسخة بالعربية ونسخة بالفارسية وكتبوا ما يلي: ((باسمك، يا الله، رب الرحمة والصراط المستقيم))، تدوين ما اتفق عليه بنو همدان والفرس جميعا في اليمن، ففي حضور هرزبان باذان بن ساسان وبشهادة الرئيسيين عمرو ابن الحارث وعمرو بن يزيد، والحق من بكيل وحاشد من كانوا حاضرين فتحالفوا كذلك بمن كانوا غائبين من أحياء القبيلتين جاء فيه ما يلي: ((اعقدنا حلفا بمشيئة الله الرحمن وبشريعة الوحدة والوفاق في مساعينا وخوض النضال ضد الأعداء ومن يخالفونا وبأنه إذا ضيع أي منا، أحد الأحياء من القبيلتين، ما اتفقوا وتعاهدوا عليه أو تخلى عما أقر وثبت وصودق بالإجماع فستكون ضده مشيئة الله الرحمن والمستقيم والأمين والمثبت والقوي والأبدي إلى أبد الآبدين، ما دام الولدان والأبناء موجودين فإن المعاهدة تستمر إلى الأبد وما دام السماء تظل تستمر إلى الأبد وينتشر الغبار ويسيل الماء وتمطر السماء وتخضر الأشجار وما دامت تؤكل الثمار ويوجد البشر وما دام يبقى في البحار ولو غدير صغير وعلى الأشجار ولو ورقة ومن الرمال ولو نقطة ودامت ((الجبال)) الراسخة والشامخة تبقى في مواقعها والنجوم اللامعة تشرق في مواقعها وما دامت المواشي ترعى في المراعي فإنها ستبقى معاهدة تؤكدها سائر المعاهدات وحلفا تثبته الاتفاقيات ومعاهدة أخيرة ومرفوقة وراسخة وقوية لن يضعف سريانها ولن تزول بشراها ٩٩١، ص ٣٦ - ٣٩٠)).

إن الأشخاص الذين ورد ذكرهم في الاتفاقية شخصيات تاريخية تماما، فعمرو بن معدي كرب هو زعيم المذحجيين قبيل اعتناق الإسلام وبعده وحقا أحد المبادرين إلى الزحف نحو الجنوب، وخوض النضال ضد الفرس، كما يتبع من نشاطه السياسي المتقلب بوصفه أحد القادة العسكريين الرئيسيين لعبهلة الأسود، والحصين بن يزيد الملقب بذي الغصة هو الآخر رئيس مشهور جيدا قارن مع: ٦٢، ص ٢٥٢، ص ٤٠٦] إنه كان أحد رؤساء مذحج يوم معركة حليف الريح، وبالتالي، كان يلزم أن يكون قد بلغ سنا متقدمة حتى زمن المشاورة الجارية في مذاب، الأمر الذي يكون واقعيا تماما التنويه بمشاركة ابنه شهاب إلى جانب الأب في المشاورة الواقعة في مذاب، وعشيرة عبد

كانت مشهورة كإحدى المشاعر المقدسة في نجران والمرتبطة بمحيطها الترحل وبمحيطها المحلية ككعبة نجران.

إن مكان الاجتماع، مذاب يقع في الجوف غير بعيد عن أراضي الهمدانيين حيث كانوا النضال قبل زمن ما ضد القبائل من الجزيرة العربية الداخلية التي حاولت اقتحام ساحة اليوم معركة مذاب))، ويمكن بهذه المناسبة اقتراح بعض التعديل في النص العربي (حيث قيل ما يلي: ((إنهم استقروا في أرض (٩)) ((أرض، بدون التعريف)) راغبين بأن يكونوا معهم ولكنه رفض))، إن غياب التعريف أمام كلمة أرض يفترض بوضوح ضرورة الإضافة بعدها لتحديد هذا الموقع وبالأحرى اسم الجماعة التي تملكه و إلا فإن النص غير مفهوم صرفا، إنني أعتبر أنه كان من المفروض أن يقع بعد كلمة أرض اسم قبلي همداني ما، وبما أن مذاب واقعة عند حدود الأراضي الهمدانية فهذا الأمر جائز تماما وكذلك من المحتمل أنه كان يلزم أن يدعو الهمدانيين إلى المشاركة في النضال ضد الفرس، وحقا فبدون التحالف مع الهمدانيين كان سيتعسر لغاية الزحف نحو سهول صنعاء، ولنعد إلى الأذهان أن في القرن العاشر لم يتمكن الزيديون في عهد الإمام يحيى من اقتحام صنعاء إلا بعد أن تواطؤوا مع الهمدانيين الذين كانوا عقبة في طريقهم.

إن النصوص الساسانية ((والحقيقة، تلك التي وصلت إلى أيامنا في صياغاتها القروسطية)) غالبا ما تبدأ بالصيغ التي تذكرنا حقا بما ورد أعلاه القارن، مثلا، مع بداية ((الكرنامك)) حيث قيل ما يلي ((باسم هرمزد العادل والبهي والذي يهب القدر pad nam I dadz ohrmardi Mayamandi IXw arramod X"[314]. إن الصيغة العربية الواردة في الأسطورة قد تكون ناتجة تماما عن التبليغ غير الحاذق والمتعدد الدرجات والتعريب والاستيعاب بالسماع للمصطلحات الواقعية الفارسية المتوسطة، فكان من الجائز أن يتحول المصطلح الفارسي رايومائد بالصدفة، من جراء اتفاق الأصوات، إلى المصطلح رحمة، والمصطلح فر ((التوفيق الذي يهبه الإله)) قد ينقل كالمصطلح ((الصراط المستقيم والموفق والمرضي للإله)).

[314] ص ١، قارن مع: ٦٩٩، ص ٢٤٨، الملاحظة ٣١.

معاهدة النبي محمد ﷺ مع أهل نجران
((القرن السابع))

إن فتح نجران كان من أهم أحداث نشر الإسلام في اليمن وحدث هاما في تاريخ قيام وتقوية الدولة الإسلامية بمجملها، وكانت نجران أول مدينة كبيرة تم فتحها في عهد قريب نسبيا[1]. إن هذه المعاهدة قد وقعت بين الناس متساوين في الحقوق وليس بين ضعيف وقوي كما هي حال بعض المعاهدات الظالمة في التاريخ، والتي تملى من جانب طرف واحد، كما أنها صارت مثالا لأجل العديد من المعاهدات المعقودة فيما بعد مع مدن في الشام وما بين النهرين ومصر، إننا نعتبر أن معاهدة نجران بشكلها الذي وصل إلينا، بالمقارنة مع تلك المعاهدات المعقودة في وقت متأخر فيما بعد والموثوق بها، أن هذه المعاهدة موثوق بها وتتضمن وقائع مميزة غير قابلة للتعرف بمجملها، بلا شك، إلى الثقافة والقبيلة، وكما يبدو، إلى نص حقيقي.

علاوة على ذلك يشار إلى هذه المعاهدة كنموذج لمعاهدة المسلمين مع أناس من ديانة أخرى، وكمعيار للعلاقات المتبادلة بين المسلمين وأهل الذمة، وفعلا فإن النص الذي وصل إلينا ما زال محتفظا به ولم ينقله إلى البيئة النصرانية، ولا ترد فيه أسماء الوثنيين النصرانيين وبخصوص نجران واليهود النصرانيين بخصوص اليهود النصرانيين راجع: مثلا: ٢٨، ص ٨٩ بخصوص مخاطبات نجران راجع: ٣٦، ص ١١٦، والصياغات الأخرى لهذه المعاهدة موجودة في المؤلفات النصرانية مثلا في سفر سعرت ١٥٢، ص ٦١٠ - ٦١١، ١٥-٤٠، ص ٣٧ - ٤٠. التي أوردها فيما يلي نص المعاهدة في صياغة يحيى بن آدم (٢٨، ص ٨٧ - ٨٨).

((بسم الله الرحمان الرحيم)) ذلك ما كتبه النبي محمد ﷺ إلى أهل المدينة نجران عندما كان يتمتع بالحق في تقرير (المصير) في جنين سواء كان أصفر (الذهب) وأبيض (الفضة) وأسود (؟) وأي رقيق، ولكنه رحمهم وترك لهم ذلك كله.

---

[1] راجع: ٤١، ص ٣٤٨ - ٣٥٠.

المحتسبة بكل منهما بمبلغ أوقية، في كل رجب ألف حلة وفي كل صفر ألف حلة بمقدار أوقية ((الأوقية الواحدة = ٤٠٠ درهما)). قارن مع ٢٨، ص ٨٥ إذا كانت الحلل، التي يدفعون بها الخوارج بمبلغ يزيد من الأوقية أو يقل عنها فعندئذ يجرى دفعها بعد إعادة الحساب وما يعرضونه عوضا عنها من المزردات والجياد والجمال والأمتعة فيقبل وفقا للحساب المعاد.

يفرض على أهل نجران مبيت رسلي خلال شهر وما يقل وكذلكم لن يحولوهم خلال ما يزيد عن الشهر، وواجب عليهم أن يعيروهم ثلاثين مزردة وثلاثين جوادا وثلاثين جملا إذا حدثت في اليمن مكائد شارة، وكل ما سيضيع مما يأخذه رسلي فإن ذلك مضمون وسيستعاض عنه لهم.

ستنال نجران وحاشيتها جوار الله ووصاية محمد النبي، رسول الله ﷺ، على السكان ذاتهم وعلى طائفتهم الدينية وعلى أراضيهم ومواشيهم وعلى الغائبين منهم والحاضرين وعلى قوافلهم وعلى معابدهم جرى التصحيح حسب ١٩٤، المجلد ١، الجزء ١، ص ٢٥، بمثلهم بيعهم وعلى أمثالهم.

لن يتغير الوضع الذين كانوا فيه، ولم يتغير شيء من العادات والأملاك الخاصة بهم ولن يحرم أحد من الأساقفة من مقامه، ولا أحد من الرهبان من رهبانيته ولا أحد من الكهنة من كهانته التي كان يتمتع بها، كبيرة كان أم صغيرة.

تلغى منهم الأعباء الديون المرابين (قارن مع: ١٩٤، المجلد ١، الجزء ٢، ص ٣٦) والجزاء لقاء الدم من العهد الجاهلي ولن يجري التجنيد من عدادهم وجباية العشر منهم، ولن تطأ الجيوش أرضهم ومن منهم سيطالب بما له شرعيا فذلك ينبغي أن يكون بينهم بعدالة) لكي لا يكونون مظلومون وظالمون في نجران وإذا أحد منهم ليوة لقاء الدين السابق فتزال منه حمايتي ولن يكون أحد منهم مسؤولا عن شر ((ارتكبه)) شخص آخر.

على أساس ما ورد في الشهادة منح لهم جوار الله ووصاية النبي محمد ﷺ إلى الأبد حتى يحل ((الموعد)) قرار الله، وما داموا صادقين ويراعون ذلك لن يحدث لهم أي ظلم

شهد على ذلك: أبو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف من بني نصر الأقرع بن حابس الحنظلي والمغيرة ودونه ((علي بن أبي طالب)).

إن نفس الصياغة لنص الفوازل الصغيرة في المضمون وفي قائمة الشهود واردة لدى ابن سعد ١٩٤١، المجلد ١، الجزء ١، الجزء ٢، ص ٣٥ -٣٦٠ وتجد عند البلاذري كذلك سردا مختصرا للمعاهدة اقتبس من الزهري ٢٨١، ص ٨٥ -٨٦، بصدد الترجمة راجع: ٨٧، ص ٢٦ -٢٤٠، كذلك راجع ٣٠٨، ص ٣٤٩ الخطأ المطبعي جرى في عند العلي ٤٠٦٠ بدلا عن ٢٠٠١، إن جميع الصياغات الموجودة (راجع: ١٠٥، ص ٢٢ - ٢٦، ١٦، ص ٩٤ -٩٦) تعزى إلى قصتين تنقسمان إلى مجموعتين تحريريتين إسلامية ونصرانية، واللتين تعتبران قريبتين جدا لبعضهما البعض من حيث المبدأ. والمجموعة التحريرية النصرانية مشتملة بالنصوص المكتوبة بالعربية والشامية.

إننا نعرف كذلك نص المعاهدة التي عقدها فيما بعد أبو بكر مع أهل نجران (راجع: مثلا: ١٣٥، التسلسل ١، ص ١٩٨٧ - ١٩٨٨)، إن هذا التأكيد على الحقوق والامتيازات ربما كان وفاء على التأييد الذي أبداه أهل نجران للمسلمين في النضال ضد الأعداء المزعجين المعادين للسلطة الإسلامية، في بداية الأمر ضد عبهلة الأسود ومن ثم ضد قيس بن المكشوح.

أما في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، فقد اتهم نصارى نجران بمخالفة تحريم الربا وقد طردهم أو بالأحرى، قسما منهم من الجزيرة العربية، وبعد أن استوطن هؤلاء في العراق ((بالقرب من الكوفة)) وفي الشام ذاقوا هوانا دون الخلفاء عن حقوقهم في تخفيض مقدار الجزية مستشهدين في هذا الأمر بنصوص المعاهدات المعقودة مع النبي محمد ﷺ ٢٨١، ص ٨٩-١٠(٩) ومن جراء هذه الأحداث ظهرت بالأحرى التدوينات الواردة في المصادر للنصوص الكاملة للمعاهدات وتلك الصيغ توجد الآن تحت تصرفنا.

الجزء التشييدي من نقش مأرب الذي أقامه أبرهة ((CJH 541)) ((القرن السادس))

الترجمة قائمة على أساس ترجمة أ. غ. لوندين ٨٣ وجرى تصحيحها وفقاً للنص الشفاهي بقلم غ. ميولا ٢٢٥: ١٠٠٠ ووصل إليهم ((إلى الملك)) نبأ من سبأ عندما انهار عرم وجدار السد ((ترعة)) حبشم ومجرى المياه المؤدي إلى الحقول المدرجة في بهم ذي مرزعان في ((السنة)) ٧ ((٦٥))...

... ولذلك أرسل أمرا إلى مشاعياته بصدد أعمال الري وحفر إزالة الرواسب الترسبية القارن مع: ١٤٣، ص ٨٧، ٤٨٦، ص ١٥٠ وحفر ((الحفر تحت)) الأساس وقطع الحجارة و تشييد و((؟)) وتوصيل الألواح وصب الرصاص لأجل ترميم عرم و جدار وإزالة الأمطار التي جرت في مأرب وحدد لهم موعد ((الاجتماع)) في شهر ذي سريان من ((السنة)) السابعة، وبعد ذلك أرسل الملك أمرا إلى الوادي حيث البدو ((الكي)) يحضروا إلى مدينة مأرب، وقد قدسوا كنيسة مأرب لكي يكون فيها قسيس بوادي القداس و منها صعدوا إلى عرم وحضروه، وثم وصلوا إلى الصخرة وبلغوا الصخرة لكي يرسوا أساس جدار السد، وعندما بدأوا ساء إرساء أساس الجدار حل الهلاك والمرض في المشاعيات الشعوب وفي المدينة، وعندما راهم الملك أن حل الهلاك بالمشاعيات الشعوب أطلق سراحهم، سراح الحميريين وأحباشه ...

... وعندما حل ما لحق من الهلاك بفضل الرحمان، جاءت المشاعيات الشعوب على أساس الأمر السابق ((الذي بموجبه)) أطلق سراحهم حتى الوعد الأخير، وعندما جاءت المشاعيات الشعوب خلال ((شهر)) دعوان الأخير وعندما أرسل المشاعيات الشعوب إلى ولا يتهم فقد رمموا ما تحطم في جدار السد الذي أنهي لتشييده بطن.... وعندئذ رمموا هم ((جدار السد)) من أعلى الصخرة حتى أعلى الخزان ومع أضافوه الجدار القديم للسد و المنشأة التي أنهوها بقوى المشاعيات الشعوب بقدر ٤٥ ذراعا طولا و٣٥ ذراعا ارتفاعا و ٤٠ ذراعا عرضا من

... الحصن العامر، وقد أمنوا ... بين السد وتخللوه من الفريقين، و ... بطنوا وأعدوا لبناء (المصرف)، ... حششم، ما عدا بدايته، و ... خزان مياه مظلمهم والفلوه منذ اليوم الذي ... صنعوا فيه إنجاز معظمهم ... وحتى يحتسبوا المحسوسا وعدد السد ... وصل عمومه ذاته بلغ: ٥٠٨٠٦ (المقاتلين) من ... الطلق و ... ٣٦٠٠٠٠ فرع من التمر ... بمقادير بلغ إلى، ... ومن النعم المسلوق ... ٢٠٠٠ جملاً، ومن الثيران ... والأغنام و ... ٣٠٧٠٠٠ و ... ٢٠٠ عجل ... ومشروبات من العنب ومشروبات من الزبيب و ... ٦٨٠٠٠ علب من ... المشروبات من التمر، وقد أنهوا ... اشغالهم خلال ٥٨ ... يوما (بعد الانقطاع ... شدنا ((الشهر)) ... في شهر ذي معان ... ((السنة)) ... ٦٥٨ السنة ٥٤٣ الميلادية)

النقش الخاص بإنشاء الحقول المدرجة
Ry 340 =res 5085 ((القرن الخامس))

... لوم يزيد وو... و... بم يزيد ... وسلفم يسطر ومُثّل بهثم ... وابنا ملشن وابنا ... من عشيرة ((bht)) يزن، والطاب، وذي كبران وعيسين، وسقين وذي ... شيدوا وقضوا مدرجات ... حقولهم ((eb)) العليا الواقعة في وادي أمحن حتى ... ((ers)) حيفان، وقد شيدوها ... وسووها من أعلاه إلى أسفلها بالحير((gyh)) ... ((gss)) وبعون ... إيلان، صاحب السماء، وبعون أربابهم، الملوك، حكام ريدان، وبعون مشاعيتهم شعبهم ((eSeb)) حيفان ورسمهم، وبعون أنصارهم ((nst)) وسيديهم ((syd)) ... و((صيادي)) الأخيرين، ومعقبيهم ((mgbt)). شهر ذو سرين ... ((السنة)) ... ٥٦٩ ((السنة ٤٤٥ الميلادية)) [انظر: مع: ٨١].

بصدد تنظيم إسقاء الحقول في وادي ظهر
((القرن العاشر))

الهمداني: ووفقاً لأصول تتابع السقي بالماء الحقل يلي الحقل الآخر، ولا يجوز للسلطان ((صاحب السلطة)) أن يحكم في ذلك لا اليتيم ولا أهل الذمة حتى إذ لا شيء في الحقل، حدث يوماً من الأيام أن خدم السلطان صنعوا الماء كرمه بلا علم الدائل ((موزع المياه)) فأتلف هذا دواليه كلها دون أن يخاف غضب السلطان وحتى إذا كان حقل امرئ ما، ذا أرض مُغَرْبَلة، وغير مفلوحة أو صاحبها في بلاد الروم بتاتاً أو في مكان ما آخر فإنها تسقى عندما يحين دورها وحتى إذ لا شيء فيها. ويجرى تتابع سقي الماء من أسفلها إلى أعلاها [٣٦، ص ١٣١ - ١٢٢].

وصف شبام كوكبان
((القرنان التاسع والعاشر))

ابن رستة: ((يزعمون أن على مبعدة ستة فراسخ من صنعاء تقع قلعة ابن يعفر، صاحب اليمن، وهي معروفة باسم شبام، ويؤدي إلى شبام طريق وحيد واحد ينفذ إليها من جبل يصعب بلوغه، وعليه قنطرة يعبرونها للوصول إليه، وهنالك بيوت - قصور

مكانيا، وبه عددها بين الخمسمائة وقرى مكتظة بيوت، عددها على الأربعين قرية، وهناك ينابيع ومجار وحقول وبساتين وأشجار النخيل ومواش بحظائر مكتظة بالمواشي وبعضها منها: جمال ودواب النقل وغيرها، وفي شبام ذاتها سوق ضخمة وجوامع كثيرة، وفي القلعة بمعاقل ما فيها من القرى مكتنفات خاصة لابن يعفر، هذا من خاصته، وهناك المستقرون الرئيسيون والأوفياء في هذه القلعة وجنوده يقيمون عند أهلها، وهناك المنازل والمرابض التي تتسع لعدد كبير من الناس والماشية وتتدفق الينابيع هناك بغزارة (١٩٩١، ص ١١٢).

نقش نصيه شرحبيل يعفر بتشييد القصر في ظفار ((الصباغة ١)) ((القرن الخامس))

((شرحبيل يعفر، ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وبدوه في طود وتهامة، ابن أبكرب أسعد، ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وبدوه في طود وفي تهامة الفنى (ابن بيته ((byt)) طرحتم من أساسه حتى السقف... وطليه بالحجر والقيل (( )) والبناية الملاحقة ((nyw)) ذات تماثيل الثيران ((twrm)) والأساس المربع والقواعد العليا الحمراء والأسود ((lbm)) وتماثيل النسر ((nhrt)) من البرونز فيما بين الثيران المنحوتة (من الجزء الأعلى... ونصب هناك تماثيل ((التماثيل)) ((Sbmm)) والأسود والنمور ((nmrm)) من النحاس، ورمم في تلك السنة السد الذي في مأرب وشيد رحبم بكل جدارة وأعاد إنشاء وحتم"... السد بجدارة في السنة الأولى بعون وتأييد وحول ربه الرحمان، صاحب "السماء والأرض وبحبروت وعون شعوبه وجيوشه من سبأ وحمير وحضرموت" ويمنت، وكان ذلك الأمر في شهر ذي الل (السنة)) ٥٧٦ (السنة ٤٥٧ الميلادية)) (١٩٩١، ٢٤١، ص ١٦٠ - ١٦٢، ٢٤٦ - ٢٦٠ و ٢٦٣).



وصف القصر الحميري غمدان في قصيدة الهمداني
((القرن العاشر))

((إن غمدان العالي وسكانه؛ التفكير عنه يطمئن القلب؛ إنه وصل حتى لب السماوات متعاليا إلى ارتفاع عشرين طابق لا أقل؛ توجته السحب بالعمامة وهو مطوق ومحتزم بالرخام، ومسطوره متضمنة بالقطر، والجزع والرمر فيما بين صروحه، في كل ركن رأس شبيه برأس النسر الطائر أو رأس الليث من النحاس وهو بزار، في أعلاه توجد بأمان ساعة – قطارة تقطر لتعد أجزاء اليوم، أسراب الطيور تتوقف هناك لتستريح، والماء في مجاريه من الينبوع الذي هواؤه ليس بردا للغاية، وفي أعلاه، وفي كل ذلك متطر منبعث بالرخام وبإمكان أصحابه أن يحضروا إلى هناك حيثما يرغبون (١٢٢١، ص ١٥٠

وصف منجم الرَّضْرَاض
((القرن العاشر))

الهمداني: ((ليس في خراسان ولا في أي مكان آخر ما يشبه منجم اليمن (الذي منجم الرضراض)) على الحدود الواقعة بين نهم ومخلاف يام في أرض همدان التي دمرت عام ٢٧٠ ((عام ٨٨٣م)) وهناك لمراد وبني غيلان حصة / وللأناس ابن الروية هناك يد / فأحيانا يقولون ((منجم ابن الروية))، وجيرانهم الأمريون بنو الحارث وخولان الأعلى.

عندما قتل محمد بن يعفر وتمردت هذه القبائل فإنما هجمت على أهالي ((الرضراض)) فأخذوا يقتلون وينهبون، وهرب أولئك وتناثروا على نطاق البلاد، وانتقل قوم منهم إلى صنعاء، أولئك الذين كانت منذ زمن بعيد لهم هناك مناصب رفيعة بيوت وضياع، وكان أهاليها جميعا من الفرس، من أولئك الذين نزحوا إلى هناك في العصر الجاهلي وكذلك في أيام الأمويين والعباسيين، حتى كانوا يسمونهم

والفرس المشابهة) ومنهم من كانوا يقيمون في صنعاء، من عداهم عشيرة سرجوح وعشيرة زنجوج وعشيرة برنجوج وعشيرة شنجوج

والقرية الواقعة قرب المنجم كانت كبيرة وكان هناك نخيل وأشجار النخيل، وكانوا يجلبون إلى هناك من البصرة بالأجمال، وكانت تأتي إليها وتعود منها قوافل الجمال في الطريق الواصل بين العقيق والفلج واليمامة والبحرين وإلى البصرة، وكانت مسافات التجار تمتد من صنعاء إلى البصرة في طريق اليمن، وكان «الوفاقا» يستعين منهم، وهم أساسا من قبيلتي جرم وبني الحارث.

ومن كانوا يشتغلون في المناجم كانوا ينالون فضة كثيرة من الأفران رغم أنه لم يرسلهم ولم يجبهم أحد، وفي مخطوطة أخرى يصف الهمداني منجم الفضة قائلا[1] إنهم يستخرجون كل أسبوع فضة بمقدار حمل الجمل وقدره ٢٠ ألف درهم فكان ذلك يعود خلال السنة بملايين درهم. لقد عرفت عن ذلك من ممثلي محمد بن يعفر الذين كانوا يسئولون على حق السلطان، وقد قص كذلك الصائغ أحمد بن أبي رهاودان ومن الأفراد كانوا يعملون في المنجم وأنه كان هناك ١٠٠ فرن، وإذا كان الطير يحلق فوق حافرة المنجم تسقط ميتة محروقة بنار الأفران.

حدث أبي قائلا إن الفضة الصفا كانت تباع بسعر ١١ مثقالا لقاء دينار مطوق، والمطوق هو ثلث مثقال وحبتان، و ١٠ مطوقات هي أوقية والأوقية هي ٧ مثاقيل، والمطوق كان يتناسب بالفضة ٢٠ درهما مفردة، ولقاء المثقال الذهب ٤٠ درهما لقارن مع ١٩٢، من ١١٢ - ١١٢ إن سكان هذا البلد يستخدمون في التداول المالي الدنانير المطوقة والدراهم السدسية والفلوس ويضربون أحيانا أكثر من ٦٠ أو ١٠٠ درهم مقابل دينار واحد و٣١ فلسا مقابل الدرهم، وإن كل درهم هو سدس الدرهم («الحقيقي»). عندما توقف المنجم عن العمل صارت الفضة تساوي في صنعاء دينارا مطوقا واحدا لقاء الأوقية، وعندما حل في اليمن قحط سنة ٢٩٠ (السنة ٩٠٣) عادت الفضة مجددا

[1] المخطوطة التي يشير إليها المؤلف هي التي سبق أن قمت بتحقيقها ونشرتها تحت عنوان: الجوهرتان العتيقتان من الذهب والفضة. - المترجم.

إلى سعرها الأول - ٢٠ درهما مقابل أي أوقيتان لقاء الدينار المطوق، وأصبح السعر البغدادي الدانق ٩٧ ألفا لقاء (الدينار) المطوق أي ١١٦/٦ درهم، وكان التجار من العراق والفرس والشوام والمصريين يصدرون الفضة من اليمن في ذلك الزمن وكانوا يحصلون على مداخيل هائلة.

وكانوا ينقلون أن نفرا من أهل لهم يطلقون هذه البقاع قائلين إنه جاء إليه اثنان من أهل خراسان كانت لهما أعمال في اليمن، عندما شاهدوا المناجم ورأوا آثار الاستخراج المتبقية من العصرين الجاهلي والإسلامي صاح أحدهما قائلا «كم من أموال الله فقدت في هذه البقعة» أو «إن أموال الله ضاعت هنا»[1].

لقد وصلت أنباء هذا المنجم حتى العلوي في صعدة (أي حتى الإمام الهادي يحيى) عندما كان الهمدانيون والسكان المحليون معه في حالة حرب وقد كانت له علاقات طيبة مع عشيرة ابن الروية، وأراد أن يشغلوا سكان صنعاء، أن يشيد فيها قلعة ويعيد إنشاء القلعة القديمة، وأن يكون هناك مقر للوالي لصد هجمات البدو وأعداء مشجع، ومخففا عزم الإمام الهادي ولكن أسعد بن يعفر علم بذلك فأرسل إلى المنجم سادة قبيلة نهم وقيدهم في ديوانه وضمن لهم خيرات الدنيا، ولم يتوفق العلوي في إنجاز ما كان ينويه[2].

إن آثار أخاديد استخراج الخامات من العصر الجاهلي كانت أكثر بكثير مما كانت عليه في العهد الإسلامي ذلك هو المكان الذي ذكره النبي محمد ﷺ لا في شهادته المخصصة لابن نمط الهمداني والموجهة إلى سكان مخلاف يام وحريف ١٧٦، الأوراق ٣٢٥-٣٦٠ب.

[1] إنهم يشيرون بهذه العبارة أسفا على عدم تجدد الإنتاج وهو ما يعني أن أموال الله ضائعة هنا.

[2] تعتبر هذه واحدة من محاولات الإمام الهادي لاستعادة الأملاك العامة للأمة من يد الزعماء العشائريين، وبسط نفوذ الدولة عليها حكمها حكم الأموال والثروات العامة في باطن الأرض وملكية الدولة لها. وهذا يفسر لنا المقاومة العنيفة التي واجهت الإمام من قبل أصحاب المصالح ووقوفهم أمام ظهور أي رغبة في إنشاء دولة مركزية. المترجم

خلاصة

((نقلا عن الإنجليزية))

م. بيد بيوتروفسكي.

جنوب الجزيرة العربية في القرون الوسطى المبكرة

إن هذا البحث يتناول التطورات التي طرأت على المجتمع القروسطي المبكر في جنوب الجزيرة العربية ((اليمن)) وما يخص تطورها نحو الإقطاعية إبان القرون الخامس – العاشر ويحدد مدى استمرارها فيما بين العصرين الجاهلي والإسلامي في تاريخ اليمن.

الباب الأول (في الجزء الأول من الكتاب) – ((العهد والمصادر)) يبحث في المراحل السابقة واللاحقة للعهد موضوع الدراسة ويقدم تحليل شتى المصادر التي تقوم على أساسها الدراسة الحالية ((النقوش اليمنية القديمة، والمؤلفات المقتبسة من الحقبة البيزنطية، والنصوص العربية الإسلامية، ومعطيات البحوث الميدانية الخاصة بالمجال التاريخي الجغرافية ومجال علم الآثار)) والباب الثاني ((التاريخ السياسي)) يتطرق إلى ما جرى من تطور على مدى الخمسة قرون في النزعات الجاذبة والنابذة في سياسة اليمن والاستناد التدريجي لعلاقات اليمن مع الجزيرة العربية، والحروب الداخلية، والمؤلف يشير إلى غزوات الملوك الحميريين في الجزيرة العربية، والحروب الداخلية، وعهد حكم يوسف أسعد، والغزو الحبشي وعهد حكم أبرهة، والفتح الفارسي، والحركة القبلية المعادية للفرس، وغزوات عبهلة الأسود والأشعث بن قيس، وتطور اليمن في عهد ولاة دولة الخلافة، ونهوض وتطور اليعفريين، والحركات الإسماعيلية الأولى، ونشوء الزيديين وتولي الصليحيين للعرش، والباب الثالث، ((الحياة الاقتصادية)) يتحدث عن اضمحلال الري حتى مطلع القرن الثامن، نظام ملكية الأرض، وتطور الزراعة، وازدهار وتدهور أعمال التعدين، والتعامل ونهضة التجارة، والباب الرابع، ((الرحل والحضر)) ينظر إلى نزوح البدو من الجزيرة العربية الداخلية واستيطانهم في جنوب الجزيرة العربية وتبدل ((حميرة)) الرحل الجارية خلال القرنين

الخامس والسادس في ((تعريب)) الحميريين الجاري خلال القرنين السابع والثامن ويتحدث المؤلف عن العلاقات القائمة بين اليمن وبين المملكتين العظميين ((القديمة)) ((إبان القرون الثالث – الرابع)) و الجديدة ((إبان القرنين الخامس والسادس))، والتاريخ المعاصر في اليمن في عهد المذحجيين ونشوء الوعي الذاتي السلالي اليمني والباب الخامس، ((البنيان الاجتماعي))، يدرس الوضع الاجتماعي في العهدين الجاهلي والإسلامي، وقوام سكان المدن، وشتى فئات العبيد، وأشكال نظام الرق واستثمار الفلاحين ودور التبعية والخضوع والباب السادس، ((القوام الفئة الحاكمة)) يشير إلى أن هذا القوام كان يتضمن الأعيان العشائريين والأعيان الرحل والأعيان النازحين وتغير العلاقات فيما بين مختلف العناصر في شتى المراحل، والباب السابع، ((الصراع فيما بين المذاهب الدينية))، يناقش في المذهب التوحيدي ((الغامض)) للملوك الحميريين، والدور السياسي للديانتين النصرانية واليهودية، والدور الأيديولوجي لكعبة نجران، والمواقف الفكرية لحركة مدعي النبوة عبهلة، نشر الإسلام، والمواقف الأيديولوجية للحركة الإسماعيلية اليمنية لعلي بن الفضل والشيعة وسط الإسماعيلية اليمنيين ودواعي تزايد هيبة الزيدية.

إن الجزء الثاني من الكتاب مكرس لمختلف النبذ الاستقصائية: ((الحركة الإسماعيلية الأولى))، و ((أساطير سد مارب))، و((الوقائع اليمنية في الشعر الجاهلي))، ومصير الأقيال، وأبناء الفرس اليمنيون، ((التوحيد في اليمن الجاهلية)) وخاتمة الكتاب عبارة عن معلومات بصدد طرق تطور المجتمع اليمني القروسطي المبكر. والملحق يطرح مترجمات للنقوش المتعلقة بالغزوات الحربية والنقوش الخاصة بالمنشآت، ونصوص المعاهدات والأساطير بصدد مناجم المعادن الخام والتجارة

لقد توصل المؤلف إلى الاستنتاجات الأساسية التالية:

١ – إن جنوب الجزيرة العربية كانت تتميز إبان القرون الخامس – العاشر بما يلي:

أ – تعاظم النزاعات الحربية العربية الداخلية، ولا سيما الغزو الحميري على الجزيرة العربية، وبالتالي، تزايد ضغط البدو على اليمن ونزوح البدو من الجزيرة العربية الداخلية واستقرارهم في اليمن

ب - الانهيار التدريجي لأنظمة الري الضخمة القائمة في المناطق المجاورة للصحراء بالذات وبطء أنظمة الري الصغيرة في الوديان الجبلية ((الاتحادات الزراعية الأبرشية)) سواء في العهد القديم أو في عهد القرون الوسطى)).

ج - نمو الأرستقراطية العسكرية في عداد الطبقة الحاكمة في العهد الحميري التي صارت فيما بعد بالوراثة وتحولت إلى الأقيال الذين حل محلهم ((المالكون في العهد الإسلامي ((الأمويون والعباسيون وغيرهم)) والمناصب القائمة فيما بين الأعيان المالكين من عداد الفئة الحاكمة والأعيان الإداريين المستقرين النازحين ورؤساء القبائل المرحلة والمتحضرة.

د - الصراع بين شتى أشكال المذهب التوحيدي ((التوحيد القاطعي)) اليهودية والنصرانية، الذي أفسح المجال والقادم الأساس لانتصار الإسلام في القرن السابع والذي اتخذ شكل شتى التيارات المبكرة ((السنية المبكرة والخارجية والزيدية والإسماعيلية المبكرة والحركات المهدية)).

هـ - إن العمليات المذكورة أعلاه جمعت فيما بين المرحلتين الجاهلية والإسلامية المبكرة لتاريخ الجزيرة العربية وكان طابع الاستمرار التاريخي لبعضها البعض مرهونا بالعمليات الاجتماعية الأساسية.

و - إن نشر الإسلام، قد أدى إلى حدوث تغيرات جوهرية في طابع البنيات الاجتماعية لليمن وشطر مضمونها الأيديولوجي والثقافي وإنه أدخل تغييرات في تناسب القوى وعناصر العديد من العمليات التاريخية العائدة إلى العهد الجاهلي، والتي أعطت زخما لتطورها.

ز - وبالتالي، كان ثمة تغيير في الناحية الشكلية وليس الجوهرية للتطور الاجتماعي، وبالتحديد، لتكوين المجتمع الإقطاعي، وإذا انطلقنا من التصنيف المقبول لمراحل نشوء وتطور الإقطاعية في جنوب الجزيرة العربية فيمكن التحدث عن التطور على أساس ((المصادر الداخلية)) للمجتمع القديم ((الطريق الحميري)) والتطور مباشرة من النظام المشاعي القبلي العابر ثانويا بالنسبة لليمن إلى ((الطريق العربي)) والجمع بين هذين الطريقين في النظام الاجتماعي للمجتمع الإسلامي.

بالإضافة إلى ذلك لقد توصلنا إلى النتائج الاستقصائية والاستنتاجات التاريخية التالية:

١ - إن التقاليد والشعر الجاهليين في الجزيرة العربية، شأنهما شأن التقليد الإسلامي، يتضمنان معلومات هامة من جوانب الحياة السياسية والاجتماعية لليمن والمتعلقة بالبدو.

٢ - إن شتى مظاهر التقليد المتعلق بنشر الإسلام في اليمن، قصص البعثات الموفدة إلى النبي محمد ﷺ، و((الشهادات)) النبي محمد ﷺ وسير حياة أتباعه وغير ذلك التي غالبا ما كانت غير متشابهة لغموضها السياسي، تعكس عموما ذات أصل يمني وتتضمن معطيات أصلية بصدد الأوضاع الاجتماعية والثقافية في البلاد في القرن السابع.

٣ - الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة باليمن تعبر عن بعض القصص المحلية الخاصة بالجزيرة العربية ((التقليد المكي، وكذا القصص المتعلقة بنصارى الجزيرة العربية والبدو ويهود الجزيرة العربية والخ))، بما فيها المعطيات والوقائع الأصلية التي تحل من النموذج التاريخي العام والفكري الديني للقرآن الكريم.

٤ - المعلومات الخاصة بالمصادر المخطوطة بصدد الأحداث الجارية في اليمن الإسلامية تضمنت شتى صياغات تفسيرها، بما فيها ما كان صادرا عن أبناء الفرس والقبائل وشتى التيارات الإسماعيلية وكذلك مؤرخي زبيد والخ...

٥ - في أواسط القرن الخامس أصبحت السلالة القبلية النصرانية حليفة مؤقتة للملك أبي كرب أسعد، وهي التي نشأت من عشيرة عبد كلال.

٦ - إن كعبة نجران و((أراضيها المقدسة)) كانت في عداد مجالات العلاقات الأيديولوجية والسياسية القائمة فيما بين اليمن الحميرية والبدو اليمنيين وسكان الجزيرة العربية الداخلية.

٧ - إن حركة عبهلة الأسود كانت تشكل جزءا من الحركة ((الأيديولوجية)) العامة القائمة في الجزيرة العربية العائدة إلى القرن السابع قبل الإسلام حكمها حكم مسيلمة الكذاب وسجاح وغيرهما من مدعي ((النبوة)) المزيفين والذين كانوا يعبرون عن مصالحهم الخاصة والنزوع نحو الزعامة العامة.

٨ - إن المرحلة الثانية للإسلام في حضرموت [illegible] إلى حد ما بسبب الزراعة بين مختلف [illegible] حضرموت الأصليين والنازحين [illegible] الذين استوطنوا بجوارهم.

٩ - إن الدولة [illegible] والنجاحيين وغيرهم [illegible] الأقيال الحميريين وأحفادهم، [illegible] بأنهم ذوو صلة بالأقيال الحميريين، [illegible] الأقيال [illegible] إلى أواخر القرن السابع.

١٠ - إن الانشقاق بين علي بن الفضل وابن حوشب، وهما زعيما الحركة الإسماعيلية في القرن العاشر، نشأ من واقع أن الزعماء الفاطميين رفضوا اعتبار اليمن موقع حول المهدي، [illegible] الذي [illegible] معناه [illegible] كان يستخدم من قبل علماء التاريخ [illegible] إزاء الإسماعيليين اليمنيين.

إلى هنا انتهت عملية الترجمة لهذا الكتاب ولله الحمد.

والله ولي التوفيق

محمد بن محمد الشعيبي

صنعاء ١٩٨٧



قائمة الاختزالات

- النشر البيزنطي، سانت بطرسبورغ، لينينغراد، موسكو.

بتير التاريخ القديم، موسكو.

- دراسات - دراسات تاريخ الجزيرة العربية، ١، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، ١٩٧٩.

زيد عنان، راجع: ٦٩.

ارياني، راجع: ٦٨ب.

بنيوق راجع: ١٤٠.

- فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفييتية.

الآثار المخطوطة وقضايا تاريخ ثقافة شعوب الشرق، الدورات السنوية الفرع لينينغراد لمعهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفييتية، موسكو.

- آثار المخطوطة للشرق.

- المجموعة الفلسطينية، موسكو - لينينغراد.

- فن نقوش الشرق، موسكو - لينينغراد.

المراجع المقتبسة

١ - ماركس ف. السيطرة البريطانية في الهند، المجلد ٩.

٢ - ماركس ك. مقدمة (أسس) لنقد الاقتصاد السياسي (١٨٥٧ - ١٨٥٨) المجلد ١٢.

٣ - ماركس - إلى انجلس ٢ يونيو عام ١٨٥٣ - المجلد ٢٨.

٤ - ماركس ك. وانجلس ف. الأيديولوجيا الألمانية المجلد ٣.

٥ - انجلس ف. الحرب الفلاحية في ألمانيا - المجلد ٧.

٦ - انجلس ف. المارك - المجلد ١٩.

٧ - انجلس ف. ضد دوهرينغ - المجلد ٢٠.

٨ - انجلس ف. أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة - المجلد ٢١.

٩ - انجلس - إلى ماركس، قرابة ٢٦ مايو عام ١٨٥٣ - المجلد ٢٨.

١٠ - انجلس - إلى ماركس، ٦ يونيو عام ١٨٥٣ - المجلد ٢٨.

المصادر والمراجع الإعلامية

١١ - [illegible]، تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن، تحقيق مصطفى حجازي، القاهرة ١٩٦١.

١٢ - عبد الرزاق، المصنف، تحقيق الأعظمي، بيروت ١٩٧١.

١٣ - أبو يوسف، كتاب الخراج، القاهرة عام ١٣٥٢هـ.

١٤ - الأزرقي، كتاب تاريخ مكة، مخطوطة في فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق لأكاديمية العلوم السوفيتية، ٦١٧.

١٥ - أيام العرب في الجاهلية، القاهرة ١٩٦١.

١٦ - الأكوع، محمد، الوثائق السياسية اليمنية من قبل الإسلام إلى سنة ٣٣٢، بغداد ١٩٧٦.

١٧ - العلوي، ديوان مختارات شعراء العرب، القاهرة عام ١٣٠٦هـ.

١٨ - العلوي، علي، سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، تحقيق سهيل زكار، بيروت ١٩٧٢.

١٩ - الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهلية، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٩.

٢٠ - عنترة، ديوان، تحقيق فوزي عطوي، بيروت ١٩٦٨.

٢١ - العسكري، كتاب الأمثال - الميداني الأمثال، القاهرة عام ١٣١٠هـ (على الهوامش).

٢٢ - الأصمعي، تاريخ العرب قبل الإسلام، تحقيق محمد ياسين، بغداد ١٩٥٩.

٢٣ - الأهدل، عبد الرحمن، النفس اليمني، صنعاء ١٩٧٩.

٢٤ - الأهدل، محمد، نشر الدر المكنون في فضائل اليمن الميمون، القاهرة ١٣٣٠.

٢٥ - أحمد بن حنبل، مسند، المجلدات ١ - ٦، بيروت ١٩٦٩.

٢٦ - بامخرمة، قلائد النحر، مخطوطة في (مكتبة الأحقاف) تريم، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

٢٧ - باقفيه، محمد، آثار ونقوش العقلة، القاهرة ١٩٦٧.

٢٨ - البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق عبد الفتاح عمر الطباع، بيروت ١٩٥٧.

٢٩ - البيروني، كتاب الجماهير في معرفة الجواهر، تحقيق ف. كرينكوف، حيدر آباد، عام ١٣٥٥.

٣٠ - البيروني، علم المعادن، ترجمة أم. بيلنيتيسكي، موسكو ١٩٦٣.

٣١ - موسكو ... الآثار الفنية الإسلامية. موسكو ١٩٧١.

٣٢ - البحتري، كتاب الحماسة. تحقيق لويس شيخو. بيروت، ١٩١٠.

٣٣ - فاسيلييف أ. سيرة حياة القديس غريغنتيوس أسقف الومريط. السفر البيزنطي. مجلد بطرسبورغ. موسكو - لينينغراد، ١٩٠٧، المجلد ١٤.

٣٤ - غرونتفيتش ب. ب. وثيقة جديدة بصدد الروابط اليمنية الفلسطينية في عهد ما قبل الإسلام. المجموعة الفلسطينية. موسكو - لينينغراد، ١٩٧٤، المجلد ٩٥.

٣٥ - غرونتفيتش ب. ب. نقش (الأذواء الأربعة والعشرين) من بيت حاضر - الجزيرة العربية القديمة. موسكو، ١٩٧٣.

٣٦ - دليل المعرض الثاني لآثار قرية الفاو. الرياض، ١٩٧٧.

٣٧ - الجندي، أخبار القرامطة باليمن من كتاب السلوك من طبقة العلماء والملوك. محمود حسن، تاريخ اليمن. القاهرة ١٩٥٧.

٣٨ - الجاحظ، كتاب البيان والتبيين. المجلدات ١ - ٣، بالقاهرة، ١٩٢٧.

٣٩ - الجاحظ، رسائل بتحقيق محمد الخولي. القاهرة ١٩٧٩.

٤٠ - الديار بكري، تاريخ الخميس. المجلدان ١ - ٢، القاهرة، عام ١٣٠٩هـ.

٤١ - الزبيدي محمد، المخطوطتان من اليمن. المورد بغداد، ١٩٧٤. المجلد ٣، رقم ١.

٤١أ - الزبيدي، تاج العروس. المجلدات ١ - ١٠، القاهرة، عام ١٣٠٧هـ.

٤٢ - الزمخشري، الكشاف. المجلدات ١ - ٤، القاهرة، ١٩٤٦.

٤٣ - الذهبي، العبر في خبر من غبر. المجلدات ١ - ٥، الكويت، ١٩٦٠.

٤٤ - الزوزني، شرح المعلقات السبع. القاهرة عام ١٣٢٧هـ.

٤٥ - زهير، ديوان. القاهرة ١٩٤٤.

٤٦ - ابن عبد ربه، العقد الفريد. المجلدات ١ - ٣، القاهرة، عام ١٢٩٣هـ.

٤٧ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح. المجلدات ١ - ٨، حيدر أباد، ١٩٦٨ - ١٩٧٥.

٤٨ - ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة. المجلدات ١ - ٥، القاهرة، عام ١٢٨٠هـ.

٤٩ - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث. المجلدات ١ - ٣، القاهرة عام ١٣٢٣هـ.

٥٠ - ابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبد الله الحبشي. صنعاء، ١٩٧٩.

٥١ - ابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ يوسف شلحود. صنعاء، ١٩٨٣.

- ابن الديبع، بغية المستفيد، الفضل المزيد، مخطوطة في فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق أكاديمية العلوم السوفيتية، ١٠٣٥.

- ابن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون. تحقيق محمد الأكوع. القاهرة، ١٩٧١.

- ابن الديبع، الفضل المزيد على بغية المستفيد. تحقيق محمد صالحية. الكويت ١٩٨٢.

- ابن إسحاق، ابن هشام، سيرة رسول الله. تحقيق محمد عبد الحميد. القاهرة ١٩٦٣.

- ابن منظور، لسان العرب. المجلدات ١ - ٢٠، القاهرة ١٣٠٧.

- ابن النديم، فهرست. تحقيق رضا تجدد. طهران ١٩٧١.

- ابن سمرة، طبقات فقهاء اليمن. تحقيق فؤاد سيد. القاهرة ١٩٥٧.

- ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم. القاهرة ١٩٠٧.

- ابن هشام، كتاب التيجان في ملوك حمير عن وهب بن منبه وأخبار عبيد بن شرية. صنعاء، ١٩٨٠.

٦٠ - ابن هشام، كتاب التيجان. تحقيق ف. كرينكوف. حيدر أباد، عام ١٣٤٧هـ.

٦١ - ابن حبيب، كتاب المنمق في أخبار قريش. تحقيق خورشيد فاروق. حيدر أباد، ١٩٦٤.

٦٢ - ابن حبيب، كتاب المحبر. تحقيق إيلزا ليختنشتيتر. حيدر أباد، ١٩٤٢.

٦٣ - ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة. المجلدات ١ - ٨، القاهرة، عام ١٣٢٣هـ.

٦٤ - ابن حجر، كتاب تهذيب التهذيب. المجلدات ١ - ١٢، حيدر أباد، عام ١٣٢٥هـ.

٦٥ - ابن حزم، جمهرة أنساب العرب. تحقيق عبد السلام هارون. ١٩٦٣.

٦٦ - ابن خلدون، كتاب العبر. المجلدات ١ - ٧، القاهرة عام ١٢٨٤هـ.

٦٧ - ابن حوشب، كتاب العالم والغلام. مخطوطة في فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق لدى أكاديمية العلوم السوفيتية، ٦٥١.

٦٨ - امرؤ القيس، ديوان. تحقيق محمد إبراهيم. القاهرة ١٩٦٤.

٦٨أ - عنان زيد، حضارة اليمن القديمة. صنعاء، عام ١٣٩٦هـ.

٦٨ب - أرياني مطهر، في تاريخ اليمن. القاهرة ١٩٧٣.

٦٩ - الأصفهاني، كتاب الأغاني. المجلدات ١ - ٢٤، القاهرة ١٩٢٧ - ١٩٧٣.

- الأصفهاني، كتاب الأغاني، المجلد ١ – ١٠، الأميرية، القاهرة عام ١٢٨٥ هـ.
- الأصفهاني، دلائل النبوة، حيدر آباد، ١٩٥٠.
- البيهقي، كتاب مشاطة الناس، تحقيق جورج مقدسي، بيروت، ١٩٦٩.
- اليافعي، مرآة الجنان، المجلدات ١ – ٤، حيدر آباد، عام ١٣٣٧ هـ.
- يحيى بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليمني، المجلدات ١ – ٢، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة ١٩٦٨.
- القاضي النعمان، كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، تونس، ١٩٧٥.
- القاضي النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق ولد القاضي، بيروت ١٩٧٠.
- القالي، كتاب الأمالي، المجلدات ١ – ٢، القاهرة عام ١٣٢٤ هـ.
- كحالة رضا، معجم القبائل، المجلدان ١ – ٢، دمشق ١٩٤٩.
- كحالة رضا، معجم المؤلفين، المجلدات ١ – ١٥، دمشق ١٩٥٧ – ١٩٦١.
- القرآن الكريم، ترجمة وتفسير أي. يو. كراتشكوفسكي، موسكو، ١٩٦٣.
- القفطي، المحمدون من الشعراء، المجلدان ١ – ٢، حيدر آباد، ١٩٦٦ – ١٩٦٧.
- لوندين أ. غ. نقوش جديدة من جنوبي الجزيرة العربية، في النقوش الشرقية، موسكو – لينينغراد، ١٩٦٣، المجلد ١٥.
- لوندين أ. غ. نقش تاريخي عائد إلى جنوب الجزيرة العربية في القرن السادس ميلادي من مأرب، في النقوش الشرقية، ١٩٥٤، المجلد ٩.
- لوندين أ. غ. نقش إنشائي عائد إلى جنوب الجزيرة العربية في بداية القرن السادس، في النقوش الشرقية، ١٩٦٠، المجلد ١٢.
- مارتيكوف، مقالة في تاريخ إحصائي للثروة الإسلامية في الأرخبيل الإمبراطوري، سانت بطرسبورغ ١٨٦١.
- النابغة الذبياني، ديوان، تحقيق طه البستاني، بيروت ١٩٦٧.
- ناجيرو ذ. أي. منتخبات في تاريخ دولة الخلافة العربية، موسكو، ١٩٦٨.
- النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني، بيروت ١٩٦٧.
- النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني، مخطوطة في فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق لدى أكاديمية العلوم السوفييتية، ٩٩٦.



- نشوان الحميري، ملوك حمير وأقيال اليمن وخلاصة السيرة الجامعة، تحقيق علي المؤيد وإسماعيل الجرافي، القاهرة عام ١٣٧٨ هـ.
- نشوان الحميري، رسالة الحور العين وشرحها، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة ١٩٤٨.
- نشوان الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب، المجلدان ١ – ٢، القاهرة بدون تاريخ الصدور.
- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، المجلدات ١ – ١٠، القاهرة ١٩٢٣ – ١٩٣٣.
- المعري، رسالة الغفران، تحقيق إبراهيم اليازجي، القاهرة، ١٩٠٣.
- نجيري، المنتخب في ذكر قبائل العرب، القاهرة، ١٩٦٢.
- النوبختي، كتاب فرق الشيعة، تحقيق هيلموت ريتر، استانبول، ١٩٣١ (الترجمة الروسية: النوبختي الحسن ابن موسى، طوائف الشيعة، الترجمة من العربية والدراسة والتفسير أس. م. بروزوروف، موسكو ١٩٧٣ (آثار المخطوطات الشرقية، العدد ٣٤)).
- الديوان المستعار، رحلة بحرية حول بحر أريتريا، الترجمة من اليونانية، نشرة التاريخ القديم، ١٩٤٠، العدد ٢ (الترجمات المختارة لغ. م. باور (الرحلة بحرية حول بحر إريتريا) لمؤلف مجهول (البنود ١ – ١٨)). تاريخ أفريقيا، منتخبات، موسكو، ١٩٧٩.
٩٦ - بيغوليفسكايا ن. ف. سفر أخبار ديونيسيوس المستعار التيلماخري عن جنوب الجزيرة العربية – بيغوليفسكايا ن. ف. الشرق الأدنى وبيزنطا والصنائية، لينينغراد، ١٩٧٦.
٩٧ - بروكوبيوس القيصري، تاريخ حروب الرومانيين ضد الفرس، ترجمة يو. دستونيس، سانت بطرسبورغ، ١٨٧٦.
٩٨ - بولو، ماركو، ترجمة أي. ب. ميناف، لينينغراد ١٩٤٠.
٩٩ - الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين العمري وعبد الجبار زكار، دمشق، ١٩٧٤.
١٠٠ - السجاني، التكملة، تحقيق عبد العليم الطهاوي، المجلدات ١ – ٥، القاهرة، ١٩٧٠ – ١٩٧٧.
١٠١ - الصديقي، الفرق المؤذن بالطرب في الفرق بين العجم والعرب، مخطوطة في فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق لدى أكاديمية العلوم السوفييتية، ٧٤١.
١٠٢ - السهيلي، الروض الأنف، المجلدات ١ – ٤، بيروت ١٩٧٨.
١٠٣ - الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلدات ١ – ٣٠، القاهرة أعوام ١٣٢٣ – ١٣٢٩ هـ.

١٠٤ – الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المجلدات ١ – ١٠، القاهرة ١٩٦٠ – ١٩٦٩.

١٠٥ – الترمذي، صحيح، المجلدان ١ – ٢، القاهرة عام ١٢٩٢ هـ.

١٠٦ – عمارة اليمني، ديوان، مخطوطة في فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق لدى أكاديمية العلوم السوفييتية ٨١.

١٠٧ – عمارة اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، محمود، حسن: تاريخ اليمن، القاهرة ١٩٥٧.

١٠٨ – عمارة اليمني، تاريخ اليمن، تحقيق محمد الأكوع، القاهرة ١٩٧٦.

١٠٩ – الفاصل بين الحق والباطل من مفاخر قحطان، مخطوطة في دار الكتب القاهرة، تاريخ ٤٢٢.

١١٠ – الفخري، تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان، مخطوطة في فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق في أكاديمية العلوم السوفييتية ٦٢٩.

١١١ – الفيروزابادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، منفلوطة، ١٩٥١.

١١٢ – قصة فتوح اليمن الكبرى الشهيرة برأس الغول، القاهرة، بدون تاريخ الصدور.

١١٣ – الخزرجي، الكفاية والأعلام فيمن ولي اليمن في عهد الولاة، تحقيق راضي دغفوس.

١١٤ – خليفة بن خياط، تاريخ، تحقيق سهيل زكار، المجلدان ١ – ٢، دمشق ١٩٦٧.

١١٥ – الحمادي، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تحقيق محمد الكوثري، القاهرة ١٩٥٥.

١١٦ – الهمداني، المقال العاشر من سرائر الحكمة، تحقيق محمد الأكوع، صنعاء ١٩٧٨.

١١٧ – الهمداني، القصيدة الدامغة، تحقيق محمد الأكوع، القاهرة ١٩٧٨.

١١٧ – الهمداني، القصيدة الدامغة وشرحها، مخطوطة في المكتبة السابقة للإمام يحيى، صنعاء، تاريخ ٢٧٩.

١١٨ – الهمداني، كتاب الإكليل، المجلد ١، تحقيق محمد الأكوع، بغداد ١٩٦٣.

١١٩ – الهمداني، كتاب الإكليل، المجلد ١، تحقيق محمد الأكوع، بغداد ١٩٨٠.

١٢٠ – الهمداني، كتاب الإكليل، المجلد ٢، تحقيق محمد الأكوع، بغداد ١٩٨٠.

١٢١ – الهمداني، كتاب الإكليل، المجلد ٢، تحقيق محمد الأكوع، القاهرة ١٩٦٦.

١٢٢ – الهمداني، كتاب الإكليل، المجلد ٨، تحقيق أنستاس الكرملي، بغداد ١٩٣١.

– الهمداني، كتاب الإكليل، المجلد ٨، تحقيق محمد الأكوع، دمشق ١٩٧٩.

– الهمداني، كتاب الإكليل، المجلد ١٠، تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة عام ١٣٦٨ هـ.

١٢٤ – الهمداني، كتاب صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد النجدي، القاهرة ١٩٥٣.

١٢٥ – الهمداني، كتاب صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، الرياض ١٩٧٤.

١٢٦ – محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، بيروت ١٩٦٩.

١٢٧ – هنتس ف.، المكاييس والموازين الإسلامية منقولة إلى النظام المتري، دافيدوفيتش ي.أ. مواد خاصة بنظام المكاييس والموازين في آسيا الوسطى القروسطية، موسكو ١٩٧٠.

١٢٨ – هشام بن الكلبي، كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي، القاهرة ١٩٦٥.

١٢٩ – الحبيشي، تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التاريخ والآثار، تحقيق عبد الله الحبشي، صنعاء ١٩٧٩.

١٣٠ – الحطيئة، ديوان، تحقيق أحمد الشنقيطي، القاهرة عام ١٣٢٣ هـ.

١٣١ – شرح شواهد المغني للسيوطي، القاهرة عام ١٣٢٢ هـ.

١٣٢ – الشهرستاني، كتاب الملل والنحل، المجلدان ١ – ٢، القاهرة ١٩٦١.

١٣٣ – جنوب الجزيرة العربية، آثار التاريخ والثقافة القديمين، الكتاب موسكو ١٩٧٨.

134- Abu Hanifa al- Dinarveri. Kitab al- Ambar al- tiwal. Publ. V. Gugass. Zeide, 1888.

135- Annales quos scripsit Abu Djafar Mohammes jbn Djarir al- Jabari cum aliis ed. M.J. de Goeje. Series 1-3 Zudguni Batavorum, 1879- 1890.

136- Ansab al- ashraf of al- Baladhuri. Vol. 5. Ed. S. Goitein. Jerusalem, 1936.

137- Al- Ansari. Qaryat allFau. A Portrait of Preislamic civigisation in Saudi Arabia. Riyad, 1982.

138- The Agyubids and Early Rasulids in Yemen: As- Simt al- ghali. Ed. G.R. Smith Vol 1-2, Z., 1978.

139- Ba Mahrama. Tarih tagr Aden. Ed. O. Zofgren, 1950.

140- Bafaqih M., Robin C. Inseriptions inedites de Yanbuq. - Raydan. Aden. 1979, vol. 2.

141- Ben Shemesh A. Taxation in Islam. Vol. 2. Qudama b. Ja'far's Kitab allkharadj pt. 7 and Excerpts from Abu Yusuf's Kitab al- khardj. Zeiden- London, 1965.

142- Bar Hebraeus Chronicon ecclesiasticum. Vol 1- 3
Zouvain, 1872- 1877.
143- Beeston A., Ghul M., Muller W., Ryckmans J. Sabaic
Dictionary. Zouvain- Beyrouth, 1982.
144- Beeston A. Nemara and Fau - BSOAS. 1979, Vol. 52.
145- El- Buhari. Le recueil des traditions mahometanes. Publ.
M. Krehl. Vol. 1- 4. Zeyde, 1862- 1908.
146- Das geographisches Worterbuch des... al- Bekri. Hrsg. F.
Wustenfeld. Bd. 1 2. Gottingen- Paris, 1867- 1877.
147- Dictionaire arabe- francais, Par A. ed Siberstein. -
Kazimirski. Vol. 1- 2 P., 1860.
148- Caskel W. Gamharat an - nasab. Das genealogische Werk
des Hisam ibn Muhammed al - Kalbi, Bd. 1- 2 Zeiden. 1966.
149- Chronicon anonymum vulgo dictum. Ed. J.B. Chabot. Vol.
1, 2. p., 1927, 1933.
150- Conti Rossini C. Uno documento sul cristianesimi nello
Jemen al tempi del Re Sarahbil Yakkuf. Rendiconti della
Accademia dei Lincei. Roma. 1910, vol. 19, ser. 5a.
151- Corpus Inscriptionum Semiticarum. Pars quarta.
Inscriptiones himyariticas et sabaeas continens. Tomus 1.
2, 3. p., 1889, 1911, 1929.
152- (Chronique de Seert). Histoire nestorienne. Publ. a.
Scher. Pt. 1, 2. Patrologia Orientalis. P. 1908- 1919, 1. 4,
5, 7, 13.
153- Degen R. Die hebraische Inschrift DJE 23 aus Jemmen -
Neue Ephemeris fur semitische Epigraphie. Wiesbaden.
1974, Bd. 2.
154- Degen R., Muller W. Eine hebraisch - sabaische Bilingue
aus Bait al- Asrval. Neue Ephemeris fur semitische
Epigraphie. Wiesbaden, 1974, Bd. 2
155- Degen R. Nocheinmal: Die hebraische Inschrift DJE 23
aus dem Jemen - Neue Ephemeris fur semitische
Epigraphie. Wiesbaden, 1974, Bd. 2.
156- Doe D. B., Jamme A. New Sabaean Inscriptions from
South Arabia. - JRAS. 1967.

157- Dozy R. Supplement aux dictionnaires arbes. T. 1-2.
Zeyde, 1881.
158- The Divans of Abid B. Al- Abras of Asad and Amr ibnat - Tufail of
Amir ibn Sa'sa'ah. Ed. Ch. Lyall. Leidn- London, 1913.
159- Diwan al - Jarisa'. Ed. L. Cheiko. Beirut, 1896.
160- The Diwan of Dhu -r- Rummah. Ed. C. Macartney.
Cambridge, 1919.
161- Edward Glasers Reise nach Marib. Marsg. D.H. Muller, h
Rhodokanakis. Wien, 1913.
162- Fakhry A. An Archacological Journey to Yeme, Pt. 1- 3
(Epigraphical tdxtes by G. Ryckmans). Caro, 1952.
163- Faris N. A. The Antiquities of South Arabia, being a
Translation of the Eigheth Book of al - Handani's al- Iklil.
Princeton, 1938.
164- Sudarabien nach al- Hamdani's "Besehreibung der
Arabischen Halbinsel" von L. Forrer.
165- Garbini G. Antchita Yemeniste. 1- 2. - AJON. 1979, vol. 39.
166- Garbini G. Pseervazioni linguistiche e storiche
sull'serziona di Madikarib Ya'fur (Ry 510). AJON. 1973,
vol. 33.
167- Garbini G. Nuove iscrizioni sabee³ AJON. 1973, vol. 33.
168- Garbini Garbini G. Una Bilingue sabaco- ebreica de
Zafar. AJON. 1970, vol. 30.
169- Garbini G. Una nuova iscrizione di Sarahbi'il Ya'fur³ -
AJON. 1970, vol. 29.
170- Gadichte von Abu Basir al- A'sa. Mrsg. R. Geyer. L., 1928.
171- Gesehichte und Beisehreibung der Stadt Mekka von... al
- Azraki. Hrsg. F. Wustenfeld. Zpz., 1958.
172- Glazer E. Zrvei Inschriften uber den Dammbruch von
Marib. - Mitteilungen der Vorderasiatische Gesellschath.
B., 1879, Bd. 6.
173- Goitein S. Von den Juden Jemens. Eine Anstholigie. B.,
1934; English Translation: Tales From the Land of Sheba.
N. Y., 1947.

174- Al - Hamdani, Al- Iklil. Erster Buch in der Rezension von Muhammad bin Naswan al- Himyari. Hrsg. O. Zoggn. Uppsala 1954.
175- Al - Hamdani. Sudarabisches Mustabih. Verzeichnis homonymer und homographen Eigennamen. Hrsg. O. Zolgren. Uppsala, 1954.
176- Al - Hamdani. Al- Iklil.Buch 1 und 2. Facsimile Ms. Or. B. 1943.
177- Al - Hamdani. Kitab al- gauharatain. Hrsg. Ch. Tol. Uppsala, 1969.
178- Al - Hamdani's, Geographie der arabischen Halbinsel. Hrsg. D. H. Muller. Bd. 1- 2 Zeiden, 1884- 1891.
179- Al - Hamidullah M. Corpus des traits et lettres diplomatiques de l. Islam a l'epoque du prophete et des kalifes ortodoxes. P., 1935.
180- Hamidullah M. Documents sur la diplomatie musulane a l'epoque du prophete et des kalifes ortodoxes. P., 1935.
181- Hamza Ispahanensis Annalium, Zlon X. Ed. I. Gottwaldt. Periopol - Zipseae. 1844.
182- Harding L. An Index and Concordance of Preislamic Arabian Names and Inscriptions. Toronto, 1971.
183- Al - Harvarisme. Ziber Mafatih al- Plum, Ed. G. Van Vloten. Zugdune Batavorum, 1895.
184- Ibn- el- A thir Chronicon Quod Perfectissimum inscribitur. Ed. C. Tornberg. Vol. 1- 14 Zugduni Batavorum, 1851- 1876.
185- Ibn Coteiba's Handbuch der Geschichte. Hrsg. F. Wustenfeld. Gottingen, 1854.
186- Ibn Doreid's genealogisch- etymologisches Handbuch. Hrsg. F. Wustenfeld. Gottingen. 1854.
187- Ibn al- Fakih al- Hamadani. Compendium libri Kitab al - Boldan. Ed. M. de Goege. Zugduni Batavorum, 1885.
188- Ibn Challikani Vitae illustrium virorum. Ed. F. Wustenfeld. Gottingae, 1837.
189- Ibn Haukal. Viae et regna, descripta ditionis moslemicae. Ed. M. de Goeje. Zugduni Batavorum, 1873.

190- Ibn Haukal. Opus geographicum. Ed. J. Kramers. Zugduni Batavorum - Lipsiae, 1938.
191- Ibn Khordadhbeh. Kital al- masalik wa'l- mamalik et excerpta e kitab al - Kharadj auctore Kakama Ibn Dja'far. Ed. M. de Goege. Zugdune Batavorum, 1889.
192- Ibn al- Mudjawir. Ta'rih al- mustabeir. Vol. 1- 2. Ed O. Zofgren. Leiden, 1951- 1954.
193- Ibn Rosteh. Kital al - a'lak an-nafisa. Ed. M. de Goeje. Lugduni Batavorum, 1892.
194- Ibn Sa'd. Kitab at-tabakat al-kabir. Hrsg. E. Sachau. Bd. 1- 8. Leiden, 1904- 1907? Bd. 9. B., 1921, 1928.
195- Al- Iklil. VIII, by Hasan al- Hamdani. Ed. V. Faris. Princeton, 1940.
196- Ivanorv W. Ismaili Tradition Concerning the Fatimids. Calcutta, 1942.
197- Jacut's Geographisches Worterbuch. Hrsg. F. Wustenfeld. Bd. 1- 6. Ipz,. 1866! 1870.
198- Jamme A. Inscriptioons sud - arabes ed collection Ettore Rossi. - RSO 1955, vol. 30.
199- Jamme A. Incacriptions des alentours de Mareb (Yemen). - Cahiers de Byrsa. Carthage, 1955, vol. 5.
200- Jamme A. Sabaean and Hasaean Inscriptions from Saudi Arabia. Roma, 1966.
201- Jamme A. Sabacan Inscriptions from Mahram Bilqus. Baltimore, 1962.
202- Jamme A. The Al - Uqla Textes. Wash., 1963.
203- Al- Ja'gubi. Historiae. Ed. M. Houtsma. Pt. 1-2. Lugduni Batavorum, 1883.
204- Key H. C. Yman. Its Early Mediacval History by Najm ad-din Omara al- Hakami. Londres, 1882.
204 a- Zone E. An Arabic- English Lexicon. Vol. 1-8 London Edinburgh, 1863- 1893.
204 b- Lane- pool S. Catalogue of Oriental Coins in the British Muscum. Vol. 1- 10. L., 1975! 1890.

205- Das Leben Muhammed's nach Muhammes Ibn Ishak bearbeitet von Abd el- Malik Ibn Hiscam, Reg. F. Wustenfele. Bd. 1-2, Gottingen, 1858- 1860.

206- Le libre de l'impiot foncier de Yahhya Ibn Adam, Puzzl Fh. Yuynboll. Leide. 1890.

207- Macoudi. Les prairies d' or. Text et traduction par C. Barbier de Meynare et Paret de Courteille. Vol. 1- 10, p., 1861- 1877.

208- Al - Masudi. Kitab at- tanbih Wa'l- ischraf. Ed. M. de Goeje. Lugduni Batavorm, 1894.

209- Moberb A. The Book of the Jimyarites. Framents of Hitherto Unknown Syric Work. Lund. 1924.

210- Al- Mokaddasi. Descriptio imperii moslemici. Ed. M. de Goeje. Lugdune Batavorum, 1877.

211- The Mugaddaliyat. An Anthology of Aablarn Odes. Ed. J. Layall. Vol. 1-2 Oxf., 1918.

212- Muller D.M. Die Burgen of Arabiann Odes. Ed. J. Layal Vol. 1- 2. Oxf., 1918.

212 a- Muller W. Eine sabacishe Inschrift aus dem Jahre 566 der himjarischem Aera. - Nere Ephemeris fur semitiche Epigraphie. Wiesbaden. 1974, Bd. 2.

213- Muller W. Neuinterpeation altsudarabisher Inschelten! RES 4698, CJH 45- 44, Fa 74. - AJON. 1976. vol. 36.

213 a- Musil A. The Manners and Customs of the Rwala Bedouins. N. Y., 1928.

214- The Naqaid of Jardr and Farazdak. Ed. A. Bevan. Vol. 1- 3. Leiden, 1905- 1912.

214 a- Nyberg H.S.A Manual of Pahlavi. Pt. 1. Testes Wiesbaden. 1964.

215- Paret R. Der Koran. Kommentar und Konkordanz. Stuttgary 1971.

216- The Poems of the Husails. Ed. 1. Kozegarten. Vol. 1. L., 1854.

217- Philostorge. Ecclesiastica Historia. 3- 4. Lufetiae Parisiorum. 1862. (patrologiac graccae. Vol. 65).

218- Rathjens C. Sabacica. Bd. 1. 2. Hamburg. 1953, 1955.

219- Repertoire d'epigraphie semitique. Vol. 5,6, 7, 8. p. 1929, 1935, 1950, 1968.

220- Robin Ch., Bafakih M. Inscription inedites du Mahram Bilgis (Marib) au Musee de Bayhan. - Raydan. Aden, 1980, Vol. 3.

221- Ryckmans G. Inscriptions sud- arabes. -Les Museon. Louvain, Vol. 40, 45, 50,52, 55, 62, 64, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 74, 75, 78.

222- Ryckmans Y. L' inscription sabeene chetienne Istanbul 7608 bis. - YRAS. 1976.

223- Shahid Y. The Marturs of Najran. New Documents. Bruxelles 1971.

224- *Sola Sole J. M. La inscription G 1389 Y los Comienzos del monoteismo en Sudarabia.* Le Museon. Louvain, 1959. Vol. 72.

225- Sola Sole J. M. Las dos grandes inscripciones sudarabiges del dique de Marib. Barcelona Fubingen, 1960.

226- Die auf Sudarabien bezuglicken Angabe Naswan's in Sams al Ulum. Hrsg. Azimuddin Ahmad. Zeyden, 1916.

227- Oumara du Yemen, sa vie et son oevre, par H. Derenbourg. Pt. 1- 2. p., 1897.

228- Van der Meulen D., Wissmann H. Hadramaut: Some of its Mysteries Unreiled. Leyden, 1932.

229- Warrad M. Alkama B. Di Jadan. Insbruck. 1959.

230- Winckler H. Zur Geschichte des Judentums in Yemen. Winckler H. Altonantalische Forschrngen. Bd. 4. Lps., 1898.

231- Yatima H. A Chronicle of the Rasulid Dynasty of Yemen from the unique MS Paris No 4609. Tokyo. 1976.

٢٣١ - الأعظمي، عوض. الزراعة والإصلاح الزراعي في عصر صدر الإسلام، بغداد، ١٩٧٨.

٢٣٢ - الأكوع، إسماعيل. المدارس الإسلامية في اليمن، دمشق، ١٩٨٠.

٢٣٣ - العلوي، صالح. تاريخ حضرموت، المجلدان ١ - ٢، جدة، عام ١٣٦٦ هـ.

٢٣٤ - الكساندروف إي. ا. جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، موسكو، ١٩٧٦.

٢٣٦ - علي، جواد. تاريخ العرب قبل الإسلام، المجلدات ١ - ٨، بغداد، ١٩٥٤ - ١٩٦٠.

٢٣٧ - الكريانسوف ب. ف. مفهوم ك. فيتفوغيل الخاص بـ ((المجتمع الهيدروليكي)) والمواد الجديدة بصدد تاريخ الري، مفاهيم علم الأعراق البشرية أي (الانثولوجيا) في البلدان الأجنبية، دراسات انتقادية، موسكو، ١٩٧٦.

٢٣٨ - الأنصاري، عبد الرحمن. أضواء جديدة على دولة كندة من خلال آثار ونقوش قرية الفاو، الدارة، الرياض، ١٩٧٧، المجلد ٢، العدد ٣.

٢٣٩ - الأسد، ناصر الدين. مصادر الشعر الجاهلي، القاهرة، ١٩٥٦.

٢٤٠ - الأفغاني، سعيد. أسواق العرب في الجاهلية، دمشق، ١٩٦٠.

٢٤١ - باوزير، سعيد. صفحات من التاريخ الحضرمي، القاهرة، عام ١٣٧٨ هـ.

٢٤٢ - بافقيه، محمد. عرب الشمال وعرب الجنوب، - التراث، عدن، ١٩٧٩، المجلد ٣.

٢٤٣ - بافقيه محمد وروبين ك. من نقوش محرم بلقيس، - ريدان، عدن، ١٩٨٠، المجلد ٣.

٢٤٣ - بافقيه محمد وروبين ك. من نقوش محرم بلقيس، - ريدان، عدن، ١٩٧٨، المجلد ١.

٢٤٤ - بافقيه، محمد. تاريخ اليمن القديم، عدن، ١٩٧٣.

٢٤٥ - البكري، صلاح. تاريخ حضرموت السياسي، المجلدان ١ - ٢.

٢٤٦ - بارتولد ف. ف. سقيمة بارتولد ف. ف. مؤلفات، المجلد ٦، موسكو، لينينغراد، ١٩٦٦.

٢٤٧ - باورع، م. النقوش السبئية كمصدر لدراسات العلاقات الخاصة بالأرض في سبأ، مختصر الأطروحة لنيل لقب (المرشح في العلوم) موسكو، ١٩٦٩.

٢٤٨ - باورع م. لغة الكتابة في جنوب الجزيرة العربية، موسكو، ١٩٦٦.

٢٤٩ - بروملي يو. ف. مقالات خاصة بنظرية الأعراق البشرية، موسكو، ١٩٨٣.

٢٥٠ - بروملي يو. ف. الأعراق البشرية والأثنوغرافيا، موسكو، ١٩٧٣.



٢٥١ - فافيلوف ن. اي. الموارد النباتية العالمية واستعمالها في الاصطفاء، - فافيلوف اي مختارات، المجلد ٣ موسكو، ١٩٦٢.

٢٥٢ - فافيلوف ن. اي. أصناف القمح في الحبشة، - فافيلوف ن. اي. مختارات، المجلد ٣، موسكو، ١٩٦٦.

٢٥٣ - فاينشتاين أو. ل. مصادر التاريخ القروسطي السوفييتي، لينينغراد، ١٩٦٨.

٢٥٤ - غالب، مصطفى. أعلام الإسماعيلية، بيروت، ١٩٦٤.

٢٥٥ - غراندة ب. ا. بحثا عن المدن الضائعة، موسكو، ١٩٧٨؛ الطبعة الثانية، موسكو، ١٩٧٣.

٢٥٦ - غريازنيفيتش ب. ا. بحثا عن المدن الضائعة، موسكو، ١٩٧٨؛ الطبعة الثانية، موسكو، ١٩٨١.

٢٥٦ - غريازنيفيتش ب. ا. البحوث الميدانية في اليمن خلال عامي ١٩٧٠ - ١٩٧١، - الجزيرة العربية القديمة.

٢٥٧ - غريازنيفيتش ب. ا. مواد جديدة بصدد تاريخ وثقافة جنوب الجزيرة العربية، - المجموعة الفلسطينية، موسكو، لينينغراد، ١٩٧٨، المجلد ٢٦.

٢٥٨ - غريازنيفيتش ب. التقسيم العرقي والإقليمي لليمن خلال القرون الخامس - العاشر، - الآثار المخطوطة وقضايا تاريخ حضارة شعوب الشرق، موسكو، ١٩٧٧، المجلد ١٥، الجزء ٢.

٢٥٨ - غريازنيفيتش ب. ا. الجزيرة العربية والعرب (بصدد تاريخ مصطلح ((العرب))، الآثار المخطوطة وقضايا تاريخ حضارة شعوب الشرق، موسكو، ١٩٧٧ المجلد ١٣.

٢٥٩ - الغول، محمود. مكانة لغة نقوش اليمن القديمة في تراث اللغة العربية الفصحى، - الندوة العالمية لدراسة الحضارة اليمنية، عدن ١٩٧٥.

٢٦٠ - دغفوس، راضي. ابن المجيج - مؤرخ اليمن وزبيد، - حولية الجمعية التونسية، تونس، ١٩٨٠، المجلد ١٨.

٢٦١ - الدوري، عبد العزيز. الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول، - دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى إحسان عباس، بيروت، ١٩٨١.

٢٦٢ - جوكوف اي. م. مقالات بصدد الترتيب المنهجي للتاريخ، موسكو، ١٩٨٠.

٢٦٣ - جوكوف اي. م. وبارغ م. ا. وتشيرنياك اي. ب. وباغلوف ف. اي. القضايا النظرية للعملية التاريخية العالمية، موسكو، ١٩٧٩.

٢٦٤ - زيد، علي. معتزلة اليمن، دولة الهادي وفكره، بيروت - صنعاء ١٩٨١.

٢٧٩ - لوندين أ. ج. النقش القتباني القدسي. نشير التاريخ القديم، ١٩٧١، العدد ٣.

٢٨٠ - لوندين أ. ج. بصدد الحق في الماء في دولة سبأ في عهد القيول. المجموعة الفلسطينية، موسكو - لينينغراد، ١٩٦٤، المجلد ١١.

٢٨١ - لوندين أ. ج. الانقسام الاجتماعي إلى طبقات في جنوب الجزيرة العربية في القرن السادس ميلادي. - المجموعة الفلسطينية، موسكو - لينينغراد، ١٩٥٩، المجلد ٤.

٢٨٢ - لوندين أ. ج. (ارثاروفسكي م. ب. القند علي زيدان، عدن، ١٩٨٠، المجلد ٣، - نشير التاريخ القديم، موسكو، ١٩٨٣، العدد ٣.

٢٨٣ - لوندين أ. ج. الوظف والدبلوماسي السبئي من القرن الثالث ميلادي. - المجموعة الفلسطينية، موسكو - لينينغراد، ١٩٧٤، المجلد ٢٥.

٢٨٤ - لوندين أ. ج. جنوب الجزيرة العربية في القرن السادس. المجموعة الفلسطينية، موسكو - لينينغراد، ١٩٦١، المجلد ٨.

٢٨٥ - مارتكوف ج. ي. الرحل في آسيا، موسكو، ١٩٧٦.

٢٨٦ - محمود، حسن. الملكة أروى سيدة ملوك اليمن، القاهرة، ١٩٥٨.

٢٨٧ - محمود، حسن. الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، القاهرة، ١٩٥٨.

٢٨٨ - محمود، حسن. تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، بغداد، ١٩٦٩.

٢٨٩ - مختصر تاريخ اليمن، عدن، ١٩٧٧.

٢٩٠ - مصطفى، شاكر. التاريخ والمؤرخون في اليمن الإسلامية حتى القرن السابع هجري، مجلة كلية الآداب، الكويت ١٩٧٨، المجلد ١٣.

٢٩١ - مصطفى، شاكر. التاريخ والمؤرخون المجلدان ١ - ٢، بيروت، ١٩٧٩.

٢٩٢ - ناجي، سلطان. تاريخ اليمن الإسلامي الأجزاء ١ - ٤، الحكمة، عدن ١٩٧٣، ١٩٧٤، المجلدات ٢٣ و ٢٤ و ٣١.

٢٩٣ - نادير اذزه ل. اي. قضايا الإقطاع في دولة الخلافة العربية في علم تدوين التاريخ السوفيتي. تاريخ واقتصاديات بلدان الشرق العربي، موسكو، ١٩٧٣.

٢٩٤ - نادير اذزه ل. اي. قضايا العلاقات الإقطاعية في دولة الخلافة خلال القرون السابع - التاسع - مختصر الأطروحة الخاصة بنيل لقب (مرشح في العلوم)، موسكو، ١٩٧٥.

[illegible] - ظفاري، جعفر. الحركة الشعبية في اليمن. الحرمان ١ و ٢ - الثقافة الجديدة، عدن ١٩٧٧، العدد ٢، العدد ١١، ١٩٧٧، المجلد ١، العدد ٣.

[illegible] - ظفاري، جعفر. عقدة اللون الأسود ومأساة الوجود الفارسي في اليمن بعد الإسلام. - الثقافة الجديدة، عدن، ١٩٧٧، المجلد ٣، العدد ٩.

[illegible] - شكروبيشلوفسكي م. الأسود، موسكو، ١٩٦٦.

[illegible] - شكروبيشلوفسكي م. الإرث الثقافي في العالم القروسطي. [illegible]، موسكو، ١٩٦١.

[illegible] - [illegible] أ. اي. فتح بلاد فارس على يد العرب، موسكو، ١٩٨٢.

[illegible] - [illegible] ب. الجمهورية العربية اليمنية، موسكو، ١٩٧٦.

[illegible] - [illegible] أ. الأهمية التاريخية للآثار المعمارية في جنوب الجزيرة العربية - الاستشراق السوفيتي، موسكو لينينغراد، ١٩٥٦، العدد ٤.

[illegible] - [illegible] ي. اي. مؤلفات مختارة، المجلدات ١ - ٦، موسكو لينينغراد، ١٩٥٥ - ١٩٦٠.

[illegible] - العقبات، حمزة. تاريخ عدن، القاهرة، ١٩٦٠.

[illegible] - لوندين أ. ج. حول الجزيرة العربية خلال القرون الرابع السادس وجذور الإسلام الاجتماعية. قراءات ماركسية لبارتولد جرت عام ١٩٦١، موضوعات التقارير، موسكو، ١٩٦٢.

[illegible] - [illegible] ج. دولة المكربين في سبأ، موسكو، ١٩٧١.

[illegible] - لوندين أ. ج. بنية المدن في جنوب الجزيرة العربية خلال القرون الثاني - الرابع - الآثار المخطوطة وقضايا تاريخ ثقافة شعوب الشرق، موسكو، ١٩٦٩، المجلد ٥.

[illegible] - لوندين أ. ج. (البنات الربات) في نقوش جنوب الجزيرة العربية وفي القرآن الكريم. نشير التاريخ القديم، موسكو، ١٩٧٥، العدد ٢.

[illegible] - لوندين أ. ج. من تاريخ الجزيرة العربية في بداية القرن السادس ميلادي. المجموعة الفلسطينية، موسكو لينينغراد، ١٩٦٢، المجلد ٩.

[illegible] - [illegible] في اليمن القديمة بمناسبة مقالات نشير التاريخ القديم، موسكو، ١٩٦٩، العدد ٣.

[illegible] - لوندين أ. ج. بصدد نشوء تنظيم الدولة في جنوب الجزيرة العربية. - المجموعة الفلسطينية، موسكو لينينغراد، ١٩٦٧، المجلد ١٧.

194 - ناروسلاوف ف. ف وبوغوسلافسكي ف. ب: مقالات بصدد علم العروق البشرية واللغة في سقطرة، موسكو، 1981.

195 - نيغرول. ف. النظام الاجتماعي في الجزيرة العربية الشمالية والوسطى خلال القرون الخامس - السابع، موسكو، 1981.

196 - نيوسيخين أ. أي: قيد ما قبل الاقطاع كمرحلة انتقالية من النظام العشائري القبلي إلى النظام الإقطاعي المبكر. قضايا تاريخ التشكيلات ما قبل الرأسمالية. موسكو، 1968.

197 - نوفوسيلتسيف أ. ب: نشوء الإقطاعية في بلدان ما وراء القفقاس، موسكو، 1980.

198 - نوفوسيلتسيف أ. ب: بلدان إقليمي ما وراء القفقاس وآسيا الوسطى - نوفوسيلتسيف أ. ب. وباشوتو ف. ت. وتشيريبنين ل. ف: سبل تطور الإقطاعية، موسكو، 1972.

199 - نعمان، محمد: الأطراف المعنية في اليمن. بيروت، بدون تاريخ الصدور.

200 - بيرشيتس أ. أي: مصادر تطور التقاليد وعلم استخدام المصادر. شعوب آسيا وافريقيا، موسكو، 1981، العدد 4.

201 - بيرشيتس أ. أي: بعض خصائص تكون الطبقات والعلاقات الطبقية المبكرة عند رعاة الماشية الرحل. - قيام الطبقات والدولة. موسكو، 1976.

202 - بيرشيتس أ. أي: بصدد جوهر العلاقات الأبوية - الإقطاعية عند رعاة الماشية الرحل. - مسائل التاريخ، موسكو، 1955، العدد 11.

203 - بيرشيتس أ. أي: مجتمع الحضر والرحل في شمال الجزيرة العربية في العصر الحديث، مختصر الأطروحة الخاصة بنيل لقب ((مرشح في العلوم)). موسكو، 1980.

204 - بيرشيتس أ. أي: اقتصاديات شمال الجزيرة العربية ونظامها الاجتماعي السياسي خلال القرن التاسع عشر - الثلث الأول من القرن العشرين. موسكو، 1961.

205 - بيروشيفسكي أي. ب: الإسلام في بلاد فارس. لينينغراد، 1966.

206 - بيغولفسكايا ن. ف: العرب في تخوم بيزنطا وبلاد فارس خلال القرون الرابع - السادس - موسكو - لينينغراد، 1964.

207 - بيغولفسكايا ن. ف: الشرق الأدنى وبيزنطا والصقالبة. لينينغراد، 1976.

208 - بيغولفسكايا ن. ف: بيزنطا على الطرق المؤدية إلى الهند. موسكو - لينينغراد، 1951.

209 - بيغولفسكايا ف. ف: قوانين الحميريون. - السفر البيزنطي، 1940، المجلد 3.

210 - بيغولفسكايا ف. ف: الصدام الرازي الأولية للحروب الكوانية - الحميرية - المجموعة الفلسطينية، 1959، المجلد 2.

211 - بيوتروفسكي م. ب: ليبيا الجزيرة العربية في القرن السابع - الآثار المخطوطة وقضايا تاريخ ثقافة شعوب الشرق. موسكو، 1978، المجلد 13.

212 - بيوتروفسكي م. ب: دور الهمداني في إبراز الأدب اليمني الملحمي - الحكمة عدن 1981، المجلد 95.

213 - بيوتروفسكي م. ب: دور الهمداني في إبراز الأدب اليمني الملحمي - الحكمة عدن 1981، المجلد 95.

214 - بيوتروفسكي م. ب: الملك اليمني شمر يرعش في المصادر العربية. - الآثار المخطوطة وقضايا تاريخ ثقافة شعوب الشرق. موسكو، 1968، المجلد 6.

215 - بيوتروفسكي م. ب: اليمانيون واليمنيون في بلاد الشام الأموية. مجلة تاريخية ـ أدبية، يريفان، 1970، العدد 2.

216 - بيوتروفسكي م. ب: القضايا الملحة لدراسة تاريخ اليمن الثوري. عدن، 1978، العددان 30 - 31.

217 - بيوتروفسكي م. ب: الأقيال والأبناء والقبائل ((الشرائح الطبقية العليا في جنوب الجزيرة العربية في القرن السابع والإسلام - البلدان العربية: التاريخ والعصر الحديث، موسكو 1981، الترجمة العربية: بيوتروفسكي م. ب. الأقيال والأبناء والقبائل. - الثقافة الجديدة. عدن، 1982، المجلد 11، العدد 4.

218 - بيوتروفسكي م. ب: النبي محمد والأنبياء الزائفون والكهنة. - الإسلام في تاريخ شعوب الشرق. موسكو، 1981.

219 - بيوتروفسكي م. ب: سفر الأخبار الجديد من اليمن الرسولية. - المجموعة الفلسطينية، 1981، المجلد 27.

220 - بيوتروفسكي م. ب: ((حملة الفيل)) على مكة ((القرآن الكريم والواقع التاريخي. الإسلام: الدين والمجتمع والدولة. موسكو، 1984.

٣٢٠ - بيوتروفسكي م. ب. أسطورة الملك الحميري أسعد الكامل. موسكو، ١٩٧٧ (الترجمة العربية: بيوتروفسكي م. ب. سيرة التبع أسعد الكامل. - الحكمة. عدن، ١٩٨٣، ١٩٨٤، الصفحات ١٠٣ و١٠٩ و١١٠ و١٢٣).

٣٢١ - بيوتروفسكي م. ب. قضايا التاريخ العرقي والاجتماعي في جنوب الجزيرة العربية. - الآثار المخطوطة وقضايا تاريخ ثقافة شعوب الشرق. موسكو، ١٩٨١، المجلد ١٥، الجزء ٢.

٣٢١أ - بيوتروفسكي م. ب. الحركة النبوية في الجزيرة العربية في القرن السابع. - الإسلام: الدين والمجتمع والدولة. موسكو، ١٩٨٤.

٣٢٢ - بيوتروفسكي م. ب. التراث اليمني القديم في الحضارة الإسلامية. - الحكمة. عدن، ١٩٧٧، المجلد ٢٨.

٣٢٣ - بيوتروفسكي م. ب. وبيوتروفسكايا أ. ل. الإنسان والطبيعة في الجزيرة العربية. العصران القديم والحديث. الجغرافيا والبلدان النامية. موضوعات الخطابات الملقاة في مؤتمر عموم الاتحاد السوفييتي. لينينغراد، ١٩٨٣.

٣٢٤ - بيوتروفسكي م. ب. بصدد طابع سلطة النبي محمد. - سلطة الدولة والبنايات الاجتماعية - السياسية في البلدان العربية. التاريخ والعصر الحديث. موسكو، ١٩٨٤.

٣٢٥ - بيوتروفسكي م. ب. الهمداني والأسطورة التاريخية - الملحمية القحطانية. - الآثار المخطوطة وقضايا تاريخ ثقافة شعوب الشرق. موسكو، ١٩٨٣، المجلد ١٧، الجزء ١.

٣٢٦ - بيوتروفسكي م. ب. الحبشة والحجاز في القرن السابع. - مؤتمر عموم الاتحاد السوفييتي الخاص بالدراسات الحبشية. موضوعات التقارير. موسكو، ١٩٧٩.

٣٢٧ - بيوتروفسكي م. ب. القيل الحميري سميفع ذو الكلاع والخليفة أبو بكر. - الآثار المخطوطة وقضايا تاريخ ثقافة شعوب الشرق. موسكو، ١٩٧٧، المجلد ١٢.

٣٢٨ - بيوتروفسكي م. ب. الأحاديث القرآنية كمأثر تاريخي. - ثقافة. مؤتمر عموم الاتحاد السوفييتي الخاص بقضايا الثقافة العربية والمكرس لذكرى أي. يو. كراتشكوفسكي. موضوعات التقارير. موسكو، ١٩٨٣.

٣٢٨أ - بورشنيف ب. ف. الترهيب الإقطاعي. - بورشنيف ب. ف. الإقطاعية والجماهير الشعبية. موسكو، ١٩٦٤.

٣٢٨ب - بولشاكوف يو. ج. الكلية العام والخاص في قيام وتطور المجتمع العربي الإسلامي. مختصر الأطروحة الخاصة بنيل لقب (مرشح في العلوم). موسكو، ١٩٨٢.

٣٢٩ - بريلوزوف س. م. مؤلف مجهول خاص بتاريخ الأديان في مخطوطة من مجموعة فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق. - الآثار المخطوطة وقضايا تاريخ ثقافة الشرق. موسكو، المجلد ١٥، الجزء ٢.

٣٣٠ - ريكمانس ج. نقشان عمرانيان ماهمان إلى جنوب الجزيرة العربية من تاريخ لينينغراد. - نشير التاريخ القديم. موسكو، ١٩٧٢، العدد ١.

٣٣١ - سيد أيمن. دراسة نقدية لبعض مصادر جنوب غرب الجزيرة العربية في العصر الفاطمي. - دراسات.

٣٣٢ - سيد فؤاد. مخطوطات اليمن. - مجلة معهد المخطوطات العربية. القاهرة، ١٩٥٥، المجلد ١.

٣٣٣ - صالح، أمين. تاريخ اليمن الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة: عصر الولاة. القاهرة، ١٩٧٥.

٣٣٤ - صالح، أمين. النظرة الاقتصادية في مصر والشام في صدر الإسلام. القاهرة، ١٩٧١.

٣٣٥ - سميونوفا ل. أ. الإسماعيلية الفاطمية في العالم الإسلامي العربي المعاصر. - الإسلام في تاريخ شعوب الشرق. موسكو، ١٩٨١.

٣٣٥أ - سيوزيوموف م. يا. النضال من أجل سبل تطور العلاقات الإقطاعية في بيزنطا. - دراسات بيزنطية. موسكو، ١٩٦١.

٣٣٥ب - أودالتسوفا ز. ف. بيزنطا وأوروبا الغربية (تأملات نمطية). - دراسات بيزنطية. موسكو، ١٩٧٧.

٣٣٥ج - أودالتسوفا ز. ف. أصالة التطور الاجتماعي للإمبراطورية البيزنطية. - تاريخ بيزنطا. المجلد ٣. المؤمنين، ١٩٦٧.

٣٣٥د - أودالتسوفا ز. ف. وغوتنوفا ي. ف. نشوء الإقطاعية في بلدان أوروبا. - المؤتمر العالمي الثالث عشر الخاص بالعلوم التاريخية. تقارير المؤتمر. المجلد ١، الجزء ١. موسكو، ١٩٧٣.

٣٣٦ - عمر، سلطان. نظرة في تطور المجتمع اليمني. بيروت، ١٩٧٠.

٣٣٧ - فخري، أحمد. اليمن، ماضيها وحاضرها. القاهرة، ١٩٧٥.

٣٣٨ - الحبشي، عبد الله. مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن. صنعاء - بيروت، ١٩٧٩.

٣٣٩ - الحبشي، عبد الله. جوانب من الحياة الاقتصادية في تاريخ اليمن. الكلمة. صنعاء، ١٩٧٩، العددان ٥١ - ٥٢.

26 10 2013

٣٤٠ - الحبشي عبد الله. حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول. لندن، بدون تاريخ الصدور.
٣٤١ - العطار محمد. تاريخ اليمن السياسي. القاهرة ١٩٧٦.
٣٤٢ - الحديثي نزار. أهل اليمن في صدر الإسلام. بيروت ١٩٧٨.
٣٤٣ - غلاغولا أ. ب. مخطوطات المخطوطات العربية في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. - دار الشرق للمخطوطة، دراسات تاريخية - الفورة، حولية ١٩٧٣، موسكو ١٩٧٩.
٣٤٤ - الهمداني حسين. الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن. القاهرة ١٩٥٥.
٣٤٥ - ... تاريخ النهضة الشرقية في مصر الإغريقية - الرومانية. قازان ١٩٠٧.
٣٤٦ - ... إسرائيل والعرب. تل أبيب ١٩٤٦.
٣٤٧ - حسين طه. على هامش السيرة. القاهرة ١٩٣٣.
٣٤٨ - الشماحي عبد الله. اليمن الإنسان والحضارة. القاهرة ١٩٧٢.
٣٤٩ - الشامي فضيلة. أروى امرأة تولت الحكم في اليمن. المورد. بغداد ١٩٧٩، المجلد ٨، العدد ٣.
٣٥٠ - شرف الدين أحمد. اليمن عبر التاريخ. القاهرة ١٩٦٤.
٣٥١ - شرف الدين أحمد. تاريخ اليمن الثقافي. المجلدات ١ - ٣. القاهرة ١٩٦٧.
٣٥٢ - شرف الدين أحمد. الفكر الإسلامي في اليمن. القاهرة ١٩٦٨.
٣٥٣ - الشاطري محمد. أدوار التاريخ الحضرمي. المجلد ١، جدة بدون تاريخ الصدور، المجلد ٢، المكلا ١٩٧٢.
٣٥٤ - شيفمان أي. ش. الدولة النبطية وثقافتها. موسكو ١٩٨٠.
٣٥٥ - شيفمان أي. ش. تعريفة الضرائب في تدمر. موسكو ١٩٨٠.
٣٥٦ - شهاب حسن. أضواء على تاريخ اليمن البحري. بيروت ١٩٧٩.
٣٥٧ - ... ف. أ. العرس في عداد الشعراء العرب في عهد الأمويين. - نشرات هيئة المستشرقين. سانت بطرسبورغ ١٩٦٦، المجلد ٢.

358- Abdallah Y. Die Personennmanen in al- Hamadani's al- Ikll und ihre Parallelen in den Altsu darabischen Inchriften. Fu bingen, 1976.
359- Al- Ansari. New Light on the State of Kinda from the Antiquities from Qaryat al - Fau. - First International Symposium on the Studies in the Hkstory of Arabia. Riyad, 1977.

360- Altheim F., Stiehl R. Die Araber in der Alten Welt. Bd. 1-5, B., 1964- 1969.
361-L'antica socete beduina. Ed. F. Gabrieli. Roma, 1959.
362- Al- Asli Kh. The Relations between Kinda and South Arabia. - Journal of the College of Arts. University of Baghdad. 1973, vol. 16.
363-Avanzini a. Nore su una nuova iscrizone di sarahbi'il Ya'fur. - Oriens Antiquis. Roma, 1973, vol. 12.
364-Avanzini A. Glossaire des inscriptions de l'Arabie du Sud 1950- 1973. Vol. 1, 2. Firenze. 1966, 1980.
365-Al- Azzazi. Die Entwicklung der Arbischen Repubic Yemen. Fu bingen- Basel, 1978.
366-Bafaqih M. New Light on the Yazanite Dinasty. -PSAS, 1979, vol. 9.
367-Beaucamp Y., Robin Ch. Le chistianisme dans la peninsula Arabique d'apes lepigraphie et d'archologie - Travaux et memoirs. P., 1981, Vol. 8.
368-Beeston A.A Note on the Ma'dikarib's Wadi Masil Text. - AJON. 1982. vol. 42.
369-Beeston A. Dingship in Ancient South Aabia. - YESHO. 1954, vol. 15.
370-Beeston A. Notes on old South Arabian Lesicograhy. 7. - Le Museon. Louvain, 1972, vol. 85.
371-Beeston A. Notes on the Murayghan Inscription - BSOAS. 1954, vol. 16.
372- Beeston A. Qayl. - EY2, vol. 4.
373- Beeston A.The Realm of King Yuseef. - BSOAS. 1975, vol. 38.
374-Beeston A. Sabaean Marginalia. - AJON. 1972, vol. 32.
375-Beeston A.The so - called Harlots of Hadramaut. Oriens. Leiden, 1952, vol. 5.
376- Beeston A. Warfare in Ancient South South Arabia. L., 1976.
377-Beeston A. (Rezension zur:) Caskel W. Entdeckungen in Arabien. - Orientalia. Leuren, 1956, vol. 25.
378- Beeston A. Epigraphic South Arabian Nomenclature. - Raydan. Aden, 1978, vol. 1.

378 a- Beeston A. Studies in Sabaic Lexicography. 20 Raydan Aden, 1980, vol. 74.
379-Ben Zvi, Y. Les orgines de 1 etablissement des tribus d'Israe'l en Arabie. Le Museon. Louvain, 1967, vol. 74.
380-Bousquet G. H. Lethique sexuelle de l' Islam. P., 1966.
381- Bosworth C. The Medieval Islamic Underworld. The Banu Sasan in Arabic Society and literature. Pt. 1 - 2. Leiden, 1976.
382-Bwen R. Irrigation in Ancient Qataban. - Archaeological Discovories in South Arabia. Baltimore, 1962.
383- Brauer E. Ethnologie der jemenitischen Juden. Heidelberg, 1934.
384- Bramlich E. Beitrage zur Gesellschaftsordnung der arabischen Bdeunenstamme. - Islamica. Upsala, 1933. Bd. 6.
385-Braunlich E. Bistam B. Kays. Ein forislamisches Beduinenfu, rst und Held. Lpz., 1923.
386-Brawman M. The Spiritual Background of Early Islam Studies in Ancient Arabian Concepts. Leiden, 1972.
387-Brockelmann C. Gruneriss der vergleichenden Grammatic der semitischen Sprachen. B., 1908.
387 a- Caetani L. Annali dell'Islam, Vol. 1- 10. Milano, 1905- 1927.
378 b- Brunner U. Die Erforschung der Antiken Oase von Marib Mit Hilfe Geomorphologischen Untersuchungs-methoden. Meinz am Rhein, 1982.
388-Cakel W. Entdeckungen in Arabien. Tu bingen, 1954.
389-Caskel W. Der arabische Stamm vor dem Islam und seine gesellschaftliche und juristische Organisation - Dalla tribu alla stato. Roma, 1962.
390-Caskes W. Die Bedeutung der Beduinen fu'r die Geschichte der Araber. Ko in und Opladen. 1953.
391- Caskel W. Die Inchrift von en - Namara new gesehen. -Melanges offerts a M. Maurice Dunand. Vol. 1. Beyrouth. 1969.
392- Caskel W. Die Inschrift von en - Namara new gesehen. - Melanges offerts a M. Maurice Dunane. Vol. 1. Beyrouth. 1969.
393- Caskel W. Zur Beduinisierung Arabiens. - ZDMG. 1953, Bd. 103.
394-Chelhod Y. Al- Harvta. - Ey2, vol. 3.
395- Chelhod Y. Les structures du sace chez les Arabes. P., 1964.
396-Chelhod Y. La socee Yemenite et le droit. - L Homme. P., 1976. vol. 15.

397-Chelhod Y. L'organisation sociale au Yemen. - L' Ethnographie. P., 1970. Vol. 64.
398- Daghfous R. Pour une chronologie de l'histoire de Yemen a lepoque musulmane. - Arvrag. Madrid, 1980, vol. 3.
399-Dayton Y. A discussion of the Hidrology of Marib. - PSAS. 1979, vol. 9.
400-Dayton Y. The Problem of Climatic Change in the Arabian Penensula. - PSAS. 1975, vol. 5.
401-Doe B. Aden in History. Aden. 1965.
402-Doe B., Serjeant B. A fortified Tower - House in Wadi Jirdan. - BSOAS. 1975, vol. 38.
403- Dostal W. Die Beduinen in Si darabien. Homu Wien, 1967.
404-Dostal W. The Develpoment of Bedouin Life in Arabia Seen from جاري Archaeological Material.
405-Fattal A. Le statut lgal des non - musulmanes en pays d'islam. Beyrouth. 1958.
406-Frandt Th. Die Avatomie der Arabrer. Rag. 1930.
407-Ghoneim W. Saudia Arabien. -rchive fur Orientforschung. B., 1980 Bd. 24.
408- Ghul M. New Qatabani Inscriptions. - BSOAS. 1959, vol. 22.
408 a- Geddes C. Al - Ma'muns Si'ite Policy in Yemen, - WZKM. 1963- 1964, Bd. 59. 60.
409-Gerholm T. market. Mosque and Mafrag: Social Inequality in a Yemeni Fown. Stockholm. 1977.
410-Goltein S. Portrait of a Yemenite Weaver's Village. - Jewish Social Studies. N. Y., 1955, vol. 17.
411-Gottschalk H. Der Yemen in islamischer Zeit, ein geschichtlichs U'berblick. - Bustan. Wien. 1962. No 4.
412-Gegoir H. Mahomet et le Monophysisme, -Melanges Charles Diehl. P., 1930. vol. 1.
413- Griggini E. Il poemetto di Qudama ben Qadim: Nusva versione della saga jemenca del reggente Abd Kullal. - RSO. 1916- 1918. vol. 7.
414-Grohmann A. Arabien. Mu nchen. 1963.
415- Grohmann A. Su darabien als Wertschaftsgebiet. Bd. 1. Wien, 1922.

416- Grhnbaum G. The Narute of Arab Unity before Islam. - Arabica, Leiden, 1963, vol. 10; [illegible] فون غرونيباوم [illegible] طابع الوحدة العربية [illegible] فون غرونيباوم [illegible] الأساسية للثقافة الإسلامية [illegible] ١٩٦١.
417-Hamdani Abbas. The Da'i Hatim ibn Ibrahim al- Hamidi- Oriens. Leiden, 1974, vol. 23- 24.
418-Hamdani Abbas Evolution of the organizational Structure of the Fatimi Da' Wah. - Arabian Studies, L., 1976, vol. 1.
419-Hamdani Hassan,. On the Genealogy of Fatimid Califs. Califs. Cairo, 1958.
420-Harmatta Y. The Struggle for the Possession of South Arabia between Aksum and the Sasanians. - IV Congresso internationale de studi etiopici. Vol. 1. Roma. 1974.
421- Harmann M. Der Islamische Orient. Bd. 2. Die Arabische Frage. Mit einen Versuche der Archaeologie Jemens. Lpz., 1909.
422- Mecharme C. Louis cheikho et son (wre (La christianisme et la literature chetienne in Arabie avant l'Islam). Beyrouth, 1967.
423-Ho fner M. Die Beduinen in den vorislamischen arabischen Inschriften. - L'antica sociee beduina. Roma, 1959.
424-Honigmann E. Eve ques eteveches monophysites d' Asie anerieure au VI secle. Louvain, 1951.
425-Horovitz Y. Koranische Untersuchrgen. B. -Lpz., 1926.
426-Hirschberg Y. Nestorian Sources of North - Arabic Traditions on the Establishment an persecution of Christianity in Yemen - Rocznik orjentalistyczny. Krakow, 1949, vol. 15.
427- Hunt R., Hunt E. Canal Irrigation and Local Social Organisation. - Current Anthropology. Chicago. 1976, vol. 17.
428-Irvanov W. Ismaili Literature: A Bibliographical Survey. Teheran, 1963.
429-Jacob G. Das Leben der vorislamischen Beduinen nach Den Quellen geschildert. B., 1863.
430- Jamme A. La dymastie de Sarahbi'il Yadul et la documentation epigraphique sud- arabe. Istanbul, 1961.
431- Jamme A. Mischellarees d'ancient arabe. Vol. 2. Wash., 1971.



432-Yamme A. Research on Sabaean Rock Inscriptions from Southrwestern Sauai Arabia. Wash., 1965.
433- Yeffery A. The Foreign Vocabulary of the Qur'an. Baroda, 1938.
434-Jontes M. Al- Sira an- nabarviyya as a Source for the economic History of راشدانWestern Arabia at the Time of the Rise of Islam.
435-Kawar Y. Bysanrinium und Kinda. - Byzantinische Zeitschrift. Mu nchen, 1960. Bd. 53.
436-Kister M. Y. Some Reports Concerning Mecca from Jahiliya to Islam. - JESHO. 1972, vol. 15.
437-Kister M. M. Some Reports Concerning al - Ta'if. - Jerusalem Studies in Arabic and Islam 1969, vol. 1.
438- Kister M. The campaingn of Huluban. A New Light on the Expedition of Abraha. - Le Museon. Louvain, 1965, vol. 78.
439-Kobori Y. Some Notes on Diffusion of Qanat. - Orient. Tokyo, 1973, vol. 9.
440-Kremer A. U'ber die Su darabische Sae. Lpz., 1866.
441-Kremer A. Altsu karabische Gedichte uber die Voidssage vor Yemen. Lpz., 1867.
442-Kremer A. Kulturgeschichte des Orient unter Chalifen. - Be. 1-2. Wien, 1875- 1877.
443-Krenkow F. The Two Oldest Boods on Arabic Folklore. - Islamic Culture. Hydarabad, 1901- 1913.
444-Landberg C. Etudes sur les dialects de l'Arabie meridionale. Leyde, 1901- 1913.
445-Lammens H. Etudes sur le egne du calife omaiyade Moawia. Beyrouth, 1968.
446- Lammens H. Etudes sur le secle des Omayyades. Beyrouth, 1930.
447- Lammens H.La cie arabe ke Taifa la veille del Hegire. Beyrouht, 1922.
448- Lammens H. La Mecque a la veille de l' Hegire. Beyrouth, 1924.
449-Lammes J. Les sanctuaries peislamites dans l'Arabie occidentale. Beyrouth, 1926.
450- Lammens J. Le berceau de l'Islam. Vol. 1. Romae, 1914.
451-Lammens H. Le califat de Yazid 1- er. Beyrouth, 1921.

452-Lewcock R. La cathedrale de Sanaa. -Dossier de
l'archeologie. P., mars- avril 979, vol. 33.
453-Lewis B. The orgins of Ismailism. Cambridge, 1940.
454-Loth A. Die Leute der Grube, - ZDMG, -1881, Bd. 35.
455-Lundin A. G. Die arabische Gottinnen Ruda und al- Uzza
Al- Hudhud. Festschrift Maria Hofner. Graz, 1981.
456-Madelung W. Der Iman al- Qasim b. Ibrahim und die
Glaubenslehre der Zaiditen. B., 1965.
457-Madelung W. Das Imamat in der fru hen ismailitischun
Lehre -Der Islam. B.,1961, Bd. 37.
458-Madelung W. Fatimiden und Bahrainqarmaten. - Der Islam.
B., 1959, Bd. 34.
459-Maktari A. Water Rights and Irrigation Practices in Lahj.
Cambridge, 1971.
460-Massigfon L. La Mubahaha de Medin et Medin et
l'hyperdulie de Fatima. Meed. P., 1935.
461-Mez A. Renaissance des Islams. Heidelberg, 1922;
الترجمة الروسية، ميتس أ. النهضة الإسلامية. الطبعة الثانية موسكو، ١٩٧٣
462-Montgomery Watt W. Muhammad at Mecina. Oxf., 1956.
463-Montgomery Watt W. The Man of the Ukhdud.- The Muslim
East. Budapest, 1874.
464-Moubarac Y. Les noms, titres et attributes de Dieu dans le
Coran et leur correspondans enepigraphie sud-smitique. -
Le Museon. Lonvain, 1955. vol. 68.
465-Mu ller W. Eine Paulinische Ausdruckweise hn einer spa
tsaba ischen Inscrift. -Raydan. Aden, 1980, vol. 3.
466-Mu ller W. Eine Sabaeishe Gedandschaft in Ktesiphon und
Selcukeia. -Neue Ephemeris for semitische Epigraphie
Wiesbaden, 1974, Bd. 2.
467-Mu ller W. (Review of:) Irfan Shahid. The Martyrs of
Najran. - Oriens Chistians. Wiesbaden, 1974, Bd. 58.
468-Nallino C. Raccolta di scritti editi. Vol. 3. Roma, 1941.
469-Noja S. Uslam e Giudaismo, il problema delle origini. -
Ulisse. Firenze, 1977, vol. 14.

470-Olnder G. Al al- Gaun of the Family of Akil al- Murar. - Le
monde orental. Uppsala, 1931, vol. 25.
471-Oander G. The Kings of Kinda of the Family of Akl al-
Murar. Lund - Leipzig, 1927.
472-Paret R. Ashab al- Ukhdud. - Ey2. vol. 1.
473- Pirenne Y. A. Paleographical Chronology of the Sabaean Dated
Inscriptions With Reference to Several Eras. - PSAS. 1974, vol. 4.
474- Pirenne Y. La maitrise de l'eau en Arabe Sud antique. - P., 1977.
475-Pirenne Y. L'inscription (Ryckmans 535) et la chronologie
sud - arabe. - Le Museon. Louvain. 1956, vol. 29.
476-Pirenne Y. Notes d'archologie sud- arabe. 5. -Syria.
Beyrouth. 1965, vol. 42.
477- Philonenko M. Une expression quomra nienne dans le
Coran. -Atti del 3. Congresso di Studi Arabi d Islamici.
Naples, 1966.
478- Pressler H. Abha ngigkeitverha ltnisse in Su darabien in
mittelsabaischer Zeit. Dissertation zur promotion. H. Lpz., 1980.
479-Robin Ch. Ancient West - Arabian. L., 1951.
480-Rabin Ch Qumran Studies. Oxf., 1957.
481-Reza - ur- Rahim M. Texiles in pre - Islamic Arabia. -
Hslamic Stdies. Rawalpindi, 1972, vol. 11.
482-Rhodokanakis N. Das o ffentliche Leben in den su
darabischen Staaten. - Handbuch der altarabischen
Altertumskunde. Kopenhagen, 1927.
483-Vobin Ch. En marge des incriptions e Yanbuq: quelques
remarques sur Il lignage des Yaz' anites et sur la ederation
tribales qu ils controlent. - Raaydan. Aden, 1979, vol. 2.
484- Robin Ch. Esquisse d'une histour de organization tribale en
Arabie du Sud antique. - La Peninsule Arabique d'arjourd hui.
Dir. P. Bonnenlant. Vol. 2. P., 1982.
485-Robin Ch. Judaisme et christianisme en Arabie du Sud
d'apes les sources epigraphiques et archeologiques. -
PSAS. 1980, vol. 10.
486-Robin Ch. Le Nihmyaritte: novellas suggestions. - PSAS.
1981. vol. 11.

487- Robin Ch. Le Nihm, esquisse de geographie historique d' les ages
[illegible] صنعاء - أكتوبر ، ١٩٨١
donrees ed al- Hamdane.

488- Robin Ch. Les Hautes - terres du Nord - Yemen avant l'islam. Vol 1-2. Istanbul, 1982.

489- Robin Ch. Les inscriptions d'al -Mi'sal et la chronologie de l'Arabie meridionale au III secle de lere chetienne. - Acaemie des inscriptions et Belles - gttres: Comptes rendus. P., 1981.

490- Rodinson M. Ethiopien et sudarabiqye. Rapport sur les conerences. - Ecole pratique des hautesetudes. IVeme section. Sciences historiees et philologiques. Annuaire 1965, 1966, 1966, 1967, 1968, 1969, 1974, 1975, p., 1966, 19677, 1968, 1975.

491- Rodinson M Sur une nouvelle inscription du egne de Dhou Novas. BO. 1969, vol. 26.

492- Rothstein G. Die Dynastie der Lahmiden in al- Hira. B., 1899.

493- Ryckmans Y. La qayl en Arabie merdionale peislamique. - Hebrew and Semitic Studies presented to R. G. Driver. Oxf., 1963.

494- Ryckmans Y. Himyaritica. 1-5 Le Museon. Louvan, 1956, 1966, 1874,1975, vol. 69, 96, 87, 88.

495- Ryckmans Y. Inscriptions historiques sabeennes de "Arabie centrale. -Le Museon. Louvain, 1953, vol. 66.

496- Ryckmans Y. La mancie par hrb en Arabie du Sud ancienne: Linscription Nami NAG 12. -Festschrift Werner cakel. Leiden. 1968.

497- Ryckman Y. Le persecution der chetiens himyartes aus sixeme secle Istanbul. 1956.

498- Ryckman Y. Le chritianisme en Arabie du Sud peislamique -Atti del convegno internazionale sul tema: L' Oriente cristiano nella storia della civilta Roma, 1964.

499- Ryckmans Y. Le rapas ritues dans la religion sud - arabe. - Symbolae biblicae et mesopotamicae. Leiden, 1973.

500- Ryckmans Y. Les confessions publiques sabeennes: Le code sud- arabe de puree riuelle. - AYON. 1972, vol. 32.

501- Pyckmans Y. Les coegents du roe himyarite Abukarib As'ad d'apes le texte Rossi 24. - RSO. 1953, vol. 37.

502- Ryckmans Y. Les inscriptions anciennes de l' Aarabie du Sud: Points de vue et probemes actuels. Leiden, 1973.

503- Ryckmans Y. L' institution monorchique en Arabie meridionale arrant l' islam. Lonvain, 1951.

504- Ryckmans Y. Ritual Meals in the South Arabian Religion. - PSAS. 1973.

.snotpicsn I naseabaS etaL eht no skrameR emoS. Y
snamdcyR -505.8.lov

505- Ryckmans Y. Sone Remarks on the Late Sabaean inscipnons.

506- Ryckmans Y. Uzza et Lat dans les inscriptions sud- arabes: A propos de deux amulettes meconnues. -Journal of Semitic Studies. Machester. 1980, vol. 25.2.

507- Ryckmans Y. (Rezension zur:) Cakel W. Entdeckungen in Arabien. - Bo. 1957, vol. 14.

508- Ryckmans Y. Les inscriptions sud - arabes anciennes et lesetudes arabes. - AYON. 1975, vol. 35.

508 a- Ryckmaes Y. (Revier of:) Yamme A. Sabaean and Hasaean Inscripuons. - BO. 1969. vol. 26.

509- Sayyid A. Sources de lhistoire du Yemen a lepoque musulmane. Le Caire. 1974.

509 a- Serauky E. Die gesellschaftliche Wirksamkeit und konzeptionelle Vorstellungswelt der Isma iliya der Qarmaten im iemenischen Mittlalter. Dissertation. B., 1983.

510- Serjant V. Haram and Hauta, the Sacred Enclave in Arabia. - Melanges Taha Husayn. Le Caire, 1962.

511- Serjeant R. The Cultivation of Cereals in Medeavel Yemen. - Arabian Studies. L., 1974, vol. 1.

512- Serjeant V. The Sayyads of Hadramawt. L., 1957.

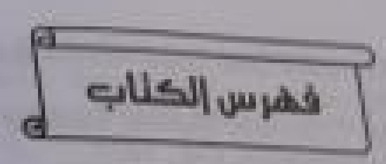
513- Serjeant F. The South Arabian Arabian Hunt. L., 1976.

514- Serjeant V. (Review of:) Bowen R. Irrigation in Ancient Qataban. - BSOAS. 1960, vol. 23.

515- Sezgin F. Geschichte des arabischen Schrifttums. Bd. 1. Leiden, 1967.

516- Shahid Y. Byzantium in South Arabia. - Dumbarton Oaks Papers. 1979, vo. 33.

517-Shoufany E. Al - Riddah and the Muslim Conquest of Arabia. Toronto- Beirut, 1972.
518-Smith S. Events in Arabia in the 6th century A. D. - BSOAS. 1954, vol, 16.
519-Snouck Murgronje C. Die Mahdi. - Snouck Hurgonje C. Verspreide Geschriftin. Bd. 1. Bonn - Leipzig, 1923.
520-Sperber Y. Die Schreiben Muhammads an die Stamme Arabiens, B., 1931.
521-Sperber Y. Die Biblische Erza Yiungen im Qoran, Grafenha inichen, 1931.
522-Stern S. The Succession to the Fatimid Imam al - Amir, the Claims of the Zafer Fatimids to the Imamate and the Rise of FT ayyibi Ismailism Oriens. Leiden, 1951, vol. 4.
523-Strothmann R. Die Mubahala im Tradition und Liturgie - Der Islam. B, 1957, Bd. 23.
524-Strothmann R. Ziyadi. - Ey1, Bd. 4.
525-Strothmann R. Ya' fer. - Ey 1, Bd. 4.
526- Strothmann R. Das Staatsrecht der Zaiditen. Strassburg, 1912.
526 a- Strothmann R. Kultus der Zaiditen. Strassburg, 1912.
527-Thesiger W. The Marsh Arabs. Harmonds worth, 1967
الترجمة الروسية المختصرة، عرب البحيرات، موسكو، ١٩٨٢
528-Trimingham Y. Chistianity among the Arabs in Pre- Islamic Times. Londres - Beyrouty, 1979.
529-Tyan E. Histoire de l'organisation judicaire en pays d' Islam. Vol. 1, 2. p., 1938, 1943.
530-Van Arendonk V. De opkomst van het Zaidietische Iaamat in Yemen. Leyde, 1919; (Taduct. Franc.) Van Arendond V. Les debuts de l'imamat Zaidite au Yemen. Trad. Y. Ryckmans. Leyde, 1961.
531-Van Vlotten G. Recherches sur la domination arabe le chu tisme et les croyances messianiques sous le Khilfat des Omayades. Amsterdam, 1894.
532-Varisco D. Irrigation in an Arabian Valley: A Aystem of Highland Terraces in the Yemeni Ara Republic. Expekition. Philadelphia, 1983, vol. 25, No 2.
533-Wade R. Archaeological Observations around Marib, 1975. PSAS. 1979, vol. 9.
534-Wansbrough Y. Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation. Oxf., 1977.
535-Welhausen Y. Skizzen und Vorarbeiten, Bd. 1- 6 B. 1884-1889.
536-Wkikinon Y. The Yulanda of Oman. - The Journal of Oman Studies Maskar, 1975, vol. 1.
537- Wilkinson Y. Sohar Ancient Fields Project. 1- 3. - The Journal of Oman Studies. Maskat, 1975, 1976, 1977, vol. 1, 2,3.
538-Wissmann H. Badro. - Ey2, vol. 1.
539-Wissmann H. Die Geschichte von Saba. II. Das Grossenreich der Sabaer. Zu seinem Ende im fruhen 4 Yh. Vor chr. Hrsg. W. Mu ller. Wien, 1982.
540-Wissmann H. imyar: Ancient History. 0 Le Museon, Louvain. 1964., vol. 77.
541-Wissmann M. Ueber dis fru he Geschichte Arabiens und das Entstehen aes Sabaerreiches. Wien, 1975.
542-Wissmann H. Zur Geschichte und Landeskunde von Alt Su darabien. Wien. 1964.
543-Wissmann H. Zur Kenntniss von Ostarabien, besonders al - Qatif, im Altertum. - Le Museon. Louvain. 1967, vol. 80, app. Par Y. Rydkmans.
544-Wittfgel K. Oriental Despotism: A Comparative Study of Total Power. New Haven, 1957.


فهرس الكتاب

شرفونا بزيارتكم لدى فروعنا التالية



الجمهورية اليمنية

صنعاء – الدائري الغربي –

جولة القادسية- أمام سيتي مارت

تليفون : ٢١٥٣٤٢ فاكس : ٢١٥٣٢٣



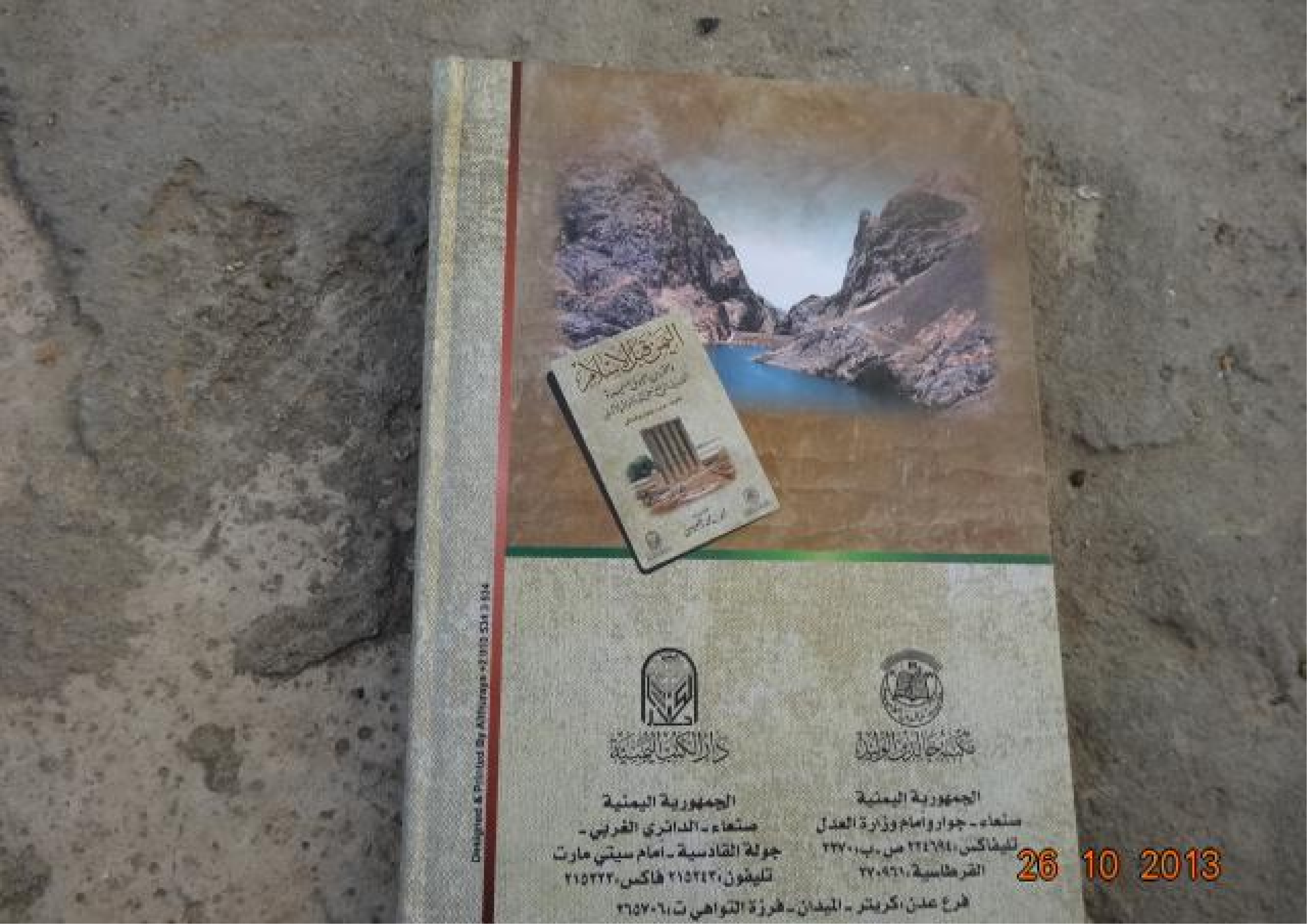
الجمهورية اليمنية

صنعاء – جوار وأمام وزارة العدل

تليفاكس: ٢٢٤٦٩٤ ص.ب : ٢٣٧٠

القرطاسية : ٢٧٠٩٦١

فرع عدن : كريتر – الميدان – قرة التواهي ت : ٢٦٥٧٠٦


دار الكتب اليمنية
الجمهورية اليمنية
صنعاء - الدائري الغربي -
جولة القادسية - امام سيتي مارت
تليفون ٢١٥٢٤٣ فاكس ٢١٥٢٢٢
الجمهورية اليمنية
صنعاء - جوار وامام وزارة العدل
تليفاكس ٢٢٤٦٩٤ ص.ب ٢٣٧٠٠
القرطاسية ٢٧٠٩٦١
فرع عدن كريتر - الميدان - فرزة التواهي ت ٢٦٥٧٠٦
26 10 2013